الجمهوريّة الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشّعبيّة
وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي
جامعة غرداية

كلّيّة الآداب واللّغات
قسم اللّغة والأدب العربي

مخبر التّراث الثّقافي واللّغوي والأدبي
بالجنوب الجزائري

إستراتيجيّات الخطاب عند الشّيخ الإبراهيمي

- مختارات من آثاره مقاربة تداوليّة -

أطروحة دكتوراه الطّور الثّالث (ل.م.د) في: **اللّغة والأدب العربي**، تخصّص: **دراسات لغويّة وأدبيّة**.

إعداد الطالب:
سفيان مطروش

إشراف الدكتور:
سليمان بن سمعون

– لجنة المناقشة:

الرّقم	الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصّفة
01	محمّد السّعيد بن سعد	أستاذ التّعليم العالي	غرداية	رئيسًا
02	سليمان بن سمعون	أستاذ محاضر (أ)	غرداية	مشرفًا ومقرّرًا
03	الطيّب دَبَّه	أستاذ التّعليم العالي	الأغواط	عضوًا مناقشًا
04	هاجر مدقّن	أستاذة التّعليم العالي	ورقلة	عضوًا مناقشًا
05	بوعلام بوعامر	أستاذ التّعليم العالي	غرداية	عضوًا مناقشًا
06	طاهر براهيمي	أستاذ محاضر (أ)	غرداية	عضوًا مناقشًا

السّنة الجامعيّة

1439– 1440هـ/2018– 2019م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الحمد **لله** القائل: ﴿**نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ**﴾

والقائل أيضا: ﴿**أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ**﴾

أشكر **الله** عزّ وجلّ،وأحمده حمدًا كثيرًا على نعمه التي لا تحصى

وعلى توفيقه إيّاي،لإنجاز هذا البحث

ثم أشكر والديَّ الكريمين،أطال **الله** عمرهما في الخير

وأشكر الأستاذ المشرف الدّكتور (سليمان بن سمعون)،على ما قدّمه من

نصائح وتوجيهات،من أجل أن يتّسم البحث بالموضوعيّة الأكاديميّة

وكذلك أشكر أعضاء لجنة المناقشة،الذين شرّفوني بقبول مناقشة البحث

دون أن أنسى، كل من كان عَونًا لي في إنجاز بحثي

ولو بالدّعاء والتّشجيع

سفيان

إهداء

إلى والديَّ الكريمين

إلى جَدِّي سليمان

إلى عمّي نور الدِّين

إلى خالتي مريم

إلى أختي أمينة وأخي محمّد الأمين

إلى من علّمني حَرفًا

إلى مالك،نجل أستاذي محمّد لحسن خنفر (رحمه **الله**)

إلى كلّ صديق مخلص

سفيان

مقدّمـــــــة

– مقدّمة:

الحمد **لله** ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على سيّد المرسلين،أفصح المتكلّمين،وأبلغ النّاطقين خاتم الأنبياء والمرسلين محمّد بن عبد **الله** وعلى آله وصحبه الطّاهرين وبعد؛

تنظر المقاربة التّداوليّة إلى أيّ خطاب،مهما كان "شكله،أو موضوعه،أو مقصديته...إلخ"،وفقَ رؤية مفادها: أنّ مرسله؛قد استحضر مجموعة تصوّرات ذهنيّة،أدّت بدورها إلى تفعيل عمليّة تخطيط (بوعي واضح أو غير واضح) خضعت في الأصل،إلى عناصر سياقيّة تداوليّة معيّنة،أثّرت تأثيرًا مباشرًا في لحظة إنتاج الخطاب.

كما تتفاوت درجات توظيفها من مرسل لأخر،بحسب ما يمتلكه كلّ مرسل من قدرة تواصليّة بمختلف كفاياتها والمقصديّة الخطابيّة التي يودّ تحقيقها،بالإضافة إلى نوعيّة السّلطة الحاضرة لحظة التّلفّظ بالخطاب.

إذ تجتمع هذه العوامل كلّها؛كي تؤسّس خطّة خطابيّة يعتمد عليها المرسل في مراحل إنتاج خطابه،يُطلَقُ عليها عندئذٍ تسمية "الاستراتيجيّة الخطابيّة– Strategie of discourse".

ولا شكّ أنّ،الاحتمالات المتعدّدة لاستثمار استراتيجيّة خطابيّة واحدة أو أكثر من عند المرسل،تتحكّم فيها عناصر سياقيّة تداوليّة محدّدة؛إذ يمكنه استعمال مجموعة من الاستراتيجيّات المختلفة في خطاب واحد،أو ينتقي منها استراتيجيّة واحدة ويعمدَ إلى توظيفها في خطاب واحد أو أكثر.

وبما أنّه،لن يستطيع توظيف كل الاستراتيجيّات الخطابيّة المتاحة،وجب عليه انتقاء استراتيجيّة (أو استراتيجيّات) خطابية معيّنة،تَكُون هي الأعمّ والأشمل؛أي تُعَدُّ هي الاستراتيجيّات الرّئيسة،والأخرى تُعتَبر إحدى آليّاتها وأدواتها اللّغويّة وغير اللّغويّة.

على أن يتمّ تصنيفها،تصنيفًا شاملًا،يحتكم إلى ثلاثة معايير واضحة المعالم:

– أوّلها،معيار اجتماعي؛قائم على نوعيّة العلاقة بين طرفي الخطاب،وعلى ضوئه يمكن أن يستثمر المرسل في نوعين من الاستراتيجيّة الخطابيّة،تسمّى الأولى بـ **"الاستراتيجيّة التّضامنيّة"**،فيما تسمّى الثانية بـ **"الاستراتيجيّة التّوجيهيّة"**.

– والمعيار الثاني:معيار لغوي؛قائم على شكل الخطاب من حيث لغته،وعن طريقه يتوفّر للمرسل استراتيجيّتان خطابيّتان؛إحداهما مباشرة،والأخرى (غير مباشرة)،يُطلَقُ عليها تسمية **"الاستراتيجيّة التّلميحيّة"**.

– وأمّا المعيار الثّالث؛فهو المعيار القائم على الأهداف التي يسعى الخطاب إلى تحقيقها،ومن أشهرها هدف الإقناع الذي يستلزم استراتيجيّة معيّنة،يمكن أن نسمّيها بـ **"الاستراتيجيّة الإقناعيّة (الحِجَاجِيَّة)"**.

كما تتدخّل عوامل كثيرة في توجيه العمليّة التّخاطبيّة التّواصليّة إنتاجًا وتأويلًا،ولهذا ينتقي المرسل استراتيجيّة خطابيّة محدَّدة،قبل وأثناء إنتاج خطابه؛إذ تُعَدُّ مقصديّة الخطاب وسلطته،من أهم تلك العوامل تأثيرًا في عمليّة الانتقاء،وتليهما مرجعيّاته بأقل درجة منهما تأثيرًا.

ولأنّ خطابات (محمّد البشير الإبراهيمي)،على تنوّعها،هي خطابات مبنيّة في الأصل،على عدّة استراتيجيّات خطابيّة،جسّدها توظيف آليّات معيّنة،بُغيَة تحقيق مقاصد خطابيّة معيّنة،أملَتها ظروف سياقيّة محدّدة ومتغيّرة، انعكست في تعدّد موضوعاتها بين:"إصلاحيّة دينيّة،وتربويّة،وسياسيّة،واجتماعيّة،وتحرّريّة...إلخ"،كما انعكست في تنوّع أشكالها الخطابيّة:"مقالات،وخطب،ورسائل،وقصائد،وروايات،وتقارير،وبيانات...إلخ".

لهذا اعتمد بحثنا على المقاربة التّداوليّة بما تمتلكه من إجراءات تحليليّة،من أجل دراسة مختلف الاستراتيجيّات الخطابيّة التي وظّفها (الإبراهيمي) في آثاره،بما احتوته من خطابات "مكتوبة،أو شفهيّة"،وبما يمتلكه (الإبراهيمي) من قدرة تواصليّة بمختلف كفاياتها،إضافة إلى نوعيّة مرجعيّاته الخطابيّة.

وتكمن أهميّة هذا البحث،في أنّه بحث ذو طبيعة تخصّصيّة وعلميّة،تهتمّ بالبحث اللّغوي التّواصلي،بوجه عام؛ولأنّه يشمل جانبًا مهمًّا من جوانب الدّراسات اللّغويّة والنّقديّة المعاصرة،بوجه خاص.

ومن الدّراسات السّابقة التي تناولت موضوع استراتيجيّات الخطاب،بشكل عام،نجد الدّراسة التي قام بها الباحث الغربي (جون قمبرز- JOHN J.GUMPERZ)،والموسومة بـ" Discourse strategies,Cambridge University Press:1982"؛إذ درس من خلالها استراتيجيّات الخطاب،وفقَ المقاربة اللّغويّة الاجتماعيّة.

وبالنّسبة للدّراسات العربيّة،نجد الدّراسة التي قام بها،الباحث (عبد الهادي بن ظافر الشّهري)،والمعنوَنَة بـ "استراتيجيّات الخطاب مقاربة لغويّة تداوليّة،جزءان،دار كنوز المعرفة،عمّان-الأردن؛ط02:1436هـ/2015م"؛حيث قدّم من خلالها رؤية تأصيليّة لهذا الموضوع،في الدّرس التّداولي العربي،بما ضمّنه من مفاهيم ومصطلحات،بالإضافة إلى إثراء دراسته بمجموعة من الشّواهد الخطابيّة المتنوّعة،بتنوّع الآليّات التي حلّلها.

ومن الدّراسات السّابقة،التي اهتمّت باستراتيجيّات الخطاب عند (الإبراهيمي)،نجد الدّراسة التي قام بها الباحث (إبراهيم براهمي)،والمعنوَنَة بـ"استيراتيجيّات الخطاب في رواية الثّلاثة للبشير الإبراهيمي،منشورات بونة للبحوث والدّراسات،عنّابة-الجزائر؛ط01:2013م"؛حيث تختلف هذه الدّراسة مع بحثنا،في كونها ركّزت على نموذج خطابي (شِعري) واحد،هو"رواية الثّلاثة"؛بينما توسَّع بحثنا في دراسة النّماذج الخطابيّة التي احتوتها الأجزاء الخمسة من آثار (الإبراهيمي).

ومن بين الدّراسات الأخرى،التي اهتمّت بخطاب (الإبراهيمي)،في بُعدِهِ الحِجَاجِي،نجد كل من أطروحة الباحث (زوبير بوزاغو)،الموسومة بـ" التّلوينات الحِجَاجِيَّة في مقالات البشير الإبراهيمي مقاربة لغويّة تداوليّة"،أطروحة دكتوراه (غير منشورة)،جامعة الجيلالي اليابس؛سيدي بلعباس:2017-2018م"،ورسالة الباحث (حمدي منصور جودي) المعنوَنَة بـ"خصائص الخطاب الحِجَاجِي وبنياته الإقناعيّة في أعمال البشير الإبراهيمي دراسة لنماذج نصّية مختارة"، رسالة ماجستير (غير منشورة)،جامعة محمّد خيضر؛بسكرة:2007-2008م "،وأيضا رسالة الباحث (محمّد عطا **الله**) الموسومة بـ "الخطاب الحِجَاجِي في المقالات الإصلاحيّة لمحمّد البشير الإبراهيمي مقاربة لغويّة دلاليّة"،رسالة ماجستير (غير منشورة)،جامعة الحاج لخضر؛باتنة:2011-2012م"،وكذا رسالة الباحث (محمّد بغالية)، المعنوَنَة بـ "حِجَاجيَّة الشّاهد والمثَل في أعمال الإبراهيمي،رسالة ماجستير(غير منشورة)،جامعة أحمد بن بلة01؛وهران:2014-2015م".

إذ تشترك هذه الدّراسات مع بحثنا في تناولها للخطاب الحِجَاجِي لدى (الإبراهيمي)،ونحن درسناه في الاستراتيجيّة الإقناعيّة (الحِجَاجِيَّة) عنده.

وبما أنّها في مجملها،ركّزت على الخطابات الموجودة في الجزء الثّالث من الآثار "عيون البصائر"،لهذا تجنّبنا دراسة هذا الجزء قَدرَ المستطاع،عند تحليلنا للاستراتيجيّة التي سبق ذكرها،واكتفينا بالإحالة إلى أهمّ الدّراسات فقط؛كي يكون بحثنا مكمّلًا لما سبقه،ولا يقع "الحافر على الحافر" كما يقال؛وكي لا نتمثّل بقول الشّاعر:

مَا أَرَانَا نَقُولُ إِلّا مُعَارًا أَو مُعَادًا مِنْ لَفْظِنَا مَكْرُورَا

مع قناعتنا التّامة؛بأنّه حتّى وإن تطابقت المدوّنات والمقاربات النّقديّة بين الباحثين،فلكل باحث تحليله الخاص.

وقد طرح بحثنا إشكاليّة رئيسة،هي كالآتي:

– ما هي الاستراتيجيّات الخطابيّة التي وظّفها (الإبراهيمي) في خطاباته؟.

وقد تمخّضت عن هذه الإشكاليّة،إشكالات أخرى فرعيّة،جاءت كلّها في النّقاط الآتية:

– ما مفهوم الاستراتيجيّة الخطابيّة؟.

– ما هي معايير تصنيف الاستراتيجيّات الخطابيّة؟،وما هي العوامل المتدخّلة في انتقائها؟.

– من أين يستمدّ خطاب (الإبراهيمي) سلطته؟.

– هل كان (الإبراهيمي)،يَعِي مفهوم الاستراتيجيّة الخطابيّة،بصفتها خطّة يعتمد عليها في تأسيس خطاباته؟،أم لا؟.

– ما هو العامل الأكثر تأثيرًا في انتقاء الاستراتيجيّة الخطابيّة لدى (الإبراهيمي)؟.

ومن بين المسلَّمات التي يقدّمها البحث،بصفتها إجابات مبدئيّة على هذه الإشكالات،أنّه:

– مع كثرة القضايا والإجراءات التي تستخدمها المقاربة التّداوليّة،في دراستها للّغة الطّبيعيّة بوجه عام والخطاب بوجه خاص،إلّا أنّها في أغلبها لا تزال غامضة.

– الاستراتيجيّة بشكل عام،هي تخطيط ذهني يسبق العمل والتّنفيذ،وأمّا الاستراتيجيّة في الخطاب،فهي تخطيط ذهني يسبق إنتاج الخطاب.

– تتنوّع العوامل المؤثّرة في تصنيف الاستراتيجيّات الخطابيّة،بتنوّع العناصر السّياقيّة التّداوليّة الحاضرة أثناء إنتاج الخطاب،كما تتنوّع أيضًا العوامل المتدخّلة في انتقائها.

– ينوّع خطاب (الإبراهيمي)،في استعماله للاستراتيجيّات الخطابيّة،بحسب تنوّع العناصر السّياقيّة التّداوليّة المتغيّرة.

– قد تتساوى،العوامل المتدخّلة في انتقاء الاستراتيجيّة الخطابيّة الأنسب،لدى (الإبراهيمي).

– قد يستمدّ خطاب (الإبراهيمي) سلطته،من شخصيّة مرسله أو من المؤسّسة التي ينتمي إليها.

– قد يوظّف خطاب (الإبراهيمي)،الاستراتيجيّة الخطابيّة،بصفتها إجراءًا تخطيطيًّا يسبق إنتاج الخطاب،(بوعي واضح أو غير واضح).

وللتأكّد من صحّة هذه المسلَّمات،أو من عدمها،اتّبعنا في بحثنا الخطّة التالية:

– **مدخل**؛ناقشنا من خلاله بعض المفاهيم والمصطلحات،التي لابدّ من الفصل فيها منذ البداية،لهذا جاء بعنوان "تحديدات مصطلحيّة ومفاهيميّة".

– **فصل أوّل**؛تناولنا فيه مفهوم الاستراتيجيّة بشكل عام،ثمّ مفهوم الاستراتيجيّة الخطابيّة بشكل خاص،وبعد وضع تعريف لهذه الأخيرة،ناقشنا أهم المعايير المؤثّرة في تصنيف الاستراتيجيّات الخطابيّة،وكذا العوامل المتدخّلة في انتقائها حيث حاولنا إسقاط أهم محاور هذا الفصل على خطاب (الإبراهيمي)،بالتّطبيق أحيانا،وبتجاوزها أحيانا أخرى والاكتفاء بالإشارة إليها في أيّ موضع تطبيقي سيتم دراستها.

– **وأمّا الفصل الثّاني**؛فقد خصّصناه،لدراسة الاستراتيجيّة التّضامنيّة في خطاب (الإبراهيمي).

– **ثمّ فصل ثالث**؛خصّصناه،لدراسة الاستراتيجيّة التّوجيهيّة في خطاب (الإبراهيمي).

– **وبعده فصل رابع**؛خصّصناه،لدراسة الاستراتيجيّة التّلميحيّة في خطاب (الإبراهيمي).

– **وبالنّسبة للفصل الخامس**؛فقد درسنا من خلاله،الاستراتيجيّة الإقناعيّة (الحِجَاجِيَّة) في خطاب (الإبراهيمي).

– **ثم ختمنا بحثنا**؛بعرض أهم النّتائج التي توصّل إليها،لتشكّل في مجملها إجابات على الإشكالات المطروحة آنفًا.

– وبعدها،ذيّلنا البحث،**بقائمة للمصادر والمراجع** التي اعتمدها البحث في مراحله المختلفة،وأتبعناها بعد ذلك بسرد **الفهارس العامّة للبحث**.

وأمّا عن أهم المصادر والمراجع التي وظّفها البحث،فقد كانت "آثار الإمام محمّد البشير الإبراهيمي"،هي المصدر الأوّل للبحث،بصفتها المدوّنة،بينما جسّد كتاب "استراتيجيّات الخطاب مقاربة لغويّة تداوليّة" للباحث (عبد الهادي بن ظافر الشّهري)،المصدر الثّاني للبحث،عندما اعتمدنا عليه في الكثير من الجوانب النّظريّة الخاصّة بموضوع الاستراتيجيّات الخطابيّة وتصنيفها،والعوامل المتدخّلة في انتقائها،بالإضافة إلى تحديد العديد من مفاهيم بعض الآليّات التي توظّفها مختلف الاستراتيجيّات الخطابيّة المدروسة.

وقد تمّ اختيار النّماذج الخطابيّة من آثار (الإبراهيمي)،وتحليلها،انطلاقًا من آليّة كل استراتيجيّة خطابيّة،مهيمنة على نموذج خطابي معيّن.

ومن بين أهم الصّعوبات التي واجهتنا،طيلة إنجاز البحث،هي:

– كثرة المؤلّفات في الدّرس التّداولي– العربي والغربي– معًا، لم تُغْنِ هذا الدّرس،بالقدر الكافي والمطلوب–حسب رأينا– بل أسهمت في اضطراب العديد من مصطلحاته ومفاهيمه،باستثناء بعض البحوث والدّراسات.

– في بعض النّماذج الخطابيّة من آثار (الإبراهيمي)،قد تهيمن عليها أكثر من استراتيجيّة خطابيّة–بآليّاتها المختلفة– ممّا صعّب من تحديد أيّة استراتيجيّة سيتمّ تحليلها.

وفي الأخير،أشكر **الله** عزّ وجلّ وأحمده حمدًا كثيرًا على توفيقه إيّاي،لإنجاز هذا البحث،ثم أشكر والديَّ الكريمين على ما قدّماه من دعم نفسي ومادّي،خلال المدّة التي قضيتها مع البحث،كما أشكر الأستاذ المشرف الدكتور

(سليمان بن سمعون)،على ما قدّمه من نصائح وتوجيهات،من أجل أن يتّسم البحث بالموضوعيّة الأكاديميّة،وأن يقدّم إضافة معتبرة للمكتبة الجامعيّة المتخصّصة في حقل تداوليّات الخطاب.

وأشكر أيضا،أعضاء لجنة المناقشة-كلٌّ باسمه ورتبته-،الذين شرّفوني بقبول مناقشة هذا البحث،راجيًا من المولى أن يجازيهم عنّي خير الجزاء.

وأسأله تعالى أن لا يحرمني أجر طلبة العلم،بما أنفقته من جهد ووقت في سبيل هذه الأطروحة،وأن يرزقني الإخلاص والتّوفيق في القول والعمل،كما أسأله سبحانه،أن يجازي جميع من قدَّم لي يدَ العَون،خيرَ الجزاء،هو وَليُّ ذلك والقدير عليه،وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

الطّالب الباحث سفيان مطروش

metrouche88@gmail.com

مدخل

تحديدات مصطلحيّة ومفاهيميّة

– مدخل:"تحديدات مصطلحيّة ومفاهيميّة".

بعد أن ينتقي محلّل الخطاب،المنهج الذي يراه مناسبًا،يلزمه أن «يضبط مجاله الذي يدور فيه والمفاهيم العاملة التّي يعتمد عليها،فيتعيّن بذلك موقعه من الاختصاصات المتنوّعة المتداخلة،ويتمكّن المتقبِّل من مفاتيح ولوجه القائمة على تلك المفاهيم،وهذه ضرورة إبسْتِمُولُوجِيَّة».[1]

وبما أنّه،من مقتضيات أيّ بحث،أن تُضبَطَ مصطلحاته ومفاهيمه الأساسيّة منذ البداية،خصّصنا هذا المدخل لتحديد مصطلحات ومفاهيم،كل من:المقاربة التّداوليّة،والخطاب،والنّص،والسّياق التّداولي.

وحتّى تنجلي لنا علاقتها بالاستراتيجيّات الخطابيّة عند دراستها فيما بعد؛ولكي نتجاوز الاختلاف المصطلحي لهذه المفاهيم،في الدّرس اللّغوي الغربي،والاضطراب الموجود في العديد من التّرجمات التي اجتهد في صياغتها الدّارسون العرب.

– أوّلا:مفهوم المقاربة التّداوليّة ومكانتها في تحليل الخطاب.

انقسمت النّظريّات اللسانيّة المعاصرة،في دراستها للّغة الطّبيعيّة إلى اتّجاهين متباينين؛يسعى الأوّل منهما،إلى دراسة اللغة الطّبيعيّة في جانبها الشّكلي والبنيوي بعيدًا عن السّياقات المختلفة والظّروف التي تُستخدَم فيها تلك اللّغة؛إذ لا يَدرُسُ اللّغة «بوصفها خطابًا (discourse)؛بل بوصفها نصًّا مجرّدًا (text abstract)»[2]؛حيث تمثّله النّظريّة اللّسانيّة البنيويّة وما انبثق عنها من نظريّات.

بينما يسعى الاتّجاه الثّاني إلى دراسة اللّغة الطّبيعيّة في جانبها الاستعمالي التّواصلي؛بالإضافة إلى شروط استحضار الظّروف المحيطة بإنتاج الخطاب؛حينما أصبحت تمثّله مقاربات لسانيَّة نقديَّة عديدة،تُعنَى بـ "تحليل الخطاب– Discourse analysis"،من بينها "المقاربة التّداوليّة– Pragmatics approach".[3]

حيث ترى هذه المقاربة؛أنّه للّغة الطّبيعيّة وظيفتين أساسيّتين لهما علاقة مباشرة أو غير مباشرة بمقاصد المرسل وبعلاقاته الاجتماعيّة،والظّروف المحيطة بإنتاج خطابه:[4]

أ– وظيفة تعامليّة:

وظيفة التّواصل تتمثّل أساسًا في سعي المتكلّم إلى إبلاغ المتلقّي بأمر مَا أو إلى نسبة عمل مَا إليه؛حيث يفترض في اللّغة المستعمَلَة أنّ ما كان في ذهن المتكلّم (أو الكاتب) عند استعمالها هو النّقل النّاجح للمعلومات،حينئذٍ تصبح اللّغة الطّبيعيّة لغة مُوجِّهَة بدرجة أولى.

---

[1] الأزهر الزّناد،نسيج النّص"بحث في ما يكون به الملفوظ نصًّا"،المركز الثّقافي العربي،بيروت–لبنان؛ط01:1993م،ص11.

[2] محمود أحمد نحلة،آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر،دار المعرفة الجامعيّة،مصر؛د ط:2002م،ص57.

[3] ينظر:المرجع نفسه،ص.ص57–58.

[4] ينظر:ج.ب.براون وج.يول،تحليل الخطاب؛تر:محمّد لطفي الزليطي ومنير التريكي،جامعة الملك سعود،الرّياض–السّعودية؛د ط: 1418هـ/1997م،ص.ص02–03.

ب- وظيفة تفاعليّة:

أوضح ما يمثّل هذا الجانب من الاستعمال اللّغوي،أنّ قدرًا كبيرًا من المعاملات اليوميّة التي تتمّ بين النّاس؛إنّما تقوم على اللّغة،بوصفها أداة اتّصال بين الأفراد والجماعات،أكثر من قيام هذا الاستعمال على اللّغة بوصفها أداة تعامل.

بيدَ أنّه،لا تُبنَى هاتان الوظيفتان -في أيّ نوع من الخطاب- إلّا على أربعة أركان أساسيّة،هي:[1]

1- المخاطِب:

يشرع المخاطِب عادةً في الحديث عندما يكون هناك مثير يحفّزه إلى الكلام،ويجد في اللّغة قائمة طويلة من الوحدات المعجميّة التي ترتبط في ذهنه ترابطًا منطقيًا ونفسيًا،وفقًا لمجموعة من العلاقات اللغويّة،يختار منها عن وعي - واضح أو غير واضح- ما يحتاج إليه في عمليّة التّخاطب.

2- المخاطَب:

يبرز دور المخاطَب ضمن العمليّة التّخاطبية التّواصليّة،عند تلقّيه للخطاب؛أي عندما يقوم بتفكيك الرّسالة اللغويّة.

3- الخطاب:

الخطاب هو وسيلة المتخاطبين في توصيل الغرض الإبلاغي من المخاطِب إلى المخاطَب.

4- السّياق:

إنّ متكلّمي اللغة الطّبيعيّة،عندما يستخدمونها "مشافهةً أو كتابةً"،فإنّهم يضعونها في إطار زماني ومكاني معيّن؛حيث تُحاط العمليّة التّخاطبيّة التّواصليّة عادةً بجملة من الظّروف التي تتكاتف جميعًا في التّأثير على دلالة الخطاب.

ولهذا وجب على مُحلِّل الخطاب-وفقَ المقاربة التّداوليّة وما تحمله من قضايا-أن يكتشف سلطة الخطاب المراد تحليله،والاستراتيجيّات الخطابيّة التي عبَّر بها عن مقاصده التّداوليّة،وأن لا يتجاوز في تحليله،أيّة آليّة تضمّنتها البنية اللّغويّة لذلك الخطاب؛لأنّ كل «وحدات الخطاب مهما كانت طبيعتها؛فهي تؤدّي وظيفة».[2]

ومن منطلق مفاده؛أنّ الخطاب يمثّل أداةً للتّواصل كما يجسّد اللّغة الطّبيعيّة من ناحية الاستعمال "مشافهةً وكتابةً" توصّل التّداوليّون إلى أحكام مبدئيّة تخصّ حقيقة التّداوليّة؛بأنّها«ليست علمًا لغويًّا محضًا بالمعنى التّقليدي،علمًا يكتفي بوصف وتفسير البُنَى اللغويّة ويتوقّف عند حدودها وأشكالها الظّاهرة،ولكنّها علم جديد للتّواصل يدرس الظّواهر اللّغويّة في مجال الاستعمال،ويُدمج من ثَمَّ مشاريع معرفيّة متعدّدة في دراسة ظاهرة "التّواصل اللّغوي وتفسيره"».[3]

---

[1] ينظر:محمّد محمّد يونس علي،المعنى وظلال المعنى"أنظمة الدّلالة في العربيّة"،دار المدار الإسلامي،بنغازي-ليبيا؛ط2012:02م ،ص.ص152-160.

[2] نور الدّين السدّ،الأسلوبيّة وتحليل الخطاب"دراسة في النّقد العربي الحديث الأسلوبيّة والأسلوب"،ج01،دار هومه،الجزائر العاصمة-الجزائر؛د ط:د ت،ص56.

[3] مسعود صحراوي،التّداوليّة عند العلماء العرب،دراسة تداوليّة لظاهرة "الأفعال الكلاميّة" في التّراث اللّساني العربي،دار الطّليعة، بيروت-لبنان؛ط2005:01م،ص16.

ونظرًا للتّوسّع الذي شهدَته الدّراسات التّداوليّة في تناولها لقضايا اللّغة عمومًا،وقضايا الخطاب خصوصًا،ناقش المهتمّون بالدّراسات التّداوليّة،تلك القضايا،وفقَ توجّهات ومنطلقات علميّة وفكريّة،وكذا منهجيّة متباينة؛ممّا أدّى إلى ظهور عدّة نظريّات،تجاوزت الميدان اللغوي،وتوجّهت إلى ميادين معرفيّة أخرى،جعلت منها تداوليّات متنوّعة.

كما اختلفوا حول ظروف نشأتها ومصادرها الأصليّة،بين من يرجعها:

1- إلى فلسفة اللّغة.[1]

2- وبين من يعتبرها،فرعًا من علم العلامات (السّيميولوجيا).[2]

3- وبين من يرى؛أنّها امتداد للّسانيّات العامّة.[3]

4- وهناك تَوَجُّه أخير،ينظر إليها على أنّها جزء من نظريّة التّلفّظ.[4]

نوجزها في المخطّط الآتي:

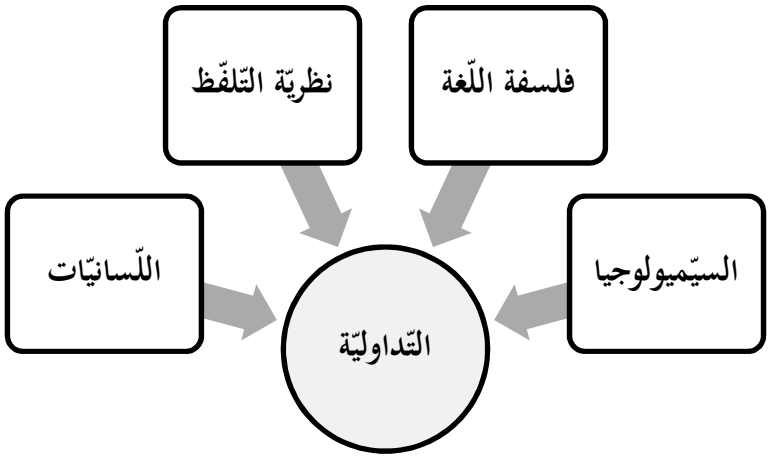

- مخطّط رقم01:يوضّح مصادر نشأة التّداوليّة وتطوّرها-

---

[1] قامت المقاربة التّداوليّة على أُسُسٍ وضَعَتهَا فلسفة اللّغة،عند كل من (أوستين- J.L.Austin) و(سيرل- J.R.Searle) و(غرايس- P.Grice)،فقد عمل كلّ واحد من جهته،على تقديم رؤيته لمقاربة اللّغة في إنجازاتها المختلفة؛ينظر:الفي بولان،المقاربة التّداوليّة للأدب؛تر:محمّد تنفو وليلى أحمياني،دار رؤية،القاهرة-مصر؛ط01:2018م،ص08.

[2] يرى هذا التّوجّه بأنّ التّداوليّة،كانت في الأصل مُكَوّنًا من المكوّنات الثّلاثة لعلم العلامات:"علم التّركيب،وعلم الدّلالة والبراغماتيّة"،ولذلك تُعَدُّ في حدِّ ذاتها وصفًا للعلاقات بين العلامات ومستَخدِميهَا؛ينظر:دايك فان،علم النصّ مدخل متداخل التّخصّصات؛تر وتعليق:سعيد بحيري،دار القاهرة للكتاب،القاهرة-مصر؛ط01:2001م،ص115.

[3] أي تداوليّة مُندَمجة:وهي نظريّة عرضها (أوزوالد ديكرو- Oswald Ducrot)،تسعى إلى أن تكون مُندمجة في اللّسانيّات لا تكملة لها؛بل كجزء لا يتجزّأ منها،وتُعَدُّ "مسألة الاقتضاء" المسألة اللّغويّة التي كانت وراء تطوّرها،من ملاحظة أنّ الدّلالات اللّغويّة تتأثّر بشروط مقنّنة ومتحقّقة في اللّغة؛ينظر:آن روبول وجاك موشلار،التّداوليّة اليوم علم جديد في التّواصل؛تر:سيف الدّين دغفوس ومحمّد الشّيباني،دار الطّليعة،بيروت-لبنان؛ط01:2003م،ص47.

[4] تُعَدُّ التّداوليّة استطالة لسانيّة أخرى للسانيّات التّلفّظ،التي أسّسها (بنفنست- E.Benveniste)؛إذ إنّ التّمييز الكبير لا يتمّ أبدًا بين اللّغة والكلام،ولكن بين الملفوظ الذي يُقصَدُ به ما يقال والتّلفّظ كفعل القول؛ينظر:فرانسواز أرمينكو،المقاربة التّداوليّة؛تر:سعيد علوش،مركز الإنماء القومي،الدّار البيضاء-المغرب؛د ط:د ت،ص09.

هذا ممّا أدّى إلى تشكيك العديد من المهتمّين بالنّظريّة التّداوليّة،حول مدى فاعليّة آليّاتها وإجراءاتها المختلفة التي تَفُكُّ من خلالها شفرات بعض الخطابات،وإلى التّساؤل هل استوت التّداوليّة بصفتها منهجًا قائمًا بذاته في الدّرس اللّساني المعاصر؟ أم أنّها مجموعة من المقاربات لم تنضج بَعدُ؟.

بل بلغ الأمر بالباحثة (فرانسواز أرمينكو- F.Armingaud) إلى حدّ التّساؤل:**هل علينا أن نقول بالتّداوليّة أم بالتّداوليّات؟**،ثمّ قدَّمت فرضيّة مفادها؛أنّ التّداوليّة،كبحث في قمّة ازدهاره لم يتحدّد بَعدُ في الحقيقة،ولم يتمّ الاتّفاق بين الباحثين،فيما يخصّ تحديد افتراضاتها أو اصطلاحاتها.[1]

كما ناقش (أحمد المتوكّل) الإشكاليّة ذاتها،وفقَ رؤيته للتّداوليّة؛بأنّها على أهيمّتها وبالرّغم من عمق ووُرُود ما اقتَرحَته من تحليل للخطاب الطّبيعي لم ترقَ بَعدُ-نظرًا لخصوصيّة موضوعها- إلى أن تُعدَّ نظريّة لسانيّة متكاملة شاملة.[2]

فيما وافقت الباحثة (ذهبيّة حمّو الحاج)،هذا التّوجّه،عندما ذكرت بأنّه يمكن اعتبار التّداوليّة «نظريّة نقديّة لم تكتمل معالمها بشكل صارم بَعدُ،وهي علم يستمدّ أُطُرَه وقوّته من ميدان اهتمامه».[3]

وبغضِّ النّظر عن تلك الاختلافات بين التّداوليّين،وتساؤلاتهم عن القيمة العلميّة للبحوث التّداوليّة وتشكيكهم في جدواها؛فإنّ معظمهم يُقرُّ بأنّ مهام التّداوليّة،هي"إيجاد" القوانين الكلّيّة للاستعمال اللّغوي والتّعرّف على القدرات الإنسانيّة للتّواصل اللّغوي.[4]

وفي الدّرس اللّغوي العربي،اختار (طه عبد الرّحمان)-سنة 1970م- مصطلح"التّداوليّات"مقابلًا للمصطلح الغربي "براغماتيقا-Pragmatics "؛باعتبار دلالته على معنَيَي"الاستعمال"و"التّفاعل"معًا.[5]

---

[1] ينظر:فرانسواز أرمينكو،المقاربة التّداوليّة،مرجع سبق ذكره،ص11.وننبّه إلى أنّ،التّساؤل الذي طرحته الباحثة،كان في منتصف ثمانينيّات القرن الماضي،وفي وقتنا الحالي،تشهد التّداولية -كغيرها من النظريّات النّقديّة الأخرى-،تطوّرًا ملحوظًا،يثبّت لها صفة العلميّة جرّاء إقبال الكثير من الباحثين الغربيّين والعرب معًا،على الخوض في قضاياها-تنظيرًا وتطبيقًا-.

[2] ينظر:أحمد المتوكّل،الخطاب وخصائص اللّغة العربيّة"دراسة في الوظيفة والبنية والنّمط"،دار الأمان،الرّباط-المغرب؛ط1431:01هـ /2010م،ص28.

[3] ذهبيّة حمّو الحاج،في قضايا الخطاب والتّداوليّة،دار كنوز المعرفة،عمّان-الأردن؛ط1437:01هـ/2016م،ص40.وترى الباحثة ذاتها؛أنّه على الرّغم من الوظائف والمهام الصّعبة التي كُلِّفَت بها التّداوليّة،لا يمكن أن تؤخَذَ على أنّها مذهب نقدي متخصّص؛إذ أظهرت للمتخصّصين،بأنّها نظريّة صعبة التّقعيد والضّبط،لاحتكامها إلى مجموعة من التّيارات العلميّة المختلفة التي تمسّ أُسُسَهَا المنهجيّة إلى حدٍّ ذوبانها في الاتّجاهات المعاصرة؛ينظر:المرجع نفسه،ص41.

[4] ينظر:مسعود صحراوي،التّداوليّة عند العلماء العرب،مرجع سبق ذكره،ص.ص16-17.

[5] ينظر:طه عبد الرّحمان،في أصول الحوار وتجديد علم الكلام،المركز الثّقافي العربي،الدّار البيضاء-المغرب؛ط2000:02م،ص28. بينما شكّك النّاقد (عبد الملك مرتاض)،في أصل هذا المصطلح عند الغربيّين،معترضًا على صيغة ترجمته عند الدّارسين العرب،ليقترح فيما بعد،مصطلحًا سمّاه بـ"التّداول"،استند في صياغته على عدّة معايير،لها علاقة مباشرة بخصوصيّة اللّغة العربيّة؛ينظر:عبد الملك مرتاض،نظريّة النّص الأدبي،دار هومه،الجزائر العاصمة-الجزائر؛ط2015:03م،ص.ص397-398.

ويعدُّ أوجَزُ تعريف للتّداوليّة،هو:"دراسة اللّغة في الاستعمال أو في التّواصل".[1]

ومنه،تكمنُ أهمّية المقاربة التّداوليّة،في جوانب عدّة،أبرزها:

- اهتمامها بالعديد من الأسئلة،من قبيل:من يتكلّم وإلى من يتكلّم؟،وماذا نقول بالضّبط عندما نتكلّم؟،وما هو مصدر التّشويش والإيضاح؟،وكيف نتكلّم بشيء،ونريد قول شيء آخر؟.[2]

- وتُعنَى بدراسة اللّغة الطّبيعيّة عند استعمالها في طبقات مقاميّة مختلفة؛أي باعتبارها:«"كلامًا مُحدَّدًا" صادرًا من "متكلّم محدَّد"،ومُوجَّهًا إلى"مخاطَب محدَّد" بـ"لفظ محدَّد"في مقام "تواصلي محدَّد" لتحقيق غرض" تواصلي محدّد"».[3]

- وعلى هذا الأساس،تهتمّ التّداوليّة،بتحليل الخطاب الطّبيعي،من خلال ما تحتضنه من قضايا ومفاهيم تشكّل هويّتها كنظريّة نقديّة،بما تتّخذه منها كوسائل إجرائيّة وآليّات تحليليّة،من أبرزها:"نظريّة الأفعال الكلاميّة،والقصديّة،والاستلزام الحواري،ومتضمّنات القول،ونظريّة الملاءَمَة،والإشاريّات،والملفوظيّة،والحِجَاج...إلخ".

مع العلم،أنّ الإلمام النّظري بهذه القضايا والمفاهيم،أمر يقصُرُ عنه هذا المدخل؛لاتّساع حدود التّداوليّة من جهة ولوجود بعض من الغموض،يحفّ بما تحويه من قضايا،بالإضافة إلى فوضى ترجمة مصطلحات هذه الأخيرة،عند الكثير من الدّارسين العرب؛ممّا يجعل«حصر موضوعاتها أمرًا يكاد يستعصي على من يريد رسمَ حدود لها،فهي أحيانًا في تماس مع معارف أخرى،وفي اندماج أحيانًا أخرى».[4]

وسيتكفّل لنا،الجانب التّطبيقي من البحث،بالكشف عن الأبعاد التّداوليّة التي تحملها تلك القضايا والمفاهيم؛بما أنّها في أغلبها،تشكّل مجموعة من الآليّات المؤسِّسَة لـ "الاستراتيجيّات الخطابيّة- Discourse strategies"،التي سندرسها في الفصلين التّطبيقيين:

1- "الاستراتيجيّة التّضامنيّة- Solidarity strategy".

2- "الاستراتيجيّة التّوجيهيّة- Directing strategy".

3- "الاستراتيجيّة التّلميحيّة- The hint strategy".

4- "الاستراتيجيّة الإقناعيّة (الحِجَاجيَّة)- Argument strategy".

---

[1] ينظر:محمود نحلة،آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر،مرجع سبق ذكره،ص14.وينظر أيضًا:"حدّ البراغماتيّة (التّداوليّة)"، جيني توماس،المعنى في لغة الحوار مدخل إلى البراجماتيّة (التّداوليّة)؛تر:نازك إبراهيم عبد الفتّاح،دار الزّهراء،الرياض-السّعودية؛ط01: 1431هـ/2010م،ص.ص17-18.

[2] ينظر:فرانسواز أرمينكو،المقاربة التّداوليّة،مرجع سبق ذكره،ص04.

[3] مسعود صحراوي،التّداوليّة عند العلماء العرب،مرجع سبق ذكره،ص26.

[4] خليفة بوجادي،في اللسانيّات التّداوليّة مع محاولة تأصيليّة في الدّرس العربي القديم،بيت الحكمة،العلمة-الجزائر؛ط01:2009م، ص86.وينظر أيضًا علاقة التّداوليّة بـ:"اللّسانيّات:البنيويّة،والنّفسيّة،والاجتماعيّة،والتّعليميّة،والنّصيّة...إلخ"،المرجع نفسه،ص.ص123 -135.وكذا صلتها بـ"علم التّراكيب،وعلم الدّلالة،وعلم الأسلوب"؛ينظر:أحمد فهد صالح شاهين،النّظريّة التّداوليّة وأثرها في الدّراسات النّحويّة المعاصرة،عالم الكتب الحديث،إربد-الأردن؛ط01:2015م،ص.ص24-33.

– ثانيا:الجهاز المفاهيمي للخطاب.

2–1– تعريف "الخطاب– Discourse":

2–1– أ– لغة:

جاء في "الصِّحاح":«...وَخَاطَبَهُ بالكِلَامِ مُخَاطَبَةً وخِطَابًا».[1]

وأمّا في "لسان العرب":«... وَالخِطَابُ والمخَاطَبَةُ:مُراجَعَةُ الكَلَامِ[...]،والخُطْبَةُ مَصْدَرُ الخَطِيبِ،وخَطَبَ الخَاطِبُ عَلَى المِنْبَرِ،واخْتَطَبَ يَخْطُبُ خَطَابَةً،واسْمُ الكَلَامِ:الخُطْبَةُ».[2]

وأمّا في"المعجم الوسيط":«(خَاطَبَهُ) مُخَاطَبَةً،وخِطَابًا:كَالَمَهُ وحَادَثَهُ ووَجَّهَ إِلَيْهِ كَلَامًا،ويُقَالُ:خَاطَبَهُ في الأمرِ،حَدَّثَهُ بِشَأنِهِ ...،(الخِطَابُ):الكَلَامُ».[3]

وعليه يُفهَمُ من ذلك؛أنّ الأصل في معنى (الخطاب)،هو كلام مُوجَّهٌ من مخاطِب إلى مخاطَب.

2–1– ب– اصطلاحًا:

2–1– ب–1– في الاصطلاح العربي (قديمًا وحديثًا):

وردت دلالة لفظ "الخطاب" في القرآن الكريم،باشتقاقات مختلفة،وفي مواضع عديدة،عند قوله (ﷻ):

1– ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا **تُخَاطِبْنِي** فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾،[هُود:37].

2– ﴿وَلَا **تُخَاطِبْنِي** فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾،[المؤمنون:27].

3– ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا **خَاطَبَهُمُ** الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾،[الفرقان:63].

4– ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ **الْخِطَابِ**﴾،[ص:20].

5– ﴿إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي **الْخِطَابِ**﴾،[ص:23].

6– ﴿رَّبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ **خِطَابًا**﴾،[النّبإ:37].

يُفهَمُ من دلالة لفظ "الخطاب" التي جاءت في هذه الآيات،أنّ "الخطاب"،يعني:السّؤال والطّلب،والحوار،والكلام والحُجَّة.

بينما عُرِّفَ الخطاب في الدّرس اللغوي العربي– قديمًا وحديثًا– من وِجهَات نظر مختلفة،وفقًا لبنية الخطاب ووظيفته؛إذ يُلاحَظُ عليها،أنّها اهتمّت بالخطاب؛من حيث:

– المواضَعَة وقصد الإفهام:الخطاب هو«اللّفظ المتواضَع عليه المقصود به إفهام من هو مُتَهيِّء لفهمه».[4]

---

[1] إسماعيل بن حمّاد الجوهري،الصِّحاح" تاج اللّغة وصِحَاح العربيّة"؛تح:أحمد عبد الغفور عطّار،ج01،دار العِلم للملايين،بيروت–لبنان؛ط04:1990م،ص121. مادّة [خَطَبَ].

[2] ابن منظور،لسان العرب،مج01،دار صادر،بيروت–لبنان؛د ط:د ت،ص361. مادّة (خَطَبَ).

[3] مجموعة من المؤلِّفين،المعجم الوسيط،مكتبة الشّروق الدّوليّة،مصر؛ط04:1425هـ/2004م،ص243. مادّة (خَطِبَ).

[4] علي بن محمّد الآمدي،الإحكام في أصول الأحكام؛تعليق:عبد الرّزاق عفيفي،ج01،دار الصميعي،الرّياض–السعودية؛ط01: 1424هـ/2003م،ص132.

– **الشّكل والتّواصل**:الخطاب هو«كلّ ملفوظ/مكتوب يشكِّل وحدة تواصليّة قائمة الذّات».[1]

– **التّوجيه والإفهام والقصد**:«حَدُّ الخطاب أنّه كل منطوق به مُوجَّه إل الغير بغرض إفهامه مقصودًا مخصوصًا».[2]

– **البنية اللغويّة**:الخطاب عبارة عن«وحدات لغويّة طبيعيّة مُنضَّدَة مُتّسقَة مُنسَجِمَة».[3]

2-1- ب-2- في الاصطلاح الغربي (قديمًا وحديثًا):

لعلّ الاختلاف الذي وجدناه سابقًا في الدّرس اللغوي العربي حول وضع تعريف اصطلاحي جامع للخطاب،منبعه من الاختلاف الموجود في الدّرس اللغوي الغربي أساسًا،بين من يَنظُرُ إلى الخطاب،من وجهة:"وظيفته الإقناعيّة،أو بنيته اللغويّة..إلخ":

– **الوظيفة الإقناعيّة**:تُعرَّف الخطابة عند (أرسطو-Aristote)،بأنّها«قوّة أو ملَكَة نستطيع أن نكتشف بها على وجه نظري أو تأمّلي ما يمكن أن يكون شأنه الإقناع».[4]

– **البنية اللغويّة**:الخطاب هو«مجموعة من العبارات لمتكلِّم يتميَّز بوحدة شاملة للموضوع».[5]

وبعد عرض مُوجَز لتعريف الخطاب في الدّرسين العربي والغربي معًا،يقوم تصوّرنا لمفهوم الخطاب في بُعدِهِ التّداولي على التّعريف الآتي:الخطاب،هو كلّ مُنتَج لغوي طبيعي"منطوق/مكتوب"،تجسّده استراتيجيّة معيّنة تخضع لقصد مُحدَّد،في سياق تداولي مُحدَّد،وموجَّهة إلى متلقٍّ مُحدَّد "مفرد/جماعة"،حاضر حضورًا عينيًّا أو مُتصَوَّر ذهنيًّا.

2-2- الخطاب يتداخل مع قضايا لغويّة أخرى:

2-2-1- الخطاب و(التّلفظ/الملفوظ):

كثيرًا ما يطرح الباحثون المهتمّون بـ "تحليل الخطاب- Discourse analysis"،و"نظريّة التّلفّظ- Theory of pronunciation"،قضيّة علاقة الخطاب "بالملفوظ والتّلفظ"،بين من ينظر إليهم على أنّهم شيء واحد وبين من يفرّق بينهم.

---

(1) أحمد المتوكّل،الخطاب وخصائص اللّغة العربيّة،مرجع سبق ذكره،ص24.

(2) طه عبد الرّحمان،اللّسان والميزان أو التّكوثر العقلي،المركز الثّقافي العربي،الدّار البيضاء-المغرب؛ط01:1998م،ص215.

(3) محمّد مفتاح،**بعض خصائص الخطاب**،مجلّة علامات؛مج09،ج35:ذو القعدة 1420هـ/مارس2000م،ص10.

(4) أرسطو،الخطابة؛تر:عبد القادر قنيني،أفريقيا الشّرق،الدّار البيضاء-المغرب؛د ط:2008م،ص15.

(5) أوزوالد ديكرو وجان ماري سشايفر،القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللّسان؛تر:منذر عياشي،المركز الثّقافي العربي؛د ط،د ت، ص533.

وبعد أن عرفنا ماذا يُقصد بالخطاب،نريد أن نعرف ما المقصود بالملفوظ والتّلفّظ وما علاقتهما بالخطاب؟.

مبدئيًّا يُعرَّفُ "التّلفّظ- Enunciation"،بأنّه «مجموعة من الظواهر المشاهدَة عندما نبدأ في الحديث،وضمن فعل تواصلي مُعيّن».[1]

بينما يُفهَمُ من "الملفوظ- Enunciate"؛أنّه كل وحدة دالّة مرتبطة بالسّلسلة الكلاميّة أو النّص المكتوب ومتقدّمة على كلّ تحليل ألسني أو منطقي،في مقابلته للتّلفّظ الدّال على الحدث الكلامي.[2]

ولأنّ نظريّة التّلفّظ،تمثّل آليّة وعمليّة تحوّل اللّغة إلى خطاب؛فهي تَعتَبِرُ كل من المتكلِّم والسّامع عنصرين هامَّين في الوضعيّة التّلفظيّة؛حيث يقيم المتكلّم علاقة مع مخاطَبه وكذلك مع ملفوظه،ويتجسّد ذلك في الأحداث الكلاميّة.[3]

غير أنّ مصطلح خطاب يدخل كذلك في سلسلة من التّقابلات؛ليكتسي قيَمًا دلاليّة أكثر دقّة،هي: [4]

2-2-2- خطاب/جملة:

عند بعض الباحثين،الخطاب يتكوّن من وحدة لغويّة قوامها سلسلة من الجمل،في حين أنّ البعض الآخر يتحدّث عن "نحو الخطاب"،أمّا اليوم فيؤثَر الحديث عن "النّص واللّسانيّات النّصيّة".

2-2-3- خطاب/لغة:

أ- للّغة من حيث هي نظام من القيم المقدَّرة مخالفة للخطاب واستعمال اللّغة في سياق بعينه،الذي يحدّد في الوقت نفسه،قيمة أو يستثير قيَما جديدة،إنّ هذا التّمييز مُستَعمَل بكثرة بالنّسبة للمعجم،إنّ التّوليد المعجمي بوجه خاصّ هو من قبيل الخطاب.

ب- اللّغة من حيث هي نظام مشترك بين أفراد الجماعة اللّغويّة مخالفة للخطاب من حيث هو استعمال محدّد لهذا النّظام.

2-3- التّنميط الخطابي،ومقاربات تحليل الخطاب...ما العلاقة؟:

تفترق الخطابات في اللّغة الطّبيعيّة،بحسب العديد من الجوانب:"آليّاتها اللّغويّة وغير اللّغويّة،ومضامينها،ومرجعيّاتها ومقاصدها...إلخ"،بناءً على ظروف إنتاجها.

وهذه الجوانب،هي التي تستمدّ الخطابات منها،تسميّاتها،وتصنيفاتها،ومنها يأخذ كل نمط خطابي،الخصائص التي تصنع هويّته؛أي أنّه،لا يوجد شكل مُوَحَّد ومُطَّرِد لجميع الخطابات؛بل تُقسَّم إلى «أجناس مختلفة ولكُلِّ جنس خطابي

---

[1] ذهبيّة حمّو الحاج،لسانيّات التّلفظ وتداوليّة الخطاب،دار الأمل،تيزي وزو-الجزائر؛ط2012:02م،ص94.

[2] ينظر:رشيد بن مالك،قاموس مصطلحات التّحليل السّيميائي للنّصوص (عربي- انجليزي- فرنسي)،دار الحكمة-الجزائر؛د ط: 2000م،ص65.

[3] ينظر:ذهبيّة حمّو الحاج،لسانيّات التّلفظ وتداوليّة الخطاب،مرجع سبق ذكره،ص.ص97-98.وللتوسّع أكثر حول هذه النّظرية؛ ينظر:ص58 وما بعدها،وينظر أيضًا:

EMILE BENVENISTE, Problèmes de linguistique générale, Editions Gallimard:1966.

[4] ينظر:دومينيك مانغونو،المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب؛تر:محمّد يحياتن،منشورات الاختلاف،الجزائر؛ط1429:01هـ/ 2008م،ص.ص38-40.

وظيفة ومَسلَك ومرجعيّة،وثمّة علاقة بين نوع الجنس الخطابي ونوع الوظيفة والمسلَك والمرجعيّة».[1]

وعليه،يرى (أحمد المتوكّل)؛أنّ التّنميط التّقليدي المتوارَث للخطابات،يقترح تصنيفًا مُنطلِقًا فيه من ثلاثة معايير هي:«الموضوع والآليّة والبنية»[2] ،لخّصناها في المخطّط التالي:

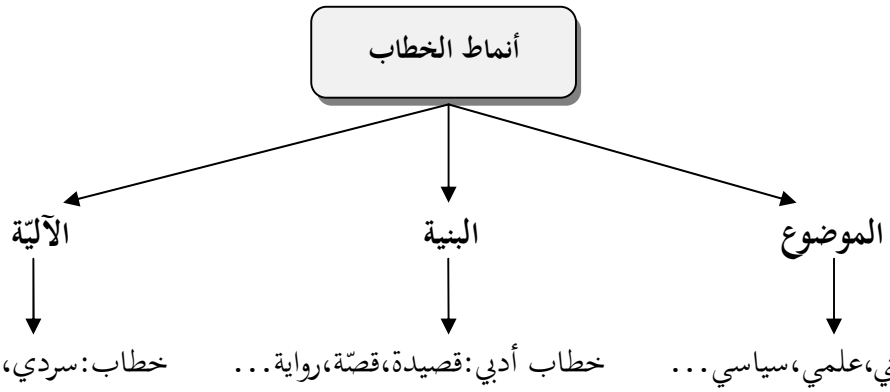

– مخطّط رقم 02:يوضّح معايير تصنيف أنماط الخطاب–

وبعد أن دافع (أحمد المتوكّل) على أطروحتين أساسيّتين:الأولى؛أنّ تحديد الخطاب لا يُقاسُ بحجمه،والثانية أنّ الأنماط الخطابيّة على تبايُنِهَا السّطحي ليست إلّا تبعًا لتوسيطات مختلفة لبنية ثابتة واحدة،أقرَّ التّنميط السّابق لاشتهاره وكثرة تداوله،ولكن وفقَ شروط لابدَّ أن تُؤخذَ بعين الاعتبار لها ثلاث سِمَاتٍ،هي:

"مفتوحيّته ودرجيّته وفرعيّته":[3]

أ– يُعدُّ التّنميط السّابق،تنميطًا "مفتوحًا"،من وجهين:من حيث إنّه يتحمّل إضافة أنماط أخرى أوّلًا،ومن حيث إنّ المعايير المعتمدة في وضعه قابلة للتغيّر والاستبدال ثانيًا.

ب– ويُعدُّ تنميطًا "درجيًّا"من حيث إنّه قائم على الدّرجة أكثر من قيامه على النّوع،من أبرز أمثلته،أنّ آليّة الحِجَاج نجدها في الخطاب العلمي وفي الخطاب الدِّيني...إلخ،إلّا أنّ وجودها واستخدامها يبلغان درجتهما القصوى ويشكّلان بنية ذات نظام مُتواضَع عليه مسكوك في خطابات معيّنة كالمناظرة والجدَل والمرافعة.

ج– أمّا "فرعيّة" التّنميط،تعني أنّ الأصناف الخطابيّة المتداولة تمسّ فروعًا آيلة إلى بنية خطابيّة نموذجيّة واحدة.

---

[1] محمّد محمّد يونس علي،تحليل الخطاب وتجاوز المعنى "نحو نظريّة المسالك والغايات"،دار كنوز المعرفة،عمّان–الأردن؛ط01: 1437هـ/2016م،ص20.

[2] أحمد المتوكّل،الخطاب وخصائص اللّغة العربيّة،مرجع سبق ذكره،ص25. فيما اقترح (عبد الفتّاح كيليطو)،تصنيفًا يعتمد على تحليل علاقة المتكلّم بالخطاب،ويُعنَى على الخصوص،بمسألة إسناد الخطاب وبما يترتّب عن الإسناد من أنماط خطابيّة؛فالأنماط الخطابيّة –عنده–لا تتعدّى الاثنان،وهي:الخطاب الشّخصي،والخطاب المروي (بدون نسبة،وبنسبة:"صحيحة،وزائفة،وخياليّة")؛ينظر:عبد الفتّاح كيليطو،الأدب والغرابة"دراسات بنيويّة في الأدب العربي"،دار توبقال،الدّار البيضاء–المغرب؛ط03:2006م،ص.ص29–30.

[3] ينظر:أحمد المتوكّل،الخطاب وخصائص اللّغة العربيّة،مرجع سبق ذكره،ص.ص25–26.

وعليه،تكمُن أهمّية معرفة النّوع الخطابي،بما له من تأثير حاسم على تأويل الملفوظات،فلا يمكننا تأويل ملفوظ إن كنّا لا نعرف إلى أيّ نوع ينتمي،كما يمكننا توقّع طوله،وبنيته المعماريّة وتوقّع نهايته.[1]

وهذا ممّا لابدَّ أن يستحضره محلّل الخطاب،لما له من أهمّية في عمليّة تحليل الخطابات؛ممّا يوحي بحاجة «نظريّة الخطاب العامّة إلى نظريّة مُكَمِّلَة هي نظريّة أنواع الخطاب».[2]

وإذا تأمّلنا في المقاربات السّائدة التي تُعنَى بتحليل مختلف أنماط الخطاب السّالف ذكرها،نجدها قد تفرّعت إلى ثلاث أطروحات،ممّا اصطلح (أحمد المتوكّل) على تسميتها بـ:"أطروحة الخاصّ للخاصّ،وأطروحة الخاصّ للعام وأطروحة البعض للكلّ"،وكلّ مقاربة من التي تعتمد الأطروحات الثّلاث،هي مقاربة سائدة لها روّادها وأدبيّاتها؛ممّا جعله يطرح هذا التّساؤل:**مُقاربَة الخطابات:نظريّات أم نظريّة؟**.[3]

2-4- من خصائص الخطاب:

من المعلوم أنّ مُنتِجَ الخطاب،لا يمتلك الحريّة المطلقة في توظيفه لعناصر معجميّة ووحدات تركيبيّة دون ضوابط وقيود يحتكم إليها في صناعة خطابه؛بل هناك عدّة قيود تظهر وتشتغل مصَافًا،تحدُّ من إمكانيّات الاختيار،مصَافٌ تنهض من عاملين،رئيسيين؛هما:

1- «الشّروط الواقعيّة للتّواصل.

2- الخاصّيات الموضوعاتيّة والبلاغيّة للخطاب أي بالجملة قيود "النّوع"».[4]

ومع الاعتبارات القائمة على تشابك مضامين الخطابات المختلفة وخصائصها،وتنوّع الآليّات المكوّنة لها،ركّز تحليل الخطاب من اهتمامه على «العلاقة بين لغة النّص والسّياقات الاجتماعيّة العقَديّة والثّقافيّة التي استُعمِلَت فيها وكيف انعكست هذه العلاقة في ثنايا النّص،كما يحاول الكشف عن المسالك والوسائل المستعمَلَة في تأليف الخطاب مرورًا بالوقوف على الافتراضات التي ينطلق منها المؤلّف،وصولًا إلى تحليل شخصيّته وتفسير أدواته اللغويّة».[5]

---

[1] ينظر:دومينيك مانغونو،المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب،مرجع سبق ذكره،ص.ص66-67.

[2] محمّد بازّي،صناعة الخطاب"الأنساق العميقة للتّأويليّة العربيّة"،دار كنوز المعرفة،عمّان-الأردن؛ط01:1436هـ/2015م،ص27.

[3] كما اقترح أطروحة رابعة سمّاها "أطروحة العام للخاصّ"،ترتكز على نظريّة النّحو الوظيفي،باعتباره صاحب النّظرية العربيّة في ذلك ينظر:أحمد المتوكّل،الخطاب وخصائص اللّغة العربيّة،مرجع سبق ذكره،ص.ص26-32.

[4] أ.مولز وآخران،في التّداوليّة المعاصرة والتّواصل "فصول مختارة"؛تر:محمّد نظيف،أفريقيا الشّرق،الدّار البيضاء-المغرب؛د ط:2014م ،ص53. كما تُعَدُّ مظاهر الانسجام في الخطاب التّي حلّلها (فان دايك- Van Dijk)،من أهم الخصائص الخطابيّة،وهي:التّرابط/ الانسجام/ترتيب الخطاب/الخطاب التّام والخطاب النّاقص/موضوع الخطاب"البنية الكلّيّة"؛ينظر:محمّد خطّابي،لسانيّات النّص مدخل إلى انسجام الخطاب،المركز الثّقافي العربي،الدّار البيضاء-المغرب؛ط01:1991م،ص.ص31-46. بينما ذكر الباحث (محمّد مفتاح) بعض خصائص الخطاب،منها:"التّناص (التّخاطب)،والنّسق،والإضمار،والدّيناميّة"؛ينظر:محمّد مفتاح،بعض خصائص الخطاب،مرجع سبق ذكره،ص.ص23-25.

[5] محمّد يونس،تحليل الخطاب وتجاوز المعنى،مرجع سبق ذكره،ص22.

وهذا ما يقودنا إلى استنتاج مفاده؛أنّه توجد ميزة يمتلكها الخطاب الطّبيعي-بدون استثناء-،وهي أنّ لكل خطاب خصائص محدَّدَة،تشكّل هويّته لوحده،أو داخل تصنيف مجموعاتي معيَّن،ينبني على خصائص مشتركة نسبيًّا.

- ثالثا:الجهاز المفاهيمي للنّص:

3-1- تعريف "النّص- Text":

3-1- أ- لغة:

جاء في "الصّحاح":«النَّصُّ السَّيْرُ الشَّدِيدُ حَتَّى يُسْتَخْرَجَ أقصَى ما عِنْدَهَا...نَصَصتُ الشَّيءَ:رفَعتُهُ،ومنهُ مِنَصَّةُ العَرُوسِ،ونَصَصتُ الحَدِيثَ إلى فُلانٍ؛أَيْ رَفَعتُهُ إِلَيْهِ...ونَصَصتُ الرَّجُلَ،إذَا اسْتَقْصَيْتُ مَسْألَتَهُ عَنِ الشَّيءِ حَتَّى تَسْتَخْرِجَ مَا عِنْدَهُ...ونَصُّ كُلُّ شَيءٍ مُنتَهَاهُ».[1]

وأمّا في "لسان العرب":«نَصَّ الحَدِيثَ يَنُصُّهُ نَصًّا:رَفَعَهُ،وكُلُّ مَا أُظْهِرَ فَقَدْ نُصَّ...والمِنَصَّةُ:مَا تَظْهَرُ عَلَيهِ العَرُوسُ لِتُرَى...وكُلُّ شَيءٍ أَظْهَرْتَهُ،فَقَدْ نَصَصْتَهُ...ونَصَّ المَتَاعَ نَصًّا:جَعَلَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضْ،ونَصَّ الدَّابَّةَ يَنُصُّهَا نَصًّا:رَفَعَهَا في السَّيْرِ،وكَذَلِكَ النَّاقَةُ...والنَّصُّ والنّصِيصُ:السَّيْرُ الشَّدِيدُ والحَثُّ...وأَصْلُ النَّصِّ أَقْصَى الشَّيء وغَايَتُهُ...».[2]

وأمّا في "المعجم الوسيط":«...يُقَال:نَصَّ الحَدِيثَ:رَفَعَهُ وأَسْنَدَهُ إِلَى المحَدَّثِ عَنْهُ،والمَتَاعَ:جَعَلَ بَعْضَهُ فَوْقَ بَعْضٍ ...ويُقَالُ:نَصَّ فُلَانًا:اسْتَقْصَى مَسْأَلَتَهُ عَنْ شَيءٍ حَتَّى اسْتَخْرَجَ كُلَّ مَا عِنْدَهُ...(تَنَاصَّ) القَوْمُ:ازْدَحَمُوا ...(النَّصُّ): صِيغَةُ الكَلَامِ الأَصْلِيَّةُ التِي وَرَدَتْ مِنَ المؤَلِّفِ...مَا لَا يَحْتَمِلُ إِلَا مَعْنًى وَاحِدًا،أو لَا يَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ».[3]

وعليه يُفهَمُ من تلك المعاني؛أنّ الأصل في معنى (النّص):الرّفع والإظهار والمنتهى؛غير أنّ هذه الدّلالات في اللّغة العربيّة،بعيدة كل البُعدِ عن مفهوم "النّص"،في الدّرس اللّغوي العربي الحديث.

3-1- ب- اصطلاحًا:

3-1- ب- 1- عند العرب (حديثًا):

لقد عُرِّفَ النّص،هو الآخر،من وجهات نظر مختلفة،عكست نظرة وتوجُّه كلّ باحث،بالإضافة إلى تداخله مع مفهوم الخطاب؛ممّا صعَّب من وضع تعريف شامل ودقيق للنّص؛إذ يلاحظ عليها،أنّها اهتمّت بالنّص من حيث،هو: "حدث كلامي،أو بنية لغويّة...إلخ":

- حدَث كلامي:النّص «مجموعة من الأحداث الكلاميّة،التي تتكوَّن من مرسل للفعل اللّغوي ومُتلقٍّ له،وقناة اتّصال بينهما،وهدفٌ يتغيّر بمضمون الرّسالة،وموقف اتّصال اجتماعي يتحقّق فيه التّفاعل».[4]

- بنية لغويّة:«النّص شكل من أشكال الإنجاز اللّغوي،يقيمه نظامه الخاصّ».[5]

---

[1] إسماعيل بن حمّاد الجوهري،الصّحاح،مرجع سبق ذكره،ج03،ص1058. مادّة [نَصَصَ].

[2] ابن منظور،لسان العرب،مرجع سبق ذكره،مج07،ص.ص97-98. مادّة (نَصَصَ).

[3] مجموعة من المؤلّفين،المعجم الوسيط،مرجع سبق ذكره،ص926. مادّة (نَصَّ).

[4] سعيد حسن بحيري،علم لغة النّص المفاهيم والاتّجاهات،الشّركة المصريّة العالميّة للنّشر،الجيزة-مصر؛ط01:1997م،ص110.

[5] منذر عيّاشي،الأسلوبيّة وتحليل الخطاب،المركز الإنماء الحضاري،حلب-سورية؛ط01:2002م،ص121.

3-1- ب- 2- عند الغرب (حديثًا):

يبدو أنّ الاختلاف في تعريف النّص بالنّسبة للباحثين العرب،مرَدُّه إلى أصل الاختلاف عند الباحثين الغربيّين؛لأنّه قد يصل هذا التّباين بين مختلف الاتّجاهات في تعريفها للنّص إلى «حدّ التّناقض أحيانًا والإبهام أحيانًا أخرى،فلا يوجد تعريف مُعتَرَفٌ به من قِبَلِ عدد مقبول من الباحثين».[1]

وهذا ما لاحظناه،من تباين وجهات النّظر لدى الباحثين الغربيّين،في وضع تعريف موحَّد للنّص،بين من يعرّفه بحسب بنيته اللّغويّة،ومن يعرّفه وفقَ جهة أدبيّته،وأمّا التّوجُّه الأخير فينظُرُ إليه،من حيث هو خطاب تثبّته الكتابة:

- بنية لغويّة:

النّص«يمكنه أن يتطابق مع جملة كما يمكنه أن يتطابق مع كتاب كامل،وإنّه ليتحدَّد باستقلاله وبانغلاقه».[2]

- مظهر أدبي:

النّص هو «السّطح الظّاهري للنّتاج الأدبي،نسيج الكلمات المنظومة في التّأليف،والمنسَّقة بحيث تفرض شكلًا ثابتًا ووحيدًا ما استطاعت إلى ذلك سبيلا».[3]

- خطاب تثبته الكتابة:

النّص هو«كلّ خطاب ثبتته الكتابة».[4]

3-2- الخطاب والنّص"قراءة في آليّات التّداخل":

لقد حال ذلك الاضطراب،دون تحديد مفهوم دقيق للنّص،وتمظهر ذلك في «تشعُّب التّعريف لدى بعض الباحثين إذ إنّه لم يقنع بما تقدّمه التّعريفات القصيرة من معلومات دقيقة يستند إليها عند الفصل بين النّص وغيره من مصطلحات اللّغة التي تتداخل معه».[5]

---

[1] سعيد بحيري،علم لغة النّص،مرجع سبق ذكره،ص101.

[2] تزيفيتان تودوروف،النّص،ضمن كتاب العلاماتيّة وعلم النّص"نصوص مترجمة"؛تر:منذر عياشي،المركز الثّقافي العربي،الدّار البيضاء-المغرب؛ط01:2004م،ص109.وينظر أيضًا:

Oswald Ducrot,Tzvetan Todorov,Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage,Editions du Seuil,France:1972,p375.

[3] رولان بارت،نظريّة النّص،ضمن كتاب آفاق التّناصيّة المفهوم والمنظور؛تعريب وتقديم:محمّد خير البقاعي،جداول للنّشر والتّرجمة، بيروت-لبنان؛ط01:2013م،ص37.

[4] بول ريكور،من النّص إلى الفعل "أبحاث التّأويل"؛تر:محمّد برادة وحسان بورقية،عين للدّراسات والبحوث الإنسانيّة والاجتماعيّة، مصر؛ط01:2001م،ص105. والنّص حسب (جوليا كريستيفا-J.Kristeva)،هو خاضع لتوجّه مزدوج،نحو النّسق الدّال الذي يُنتَجُ ضمنه "لسان ولغة مرحلة ومجتمع محدَّدَيْن"،ونحو السّيرورة الاجتماعيّة التي يسهم فيها كخطاب،فالممارسة النّصيّة -عندها- ليست مجرّد نقل بسيط لعمليّة كتابة علميّة مَا؛ينظر:جوليا كريسطيفا،علم النّص؛تر:فريد الزاهي،دار توبقال،الدّار البيضاء-المغرب؛ ط03:2014م،ص.ص09-13.

[5] سعيد بحيري،علم لغة النّص،مرجع سبق ذكره،ص116.

ولطالما ناقش علم اللّغة النّصي عمومًا و"نظريّة النّص- Text Theory"خصوصًا،مسألة التّداخل بين مفهومي الخطاب والنّص،منطلقة في بادئ أمرها من النّقد المباشر لأيّة لغة واصفة؛فهي تمثّل مراجعة لعمليّة الخطاب،ولذلك التمست تحوّلًا علميًّا حقيقيًّا فيما بعد.[1]

وقد تعمّق،كل من (ديكرو- Ducrot) و(سشايفر- J.M.Schaeffer)،في مدى العلاقة بين النّص والخطاب فالعلاقة -عندهما- تتكوّن بداهة من منطلق تعريف الخطاب،فإذا تمّ تعريفه-أي الخطاب- بوصفه مجموعة من العبارات لمتكلّم يتميّز بوحدة شاملة للموضوع،فيستطيع بذلك أن يكون نصّا -وهذه هي الحال في التّواصل الكتابي؛حيث تتلاقى عمومًا الوحدة التّواصليّة والوحدة الموضوعاتيّة-،وإمّا أن يتكوّن من عدّة نصوص يوجد في المحادثة تفاعل لخطابين أو لعدّة خطابات تتركّز على موضوعاتها الخاصّة على وجه الإجمال،وهي تتألّف عمومًا،من عدد من النّصوص؛لأنّ كل جواب من التّبادل يكوّن وحدة تواصليّة،ممّا يعني أنّه يشكّل نصًّا خاصًّا.[2]

ويُعَدُّ النّاقد (عبد الملك مرتاض)،من بين الباحثين العرب،الذين أسهموا في مناقشة مجموعة من قضايا نظريّة النّص من خلال مؤلّفه"نظريّة النّص الأدبي"،لذلك لم يتجاوز مناقشة إشكاليّة التّمييز بين الخطاب والنّص؛حيث بدأها بتساؤلات مفادُها:«ما الذي يميّز النّص عن الخطاب؟وهل النّص واحد والخطاب متعدّد؟ أم هل الخطاب هو الواحد والنّص هو المتعدّد؟ أيٌّ منهما واحد ولا متعدّد؟». [3]

ثمّ قدَّم أجوبة،فصَّل عن طريقها خصائص كلّ من النّص والخطاب؛فالنّص عنده من هذه الوجهة واحد،هو الفضاء الأرحب لتجربة ممارسة الكتابة،في حين أنّ الخطاب أخْطِبَة؛أي الخطاب تفصيل داخلي،وأدنى إلى جنسيّة الأدب وخصوصيّته داخل الجنس،على حين أنّ النّص أشمل،وأوسع مجالًا،فكأنّ النّص إطلاق عام،على حين أنّ الخطاب إطلاق خاصّ،يتمحّض لتعيين مواصفات تحدّد شكل الكتابة في خصوصيّتها التّصنيفيّة ضمن نظريّة الأجناس.[4]

ونلاحَظ من خلال ما عرضناه،من توجّهات الباحثين المختلفة والمتباينة في تعريفها للخطاب والنّص،وفي نظرتها للعلاقة القائمة بينهما؛أنّها تجتمع في نقطة واحدة،وهي المفهوم الخاصّ لكلّ من الخطاب والنّص عند كلّ باحث فمنهم من يضع الخطاب في وادٍ والنّص في وادٍ آخر،ومنهم من يجمع بينهما ولكن وفقَ شروط معيَّنة،ومنهم من

---

[1] ينظر:رولان بارت،نظريّة النّص،مرجع سبق ذكره،ص45.

[2] ينظر:ديكرو وسشايفر،القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان،مرجع سبق ذكره،ص533.

[3] عبد الملك مرتاض،نظريّة النّص الأدبي،مرجع سبق ذكره،ص11.

[4] ينظر:المرجع نفسه،ص12. ثم بيّن وجهة نظره حول فكرة: لِمَ لا يكون النّص خطابًا والخطاب نصًّا؟،مفنِّدًا هذا الطّرح،بقوله: «لكنّنا نحن نأبى القول به؛فالنّص لدينا أشمل وأرحب،أمّا الخطاب فتصنيف داخلي؛تفصيل من مُجمَل وفرع من أصل كبير،النّص هو كل كتابة على وجه الإطلاق،في حين أنّ الخطاب تصنيف لنوع الكتابة وتخصّص فنّي داخلي في تجنيسها»،المرجع نفسه،الصّفحة نفسها. وهذا التّوجُّه ذاته،تبنّاه الباحث (عبد **الله** العشي)،عندما أقرَّ بأنّ النّصوص هي التي تولِّد أشكالًا معيّنة من الخطابات؛ينظر: عبد **الله** العشي،زحام الخطابات"مدخل تصنيفي لأشكال الخطابات الواصفة"،دار الأمل،تيزي وزو-الجزائر؛د ط:د ت، ص.ص194-195.

يعدّهما شيئًا واحدًا،ويعتبر التّفريق البارز هو اعتبار الخطاب ما أُنتِجَ من اللّغة الطّبيعيّة في شكلها المنطوق،وأمّا النّص فهو اختزالها في شكلها المكتوب.

وعليه «يظلّ التّمييز بين النّص والخطاب من زاوية كون النّص في الأساس بنية في مقابل كون الخطاب في الأساس موقفًا هو التّمييز السّائد في أدبيّات نظريّة النّص وتحليل الخطاب،بيد أنّ الإلحاح على ربط النّص بمقاصده ووظائفه ممّا يعيد هذين المصطلحين في الاستعمال إلى دوائر متشابكة،يبدو فضّ الاشتباك بينهما أمرًا عسيرًا جدًّا».[1]

وبناءً على هذا الطَّرح،تكمنُ نظرتنا لتلك العلاقة،دون أن نخوض في أبعاد الاختلاف لدى الباحثين الدّائر حولها وما سنعنيه من مفاهيم لها علاقة بالخطاب في مراحل قادمة من البحث،تنطبق أيضًا على النّص،والعكس صحيح.

– رابعا:السّياق التّداولي و(الخطاب/النّص):"قراءة في آليّات التّفاعل والتّأثير".

4-1- تعريف "السّياق التّداولي- Pragmatics context":

السّياق التّداولي،هو «كلّ العوامل النّفسيّة والاجتماعيّة التي تُحَدِّدُ نسقيًّا؛لكي تلائم أفعال اللّسان،وتتمثّل هذه الأفعال في المعرفة والرّغبات أو الإرادة والتّفضيل،وحُكم مستخدمي اللّغة وإنجازاتهم الاجتماعيّة من جهة أخرى (مثل علاقة السّلطة والصّداقة)».[2]

ركّز هذا التّعريف،على العوامل النّفسيّة،ومستوى العلاقات الاجتماعيّة المحيطة بإنتاج الخطاب،بالإضافة إلى الصّورة الذّهنيّة التي يمتلكها المشاركون في العمليّة التّخاطبيّة التّواصليّة،عن بعضهم البعض،وبدرجة أولى ما يمتلكه المتلقّي عن المرسل،مع شرط استحضار المواضَعة اللغويّة في مقامها الاجتماعي،وكذا المعرفة المشتركة والمسبَقة بينهما.

4-2- العناصر المكوّنة للسّياق التّداولي:

يتكوّن السّياق التّداولي،من خمسة عناصر أساسيّة،هي:

4-2-1- المخاطِب:

يمكن القول عن المخاطِب"المتكلّم،المرسل،الكاتب..."،هو «الذّات المحوريّة في إنتاج الخطاب؛لأنّه هو الذي يتلفّظ به،من أجل التّعبير عن مقاصد معيّنة وبغرض تحقيق هدف فيه،ويجسّد ذاته من خلال بناء خطابه،باعتماده استراتيجيّة خطابيّة تمتدّ من مرحلة تحليل السّياق ذهنيًّا والاستعداد له».[3]

فإرادة المخاطِب وطرائق تعبيره عن مقاصده،تظلّ قاصرة ما لم يستند في ذلك،إلى كفايته التّداوليّة في بُعدِهَا التّواصلي،ثمّ بما يمتلكه من سلطة (مهما كان نوعها).

---

[1] محمّد العبد،النّص والخطاب والاتّصال،الأكاديميّة الحديثة للكتاب الجامعي؛د ط:د ت،ص10.

[2] فان ديك،النّص بُنَى ووظائف:مدخل أوّلي إلى علم النصّ،ضمن كتاب العلامتيّة وعلم النّص،مرجع سبق ذكره،ص172.

[3] عبد الهادي بن ظافر الشّهري،استراتيجيّات الخطاب "مقاربة لغويّة تداوليّة"،ج01،دار كنوز المعرفة،عمّان-الأردن؛ط02: 1436هـ/2015م،ص83.

4-2-2- المخاطَب (المتلقّي):

إنّ نوعيّة علاقة المخاطِب (المرسل) بالمخاطَب (المرسل إليه)،تفرض نوعًا خاصًّا من لغة الخطاب،تعكس خصوصيّة العلاقة القائمة بينهما فتَغدُو هذه العلاقة،من أبرز العناصر السّياقيّة التّداوليّة،المؤثّرة على انتقاء الإستراتيجيّة الخطابيّة الملائمة.

وعليه لا يمكننا أن نغفل الدّور الفعَّال الذي يلعبه المخاطَب في عمليّة تأويل الخطاب،وهذه إحدى المزايا التي تعكس أهمّيته؛وبالطّبع لا يمكننا أن تصوّر خطابًا من دون مخاطَب،فهو دائمًا حاضر في استراتيجيّة المخاطِب،سواء أكان هذا الحضور،حضورًا عينيًّا "حقيقيًّا"،أم حضورًا ذهنيًّا "يتخيّله المخاطِب".

كما يُصَنَّفُ المخاطَب،من حيث الخطاب الموجّه إليه،إلى نوعين اثنين،هما:

أ- المخاطَب المخصوص؛وهو الذي يعنيه الخطاب بذاته،من خلال الإحالة إليه،بواسطة أدوات النّداء مثلًا،أو أيّة أدوات إشاريّة معيّنة،سواء أكان هذا المخاطَب شخصًا واحدًا أو جماعة.

ب- المخاطَب العام؛وهو الموجّه إليه الخطاب،دونما تحديد شخص بذاته أو جماعة معيّنة؛أي تغيب في لغة الخطاب الموجّه إليه،أدوات النّداء أو أيّة أدوات إشاريّة محدّدة.

4-2-3- زمان ومكان الخطاب:

إنّ استحضار طرفي الخطاب،لعنصري "زمان ومكان" إنتاج الخطاب،له أثره الإيجابي في التّأويل الصّحيح لذلك الخطاب،وبالتّالي تحقيق مقاصده التّداوليّة التي سعى إلى تحقيقها.

4-2-4- العناصر المشتركة بين المخاطِب والمخاطَب:

لكلّ مجتمع لغته الطّبيعيّة التي تميّزه عن باقي المجتمعات؛ذلك أنّ اللّغة الطّبيعيّة «ليست فقط وسيلة للتّعبير ولكنّها أساسًا تعكس روح الشَّعب وروح الحضارة التي ينتمي إليها الفرد والأمَّة».[1]

حيث يمثّل السّياق الاجتماعي والثّقافي،لأيّة لغة طبيعيّة،حصنها الذي تحتمي به وتستقي هويّتها منه؛ولكي تُفَكَّ شفراتها،لابدّ أن تُفَكَّ شفراته أوّلًا؛لأنّه يشمل جميع خصائص المجتمع من دِين وعادات كلاميّة،وطقوس وتقاليد،وحتّى الخصائص الوراثية...إلخ،فهو عنصر سياقي «شامل للعلاقة القائمة بين الأفراد والاعتقادات المشتركة والأفكار والأعراف الشّائعة بينهم كما أنّ إطار الثّقافة الاجتماعيّة لكلّ أُمَّة يفرض نوعًا من العلاقات ما لا يفهمه تمامًا إلا النّاشئون في المجتمع ذاته».[2]

وبالتّالي تمثّل المعرفة المشتركة،الأرضيّة التّوافقيّة التي يمكن أن يعتمد عليها طرفي الخطاب أثناء عمليّة التّواصل؛حيث يتزوّد المخاطِب من عناصرها السّياقيّة في تكوين خطابه،بينما يرتكز عليها المخاطَب في تأويلاته للخطاب الموجَّه إليه وكي يتحقّق لهما الإفهام والفهم،أو الإقناع والاقتناع معًا،وتُقَسَّم هذه المعرفة المشتركة إلى ما يلي:

---

[1] عبد الله ركيبي،تطوّر النّثر الجزائري الحديث "1830-1974"،دار الكتاب العربي،القبّة-الجزائر؛ط02:د ت،ص208.

[2] المهدي إبراهيم الغويل،السّياق وأثره في المعنى"دراسة أسلوبيّة"،أكاديميّة الفكر الجماهيري،بنغازي-ليبيا؛د ط:2011م،ص137.

– «معرفة عامّة بالعالَم،ومنها معرفة كيف يتّصل النّاس ببعضهم البعض،وكيف يفكّرون وكيف يستطيعون أن ينجزوا أفعالهم اللّغويّة داخل المجتمع مع إقامة الاعتبار لأُطُرِه العامّة الدّينيّة،الثّقافيّة،الاقتصاديّة،الاجتماعيّة.

– المعرفة بنظام اللّغة في جميع مستوياتها،بما في ذلك دلالاتها وعلاقتها بثقافتهما».[1]

مع أنّ المعرفة اللّغويّة البحتة غير كافية؛فغياب المعرفة التّداوليّة للّغة هو إذنٌ بقصور التّفاعل الاجتماعي.

4–3– أنواع السّياق التّداولي:

ينقسم السّياق التّداولي–وفقَ نظرتنا– إلى أربعة أنواع رئيسة،هي:

4–3–1– سياق المقام:

قسّم (السّكّاكي) "سياق المقام" إلى طبقات مُتفاوتة،وبحسب الغرض المنشود من الكلام؛حيث خصّ اختيار الكلام بحسب الحدَث التّواصلي،ثمّ حدَّد مقام الكلام بحسب نوعيّة المتلقّي،بقوله:

«لا يخفى عليكَ أنّ مقامات الكلام مُتفاوتة فمقام التّشكّر يُباينُ مقام الشّكاية،ومقام التّهنئة يُباينُ مقام التّعزية ومقام المدح يُباينُ مقام الذّم،ومقام التّرغيب يُباينُ مقام التّرهيب،ومقام الجِد في جميع ذلك يُباينُ مقام الهزل،وكذا مقام الكلام ابتداءً يُغايِرُ مقام الكلام بناءً على الاستخبار أو الإنكار،ومقام البناء على السّؤال يُغايِرُ مقام البناء على الإنكار؛جميع ذلك معلوم لكلّ لبيب،وكذا مقام الكلام مع الذّكي يُغايِرُ مقام الكلام مع الغبيّ،ولكلّ من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر».[2]

يُلاحَظُ على هذا التّعريف،أنّه ركّز على تنوّع ظروف إنتاج الخطاب،وعلى تفاوت درجات المتلقّي،في الآن ذاته وعليه صار البحث في طبيعة "سياق المقام"،في «جوهره انشغال بالمتلقّي باعتباره "الهدف" المقصود في الخطاب والموجِّه لهذا الخطاب أيضًا» [3] ،وهذا المتلقّي بدوره لا يمكن «النّظر إليه على أنّه متلقٍّ واحد،وإنّما هو قراءة من بين قراءات مختلفة،تتعامل مع الخطاب حسب آفاقها ومداركها».[4]

ويُعرِّف (محمّد العُمَري) "سياق المقام"،بأنّه «مجموع الشّروط الخارجيّة المحيطة بعمليّة إنتاج الخطاب شفويًّا كان أم مكتوبًا».[5]

بينما عرَّفه (ديكرو– Ducrot) و(سشايفر– J.M.Schaeffer)،بأنّه:«مجموع الظّروف التّي نشأ التّعبير في وسطها (الكتابي أو الشّفاهي)،ويجب أن نفهمَ من هذا المحيط المادّي والاجتماعي الذي يأخذ الظّرف فيه

---

[1] عبد الهادي بن ظافر الشّهري،استراتيجيّات الخطاب،مصدر سبق ذكره،ج01،ص87.

[2] أبو يعقوب السّكّاكي،مفتاح العلوم؛ضبط وتعليق:نعيم زرزور،دار الكتب العلميّة،بيروت–لبنان؛ط:02:1407هـ/1987م، ص168.

[3] سامية الدّريدي،الحِجَاج في الشّعر العربي بنيته وأساليبه،عالم الكتب الحديث،إربد–الأردن؛ط02:1432هـ/2011م،ص89.

[4] عبد الواسع الحميري،ما الخطاب وكيف نحلّله؟،مجد المؤسّسة الجامعيّة للدّراسات،بيروت–لبنان؛ط02:1435هـ/2014م، ص60.

[5] محمّد العُمَري،**المقام الخطابي والمقام الشّعري في الدّرس البلاغي**،مجلة دراسات سميائيّة أدبيّة لسانيّة،فاس–المغرب؛ع05: 1991م،ص07.

مكانه،والصّورة التي تكون للمتخَاطبين عنه،وهويّة هؤلاء،والفكرة التي يصطنعها كل واحد عن الآخر،بما في ذلك التّمثيل الذي يمتلكه كلّ واحد عمّا يفكّر به الآخر،والأحداث التي سبقت التّعبير لاسيّما العلاقات التي كان يمتلكها المتخاطبون من قَبل وتبادُلات الكلام حيث يحشر التّعبير المعني نفسه».[1]

وبالتالي يُفهَم من هذه التّعريفات؛أنّها لم تفصل بين الخطابين الشّفهي والكتابي؛بل عدَّتهُمَا شيئًا واحدًا،كما ركّزت على الظّروف المادّية ومستوى العلاقات الاجتماعيّة المحيطة بإنتاج الخطاب،بالإضافة إلى الصّورة الذّهنية التي يمتلكها المشاركون في العمليّة التّخاطبيّة التّواصليّة،عن بعضهم البعض،وبدرجة أولى ما يمتلكه المتلقّي عن المرسل،مع شرط استحضار المواضَعة اللّغويّة،وكذا المعرفة المشتركة والمسبَقة بينهما.

4-3-2- السّياق اللّغوي:

كثيرًا ما يؤثّر السّياق اللّغوي،بشكل مباشر أو غير مباشر على البنية اللغويّة للخطاب،ويُعَدُّ المعنى من أبرز المظاهر الخطابيّة التي يتجلّى فيها هذا التّأثير،بناءً على طبيعة المعجم اللغوي الذي تمّ توظيفه؛إذ تتجلّى علاقة السّياق اللّغوي بالمعنى،في «كون العديد من الملفوظات لا يمكن تحديد معناها بدقّة إلّا بمعرفة سياقها الذي وَرَدَتْ فيه».[2]

وبهذا يمكن أن نعتبر علاقة السّياق بوُرُود المعنى ضمن البنية اللّغويّة للخطاب،أمرًا مهمّا لا يمكن لمحلّل الخطاب أن يتجاهله؛حيث يتأسّس السّياق اللّغوي داخل الخطاب من مستويين اثنين،هما:

4-3-2-أ- المستوى التّركيبي (النّحوي):

يمثّل هذا المستوى «الكلمات المجرّدة باعتبارها مجموعة من الفونيمات المترابطة التي تعطي معنًى معيّنًا،بالإضافة إلى القواعد المنظّمة لترتيب هذه الكلمات على مستوى التّركيب من حيث التّقديم والتّأخير والزّيادة والحذف...».[3]

وهذا الذي أطلق عليه (السّكّاكي) مصطلح "مقتضى الحال"،عند قوله:

«إذا شرعتَ في الكلام،فلكلّ كلمة مع صاحبتها مقام،ولكلّ حدّ ينتهي إليه الكلام مقام،وارتفاع شأن الكلام في باب الحسن والقَبُول وانحطاطه في ذلك بحسب مصادفة الكلام لما يليق به،وهو الذي نسمّيه **مقتضى الحال**».[4]

وقد وجدنا نصًّا (للإبراهيمي)،تحدّث فيه عن هذا المستوى،حينما قدّم قاعدة في تكوين المَلَكَة اللّغويّة،بأن يأخذ المتكوّن،اللّغة من منثور العرب ومنظومهم،فيستفيد بذلك فائدتين:الأولى الكلمة ومعناها،والثّانية «وضعها في التركيب وموقعها منه وموقعه من النّفوس،**وحسن التّركيب هو سر العربيّة**،ويسمّيه علماء البلاغة حُسن التّأليف،ومن كلماتهم

---

[1] ديكرو وسشايفر،القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان،مرجع سبق ذكره،ص677.

[2] علي آيت أوشان،السّياق والنّص الشّعري من البنية إلى القراءة،دار الثّقافة،الدّار البيضاء-المغرب؛ط01:1421هـ/2000م، ص39.

[3] عبد النّعيم خليل،نظريّة السّياق بين القدماء والمحدثين "دراسة لغويّة نحويّة دلاليّة"،دار الوفاء،الإسكندريّة-مصر؛ط01:2007م، ص37.

[4] أبو يعقوب السّكّاكي،مفتاح العلوم،مرجع سبق ذكره،ص.ص168-169.

التّي سارت مسير الأمثال قولهم:ولكلّ كلمة مع صاحبتها مقام».[1]

ومن خلال هذا الكلام،اتّضح لنا أنّ (الإبراهيمي) يمتلك خلفيّة معرفيّة،عن هذا المستوى.

4-3-2-ب- المستوى الصّوتي:

يمثّل المستوى الصّوتي «الكلمات مرتبطة بأنواع من السّياقات الصّوتية كالنّغمة والتّنغيم والنّبر،بحسب المعنى الدّلالي الذي يتّفق مع هذه الدّلالات».[2]

4-3-3- السّياق الاجتماعي والثقافي:

يَكمُنُ البُعدُ التّداولي،في السّياق الاجتماعي والثّقافي،بما يقدّمه هذا السّياق،من خصائص مشتركة تجمع بين طرفي العمليّة التّخاطبيّة التّواصليّة،وبشكل خاص،عندما يتم تداول اللّغة الطّبيعيّة،في مستوياتها العاديّة خلال الحياة اليوميّة.

4-3-4- السّياق النّفسي والوجداني:

دائمًا ما ترتبط عمليّة إنتاج الخطاب في بُعده التّداولي،بحالات نفسيّة ووجدانيّة خاصّة،تعكس طبيعة علاقة طرفي الخطاب ومقصديته،بالإضافة إلى موضوعه وشكله اللّغوي...إلخ،مثلما تعبّر عنه خطابات:التّهنئة،والتّعزية...إلخ.[*]

---

[1] محمّد البشير الإبراهيمي،آثار الإمام محمّد البشير الإبراهيمي،جمع وتقديم:أحمد طالب الإبراهيمي،ج04 (1952-1954)،دار الوعي،رويبة-الجزائر؛ط05:2016م،ص159. وقد وُلِدَ (محمّد البشير الإبراهيمي)،يوم الخميس:13شوّال1306هـ،الموافق لـ: 14يونيو1889م،ببلدة أولاد إبراهيم،ولاية سطيف سابقًا،وولاية برج بوعريريج حاليًّا،وتوفي-رحمه **الله**-،يوم الخميس20 مايو1965م بالجزائر العاصمة؛ينظر:سيرة مختصَرة عن حياته،بعنوان"خلاصة تاريخ حياتي العِلمِيَّة والعَمَلِيَّة"،البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج05،ص.ص272-291.وهناك مقال آخر عَرَّفَ به عن نفسه بعنوان"من أنا"؛ينظر:المصدر نفسه،ص.ص 163-170. وأمّا عن تاريخ وفاته؛ينظر:المصدر نفسه،ج01،ص13.

[2] عبد النّعيم خليل،نظريّة السّياق بين القدماء والمحدَثين،مرجع سبق ذكره،ص38.

[*] وجدنا نصًّا (للإبراهيمي)،تحدّث فيه عن دور السّياق النّفسي في إنتاج الخطاب،بقوله:«...فإنّ الحالات التي يكون معها التّأثّي والانقياد والإسلاس هي حالات نفسيّة وأصباغ وجدانيّة تخصُّ الكاتب أو الخطيب وليس النّاس فيها بمتساوين ولا القياس فيها بمطّرد» ،البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج04،ص316.ويُفهَم من هذا الكلام؛أنّ عمليّة إنتاج الخطاب عند (الإبراهيمي) هي عمليّة خاضعة للسّياق النّفسي والوجداني،كما أنّ الناس متفاوتون في هذا الأمر؛وأنّه لا يجب تعميم القياس في ذلك.

الفصل الأوّل

الاستراتيجيّة الخطـــابيّة

- مفهومها.
- معايير تصنيفها.
- العوامل المتدخِّلة في انتقائها.

– الفصل الأوّل: "الاستراتيجيّة الخطابيّة:مفهومها،ومعايير تصنيفها،والعوامل المتدخِّلة في انتقائها".

مهما تنوّعت الخطابات؛من حيث "أشكالها اللّغويّة،أو موضوعاتها،أو مقاصدها...إلخ"،فجميعها تشترك في سِمَة واحدة،هي عدم اعتباطيّتها؛أي لا يوجد خطاب عفوي (بريء) ينطلق من فراغ،ولا يرُوم تحقيق أيَّ هدف ولو أُنتِجَ في ظروف تبدو في ظاهرها عاديّة،فكلّ خطاب يحمل في طيّاته مقاصد وآليّات معيّنة،مهما كانت درجة عفويّته.

وهذا يعني؛أنّ مرسل أيِّ خطاب (مكتوب/شفهي)،لابدّ وأنّه استحضر مجموعة من التّصوّرات الذّهنيّة،أدّت إلى تفعيل إجراءات معيّنة،وهي بدورها شكّلت في مجملها عمليّة تخطيط–سواء وعيها المرسل أم لا– خاضعة لعناصر سياقيّة تداوليّة،لها تأثيرها المباشر على لحظة إنتاج الخطاب،كما تتفاوت درجات توظيفها من مرسل لآخر،حسب قدرته التّواصليّة – بمختلف كفاياتها–،والمقصديّة التي يودّ تحقيقها كلّ مرسل،زيادة على ذلك طبيعة السّلطة الحاضرة أثناء عمليّة التّلفّظ بالخطاب.

وبالتّالي تجتمع هذه العوامل كلّها؛كي تؤسِّس خطّة خطابيّة،يستند عليها المرسل في مراحل تكوين خطابه،يُطلَقُ عليها عندئذٍ تسمية "الاستراتيجيّة الخطابيّة– Strategie of discourse".

ولا شكّ أنّ،الاحتمالات المتعدّدة لاستثمار استراتيجيّة واحدة أو أكثر،تتحكّم فيها عناصر سياقيّة تداوليّة محدّدة إذ يمكن للمرسل،أن يستعمل مجموعة من الاستراتيجيّات الخطابيّة المختلفة في خطاب واحد،أو ينتقي منها استراتيجيّة واحدة ويعمد إلى توظيفها في خطاب واحد أو أكثر.

هذا ما جعل من المقاربة التّداوليّة،ترى في التّصنيف التّقليدي للخطابات،بأنّه تصنيف قاصر،عندما استخدم معاييرًا لا ترقى إلى المطلوب،فإذا استطاع أن يعتمد على أشكال وموضوعات الخطابات،ليصّنفها إلى خطاب: دِيني،وتعليمي،وسياسي،...إلخ؛فإنّه بالضّرورة قد تجاوز أخرى،لكثرة الأشكال الخطابيّة وتداخلها،إضافة إلى تفلّت موضوعاتها.

فإذا اتّسمت البنية اللغويّة لأيّ خطاب،بشكل لغوي واحد؛فإنّها قد تحوي موضوعات عديدة تتناوب فيما بينها في الإطار اللّغوي وغير اللّغوي العام للخطاب؛فعدم ضبط الشّكل الخطابي وموضوعه المهيمن،هو مكمَن الصّعوبة.(*)

(*) كثيرة هي مواضع هذه الصّعوبة،في الأشكال الخطابيّة التي احتوتها آثار (الإبراهيمي)،ومن أمثلتها،مقامته في رثاء (ابن باديس)،والتي عنونها بـ"مناجاة مبتورة لدواعي الضّرورة"؛ينظر:البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج02 (1940–1952)،ص.ص53–58.وقد اضطرب الكثير من الدّارسين والنقّاد،في تحديد دقيق لشكلها الخطابي،من أبرزهم،النّاقد (عبد الملك مرتاض)؛حينما أقرَّ بذلك في قوله:«فقد كنّا أدرجناها في جنس المقامات،كما كان عدَّها قبلنا الأستاذ محمّد الغسيري في تقدمته لها في "البصائر" كذلك ولكنّها في الحقيقة،يمكن أن تندرج ضمن أنواع مختلفة من زخرف القول،وأصناف متعدّدة من تدبيج الكلام،فهي فيها من خصائص الرّسالة بمفهومها الدّقيق في عهود العربيّة الزّاهية،نفسها وفنّياتها،وهي فيها من جنس المقامة بشكلها المعروف سجعها ولغتها؛وهي فيها من جنس الشِّعر الرّثائي بتأجّج عاطفته...»،عبد الملك مرتاض،**محمّد البشير الإبراهيمي أمير البيان؛كرائم اللّغة وفصاحة اللّسان** ضمن أعمال الملتقى الدّولي،للإمام محمّد البشير الإبراهيمي "بمناسبة الذّكرى الأربعين لوفاته"،الجزائر في 13–14ربيع الثاني 1426هـ الموافق لـ 22–23 مايو2005م،دار الغرب الإسلامي،بيروت–لبنان؛ط01:1427هـ/2006م،ص240.

ولهذا تقدّم المقاربة التّداوليّة،مقترحًا لتذييل تلك الصّعوبة،بما يقدّمه من نتائج أفضل من تلك التي يقدّمها التّصنيف التّقليدي-على الأقل-؛أي أنّ تصنيف الخطابات يكون خاضعًا لتصنيف الاستراتيجيّات الخطابيّة؛حيث تجسّد كل واحدة منها إطارًا جامعًا،لمجموعة من الخطابات تشترك في خصائص معيّنة،قائمة على معايير وعوامل محدّدة،وبهذا تكتسب الاستراتيجيّات الخطابيّة قيمتها في تداوليّات الخطاب.[1]

وبما أنّ المرسل،لا يستطيع أن يوظّف كل الاستراتيجيّات الخطابيّة المتاحة،وجَبَ عليه انتقاء استراتيجيّات معيّنة تَكُون هي الأعمّ والأشمل؛أي تُعَدُّ هي الاستراتيجيّات الرّئيسيّة،والأخرى تُعتَبر إحدى آليّاتها وأدواتها اللغويّة وغير اللغويّة.

على أن يتم تصنيفها،تصنيفًا شاملًا،يحتكم إلى ثلاثة معايير واضحة المعالم:أوّلها،المعيار الاجتماعي:القائم على نوعيّة العلاقة بين طرفي الخطاب،والثّاني:معيار لغوي:قائم على شكل الخطاب من حيث لغته،وأمّا المعيار الثّالث،فهو المعيار القائم على الهدف الذي يسعى الخطاب إلى تحقيقه.

وبالطّبع،فهذا التّوجّه يحيلنا بدوره إلى تساؤل قد طرحه الباحث (عبد الهادي بن ظافر الشّهري) من قَبل،عند قوله: «...فما الاستراتيجيّات الخطابيّة التي يتوخّاها المرسل؟».[2]

وللإجابة عن هذا السّؤال المحوري،ينبغي لنا أوّلًا أن نجيب عن أسئلة مبدئيّة توصلنا أجوبتها إليه،هي كالتّالي:

- ما المقصود بالاستراتيجيّة عمومًا،وبالاستراتيجيّة الخطابيّة خصوصًا؟.

- وما معايير تصنيفها؟ وما هي العوامل المؤثّرة في انتقاء استراتيجيّة خطابيّة معيّنة؟.

والمتمعّن في تركيب مصطلح "استراتيجيّة الخطاب"،يجده يتألّف من كلمتين،هما:"الاستراتيجيّة" و"الخطاب"،ولكلّ منهما مفهومه الذي يميّزه عن الآخر؛فمفهوم الاستراتيجيّة يُعتَبَرُ مفهومًا عامًا،أمّا الخطاب فمفهومه خاصّ.[3]

وبما أنّنا تطرّقنا في المدخل إلى الجهاز المفاهيمي للخطاب،سنتحدّث في هذا الفصل عن المفهوم العام للاستراتيجيّة ثمّ نتعمّق أكثر في مفهوم الاستراتيجيّة الخطابيّة،ونتحدّث عن معايير تصنيفها،وكذا العوامل المتدخّلة في انتقائها بشكل عام،وبعدها نذيّل هذه المفاهيم،بالتّطرّق إلى مرجعيّات الخطاب لدى (الإبراهيمي)؛حتّى تتّضح لنا علاقة تلك المرجعيّات بتأسيس الاستراتيجيّة الخطابيّة عنده،خلال دراستنا لها في مراحل قادمة من البحث.

---

[1] ينظر:عبد الهادي بن ظافر الشّهري،استراتيجيّات الخطاب،مصدر سبق ذكره،ج01،ص20.

[2] المصدر نفسه،ص19.

[3] ينظر:المصدر نفسه،ص90.

أوّلا– مصطلح "الاستراتيجيّة– Strategy":النّشأة،والمفهوم،والمجال:

يُعَدُّ مصطلح الاستراتيجيّة من بين المصطلحات،التّي أحدثت جدلًا في أوساط معرفيّة مختلفة؛حينما وُلِدَ هذا المصطلح من رحم العلوم العسكريّة،ثم تبنَّته كثير من العلوم الأخرى،على غرار العلوم:السّياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والتّنمية البشريّة...إلخ،وأمّا في العلوم اللغويّة،فيحيل هذا المصطلح إلى «مجموع عمليّات المعالجة الموجَّهة إلى هدف والجارية عن وعي عند إنتاج النّص وتلقّيه».[1]

إذ شاع استعمال مصطلح استراتيجيّة وصِفَة استراتيجي في أدبيّات تلك العلوم شيوعًا واسعًا من قِبَل الباحثين المهتمّين بكلّ علم منها،كُلٌّ حسب تخصّصه،ولكن اتّسع تفعيل هذا المصطلح وهذه الصّفة دونما تحديد واضح لمعناهما أو تعريف لأبعاد المفهوم وحدوده.[2]

ويعود تاريخ وأصل اشتقاق كلمة "الاستراتيجيّة– strategy"بشكلّ عامّ،إلى «الكلمة اليونانيّة (strato) بمعنى جيَّشَ أو حشَدَ،ومن مشتقّات هذه الكلمة (stratego) والتّي تعني فنّ القيادة،ومن مشتقّاتها أيضًا (stratagem) والتي تعني الخدعة الحربيّة التي تُستَخدَم في مواجهة العدوّ».[3]

ولهذا تطوّر مصطلح "الاستراتيجيّة"بفضل تطوّر العلوم العسكريّة ذاتها،إلى أن أصبح علمًا قائمًا بذاته،يُشكِّل مادّة تُدَّرَسُ في مختلف المدارس العسكريّة،وبهذا تحوّلت الاستراتيجيّة إلى"علم الاستراتيجيّة" أو "الاستراتيجيّة العلميّة".[4]

وإذا أخرجنا مصطلح الاستراتيجيّة من مجاله العسكري،وتتبّعناه في مواطن توظيفيّة أخرى،لوجدناه يُستَخدَم للدّلالة على الهدف الذي ينشُدُه الفعل؛فكلّ فعل أو حركة تتوخّى تحقيق هدف معيّن،أو أهداف محدّدة نطلق عليها مجازًا استراتيجيّة،ولا يتمّ تحقيق ذلك الهدف المنشود بالفعل وحده؛بل لابدَّ من افتراض خطّة أو خطط يستكمل بها الفعل مقوّماته لتحقيق أهدافه،والتّخطيط بدوره لا يمكن أن يكون له وجود دون امتلاكه لآليّات ووسائل معيّنة تُعِينه على تحقيق الهدف،وعليه تسمّى عمليّة الجمع بين التّخطيط والهدف والآليّات المتوفرّة، بـ"الاستراتيجيّة"؛أي أنّ مهمّة الاستراتيجيّة،هي أن تجمع بين الهدف والوسيلة من خلال عمليّة التّخطيط،مع شرط توفّر عنصر الكفاية.[5]

---

[1] فولفجانج هاينه مان وديتر فيهقجر،مدخل إلى علم لغة النّص؛تر:سعيد حسن بحيري،زهراء الشّرق،القاهرة–مصر؛ط01:2004م ،ص269.

[2] ينظر:عبد القادر محمّد فهمي،المدخل في دراسة الاستراتيجيّة،جامعة بغداد،العراق؛د ط:2009م،ص11.

[3] The International Encyclopedia of social sciences;New York:1968,p281.

نقلًا عن:المرجع نفسه،الصّفحة نفسها.وينظر:"في أصل المصطلح أو الاشتقاق"،و"في التّأسيس والتكوّن"،صلاح نيوف،مدخل إلى الفكر الاستراتيجي،الأكاديميّة العربيّة المفتوحة في الدنمارك؛د ط:د ت،ص.ص09–13.وللتوسّع أكثر؛ينظر أيضًا:ليدل هارت، الاستراتيجيّة وتاريخها في العالم؛تر:الهيثم الأيّوبي،دار الطّليعة للنّشر،بيروت–لبنان؛ط04:2000م.

[4] ينظر:صلاح نيوف،مدخل إلى الفكر الاستراتيجي،مرجع سبق ذكره،ص.ص03–13.

[5] ينظر:عبد القادر محمّد فهمي،المدخل في دراسة الاستراتيجيّة،مرجع سبق ذكره،ص.ص17–18.

فطالما ارتبط مفهوم الفعل الاستراتيجيّ في أيّ علم،بالتّخطيط والهدف والكفاية وقيمة الشّيء أو الشّخص؛وهذا ما يدلّ عليه إطلاق صفة استراتيجي الذي يعني المهمّ،أمّا الدّلالة الثّانية التي ترافق مفهوم الفعل الاستراتيجي فهي "المستقبَل"؛حيث إنّ الاستراتيجيّة تنقل نظرنا إلى أبعد من اللّحظة التي نعيشها أو الحاضرة،وإذا جاز لنا أن نصف الشّخص صاحب الرّؤية المستقبليّة التّي يرافقها التّخطيط،بأنّه شخص استراتيجي،نقول عنه:هو الذي يملك رؤية كاملة وبعيدة.[1]

وبهذا تُعَدُّ الاستراتيجيّة،عبارة عن خطّة شاملة،تركّز على مهارات استعمال وسائل وآليّات مختلفة،من أجل تحقيق أهداف وغايات معيّنة،وبتعبير آخر أكثر تعمّقًا في خاصّيتها،أنّ الاستراتيجيّة هي علاقة بين الحاضر والمستقبَل وهي تحديد المناهج والأدوات في ضوء رؤية مستقبليّة للأهداف ونظرة فلسفيّة للتطوّر،وهي تتضمَّن بالضّرورة تصوّرا على تصوّر وبديلًا على آخر.[2]

وبما أنّها في الأصل،خطّة تجمع بين الوسائل والأهداف؛فهي إذن،تتميّز بِبُعدَين اثنين؛أوّلهما:«البُعد التّخطيطي وهذا البُعد يتحقّق في المستوى الذّهني،وثانيهما:البُعد المادّي الذي يُجسِّدُ الاستراتيجيّة لتتبلور فيه فعلًا،ويرتكز العمل في كِلَا البُعدَينِ على الفاعل الرّئيس فهو الذي يحلِّل السّياق،ويخطّط لفعله ليختار من الإمكانات ما يَفِي بما يريد فعله حقًّا ويضمن له تحقيق أهدافه».[3]

ومن أجل اختيار استراتيجيّة معيّنة أو أكثر،يتوفّر للفاعل الاستراتيجي إطاران،هما:[4]

- إطار الممكن:يمثّل كل ما يمكن فعله،أي ما تتيحه الظّروف السّياقيّة قبل إجراء أيّة عمليّة مقارنة بين الاستراتيجيّات المراد تطبيقها.

- إطار المفضَّل:يعمد إلى تحليل كل طريقة لمعرفة إيجابيّاتها ثمّ الموازنة بين الإمكانات المتاحة لمعرفة أفضلها لتنفيذه في السّياق المؤطِّر لكل فعل،وبالتّالي تصبح مرجعيّة التّفاضل هي السّياق الذي تجري فيه؛فما يكون مفضَّلًا في سياق معيّن قد لا يكون كذلك في سياق آخر؛إذ تتوفّر السّياقات على معايير كثيرة.

وبذلك تتنوّع الاستراتيجيّات بتغيّر الظروف والأهداف،فلا يجوز أن يستعمل صاحب الفعل الاستراتيجي نوعًا واحدًا من الاستراتيجيّات،وبشكل مطّرد وفي جميع الأحوال،فالواجب عليه معرفة أنّ لكلّ سياق استراتيجيّة أو أكثر وهنا تبرز أهميّة الانتقاء الخاضعة للسّياق وكفاية الفاعل الاستراتيجي.

ومن منطلق الطرّح السّابق،الذي قدَّم لنا تصوّرًا عامًّا لما يحيل إليه مصطلح الاستراتيجيّة،بدءًا بمجالها الأوّل وأصل اشتقاقها،وصولًا إلى أهمّ مكوّناتها وشروطها،نُعرِّف الاستراتيجيّة بشكل عامّ،بأنّها:تخطيط ذهني،قائم على كفاية معيّنة،استثمرت وسائل معيّنة من أجل تحقيق أهداف معيّنة،وفقَ سياقات معيّنة.

---

[1] ينظر:صلاح نيوف،مدخل إلى الفكر الاستراتيجي،مرجع سبق ذكره،ص04.

[2] ينظر:عبد القادر محمّد فهمي،المدخل في دراسة الاستراتيجيّة،مرجع سبق ذكره،ص.ص18-20.

[3] عبد الهادي بن ظافر الشّهري،استراتيجيّات الخطاب،مصدر سبق ذكره،ج01،ص92.

[4] ينظر:المصدر نفسه،ص93.

أو كما عرّفها أحد الباحثين،بقوله:«الاستراتيجيّة هي علم وفنّ استخدام الوسائل والقدرات المتاحة،وفي إطار عمليّة متكاملة يتمّ إعدادها والتّخطيط لها».[1]

ثانيًا– مفهوم "الاستراتيجيّة الخطابيّة– Strategie of discourse":

قد يسلك مرسل الخطاب مسالكًا محدَّدة،تعكسها مجموعة من الخطط من أجل تحقيق أهداف ومقاصد محدّدة تحت تأثير عناصر سياقيّة تداوليّة محدَّدة؛حيث تُعرَفُ هذه المسالك في الدّرس التّداولي المعاصر بـ "الاستراتيجيّات الخطابيّة – Strategies of discourse "؛إذ تختصّ كلّ منها بآليّات لغويّة وغير لغوية تميّزها عمَّا سواها.

ولتحقيق تواصل ناجح عن طريق أيِّ خطاب،يقتضي أن يمتلك المرسل قدرة أعلى من كفايتيه اللغويّة والتّداوليّة قدرة تجمَع بين الكفايتين معًا،تسمّى بـ"القدرة التّواصليّة".

2–1– مفهوم "القدرة التّواصليّة– Communicative competence":

عادة ما يُنظَرُ إلى "القدرة التّواصليّة"؛بأنّها المعرفة التي يحتاج إليها كلّ من المرسِل والمرسَل إليه،ولكنّها أوسع بكثير في نطاقها وأشمل في معناها من"القدرة اللّغويّة"،فهي تتضمّن ما هو أشمل من المعرفة بالصّيغ اللغويّة أو ملائمة للموقف الاتّصالي[2] ؛إذ يترتّب عنها «الأمران الهامّان التّاليان:

أ– لا تنحصر قدرة مستعملي اللّغة الطّبيعيّة في معرفة القواعد الصّرفيّة والتّركيبيّة والصّوتيّة والدّلاليّة بل تتعدّاها إلى معرفة القواعد التّداوليّة،القواعد التي تُمكّن مستعمل اللّغة الطّبيعيّة من إنتاج وفهم عبارات لغويّة سليمة في مواقف تواصليّة معيّنة قصد تحقيق أغراض معيّنة،وبتعبير آخر،ليست ثمّة قدرتان اثنتان مستقلّتان"قدرة نحويّة "صرف و"قدرة تداوليّة" بل قدرة تواصليّة واحدة،ويؤيّد التّوحيد بين هاتين القدرتين أنّ التّداول لا يمكن عزله عن المكوّنات الأخرى التي يحكُمُها سواء أكانت تركيبًا أم صرفًا أم دلالة.

ب– لا تنهض بعمليّة التّواصل القدرة اللّغويّة الصّرف وحدها بل تساهم فيها قدرات أخرى منطقيّة ومعرفيّة واجتماعيّة وإدراكيّة وغيرها،فمستعمل اللّغة الطّبيعيّة يستخدم أثناء عمليّة التّواصل،بالإضافة إلى مَلَكَتِه اللّغويّة ملَكَات ذات طبيعة غير لغويّة تسهم في إنجاح هذه العمليّة».[3]

كما نبّه (أحمد المتوكّل) إلى أنّ القدرة التّواصليّة،هي قدرة واحدة؛فتجزيء القدرة اللّغويّة إلى قدرات تتعدّد وتختلف بتعدّد واختلاف أقسام الخطاب (من الكلمة إلى النصّ) ينبَني على افتراض غير وارد،فالقدرة التّواصليّة قدرة واحدة،هي ما يُمكّن مستعملي اللّغة الطّبيعيّة من التّواصل فيما بينهم بغضّ النّظر عن نوع العبارات اللغويّة وحجمها،وخلافًا للمُعتَقَد السّائد،ليست هناك قدرات تختلف باختلاف أنماط الخطاب كأن تكون للخطاب الأدبي (الإبداعي،الفنّي)

---

[1] عبد القادر محمّد فهمي،المدخل في دراسة الاستراتيجيّة،مرجع سبق ذكره،ص20.

[2] ينظر:د.هدسون،علم اللّغة الاجتماعي؛تر:محمود عياد،عالم الكتب،القاهرة–مصر؛ط02:1990م،ص336. وقد فرّق (نُوعَمْ تْشُومْسْكِي– Noam chomsky) بين مفهوم "الكفاية– competence"،التي تتمثّل في المعرفة اللّغويّة الباطنيّة للفرد؛أي مجموعة القواعد التي تعلّمها،و"الأداء– performance"،الذي يعني الاستعمال الفعلي للّغة في المواقف الحقيقيّة؛ينظر:أحمد مومن،اللّسانيّات النّشأة والتّطوّر،ديوان المطبوعات الجامعيّة،بن عكنون–الجزائر؛ط05:2015م،ص210.

[3] أحمد المتوكّل،الوظيفيّة بين الكليّة والنّمطيّة،دار الأمان،الرّباط–المغرب؛ط01:1424هـ/2003م،ص19.

قدرة تخالف قدرة الخطاب العادي،فلكلّ الكائنات البشريّة القدرة نفسها على إنتاج أنماط الخطاب وفهمها إلا أنّ بعضهم يُفعِّل ويغذِّي جوانب معيّنة من هذه القدرة أكثر من بعض،فالأدباء مثلًا يختلفون عن غيرهم من مستعملي اللّغة الطّبيعيّة في كونهم يُفعِّلون الجانب "الفنّي" من القدرة اللّغويّة العامّة ويغذّونه،في حين أنّ هذا الجانب من القدرة يَظَلُّ "كامنًا" عند الآخرين ولكنّه غير منعدم يمكّنهم من فهم وتأويل الخطاب الأدبي وإن لم ينتجوه.[1]

وهناك من ميَّز بين تصوّرين اثنين لمضمون "القدرة التّواصليّة":

أ- «تصوّر يَفهَمُ القدرة التّواصليّة،أنّها عبارة عن قدرة نحويّة مضاف إليها قدرة من نوع آخر،كالقدرة التّداوليّة مثلًا.

ب- وتصوّر يَفهَمُ القدرة التّواصليّة،أنّها عبارة عن قدرة واحدة من شقّين:شقٌّ يتعلّق باللّغة،وشقٌّ يتعلّق باستعمالها». [2]

وعليه،يمكن «تحديد بعض مميّزات القدرة التّواصليّة فيما يلي:

- إنّها كفاية مكتَسبة.
- وكونيّة.
- ومركّبة؛حيث إنّها تضمّ كفايات فرعيّة مختلفة ومتكاملة فيما بينها.
- وإجرائية،لأنّها ترتبط بمهارات وسلوكات قابلة للأَجرَأَة في مقام وسياق تواصليين.
- إنّها كفاية واحدة؛أي أنّ الكفاية التّواصليّة لا تُجزَّأ إلى كفايات تتعدَّد وتختلف بتعدّد واختلاف أقسام الخطاب».[3]

وقد سبق وأن ذكرنا،أنّ القدرة التّواصليّة تنضوي تحتها عدّة كفايات (أو مَلكَات) أخرى مكوِّنة لها،وهي الكفاية: التّداوليّة،واللّغويّة (اللّسانيّة)،والموسوعيّة (المعرفيّة)،والمنطقيّة،...إلخ.

- الكفاية التّداوليّة "Pragmatic competence":

لابدَّ للمرسل من امتلاك كفاية تداوليّة تضاف إلى كفايته اللّغويّة؛حتّى يتسنّى له توظيف استراتيجيّة خطابيّة معيّنة وبالتّالي الحصول على قدرة تواصليّة ناجحة؛لأنّ الكفاية التّداوليّة هي المقدرة على استخدام اللّغة في سياقاتها الفعليّة التي تتجلّى فيها،كما يدخل في صنفها كلّ ما من شأنه أن يُعِينَ المتخاطبين على استخدام الجُمَل اللّغويّة،وتأويلها تأويلًا سليمًا [4] ،يتوافق مع متطلّبات السّياق التّداولي،وهذا ما أدّى إلى تداخلها مع مصطلح القدرة التّواصليّة.

وعلى غرار الكفاية (الملَكَة) التّداوليّة،نجد أنّ (فان دايك-T.van Dijk)،قد حصر مكوّنات القدرة التّواصليّة في خمس كفايات (ملَكَات) على الأقل،هي:[5]

---

[1] ينظر:أحمد المتوكّل،الوظيفيّة بين الكليّة والنّمطيّة،مرجع سبق ذكره،ص20.

[2] عزّ الدّين البوشيخي،التّواصل اللّغوي"مقاربة لسانيّة وظيفيّة"،مكتبة لبنان ناشرون،بيروت-لبنان؛ط2012:02م،ص31.وينظر أيضًا:"مكوّنات القدرة التّواصليّة"،المرجع نفسه،ص.ص32-33.

[3] حسن بدوح،المحاورة"مقاربة تداوليّة"،عالم الكتب الحديث،إربد-الأردن؛ط2012:01م،ص122.

[4] ينظر:محمّد يونس،المعنى وظلال المعنى،مرجع سبق ذكره،ص.ص148-149.

[5] ينظر:أحمد المتوكّل،قضايا اللّغة العربيّة في اللّسانيّات الوظيفيّة "بنية الخطاب من الجملة إلى النّص"،دار الأمان،الرّباط-المغرب؛د ط:2001م،ص.ص36-37.

أ- الكفاية اللغويّة "Language competence":

هي الملَكَة التي تُمكِّن مُستعمِل اللّغة الطّبيعيّة من إنتاج وتأويل عبارات لغويّة معقّدة ومتباينة في عدد كبير من المواقف التّواصليّة المختلفة.

ب- الكفاية المعرفيّة "Cognitive competence":

هي ملَكَة تتيح لمستعمل اللّغة الطّبيعيّة تكوين مخزون معرفي مُنظَّم والاحتفاظ به وتوظيفه حين الحاجة،وهي ملَكَة تمكّنه كذلك من اشتقاق معارف من عبارات لغويّة واختزانها ثمّ استعمالها في تأويل عبارات لغويّة أخرى.

ج- الكفاية المنطقيّة "Logical competence":

هي الملَكَة التّي يتسنّى لمستعمل اللغة الطّبيعيّة بواسطتها أن يشتقّ معارف إضافيّة من معارف أخرى مستخدمًا قواعد استدلاليّة تحكمها مبادئ المنطق الاستنباطي.

د- الكفاية الإدراكيّة "Cognitive competence":

هي ملَكَة تُمكِّن مستعمل اللّغة الطّبيعيّة من توظيف المعارف التي يستخلصها من إدراك لمحيطه في إنتاج وفهم العبارات اللّغويّة.

هـ- الكفاية الاجتماعيّة "Social competence":

هي مجموع القواعد والمبادئ الاجتماعيّة التي تُمكِّن مستعمل اللّغة الطّبيعيّة من استعمال العبارة اللغويّة المناسبة بالنّظر إلى وضع مخاطَبِه وإلى الموقف التّواصلي وإلى الغرض المرُومِ تحقيقه.

كما اقترح الباحث (عزّ الدّين البوشيخي)كفاية سادسة،تضاف إلى الخمس السّابقة،سمّاها بـ"الطّاقة التّخيّليّة" لأنّه يَعُدُّ وجود معطيات لغويّة وافرة،كثيرًا ما يلجأ مستعمل اللّغة الطّبيعيّة إلى إنتاجها وتأويلها دون أن تكون إحدى هذه الطّاقات الخمس مسؤولة مباشرة عن إنتاجها أو تأويلها،ومن هذه المعطيات البنيات الشّرطيّة والبنيات المجازيّة والبنيات الاستعاريّة والبنيات الكنائيّة،والبنيات الرّمزية.[1]

وإجمالًا،يمكننا أن نلخّص علاقة القدرة التّواصليّة،بمجموعة كفاياتها،في المخطّط الآتي:

---

[1] ينظر:عزّ الدّين البوشيخي،التّواصل اللّغوي،مرجع سبق ذكره،ص91.وقد عرَّف الطّاقة التي تشرف على إنتاج هذه البنيات،بقوله: «الطّاقة التّخيّليّة هي الطّاقة التي تُمكِّن مستعمل اللّغة الطّبيعيّة من اختلاق صور افتراضيّة تنتمي إلى أحد العوالم الممكنة،ومن بناء وقائع متخيَّلة تنتمي إلى أحد العوالم الخياليّة لتحقيق أهداف تواصليّة محدّدة»،المرجع نفسه،ص92.

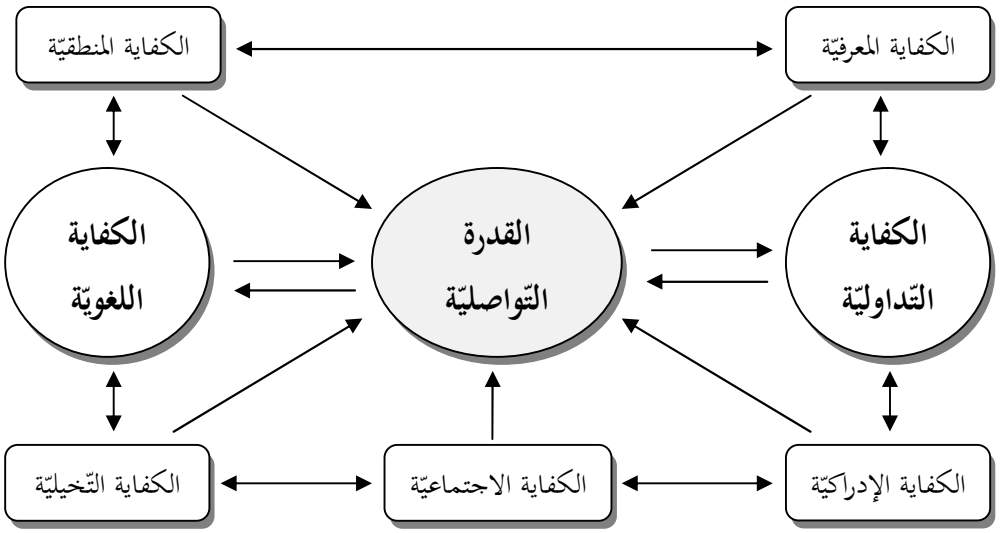

– مخطّط رقم03:يوضّح علاقة القدرة التّواصليّة بكفاياتها–

2-2- الخطاب وما يصاحبه من علامات غير لغويّة:

كثيرًا ما تظهر في الخطاب،بعض العلامات غير اللّغويّة المتفاعلة معه،حين يعمد المرسل في حالة التلفّظ بخطابه إلى أن يستثمر علامات معيّنة يدمجها ضمن خطابه،مستحضرًا في ذلك الظّروف المحيطة بإنتاج خطابه ومقصديّته،ومن بين تلك العلامات استعمال الإيماءات والإشارات المختلفة،كما قد يتدخّل في ذلك أيضًا النّبر والتّنغيم،وتسمّى هذه العلامات غير اللغويّة التي تصحب اللغة الطّبيعيّة في الاصطلاح الأجنبي،بـ "Paralanguage".[1]

وبذلك يتّضح أنّ؛الاستراتيجيّات الخطابيّة تتوسّط بين المهام التّواصلية المستنبَطَة من التّفاعل والقيود الاجتماعيّة وكذلك أهداف المشاركين في التّواصل،هذا من جهة،وبين الوسائل اللّغويّة (وغير اللّغويّة) الموضوعة لتحقيقها وتأليف بنيتها من جهة أخرى.[2]

2-3- تعريف الاستراتيجيّة الخطابيّة:

عرَّف الباحث (عبد الهادي بن ظافر الشّهري)،استراتيجيّة الخطاب،بأنّها:«المسلك المناسب الذي يتّخذه المرسل للتّلفّظ بخطابه،من أجل تنفيذ إراداته،والتّعبير عن مقاصده،التّي تؤدّي لتحقيق أهدافه،من خلال استعمال العلامات اللّغويّة وغير اللّغويّة وفقًا لما يقتضيه سياق التّلفّظ بعناصره المتنوّعة،ويستحسنه المرسل».[3]

بينما أطلق الباحث (محمّد يونس)،مصطلح "المسلك التّخاطبي"على مفهوم الاستراتيجيّة الخطابيّة؛حينما عرّفه بأنّه:«طريقة في التّعبير ترتبط بخطّة ذهنيّة بسيطة أو مركّبة ترمي إلى استثمار بعض المعطيات الوضعيّة أو السّياقية

---

[1] ينظر:عبد الهادي بن ظافر الشّهري،استراتيجيّات الخطاب،مصدر سبق ذكره،ج01،ص114.

[2] ينظر:فولفجانج وديتر،مدخل إلى علم لغة النّص،مرجع سبق ذكره،ص.ص269-270.

[3] عبد الهادي بن ظافر الشّهري،استراتيجيّات الخطاب،مصدر سبق ذكره،ج01،ص102.

أو القدرات المنطقيّة أو الأصول التّخاطبيّة أو الوسائل الخطابيّة المتاحة أو أكثر من نوع منها لتحقيق غاية أو أكثر من غايات التّخاطب».[1]

وإذا نظرنا في تعريفه هذا،نجده التّعريف نفسه الذي قدّمه سابقه من قَبل،ولكنّ الاختلاف بينهما يكمُن في الوضع الاصطلاحي فقط.

وقد وجدنا نصًّا في آثار (الإبراهيمي)،ذكر من خلاله مصطلح "المسلَك"،الذي نعني به "الاستراتيجيّة الخطابيّة" عندما طرح أمام من حضر خطابه،أسباب اتّخاذه لمسلك معيّن،بقوله:

«...لذلك كلّه **سَلَكْتُ في الكتابة مَسْلَكًا أدبيًّا** يستمدّ من الخيال أكثر ممّا يستمدّ من الحقيقة ويعتمد على الخطابة أكثر مما يعتمد على البرهان،ويرمي إلى إلهاب الحماس في نفوسكم أكثر ممّا يرمي إلى تقرير الحقائق فيها،فإن بلغتُ رضاكم بما تسمعون فذلك،وإن قصَّرتُ عن الغاية كان ضيق الوقت وسعة الموضوع شفيعي في التّقصير».[2]

في كلام (الإبراهيمي)،إقرار بوجود مصطلح "المسلَك"- بوعي واضح أو غير واضح-؛أي أنّ نوع المسلك،هو الكتابة الأدبيّة والآليّات المستعملة في ذلك،هي:التّخييل بدل الحقيقة،والخطابة بدل البرهان،والإقناع بدل الإخبار بالإضافة إلى إقراره لمفاهيم أخرى،من قبيل:هدف (أو غاية) الخطاب وموضوعه وسياقه؛فالمسلك والآليّة والغاية والموضوع؛هي العناصر الأساسيّة المكوّنة للاستراتيجيّة الخطابيّة.

ويُعَدُّ استحضار (الإبراهيمي) لهذه العناصر قبل البدء في إنتاج الخطاب،هو نتيجة تخطيط ذهني مسبق،نتج عن خلفيّة معرفيّة؛أي أنّها عمليّة تخطيط مسبقة واضحة المعالم،وليست عمليّة اعتباطيّة سِمَتُهَا الصّدفة فحسب.

وهذا ما يجعلنا نرجّح-كفرضيّة يقدّمها البحث-،بأنّ (الإبراهيمي) كان ينتقي استراتيجيّات خطابيّة محدَّدة،تحت مسمّى "المسالك"،ويوظّفها في خطاباته،بناءً على العناصر السّياقيّة التّداوليّة،التي سبق لنا الحديث عنها.

والدّليل الذي نقدّمه على تأكيد فرضيّتنا هذه -طبعًا ليست حُكمًا مُطلقًا-،هو توظيف (الإبراهيمي) لمصطلح "المسلك" في خطابات كثيرة،من بينها قوله التّالي:

«وقد توزّعتني الخواطر حين قمت:**أَأَسْلُكُ ما سَلَكَهُ الخطباء والشّعراء** من تمجيد أخينا بما هو أهله؟ ولو أنّي جريت في هذا المضمار وأسلس لي الكلام قياده،كان في ذلك الوفاء لأخينا المبجّل،والجفاء ليومنا الأغر المحجل،وإن أنا قمت بما يوجبه الوفاء ليوم القرآن قصّرت في حقّ أخ أعتقد أنّ ما قاله الشّعراء والخطباء في حقّه قليل...».[3]

فقول (الإبراهيمي):"وقد توزّعتني الخواطر حين قمت:أَأَسْلُكُ ما سَلَكَهُ الخطباء والشّعراء"،عبارة عن تصوّر ذهني واضح،لانتقاء مسلك خطابي معيّن،فذكره لمصطلح "المسلك"وتفريقه بين الخطابة والكتابة،مَبنيٌّ من حيث إنّهما يمثّلان شكلين خطابيين،ولكل منهما نظامه اللّغوي الخاص به،بتوجيه من القصد الذي يسعى إلى تحقيقه.

---

[1] محمّد يونس،تحليل الخطاب وتجاوز المعنى،مرجع سبق ذكره،ص.ص77-78.

[2] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره، ج01 (1929-1940)،ص.ص373-374.

[3] المصدر نفسه،ص.ص365-366.

وهذا ما عبّر عنه،الباحث (شكري فيصل)؛حينما قال:«ذلك أنّ الإبراهيمي فيما كتب أو حاضر كان حريصًا على شيئين:أحدهما غاية،والآخر طريق إلى تحقيق هذه الغاية».[1]

فالغاية هنا،هي مقصديّة الخطاب بشكل عام،وطريق تحقيقها،هو "المسلك الخطابي".

وبناءً على ما سبق،يقترح بحثنا تعريفًا للاستراتيجيّة الخطابيّة،على أنّها:عمليّة إنتاج خطاب،يعتمد فيها المرسل على تخطيط ذهني مسبق،ينعكس في اختيار المسلك الخطابي الأنسب،ويتجسّد في استثمار آليّات لغويّة وغير لغويّة معيّنة،بغية تحقيق أهداف ومقاصد معيّنة،في ظلّ سياق تداولي معيّن.

ولتبسيط مفهوم الاستراتيجيّة الخطابيّة،نمثّل لها من خلال المخطّط التّالي:

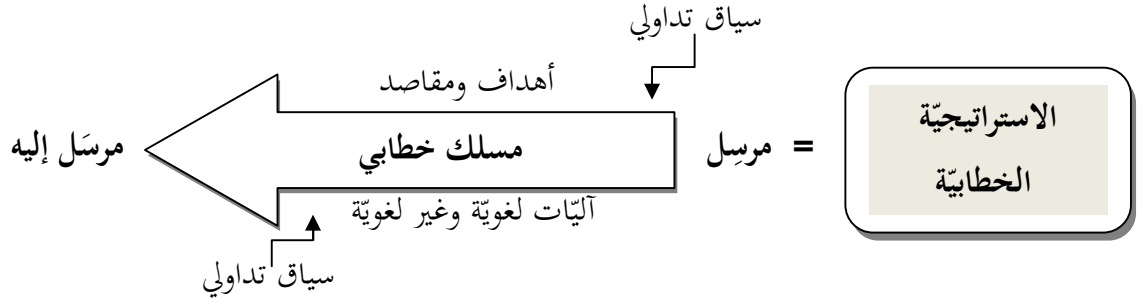

– مخطّط رقم 04:يوضّح مفهوم الاستراتيجيّة الخطابيّة–

ومنه يمكن القول،إنّ الاستراتيجيّة الخطابيّة هي إجراء مُكوَّن من مرحلتين مهمّتين،بوصفها عمليّة ذهنيّة،في مرحلة إنتاج الخطاب الأولى وبوصف الخطاب تجسيدًا لها،في مرحلتها الأخرى؛إذ لا تتّضح إلّا بالتّلفّظ به،ويرتكز التّلازم بين هذين الوجهين فيها،من خلال إنتاج الخطاب عبر خطوات تكُون الأسئلة السّياقية المتوالية هي أساسها،فهي تربط بين الخطاب من جهة وبين السّياق التّداولي من جهة أخرى،وعليه يمرّ إنتاج الخطاب –وفقَ المقاربة التّداوليّة–بثلاث مراحل أساسيّة،هي:

1– «إدراك السّياق الذي يجري فيه التّواصل بكل أبعاده المؤثّرة.

2– تحديد العلاقة بين السّياق والعلامة المستعمَلة؛ليتمّ اختيار الاستراتيجيّة الخطابيّة الملائمة.

3– التّلفّظ بالخطاب».[2]

---

[1] شكري فيصل،قضايا الفكر في آثار الإبراهيمي،ضمن كتاب،الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي بأقلام معاصريه،دار الأمّة–الجزائر؛ ط02:1433هـ/2012م،ص168.وننبّه إلى أنّ هذا الكتاب ما هو إلّا إعادة طبع،لعدد خاصّ بمناسبة الذّكرى (20) لوفاة (الإبراهيمي)،مجلّة الثّقافة،وزارة الثّقافة والسّياحة،الجزائر،السنة15؛ ع87:شعبان–رمضان1405هـ/مايو–يونيو1985م.

[2] عبد الهادي بن ظافر الشّهري،استراتيجيّات الخطاب،مصدر سبق ذكره،ج01،ص103.

فالمرحلة الأولى،عبارة عن عمليّة ذهنيّة،تحضر قبل أو أثناء التّلفّظ بالخطاب؛حيث تنعكس في مجموعة تصوّرات ذهنيّة،يقدّمها المرسل،في شكل إجابات،عن عدّة تساؤلات سياقيّة تداوليّة،بناءً على ما يمتلكه من قدرة تواصليّة وبحسب نوعيّة السّلطة الحاضرة لحظة إنتاج الخطاب،وبالإضافة إلى المقصديّة الخطابيّة التي يَرُومُ تحقيقها.(*)

وبما أنّ القصد من الاختيار،هو ذلك الاختيار اللّغوي الشّكلي،ولهذا يوصف بأنّه مزيّة،فبغيابه «يُحرَمُ الخطاب من اتّصافه بالبُعدِ الاستراتيجي،إذ يبدو بدونها أشبه ما يكون عملًا إلزاميًّا لا خيار لمرسله فيه،ممّا يُؤذِنُ بغياب التّأهيل اللّازم لإنتاج الخطاب في كفاءته التّداوليّة،ولذلك يصبح الخطاب في تجلّيه اللّغوي علامة على استراتيجيّته فهي محَطّ تركيز عناية المرسل،عند إنتاج خطابه بما يناسب سياق التّلفّظ».(1)

وبما أنّه لا ينعدم أيّ خطاب مهما كان نمطه وموضوعه،من استراتيجيّة معيّنة تجسّد أهدافه ومقاصده،لهذا يكون تفعيل هذه الاستراتيجيّة من طرف المرسل بوعي تامّ بها أو من غيره،حين تتمظهر هذه الاستراتيجيّة في أحد المستويات اللغويّة الأربعة:الصّوتي،والتّركيبي،والدّلالي،والمعجمي؛كما يمكنها أن تظهر في مستويين أو أكثر.(2)

ولهذا يجب التّمييز بين أمرين قد يلتبس أحدهما بالآخر أحيانًا وهما:تطوّر (الخطاب/النّص) أو سيرورته من ناحية واستراتيجيّته من ناحية أخرى،فالتّطوّر هو حركة التّلفّظ ذاتها التي تنتج المعاني في تفاعلها مع الموضوع ومع المحيط والظّروف وترتّبها وتمثّلها وتستوعبها بشكلٍ واعٍ أو لا واعٍ لا فرق،وأمّا الاستراتيجيّة فهي عمليّة تنظيم عملي يخضع لها المرسل خطابه راصدًا بواسطتها وسائل مختلفة لخدمة غايات ومقاصد معيّنة،فتكون تبعًا لذلك عمليّة واعية خطّط لها المرسل بشكل دقيق وباختيار موجَّه تحكمه نتائج الخطاب ومقاصده التّداوليّة.(3)

ثالثا– معايير تصنيف استراتيجيّات الخطاب:

بما أنّ أيَّ خطاب طبيعي لا يخرج عن إطار بعض المسَلَّمَات،التي من أهمها:(4)

1– مُسَلَّمَة الحواريّة،مقتضاها أنّه لا كلام مُفيد إلّا بين اثنين،لكلّ منهما مَقامَان هما مقام المتكلّم ومقام المستمع.

2– مُسَلَّمَة التباسيّة الخطاب الطّبيعي،مقتضاها أنّ الخاصّية المميّزة للخطاب،هي اللّغة الطّبيعيّة،والتي بدورها تتميّز بخاصيّة "الالتباس"الذي يعكس مزيّة فيها،حينما يكسبها الطّواعية الكافية لجعلها تستجيب لأغراض التّبليغ التي لا تُحصَى.

يفهم من هاتين المسلَّمتين؛أنّ أيَّ خطاب طبيعي لا يتأسّس إلّا عن طريق تحقيق أحد العناصر الثّلاثة،التي عبَّر عنها المخطّط التّالي:

(*) يمكن أن تتجسّد الأسئلة المثارة في الأدوات الاستفهاميّة التّالية:"من؟ ماذا؟ متى؟ أين؟ كيف؟"؛حيث تُطرَح بشكل عفوي،يدعو إلى اختيار استراتيجيّة (أو استراتيجيّات) محدّدة،وللتوسّع في آليّات اشتغال هذه الأدوات؛ينظر:عبد الهادي بن ظافر الشّهري،استراتيجيّات الخطاب،مصدر سبق ذكره،ج01،ص.ص104-107.

(1) المصدر نفسه،ص108.

(2) ينظر:"استراتيجيّة الخطاب في المستويات اللغويّة" موضّحة بأمثلة تطبيقيّة،المصدر نفسه،ص.ص109-113.

(3) ينظر:سامية الدّريدي،الحِجَاج في الشّعر العربي،مرجع سبق ذكره،ص87.

(4) ينظر:طه عبد الرّحمان،في أصول الحوار وتجديد علم الكلام،مرجع سبق ذكره،ص99.

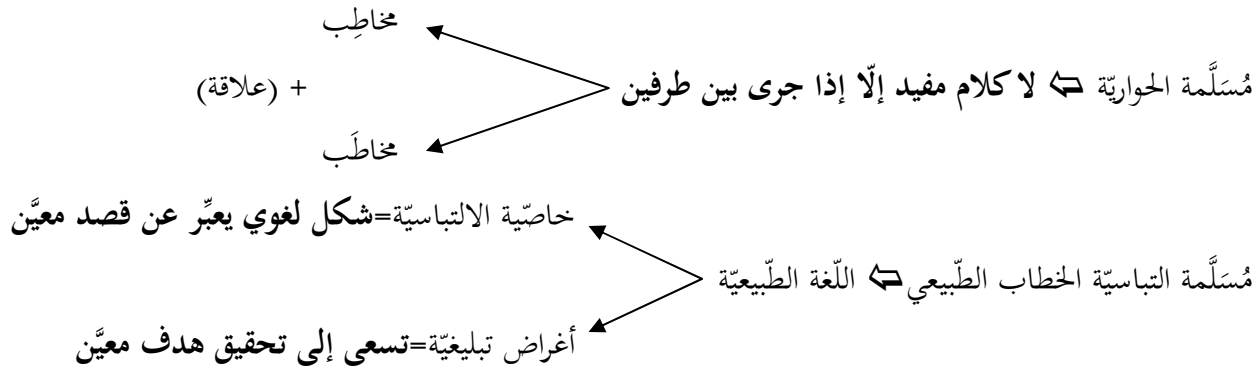

– مخطّط رقم05:يوضّح عناصر أهم المُسَلَّمَات الخطابيّة–

وتأسيسًا على هذا،يمكن للمرسل أن يبنيَ خطابه وفقَ استراتيجيّات خطابيّة متباينة في آليّاتها؛حيث يفرض عليه السّياق التّداولي،أن يختار استراتيجيّة بحدِّ ذاتها أو أكثر.

وعليه تغدُو هذه العناصر الثّلاثة معاييرًا لتصنيف الاستراتيجيّة التّي يراعيها المرسل عند إنتاج خطابه؛ممّا يؤصِّل علاقة الاستراتيجيّات بمعطيات إنتاج الخطاب؛أي بعناصر السّياق التّداوليّة التي نتَجَ فيها،وكذلك بالتّفاعل أو العلاقة بين طرفيه،ومن ثمّ علاقة الخطاب ذاته بالمرسل،لإدراك الآليّات المستعملة فيه،عندئذٍ يمكن تقسيم تلك المعايير،إلى:

1– «معيار اجتماعي،وهو:معيار العلاقة التّخاطبيّة.

2– معيار لغوي،وهو:معيار شكل الخطاب،من حيث دلالته على قصد المرسل،سواء بالدّلالة المباشرة أو بالتّلميحيّة.

3– معيار هدف الخطاب».[1]

3–1– معيار العلاقة بين طرفي الخطاب:

من الطّبيعي أنّ وجود علاقة بين طرفي الخطاب يسبق وجود الخطاب في حدِّ ذاته،ولذا تُعَدُّ تلك العلاقة من المؤثّرات السّياقيّة التّداوليّة ذات الدّور المهمّ في تشكيل الخطاب،حين يعمَدُ المرسل إلى اختيار الاستراتيجيّة التي توافق مقاصده والظّروف المحيطة بإنتاج خطابه،مستحضرًا في كلّ ذلك خصوصيّة علاقته بمستقبِل خطابه.

وفي حال انعدامها؛فإنّه يسعى إلى تأسيسها ضمن الصّيغة اللّغويّة لخطابه،دون أن نتجاهل الدّور الفعّال،الذي يقدّمه السّياق الاجتماعي والثّقافي،في تأسيس العلاقات بين الأشخاص بناءً على ما يشتركون فيه من خصائص اجتماعيّة وثقافيّة ولغويّة...إلخ،بالإضافة إلى مستوى الحوار ونوعه الذي يجري بين طرفي الخطاب؛حيث نجد له تأثيره هو الآخر في تحديد نوعيّة العلاقة الشّخصيّة بين المتخاطبين؛إذ يعكس خصائص البنية اللّغويّة للخطاب في ظلّ سياقها التّواصلي.

[1] عبد الهادي بن ظافر الشّهري،استراتيجيّات الخطاب،مصدر سبق ذكره،ج01،ص130.

ويمكن أن تستقرّ العلاقة المسبقة بين طرفي الخطاب على محورين،هما: [1]

– محور العلاقة التّكافؤيّة.

– محور العلاقة التّراتبيّة السُّلَّميَّة.

3-1-أ- محور العلاقة التّكافؤيّة:

تتبلور العلاقة التّكافؤيّة،في أكثر من خصّيصة؛من قبيل:خصائص الدِّين،والمهنة...إلخ،كما تندرج العلاقات العاطفيّة تحت هذا المحور،فتكون نوعيّة العلاقة مثلًا؛علاقة وُدّ،أو علاقة صَدّ،علاقة قُرب أو بُعد،ومنه يكون الخطاب سِمَةً تعكس طبيعة وخصوصيّة هذه العلاقات،على أنّه قد يُنتِجُ المرسل خطابًا في سياق معيّن لا تربط بين طرفيه أيّة علاقة مسبقة،ليتكفّل الخطاب بإيجاد هذه العلاقة من خلال توظيف اللّغة،ولهذا فإنّ عدم وجود العلاقة المسبقة يصبح عنصرًا له دوره في اختيار الاستراتيجيّة الخطابيّة.[2]

3-1-ب- محور العلاقة التّراتبيّة السُّلَّميَّة:

تتجسّد العلاقة التّراتبيّة السُّلَّميَّة،في علاقة الأشخاص بعضهم ببعض،وفقَ مراتب تصاعديّة وتنازليّة،ممّا يجعلهم ينتمون إلى ترتيب سُلَّمي يقع كل طرف من طرفي الخطاب في إحدى درجاته؛سواء أكان سُلَّمًا اجتماعيًا،أم سُلَّمًا وظيفيًا،وهذا ما يتوجّب على المرسل استحضاره،كما تسهم درجة العلاقة التّراتبيّة السُّلَّميَّة في توجيه المرسل لبلورتها في خطابه متأثّرا بدرجة التّقارب،أو بدرجة التّباعد في تحديد استراتيجيّة الخطاب.[3]

وتجدر الإشارة إلى أنّ هاتين العلاقتين،لا تنفصلان عن بعضهما،فقد تتداخلان في أحيان كثيرة،ربما في الخطاب الواحد،بحسب لغة ذلك الخطاب وموضوعه،وبحسب مقاصد المرسل الخاضعة للسّياق التّداولي.

وبما أنّ العمليّة التّخاطبيّة التّواصليّة،عبارة عن «بنية تفاعليّة تقوم على ضربين من المبادئ:مبادئ تواصليّة وأخرى تعامليّة».[4]

يمكن أن يستند المرسل إلى مجموعة من المبادئ أثناء إنتاج خطابه،وفقًا لما تقتضيه خاصّية العلاقة بينه وبين المرسل إليه؛حيث تُعرَفُ هذه المبادئ بـ "المبادئ التّخاطبيّة"،وهي عند المهتمّين بالدّرس التّداولي،خمسة أقسام: "مبدأ التّعاون"،و"مبدأ التأدّب"،و"مبدأ التّواجه"،و"مبدأ التّأدّب الأقصى"،وأخيرًا "مبدأ التّصديق".

---

[1] يطلق عليهما الباحث (عبد الهادي بن ظافر الشّهري)،تسمية:العلاقة الأفقيّة،والعلاقة العموديّة؛ينظر:عبد الهادي بن ظافر الشّهري،استراتيجيّات الخطاب،مصدر سبق ذكره،ج01،ص132. وسنكتشف كيفيّات تَمَظهُر هذين المحورين في الاستراتيجيّات الخطابيّة لدى (الإبراهيمي)،في مراحل قادمة من البحث.

[2] ينظر:المصدر نفسه،الصّفحة نفسها.

[3] ينظر:المصدر نفسه،ص.ص132-133.

[4] طه عبد الرّحمان،اللّسان والميزان أو التّكوثر العقلي،مرجع سبق ذكره،ص253.

– المبادئ التّخاطبيّة "Principles of discourse":

1– مبدأ التّعاون "The cooperative principle":

عُرِفَ هذا المبدأ في اللسانيّات التّداوليّة،لدى (غرايس–P.Grice)؛بناءً على مفهوم الممارسة اللّغويّة عنده،فهي نشاط عقلاني يهدف إلى التّعاون ما بين المتخاطبين،لذلك كان لابدَّ من افتراض توجيهات أو قواعد صادرة عن اعتبارات عقليّة،تدير السّلوك التّخاطبي وتجعله فعّالًا وناجحًا.[1]

ولهذا السّبب،شغلته عدّة عناصر تمثّل نقاط تفاهم بين المرسِل والمرسَل إليه،صاغها في شكل تساؤلات من بينها: كيف يقول المخاطِب شيئًا وقد يعني به شيئًا آخر؟ ثمّ كيف يتلقّى المخَاطَبُ شيئًا وقد يفهمه شيئًا آخر؟.

إلى أن وجد حلًّا لهذا الإشكال فيما سمّاه بـ"مبدإ التّعاون "بين المخاطِب والمخاطَب،ينصّ على مايلي:«اجعل مشاركتك على النّحو الذي يتطلّبه في مرحلة حصولها،الغرض أو المآل المسَلَّم به من التّخاطب المعقود».[2]

2– مبدأ التّأدّب "Principle of politeness":

وأمّا المبدأ الثاني الذي تنبني عليه العمليّة التّخاطبيّة،هو"مبدأ التأدّب" الذي أوردته (لاكوف– R.Lakoof) وتكمُن صيغة هذا المبدأ في عبارة **"لِتَكُنْ مُأَدَّبًا"**،كما يقضي هذا المبدأ بأن يلتزم المتكلِّم والمخاطَب،في تعاونهما على تحقيق الغاية التي من أجلها دخَلَا في الكلام،من ضوابط التّهذيب ما لا يقلّ عمّا يلتزمان به من ضوابط التّبليغ.[3]

وعليه فرّعت (لاكوف– R.Lakoof) مبدأها،إلى «القواعد التّهذيبيّة الثّلاث الآتية:

- قاعدة التعفّف،ومقتضاها هو:**لا تفرض نفسك على المخاطَب.**
- قاعدة التّشكّك،ومقتضاها هو:**لتجعل المخاطَب يختار بنفسه.**
- قاعدة التّودّد،ومقتضاها هو:**لتُظهِر الودّ للمخاطَب**».[4]

---

[1] ينظر:عادل فاخوري،**الاقتضاء في التّداول اللّساني**،مجلّة عالم الفكر،المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب،الكويت؛ع03: أكتوبر1989م،ص146.

[2] المرجع نفسه،الصّفحة نفسها.وتندرج تحت هذا المبدأ الشّامل،مبادئ فرعيّة،تصنَّف إلى أربع مقولات،هي:"الكمّية،والكيفيّة والإضافة،والجهة"؛إذ تكمُن أهمّيتها،في أنّها تسمح باستدلالات تتجاوز المحتوى الدّلالي للعبارات التي يُتَلَفَّظُ بها،ولذلك خُصَّت هذه الاستدلالات باسم"الاقتضاء التّخاطبي–Implicature Conversations"،تمييزًا لها عن الاستلزام المنطقي،فالاقتضاء عند (غرايس–P.Grice) يعتمد–بالإضافة إلى المضمون– على مطالب معيّنة تتعلّق بطبيعة التّخاطب القائمة أساسًا على التّعاون ينظر:المرجع نفسه،ص.ص147–148. وينظر أيضًا:

Paul Grice ,Studies in the Way of Word ,Harvad University Press Cambridge, Massachusetts;London,England :1991,p.p24–40.

[3] Robin LAKOFF :The Logic Politeness:or,Minding Your and Qs,in Papers from The Ninth Regional Meeting Chicago Linguistic Society;Chicago:1973,pp292–305.

نقلًا عن:طه عبد الرّحمان،اللّسان والميزان أو التّكوثر العقلي،مرجع سبق ذكره،ص240.

[4] المرجع نفسه،ص.ص240–241.

3- مبدأ الوجه "The principle of the face":

وبالنّسبة للمبدأ التّداولي الثالث الذي ينضبط به التّخاطب،فهو ما يُعرَفُ بـ"مبدإ الوجه" عند كلّ من (براون-P.Brown) و(ليفنسون- S.Levinson)؛حيث يُعرَف بالصّياغة التّالية:**"لِتَصُنْ وَجْهَ غَيْرِكَ"**؛كما ينبني هذا المبدأ على مفهومين أساسيّين،أحدهما مفهوم "الوجه"،والثّاني مفهوم "التّهديد" الذي هو نقيض "الصّيانة":[1]

- أمّا الوجه:فهو عبارة عن الذّات التي يدّعيها المرء لنفسه والتي يريد أن تتّحد بها قيمته الاجتماعيّة،وهو على ضربين:"وجه دافع" أو"سلبي"،و"وجه جالب" أو"إيجابي".

- أمّا الوجه الدّافع،فهو أن يريد المرء أن لا يعترض الغير سبيل أفعاله أو هو "إرادة دفع الاعتراض".

- وأمّا الوجه الجالب،فهو أن يريد المرء أن يعترف الغير بأفعاله أو هو "إرادة جلب الاعتراف"؛فتكون المخاطَبة هي المجال الكلامي الذي يسعى فيه كلّ من المتكلّم والمخاطَب إلى حفظ (ماء) وجهه بحفظ (ماء) وجه مخاطَبه.

- وأمّا عن التّهديد،من الأقوال التي تنزل في التّداوليّات منزلة "أعمال"،ما يهدّد الوجه تهديدًا ذاتيًّا:

- وهي الأقوال التي تعوق بطبيعتها إرادات المستمع أو المتكلّم في دفع الاعتراض.

- أمّا عن المستمع فإنّ الأقوال التي تهدّد وجهه الدّافع قد تكون أقوالًا تحمله على أداء شيء نحو "الأمر" و"الطّلب" و"النّصح"و"التّذكير"و"الإنذار"...،وقد تكون أقوالًا تحمل المتكلّم على القيام بشيء يلزم المستمع قبوله أو ردّه مثل "العرض"و"الوعد".

- وقد تكون أقوالًا تعبّر عن رغبة للمتكلِّم تدعو المستمع إلى حفظها كـ"التّهنئة"و"الإعجاب".

- أمّا الأقوال التي تهدّد الوجه الجالب للمستمع،فقد تكون أقوالا تعبِّر عن التّقويم السّلبي مثل "الذّمّ"و"السّخرية"أو تكون أقوالًا تعبِّر عن عدم الاكتراث مثل "التّعرّض" لكلام المخَاطِب قبل أن يُفهِمَ مُرادَه أو"قطع"كلامه قبل أن يتمّه.

- وأما المتكلّم،فمن الأقوال التي تهدّد وجهه الدّافع،"الشّكر"و"قبول الشّكر"؛ومن الأقوال التي تهدّد وجهه الجالب "الاعتذار"و"الإقرار"و"النّدم".

ومن ثمّ اقترح (براون-P.Brown) و(ليفنسون- S.Levinson) مجموعة من الخطط التّخاطبيّة المناسبة،التي تضمن للعمليّة التّخاطبيّة التّواصليّة نجاحها،من دون إراقة (ماء) الوجه،أو تسهم على الأقل في التّقليص من حِدَّة التّهديد؛حيث تتحقّق هذه الخطط (أو الاستراتيجيّات)،بواسطة صيغ تعبيريّة معلومة،«يختار المتكلِّم منها ما يراه مناسبًا لقوله ذي الصّبغة التّهديديّة؛وهذه الخطط الخمس،هي:

أ- أن يمتنع المتكلِّم عن إيراد القول المهدِّد.

ب- أن يصرّح بالقول المهدِّد من غير تعديل يخفّف من جانبه التّهديدي.

ج- أن يصرّح بالقول المهدِّد مع تعديل يدفع عن المستمع الإضرار بوجهه الدّافع.

---

[1] Penelope BROWEN and Stephen LEVINSON:Universals in Language use:Politeness phenomena,in GOODY,Esther,N:Questions and Politeness,Cambridge University Press:1978,p p 56-289.

نقلًا عن:طه عبد الرّحمان،اللّسان والميزان أو التّكوثر العقلي،مرجع سبق ذكره،ص243.

د- أن يصرّح بالقول المهدِّد مع تعديل يدفع عن المستمع الإضرار بوجهه الجالب.

هـ- أن يؤدّي القول بطريق التّعريض،تاركًا للمستمع أن يتخيَّر أحد معانيه المحتمَلَة».[1]

4- مبدأ التأدّب الأقصى (The principle of maximum politeness):

طرح (ليتش-G.Leech)،مبدأه المسمّى بـ "مبدإ التأدّب الأقصى"،واشترط فيه أن يكون المتكلّم أكثر تأدّبًا في الإحالة إلى قرينة المخَاطَب أكثر من إحالته إلى قرينته هو ذاته،وعليه فرّع قواعد فنّ التأدّب والكِياسَة،في شكل ثنائيّات كما يلي:[2]

1- قاعدة فن التّأدّب،(في أمر الوجوب والإباحة).

أ- تقليل الخسارة للآخر،[ب تكثير الرّبح للآخر].

2- قاعدة الجُود والكرَم،[ب في أمر الوجوب والإباحة].

أ- تقليل الرّبح للذّات،[ب: تكثير الخسارة للذّات].

3- قاعدة الاستحسان،[ب:التّعبيرية والتّأكيد].

أ- تقليل التّنقيص من الآخر،[ب:تكثير إطراء الآخر].

4- قاعدة التّواضع،[ب:التّعبيريّة والتّأكيد].

أ- تقليل الإطراء عن الذّات [ب:التّنقيص من الذّات].

5- قاعدة الموافقة (التّأكيد).

أ- تقليل الاتّفاق بين الذّات والآخر.

ب- [تكثير الموافقة بين الذّات والآخر].

6- قاعدة التّعاطف (التّصديق).

أ- تقليل التّنافر والعداوة بين الذّات والآخر.

ب- [تكثير التوادّ والتّعاطف بين الأنا والآخر].

5- مبدأ التّصديق (The principle of ratification):

أمّا المبدأ التّداولي الخامس،فهو ما يسمّيه (طه عبد الرّحمان) بـ "مبدإ التّصديق" واعتبار الصّدق والإخلاص؛حيث استقى هذا المبدأ من التّراث الإسلامي في صور مختلفة منها "مطابقة القول للفعل"و"تصديق العمل للكلام"،بعد أن صاغه في عبارة جامعة،هي **"لَا تَقُلْ لِغَيْرِكَ قَوْلًا لَا يُصَدِّقُهُ فِعْلُكَ"**،كما ينبني هذا المبدأ على عنصرين اثنين:

---

[1] طه عبد الرّحمان،اللّسان والميزان أو التّكوثر العقلي،مرجع سبق ذكره،ص244.

[2] ينظر:جيوفري ليتش،مبادئ التّداوليّة؛تر:عبد القادر قنيني،أفريقيا الشّرق،الدّار البيضاء-المغرب؛ط03:2013م،ص174. وقد نبّه،إلى وجوب مراعاة هذه المبادئ،وفقَ درجة معيّنة،ولا تؤخَذُ بالضّرورة كقواعد مُطلَقَة،وبخاصّة فروعها؛ينظر:المرجع نفسه،ص176.

أحدهما،"نقل القول" الذي يتعلّق بما سمّاه بالجانب التّبليغي من المخاطَبة،والثاني "تطبيق القول" الذي يتعلّق بما سمّاه بالجانب التّهذيبي منها.[1]

وإذا تمعنّا فيما ذكرناه سابقًا عن المبادئ التّخاطبيّة،يتّضح لنا أنّ المخاطِب،تتكوّن علاقته بالمخاطَب،عن طريق احتمالين اثنين؛أوّلهما:في محاولة تودّد المخاطِب بمستقبِل خطابه،وثانيهما:في تجاهل هذا الأمر وخلوّه من خطابه؛إذ ينعكس أحد الاحتمالين في اختيار استراتيجيّة خطابيّة محدّدة،تُعنَى بتجسيد هذا المعيار الاجتماعي لغويًّا من خلال أدوات معيّنة وآليّات مختارة،وهاتان الاستراتيجيّتان هما:**الاستراتيجيّة التّضامنيّة والاستراتيجيّة التّوجيهيّة**.[2]

3-2- معيار شكل الخطاب:

قد تكشف مختلف الأشكال الخطابيّة،عن ظروف إنتاجها،ومقصديّة مرسلها،ونمطها الغالب؛كي يُسَمَّى الخطاب باسمه[*]،وفي بعض الأحيان،يمكنها أن تتجاوز كل العناصر،لتكشف عن هويّة المتلقّي.

وتبقى العلاقة بين شكل الخطاب ومقصديته،ليست بالضّرورة المطلقة متلازمة دومًا؛أي أنّ شكل الخطاب ما هو إلّا انعكاس لمقاصد المرسل،فَهُمَا بين احتمال المطابقة من عدمها،كما يتولّد عن علاقتهما مسلكَان،أين يختار المرسل أيَّ واحد منهما بحسب رغبته ووفقًا للبوح عن مقاصده وتأثيرات السّياق التّداولي عليها؛حيث يتجسّد كل مسلك في خطّة خطابيّة معيّنة،هي ما نسمّيها بـ"الاستراتيجيّة الخطابيّة".

وبالتّالي يمكن القول؛إنّه وفقَ معيار الشّكل اللّغوي للخطاب،قد «يتوفّر للمرسل استراتيجيّتان؛هما:

- **الاستراتيجيّة المباشرة**.
- **الاستراتيجيّة التّلميحيّة (غير المباشرة)**».[3]

فإذا طابق الشّكل اللّغوي للخطاب مقاصده،تكون معانيه الظّاهرة والضّمنيّة متقاربة إلى حدٍّ مَا،وهذا ما تكشفه آليّاته الموظَّفَة،عندها يمكننا الحُكم على مرسله بأنّه استعمل استراتيجيّة مباشرة،بينما إذا لم يتطابق الشّكل مع القصد وكان للخطاب دلالة ضمنيّة غامضة،تميّزت بالتّلميح والتّعريض،وهذا أيضا تكشفه آليّاته المستعمَلة،نقول عندئذٍ إنّ مرسله،قد استخدم الاستراتيجيّة التّلميحيّة.

ولا شكّ أن المرسل عندما يريد أن يستعمل الاستراتيجيّة المباشرة (أو التّصريحيّة)،فإنّه يعتمد على آليّات لغويّة وغير لغويّة معيّنة يسعى لانتقائها من بين آليّات كثيرة،كما تتمايز هذه الآليّات في استعمالها من مستوى لغوي إلى آخر.

---

[1] ينظر:طه عبد الرّحمان،اللّسان والميزان أو التّكوثر العقلي،مرجع سبق ذكره،ص249.وللتوسّع أكثر في هذا المبدأ؛ينظر:المرجع نفسه،ص.ص249-253.و"نقده للمبادئ الأربعة الأولى"،ص.ص239-249.وكذا "أوجه المفاضَلة بينها"،ص253.

[2] ينظر:عبد الهادي بن ظافر الشّهري،استراتيجيّات الخطاب،مصدر سبق ذكره،ج01،ص.ص158-159. وسندرس هاتان الاستراتيجيّتان بشكل تطبيقي،في الفصلين الثّاني والثّالث من البحث.

[*] ناقش الباحث (عبد **الله** العشي)،الطَّرح ذاته،عندما تحدّث عن علاقة الشّكل الخطابي بتسميته وأيّهما الأولى؛حينما سلّط الضّوء على أصل تسمية ما يُعرَفُ بـ"خطاب الشّهادة"؛ينظر:عبد **الله** العشي،زحام الخطابات،مرجع سبق ذكره،ص164.

[3] عبد الهادي بن ظافر الشّهري،استراتيجيّات الخطاب،مصدر سبق ذكره،ج01،ص162.

3-3- معيار هدف الخطاب:

إنّ الهدف الذي يحدّده الخطاب،يُتَرجَمُ في شكله اللّغوي،بناءً على ما يمتلكه مرسله من كفاية تداوليّة،في ظل سّياق تداولي خاص،ولهذا تختلف الأهداف الخطابيّة من خطاب إلى آخر،وربّما «لا تكتسب بعض الخطابات هويّتها من شكلها،بل قد تكتسبها من مقصديّتها».[1]

وعليه،كثيرًا ما يختلط الأمر بين مفهومي القصد والهدف؛لما لهما من ترادف دلالي في الظّاهر،وما لهما من علاقة مباشرة بالخطاب،ولذا ينبغي التّفريق بينهما،فلكلّ منهما وظيفته الخاصّة داخله.

3-3-1- الفرق بين القصد والهدف في الخطاب:

إنّ القصد في الخطاب،«له جانبان هما:

- حصول الإرادة بالتلفّظ عند المرسل،فلا يكون كلامه غفلًا أو سهوًا.
- معنى الخطاب كما يريده المرسل،لا كما هو في البداية المنطقيّة فحسب.

أمّا الهدف فهو ما نسعى إلى تحقيقه بأفعالنا،وما هذه الأفعال إلّا الأفعال اللّغويّة التي يجسّدها المرسل في الخطاب ويمثّل الخطاب نشاطًا تواصليًّا،موجَّهًا إلى تحقيق هدف».[2]

وعليه،يُعتَبَرُ الهدف في الخطاب،نواةً للعمليّة التّخاطبيّة التّواصليّة؛فلا يوجد خطاب يخلُو من هدف مُحدَّد يَودُّ تحقيقه مسبقًا،كما يُعَدُّ عنصرًا مهمًّا من عناصر التّأثير في اختيار الشّكل الخطابي الأنسب؛أي أنّ له انعكاسًا مباشرًا على ترشيح الاستراتيجيّة الخطابيّة اللّائقة،ذات الآليّات اللّغويّة وغير اللّغويّة المؤهّلة،التي تضمن وجوده وسيرورته.

3-3-2- مكوّنات الهدف في الخطاب:

يتكوّن الهدف في الخطاب من مستويين اثنين؛نفعي وكلّي:

«فالمستوى النّفعي يقع خارج الخطاب،وهو الغاية الفعليّة التي يريد المرسل أن يحقّقها؛مثل:تحقيق الأهداف الاجتماعيّة كالمصالحة بين متخاصمين،أو الأهداف التّعليميّة مثل تنمية قدرات الطلّاب[...].

أمّا المستوى الكلّي فيتجسّد في الفعل اللّغوي الذي يمارسه المرسل من خلال عمليّة التّلفّظ بالخطاب،بِغَضِّ النّظر عمّا إذا نجح في تحقيق الهدف النّفعي أم لا،وهو الخطوة الضّروريّة التي يتوصّل بها المرسل إلى تحقيق الهدف الأوّل».[3]

3-3-3- ما الذي جعل هدف الخطاب معيارًا مهمّا في تصنيف الاستراتجيّات الخطابيّة؟:

إنّ الأسباب التي أهّلت هدف الخطاب،إلى أن يكون معيارًا مهمًّا من معايير تصنيف الاستراتيجيّات الخطابيّة تكمُن في النّقاط الثّلاث التّالية:

- «أوّلًا:الهدف يتّصف بأنّه عام،فقد يحقّق به المرسل أكثر من هدف نفعي،وهذا ما يجعل منه معيارًا لتسمية الاستراتيجيّة باسمه،إذ يستعملها المرسل في خطابه،سواء أكان خطابه هذا اجتماعيًّا،أم سياسيًّا أم غيره وهذا ينعكس

---

[1] عبد الله العشي،زحام الخطابات،مرجع سبق ذكره،ص151.

[2] عبد الهادي بن ظافر الشّهري،استراتيجيّات الخطاب،مصدر سبق ذكره،ج01،ص196.

[3] المصدر نفسه،ص.ص196-197.

على تصنيف الخطاب حسب استراتيجيّته،بدلًا من تصنيفه حسب حقله،ولذلك يمكن أن نسمّي الاستراتيجيّة باستراتيجيّة التّبرير،أو استراتيجيّة الاعتذار،أو استراتيجيّة الإقناع،إذ يمكن أن يستعمل المرسل أيًّا منها حسب هدفه في خطابه،بغضّ النّظر عن حقله،وبالتّالي يمكن أن يوصف الخطاب بأنّه خطاب اعتذاري أو تبريري أو إقناعي[...].

– ثانيًا:لأنّ المرسل يُعِدُّ استعمال الاستراتيجيّة حسب هدف الخطاب من باب الممكن،فهو يبتغي تحقيق ذلك الهدف في خطابه،ولذلك فإنّه يوظّف اللّغة جاهدًا،حسب ما يتناسب مع السّياق،بالرّغم من أنّه لا يملك تحقيق الهدف النّفعي[...].

– ثالثًا:أنّ المرسل لا يصرّح بهدف الخطاب الذي يريد تحقيقه،إلّا فيما ندر،فهو ينجزه عبر استراتيجيّة تتكامل فيها آليّات كثيرة،يسعى المرسل إلى توظيفها»[1]،بواسطة قدرته التّواصليّة.

وتكمُنُ أولويّة هدف الخطاب،عندما يُعطِي المرسل للهدف المرجو من خطابه،أولويّة أثناء إنتاج ذلك الخطاب في سياقات معيّنة؛حيث يغلِّب عناصر على حساب عناصر أخرى،مثلما يفعله المرسل إذا كان خطابه توجيهيًّا؛إذ تشكّل أفعال التّوجيه أهم عنصر في خطابه،كاستعمال صيغ:الأمر،والنّهي،والإغراء...إلخ.

3-3-4- أنواع الهدف في الخطاب:

تتفاضل وتتباين الاستراتيجيّات الخطابيّة فيما بينها من حيث نسبة تحقيق الهدف في الخطاب،وأيضًا من حيث تفعيله من خلال مراحل إنتاج الخطاب وسياقاته التّداوليّة.

فقد «يحقّق المرسل هدفه بخطوة خطابيّة واحدة،فيصل إليه بمجرّد التّلفّظ بالخطاب،وقد يكون الأمر أكثر تعقيدًا فَيَصِلُ إلى هدفه بخطوتين،أو أكثر»[2] ،أو قد لا يكفيه الخطاب الواحد ويستلزم الأمر إضافة سلسلة من الخطابات المساندة للأوّل،ويكون هذا عادة في الخطابات التّي هي على شكل مقالات موجَّهة إلى مرسل إليه مخصوص،أو تعالج قضيّة حسّاسة تخصّ أمّة بأكملها،كما نجده في بعض عناوين خطاب (الإبراهيمي)،التي هي عبارة عن سلسلة متتابعة من المقالات تخدم موضوعًا معيّنًا أو هدفًا محدّدًا.[*]

فالاستراتيجيّة الخطابيّة غير المباشرة،على سبيل المثال،هي من الاستراتيجيّات التي تتطلّب مراحل كثيرة من أجل تحقيق الهدف المرجو من الخطاب الذي وظِّفت فيه،بدءًا من إنتاجه عند المرسل إلى غاية تأويله لدَى المتلقّي،وعلى هذا «يصبح لدَى المرسل هدف كلّي وآخر جزئي يسعى إليه:

---

[1] عبد الهادي بن ظافر الشّهري،استراتيجيّات الخطاب،مصدر سبق ذكره،ج01،ص.ص197-198.وينظر أيضًا،ضمن المصدر نفسه:بعض الأمثلة التّطبيقيّة عن"أثر الهدف في تحديد استراتيجيّة الخطاب"،ص.ص207-210.و"أثر الهدف في تحديد الأدوات اللّغويّة"،ص.ص215-229.

[2] المصدر نفسه،ص210.

[*] ينظر على سبيل المثال:سلسلة مقالاته التي حملت عنوان "فصل الدِّين عن الحكومة"في (20) جزء،أو سلسلة "التّعليم العربي والحكومة" في (10) أجزاء؛ينظر:البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج03.

والهدف الكلّي هو هدف الخطاب،الذي يصبُو المرسل إلى تحقيقه من خلال خطابه؛أي هو سبب إنتاج الخطاب. أمّا الجزئي فهو الذي يسهم في بلوغ المرسل هدفه،وقد يكون ضروريًّا كما في الاستراتيجيّة غير المباشرة،وقد لا يكون كذلك».[1]

ومن أمثلة تجسيد هذين النّوعين،في خطاب (الإبراهيمي)،ما ضمّنه في الخطابين التّاليين،أوّلهما جاء فيه،قوله: «جمعيّة العلماء المسلمين المعبِّرة عن عواطف الشَّعب الجزائري تشارككم في الفرح بإعلان الاستقلال،وتتقدّم إلى شَعب ليبيا بالتّهنئة الأخويّة».[2]

دلّت الصّيغة اللّغويّة لهذا الخطاب في شكلها المباشر،على هدف كلّي سعَى إليه المرسل،وهو "التّهنئة بالاستقلال" كما عكست مدى العلاقة الودِّيَّة التي تجمع بين طرفي العمليّة التّخاطبية التّواصليّة،وهذا ما يدلّ بأنّ اللّغة عند (الإبراهيمي) «ليست فقط وسيلة ولكنّها هدف أيضًا».[3]

وأمّا الخطاب الثّاني،جاء فيه قوله:

«إنّ العربي الفاتح لهذا الوطن جاء بالإسلام ومعه العدل،وجاء بالعربيّة ومعها العلم،فالعدل هو الذي أخضع البربر للعرب،ولكنّه خضوع الأخوّة،لا خضوع القوّة،وتسليم الاحترام،لا تسليم الاجترام،والعلم هو الذي طوَّع البربريّة للعربيّة،ولكنّه تطويع البهرج للجيّدة،لا طاعة الأمَة للسيّدة.

لتلك الرّوحانيّة في الإسلام،ولذلك الجمال في اللّغة العربيّة،أصبح الإسلام في عهد قريب صبغة الوطن التي لا تنصُل ولا تحُول،وأصبحت العربيّة عقيلةً حرّة،ليس لها بهذا الوطن ضرّة...».[4]

من خلال صيغة الخطاب المباشرة،أنجز (الإبراهيمي) هدفًا جزئيًّا وهو التّأكيد على عروبة الجزائر،وتآخي اللّغة العربيّة مع اللّغة الأمازيغيّة في الجزائر،بينما هذا الأمر لا يعبّر عن هدف كلّي سعَى المرسل إلى تحقيقه،فالهدف الكلّي الذي يُفهَم من الخطاب هو الرَّد على السّياسة الجديدة،التي انتهجها الاحتلال الفرنسي ومن معه من بعض أعوانه الجزائريّين في محاولتهم لضرب العربيّة بالأمازيغيّة،وما يؤكّد هذا الطّرح هو معرفة السّياق التّاريخي الذي أُنتِجَ فيه الخطاب.[*]

---

[1] عبد الهادي بن ظافر الشّهري،استراتيجيّات الخطاب،مصدر سبق ذكره،ج01،ص.ص210-211.

[2] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج02،ص450.

[3] عبد الله ركيبي،تطوّر النّثر الجزائري الحديث،مرجع سبق ذكره،ص175.

[4] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج03،ص207.

[*] قُسِّمَت آثار (الإبراهيمي) إلى خمسة أجزاء،حسب المرحلة التّاريخيّة من حياته،وأهمّ الأحداث التي شهدها؛إذ احتوى كلّ جزء منها على مرحلة تاريخيّة مُعيَّنة،تنضوي تحتها مجموعة من المراحل الفرعيّة،كما شمل كلّ جزء على مقدّمة أولى تختصّ بالحديث عن أعماله ومقدّمة ثانية بمسمّى "السّياق التّاريخي"؛لأنّ استحضاره يُعِينُ قارئ هذه الآثار،على فهم خطاب (الإبراهيمي) وتأويله؛وبالتّالي لا يُصدِرُ أحكامًا اعتباطيّة عن بعض الخطابات وشخصيّة صاحبها؛ينظر:آثار الإمام محمّد البشير الإبراهيمي،جمع وتقديم:أحمد طالب الإبراهيمي،05 أجزاء،دار الغرب الإسلامي،بيروت-لبنان؛ط01:1997م،وأيضًا:طبعة دار الوعي،التي سبق لنا ذكرها،وهي التي اعتمدنا عليها في هذا البحث،باعتبارها آخر طبعة،تزامنت مع إنجازه.

وعلى هذا الأساس يتبيّن لنا وجود الكثير من الأهداف الخطابيّة،التي يمكن أن يتوخّاها المرسل في خطابه،ومن أشهرها «هدف الإقناع الذي يستلزم استراتيجيّة معيّنة،يمكن أن نسمّيها **استراتيجيّة الإقناع**،والتي تختصّ ببعض آليّات اللّغة وأدواتها، كما تعوّل عليها كثير من الخطابات لتحقيق أهدافها النّفعية».[1]

رابعًا– العوامل المتدَخِّلة في انتقاء الاستراتيجيّة الخطابيّة:

تتدخّل عوامل كثيرة في توجيه العمليّة التّخاطبيّة التّواصليّة،إنتاجًا وتأويلًا،ولهذا ينتقي المرسل استراتيجيّة خطابيّة محدَّدة قبل وأثناء إنتاج خطابه،وتُعَدُّ مقصديّة الخطاب وسلطته،من أهم تلك العوامل تأثيرًا في عمليّة الانتقاء،وتلِيهما مرجعيّاته بأقل درجة منهما تأثيرًا.

4–1– مقصديّة الخطاب "The purpose of discourse":

تتنوّع المقاصد الخطابيّة،بتنوّع ظروف تأسيس الخطاب وإرادة مرسله؛مع أنّ تحقيق التّواصل يجسّد بدوره المقصد الرّئيس،إلّا أنّه توجد مقاصد فرعيّة أخرى قد يحتويها خطابه:كمحاولة إقناع المتلقّي والتّأثير فيه،أو تعليمه،أو تهنئته أو تعزيته أو نصحه وتوجيهه وإرشاده،أو تحذيره،أو مداعبته والتودّد إليه،أو إمتاعه (يكمُن هذا المقصد في الخطاب الأدبي بشكلّ خاصّ) ...إلخ،كلّ ذلك بناءً على خاصيّتي التّعامليّة والتّفاعليّة الموجودتين في اللغة الطّبيعيّة وما تحتويه من مُسَلَّمَات خطابيّة،التي سبق وأن تحدّثنا عنها.

ولكي تتحقّق مقاصد العمليّة التّخاطبيّة التّواصليّة،ينتقي المرسل الاستراتيجيّة الخطابيّة التي يراها ملائمة لذلك؛ممّا يدلّ بأنّ كل «محاولة للوصول إلى أهداف من خلال فعل (حدَث) لغوي،هي من حيث المبدأ استراتيجيّة».[2]

4–1–1– أنواع المقصديّة الخطابيّة:

قسّم (هنريش–Hanrish) المقصديّة في الخطاب،إلى ثلاثة أنواع،هي:[3]

4–1–1– 1– المقصديّة الفكريّة:

تضُمُّ المقصديّة الفكريّة،أغراضًا:تعليميّة وحِجَاجِيَّة وأخلاقيّة،متداخلة على الدّوام:

أ– الغرض التّعليمي:ويهتمّ بإخبار المتلقّي بواقع مَا دون استدعاء العواطف،ويتولاّه الجانب الإخباري من الخطاب ويقوم أيضًا على تقديم موضوعي (كما في النّصوص العلميّة والإخباريّة).

ب– الغرض الحِجَاجِي:ويتمثّل في جعل موضوع الخطاب ممكنًا بالرّجوع إلى العقل،ويمكن أن يتحقّق هذا الغرض بالحُجَّة.

---

[1] عبد الهادي بن ظافر الشّهري،استراتيجيّات الخطاب،مصدر سبق ذكره،ج01،ص229.

[2] فولفجانج وديتر،مدخل إلى علم لغة النّص،مرجع سبق ذكره،ص269.

[3] ينظر:هنريش بليت،البلاغة والأسلوبيّة "نحو نموذج سيميائي لتحليل النّص"؛تر:محمّد العُمَري،إفريقيا الشّرق،الدّار البيضاء–المغرب؛ د ط:1991م،ص.ص25–27.

ج- الغرض الأخلاقي:ويتعلّق بتعليم المجتمع في مجال الأخلاق،يتضمّن عناصر تعليميّة واحتجاجيّة،وتسجّل عناصر النّصح هنا الانتقال من المقاصد الفكريّة إلى المقاصد العاطفيّة.

4-1-1- 2- المقصديّة العاطفيّة المعتدلة:

للمقصديّة العاطفيّة المعتدلة مكوّنان:مكوّن غائي ومكوّن غير غائي،وهما ينتجان انفعالًا خفيفًا (التّعاطف مثلًا).

أ- غرض المكوّن الغائي هو الظّفر باقتناع الجمهور؛حيث يظهر هذا المقصد في مدخل الخطاب.

ب- وغرض المكوّن غير الغائي هو المتعة الجماليّة للجمهور.

4-1-1- 3- مقصديّة التّهييج:

تكمن في البحث عن الانفعالات العنيفة "الحقد،الألم،الخوف...إلخ"،التي تسيطر على الجمهور؛إذ تمثّل تهييج وقتي (انفجار عاطفة ما).

4-1-2- القصد والمعنى في الخطاب...أيّة علاقة؟:

عندما تتبلور مقصديّة الخطاب في التّلفّظ «تُضفِي عليه إضافة معنويّة،المعنى العَرضِي والمتغيّر،أي المعنى التّداولي وبالتالي توجد علاقة قريبة بين القصديّة والدّلالة والفهم،بمعنى التّعرّف على مقاصد المتكلّم من قِبَل المتلقّي».[1]

ممّا ينبئ عن وجود علاقة مباشرة بين قصد الخطاب ومعانيه الظّاهرة والضّمنيّة منها،إلى حدٍّ تداخلها في بعض الأحيان.[*]

أمّا إذا تجسَّد قصد المرسل في توظيف المعاني الضّمنيّة،حينئذٍ يَنتُجُ عنه توظيف الاستراتيجيّة التّلميحيّة في الخطاب وبشكل خاص استعمال آليّات لغويّة وشبه منطقيّة معيّنة،تقبل عدّة قراءات،وعندما نقول عدّة قراءات يعني عدّة تأويلات من عند المتلقّي،وهذا ما ينعكس على المقصديّة الحقيقيّة،التي يرُومُ الخطاب تحقيقها؛ممّا يحتّم تدخّل احتمالين اثنين؛أوّلهما،قد يتحقّق التّطابق بين العمليّة التّأويليّة والمقصديّة،وأمّا الثّاني،فاحتمال وقوع عكسه.

وبالتّالي يؤدّي تعدّد الاختيارات لمختلف الاستراتيجيّات الخطابيّة،قابليّةً لمنح المرسل فرصة المحافظة على القصد الواحد الذي يريد إيصاله إلى المرسل إليه،من خلال ما يمتلكه من خيارات متنوّعة؛إذ يوظّفها بناءً على تأثير السّياق التّداولي الذي يُنتِجُ فيه خطابه.

---

[1] الفي بولان،المقاربة التّداوليّة للأدب،مرجع سبق ذكره،ص50. وينظر أيضًا:

KEITH BROWN ,JIM MILLER,The Cambridge Dictionary of Linguitics,CAMBRIDGE,UNIVERSITY PRESS:2013,p233.

[*] ناقش أيضًا هذا الإشكال،الباحث (محمّد يونس)،بدأه بالتّساؤل عن:الفرق بين المعنى والمقصد؟،ومن ثمّ قدّم أجوبة بطرح بعض النّقاط وَضَّحَ من خلالها أوجه التّداخل والاختلاف بين المعنى والمقصد في الدّرس التّداولي؛ينظر:محمّد يونس،تحليل الخطاب وتجاوز المعنى،مرجع سبق ذكره،ص.ص92-94.وينظر أيضًا "علاقة استراتيجيّات الخطاب بالمعنى":

Teun A.van Dijk,Walter Kintsch,Strategies of Discourse Comprehension,Academic Press,New York:1983,pp78-80.

وبهذا تمتلك المقصديّة الخطابيّة قوّة تؤثّر بها على عمليّة تشكيل الخطاب وتأويله معًا،ويؤدّي التّطابق بين مقاصد المرسل والمعاني التي توخّاها في خطابه،بأن تصبح معيارًا مهمّا لاختبار نجاح العمليّة التّخاطبيّة التّواصليّة من فشلها.

وكلّ هذا مؤدّاه إلى ورود العلاقة التّلازمية التّالية:لا يمكن تحديد الوظيفة الحقيقيّة للّغة الطّبيعيّة من وجهة تداوليّة بمعزلٍ عن «الاستراتيجيّات التي يستخدمها المرسل،ولا يمكن تحديد هذه الاستراتيجيّات التي يتوخّاها في الخطاب بمعزلٍ عن المقاصد التي لديه،وعن المرسل إليه،وإجمالًا عن السّياق بعناصره المتعدّدة».[1]

4-2- سلطة الخطاب "Power of discourse":

4-2-1- أنواع السّلطة في الخطاب:

عندما يعبّر المرسل عن إرادته في توطيد علاقته بالمرسل إليه أو الابتعاد عنه،أو عندما يبتغي نصحه أو إرشاده وتوجيهه...إلى غيرها من السّياقات التّخاطبيّة التواصليّة،معناه أنّ كلّ موقف منها يكشف عن «مظهر من مظاهر ممارسة السّلطة الخطابيّة».[2]

ولهذا لا ينعدم أيُّ خطاب من سلطة تمثّله،سواء على مستوى بنيته اللّغويّة أو خارجها،فكلّ خطاب يمارس سلطته على المتلقّي،حينما «يخفي كينونته السّلطويّة فيما وراء وظيفته المعرفيّة،هكذا لكلّ معرفة سلطتها ولكلّ نصّ قوّته ولكلّ عَلَمٍ من الأعلام الكبار سطوته على العقل والنّفوس».[3]

نظرًا لما تلعبه السّلطة من دور رئيس في إنتاج الخطاب وتأويله،كما أنّها تمنحه قوّة إنجازيّة؛،يتجلّى دورها بوصفها محدّدًا رئيسًا في ترجيح استراتيجيّات معيّنة دون استراتيجيّات أخرى،فسلطة المرسل هي «المحكّ الحقيقي لإنجاز بعض الأفعال اللّغويّة،التي لا يمكن أن ينجزها الإنسان دون توفّر بعض الشّروط فيه،مثل توفّر الموقع الوظيفي الذي يؤهّل المدير مثلًا،لاتّخاذ قرارات التّعيينات والفصل والعقاب،ودون أن يتبوّأ هذا الموقع،بما يتضمّنه من صلاحيّات،لا يمكن أن يصبح خطابه نافذًا».[4]

وينقسم الخطاب بدوره إلى نوعين اثنين من حيث نوعيّة المصادر التي يستقي منها سلطته،فهناك فرق بين خطاب «يمارس سلطته بأدواته من حيث هو خطاب،أي بآليّات الإقناع والحفز المعرفي،وبين خطاب يمارس سلطة مستمدَّة من مصدر خارجي،أي خارج بنيته كخطاب».[5]

بيدَ أنّ ظروف إنتاج الخطاب،تمثّل المعيار الفاصل ين هذين النّوعين،فالنّوع الأوّل من الخطاب يستمدّ سلطته من كينونته اللّغويّة،فيما يستمدّ النّوع الثاني سلطته من موقع ووظيفة المرسل والمؤسّسة التي ينتمي إليها؛إذ تتفاضل هذه الأخيرة فيما بينها بحسب أهمّية المرسل والمكان الذي يُنتِجُ فيه خطابه.

---

[1] عبد الهادي بن ظافر الشّهري،استراتيجيّات الخطاب،مصدر سبق ذكره،ج01،ص.ص20-21.

[2] محمّد يونس،تحليل الخطاب وتجاوز المعنى،مرجع سبق ذكره،ص61.

[3] علي حرب،نقد النّص،المركز الثّقافي العربي،الدّار البيضاء-المغرب؛ط04:2005م،ص199.

[4] عبد الهادي بن ظافر الشّهري،استراتيجيّات الخطاب،مصدر سبق ذكره،ج01،ص84.

[5] نصر حامد أبو زيد،الخطاب والتّأويل،المركز الثّقافي العربي،الدّار البيضاء-المغرب؛ط03:2008م،ص06.

فعلى سبيل المثال،إذا تمعّنّا في أنواع السّلطة التي يمتلكها (الإبراهيمي)،نجد أنّها تظهر في بعض الخطابات بصفته رئيسًا لـ"جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين"،أو رئيس تحرير جريدة "البصائر"-لسان حالها-.(*)

وبالتالي تخوّله هذه الهيئة سلطة مؤسّساتيّة،وفي بعض السّياقات،تظهر في صيغة سلطة اجتماعيّة،ذات بُعد علمي ودِيني معًا-بصفته عالما دِينيًّا إصلاحيًّا-؛حينما يجّسدها المعجم اللّغوي الذي يوظّفه في خطابه على شكل أوامر وتوجيهات ونصائح...إلخ.(**)

وعليه،يتّضح لنا أنّ المرسل ليس هو العنصر الوحيد الذي يمتلك السّلطة في الخطاب؛بل هناك عناصر سياقيّة أخرى تتدخّل في إنتاج الخطاب وفي اختيار استراتيجيّة خطابيّة معيّنة،وكلّ واحد من تلك العناصر يمتلك سلطة خاصّة به يؤثّر بها على عمليّة إنتاج الخطاب وربّما العمليّة التّخاطبيّة التّواصليّة بشكل شامل.

ممّا يحيلنا إلى طرح التّساؤلات التالية:**من أين يأخذ الخطاب سلطته؟:**

- أَمِن موقع مرسله؟ أم من سلطة المرسل إليه؟.

- أَمِن لغته؟ أم من ظروف إنتاجه؟.

- كيف تؤثّر السّلطة في الخطاب على انتقاء استراتيجيّة خطابيّة معيّنة؟.

يمكن للخطاب أن يأخذ سلطته،من مصادر متنوّعة،نلخّص أهمّها في الاختيارات الآتية:(1)

1- من قدرته الكلّيّة (الشّموليّة) على ممارسة فعل القوّة/القدرة التي تملي شروطها على متداوليه في حقل معيّن؛سواء أكانت هذه القوّة سياسيّة أم اقتصاديّة أم فنيّة أم علميّة...إلخ.

2- أو من طبيعة لغة الخطاب نفسه.

3- أو من سلطة الإيديولوجيا التي تخاطَب معها المرسل.

4- كما يمكن أن يستمدّ الخطاب سلطته،من المؤسّسة الوظيفيّة أو الاجتماعيّة التي ينتمي إليها مرسله.

5- من سلطة اللّغة التي أسّس من خلالها خطابه.

6- قد يأخذ الخطاب سلطته،من سلطة المقام الاجتماعي لمرسله،من حيث كونه رجل دِين،أو رجل سياسة...إلخ.

وبالإضافة إلى هذه المصادر التي قد يستقي منها الخطاب سلطته،هناك سلطة أخرى تضاف إلى سابقتها ألا وهي سلطة المرسل إليه،وتظهر حينئذٍ هذه السّلطة عندما يكون المرسل إليه في مرتبة وظيفيّة أو اجتماعيّة أعلى من المرسل ومعنى هذا أنّها ليست الشّرط الوحيد لتحقيق ذلك؛لأنّه قد يوظّف المرسل بعضًا من الألفاظ الدّالة على الاحترام

(*) ينظر:"عوامل نشأة هذه الجمعيّة وأهدافها"،شهرة شفري،**الخطاب الدّعوي عند جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين"دراسة مقارنة بين عبد الحميد بن باديس ومحمّد البشير الإبراهيمي"**،رسالة ماجستير (غير منشورة)،جامعة الحاج لخضر،باتنة:1430هـ /2009م،ص.ص53-84.وينظر:"بطاقة تاريخيّة موجزة عن جريدة البصائر"،أبو القاسم سعد **الله**،تاريخ الجزائر الثّقافي،ج05 "1830-1954"،دار الغرب الإسلامي،بيروت-لبنان؛ط01:1998م،ص253 وص271.

(**) سنكتشف أنواع السّلطة التي يوظّفها خطاب (الإبراهيمي)،عند دراستنا لأنواع الاستراتيجيّات الخطابيّة في مراحل قادمة من بحثنا.

(1) ينظر:عبد الواسع الحميري،الخطاب والنّص"المفهوم.العلاقة.السّلطة"،مجد المؤسّسة الجامعيّة للدّراسات،بيروت-لبنان؛ط02: 1435هـ/2014م،ص.ص192-209.

والتّبجيل،دونما وجود أيّة قيود تلزمه بطاعة المرسل إليه،بل يستعملها وفقَ استراتيجيّة خطابيّة منتقاة توجّهها مقاصد خطابه وإرادته شخصيًّا،مثلمَا وجدناه في بعض العبارات التي استعملها (الإبراهيمي) في خطاباته الموجّهة إلى بعض الملوك والرّؤساء،والتي هي من قبيل:"حضرة صاحب الجلالة،حضرة صاحب الفخامة الرّئيس...إلخ".

وعليه «يدلّ استعمال كلّ لقب من هذه الألقاب على الاحترام والتّبجيل،بالرّغم من أنّها حقّ مكتسَب للمرسل إليه،فهي مفروضة على المرسل،ممّا يجسّد مظهرًا من مظاهر سلطة المرسل إليه،وعند مخاطبة أكثر من مرسل من تلك الفئات،لابدّ للمرسل أن يرتّب هذه الألقاب حسب درجة سلطة أصحابها في الواقع الاجتماعي،فلا يستطيع تجاوز رتبة معيّنة إلى رتبة أدنى منها،بل عليه الالتزام بالتّرتيب المتعارف عليه بين النّاس».[1]

وهذا ما نلمسه في خطاب (الإبراهيمي)،الذي استفتحه بالمطلع الآتي:

« **باسم الله الرّحمان الرّحيم**

حضرة صاحب الجلالة الملك العظيم،

حضرة صاحب الفخامة رئيس لجنة أسبوع الجزائر،

حضرات السّادة أعضاء لجنة أسبوع الجزائر،

حضرات الإخوان الأفاضل المستجيبين لدعوة الحقّ والخير...».[2]

ونستنتج ممّا ذكرناه سابقًا؛أنّ أيّ خطاب لا ينعدم من سلطة،سواء أكانت هذه السّلطة واضحة وجليّة في الخطاب أو العكس،وعليه عُدَّت السّلطة في الخطاب من أبرز العوامل المؤثّرة في اختيار استراتيجيّة خطابيّة معيّنة.

4-2-2- تأثير السّلطة في الخطاب على انتقاء الاستراتيجيّة الخطابيّة:

يكمُن تأثير السّلطة في انتقاء استراتيجيّة خطابيّة محدّدة،من خلال المعايير الثّلاثة الخاصّة بتصنيف الاستراتيجيّة؛أي دور السّلطة في تأطير معيار العلاقة بين طرفي الخطاب،ودورها في تأطير معيار شكل الخطاب الدّال على مقصديّته وأخيرًا دورها في تأطير معيار هدف الخطاب:

4-2-2-1- دور السّلطة في تأطير العلاقة بين طرفي الخطاب:

يؤدّي دور السّلطة في تأطير طبيعة العلاقة الاجتماعيّة التي تربط بين طرفي الخطاب،إلى اختيار الاستراتيجيّة الخطابيّة الملائمة التي تجسّد تلك العلاقة،وبما «أنّه يتفرّع عن اعتبار هذا العامل من النّاحية الاجتماعيّة استراتيجيّتان هما:الاستراتيجيّة التّضامنيّة،والاستراتيجيّة التّوجيهيّة،فإنّه يربط كثير من الباحثين بين استعمال إحداهما من جهة وبين توفّر السّلطة عند المرسل من جهة أخرى».[3]

---

[1] عبد الهادي بن ظافر الشّهري،استراتيجيّات الخطاب،مصدر سبق ذكره،ج01،ص.ص286-287.

[2] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج05 (1954-1964)،ص179.

[3] عبد الهادي بن ظافر الشّهري،استراتيجيّات الخطاب،مصدر سبق ذكره،ج01،ص295.

لهذا قد نجد أنّ الاستراتيجيّة التّضامنيّة تقع «مع السّلطة على طرفي نقيض؛لأنّ التّضامنيّة تجسّد الرّغبة في تقريب المرسل إليه والتقرّب منه ومنحها الأولويّة في الخطاب،في حين تجسّد التّوجيهيّة الرّغبة في إغفال ذلك،ومع هذا البَوْن الواضح،إلّا أنّ المرسل قد لا يتّكئ على ممارسة سلطته بنفس القدر في كل مراحل علاقته بالمرسل إليه».[1]

حيث يمكن للمرسل أن يتقرّب من المرسل إليه،بتوظيف الاستراتيجية التّضامنيّة،في مقدّمة خطابه؛كي يكسب ثقته منذ البداية،ومن ثمّة يطرح القضيّة التي يخاطبه من أجلها؛وكأنّه نوع من الاستدراج.

بينما،عند استعماله للاستراتيجيّة التّوجيهيّة،فهو يريد تحقيق الفارق الاجتماعي بينه وبين المرسل إليه،وهذا لا يكون إلّا بممارسة سلطة فعليّة عليه،تنعكس في لغة خطابه؛أي تكون،عندها،لغة خطابه،لغة تتّسم بالصّرامة والحزم،وتُغَيَّبُ فيها الألفاظ ذات الدّلالات العاطفيّة والتّضامنيّة.

4-2-2-2- دور السّلطة في تأطير شكل الخطاب للدّلالة على القصد:

لا شكّ أنّ نوعيّة السّلطة التي يمتلكها كل من طرفي الخطاب،لها تأثيرها المباشر،على اختيار استراتيجيّة خطابيّة معيّنة،من طرف المرسل؛حتّى يحقّق من خلالها مقاصده الخطابيّة.

فعند توظيف فعل "الطّلب" على سبيل المثال،يمكن أن يستعمل المرسل ذو الرتبة الاجتماعيّة والوظيفيّة العليا الاستراتيجيّة التّصريحيّة،في «حين يستعمل المرسل ذو الدّرجة الدّنيا الاستراتيجيّة التّلميحيّة،ويتبلور هذا،أيضًا،في الاستراتيجيّة المستعمَلة عند رفض الطّلب،فقد يصرّح به الأعلى درجة،بخطاب مباشر وموجَز،أمّا ذو الدّرجة الدّنيا فإنّه يلمّح ويناور كثيرًا [...]،ويُستَنتَجُ من ذلك،أنّ سلطة المرسل تسمح له بالمناورة عند إنتاج خطابه،وتتيح له الاختيار بين أكثر من استراتيجيّة؛حيث يصبح بإمكانه أن يستعمل التّلميحيّة بدلًا من التّصريحيّة،والعكس أيضًا،ومن ذلك المبادلة بينهما عند مخاطبة المرسل إليه ذاته».[2]

وعندئذٍ تكون السّلطة،هي العامل الأساس،الذي يمدّ المرسل إمكانيّة اختيار الاستراتيجيّة التي يراها مناسبة لتحقيق مقاصده الخطابيّة.

4-2-2-3- دور السّلطة في تأطير معيار هدف الخطاب:

يودّ المرسل،من خلال خطابه،أن يحقّق هدفًا معيّنًا أو أكثر؛حيث يُعتَبَرُ هدف الإقناع من «أهمّ الأهداف التي يسعى المرسل إلى تحقيقها في خطابه،وعلاقته بمفهوم السّلطة علاقة جوهريّة،فالمرسل الذي يسعى إلى إقناع المرسل إليه يمارس سلطة عليه،يمكن تسميتها بسلطة الإقناع،وبذلك فالإقناع يجسّد السّلطة».[3]

وفي حالة ما إذا كان المرسل،يمتلك سلطة مؤسّساتيّة واجتماعيّة معًا،عندئذٍ لا تكون استراتيجيّة الإقناع هي خياره الوحيد في الخطاب؛بل يمكنه أن يوظّف استراتيجيّات خطابيّة أخرى:كالتّوجيهيّة أو التّضامنيّة،بأن يتنازل عن سلطته أمام المرسل إليه،بمحض إرادته.

---

[1] عبد الهادي بن ظافر الشّهري،استراتيجيّات الخطاب،مصدر سبق ذكره،ج01،ص295.

[2] المصدر نفسه،ص299.

[3] المصدر نفسه،ص302.

وقد يختار المرسل،استراتيجيّة الإقناع،بالرّغم من امتلاكه لكل أنواع السّلطة،من أجل تحقيق مقاصده الخطابيّة أو مراعاة لخصوصيّة السّياق التّداولي الحاضر أثناء إنتاج الخطاب.

وفي احتمال،عدم اكتسابه لأيّة سلطة؛فإنّه يسعى إلى تأسيسها داخل خطابه؛أي عن طريق توظيف ألفاظ وعبارات معيّنة،تحمل أبعادًا سلطويّة،يخضع لها المرسل إليه،بناءً على العلاقة المشتركة التي تجمعه به،كتوظيف: "الآيات القرآنيّة أو الأحاديث النّبويّة الشّريفة،أو النّصوص القانونيّة...إلخ"،وهذا ما نصطلح عليه بـ"السّلطة الدّاخليّة للخطاب".

4-3- مقصديّة الخطاب وسلطته ...ما العلاقة؟:

لا شكّ أنّ أيَّ مرسل،يمارس سلطته داخل خطابه وفقَ مقاصده التي يودُّ تحقيقها،من منطلق أنّ لكلّ خطاب مقصديّته وسلطته،ومنه تصبح العلاقة بين السّلطة والمقصديّة في الخطاب «علاقة تأثير متبادلة؛إذ كلّ منهما يُنتِجُ الآخر ويقيّده،ومثلما يتأثّر الخطاب بالسّلطة فإنّه يؤثّر فيها».[1]

وهذا ما يحيلنا إلى استخلاص نتيجة مفادها؛أنّ تعدّد سلطة الخطاب من تعدّد مقاصده،والعكس صحيح.

وبناءً على ما سبق،نوضّح حديثنا عن معايير تصنيف الاستراتيجيّات الخطابيّة وعلاقتها بأهم عاملين متدخّلين في انتقائها؛"السّلطة،والمقصديّة" في الخطاب،وما يَنتُجُ عن هذه العلاقة من استراتيجيّات خطابيّة،وفقَ المخطّط التّالي:

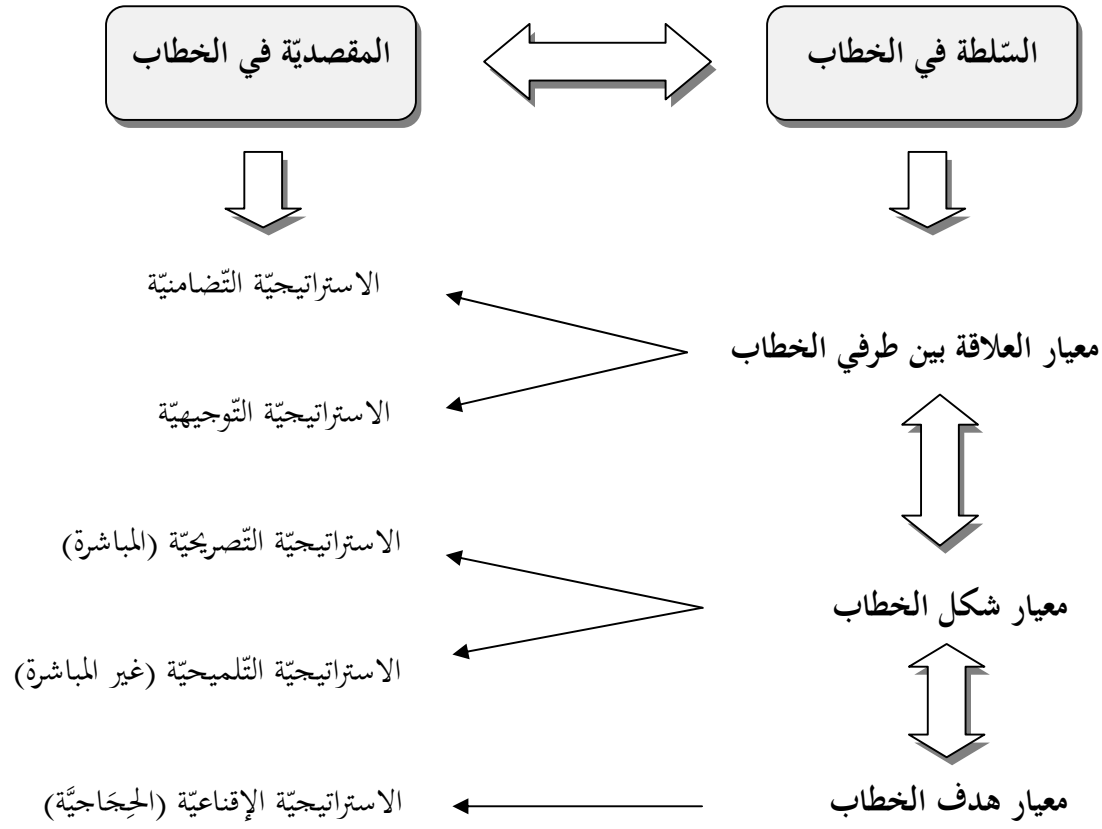

- مخطّط رقم06:يوضّح علاقة معايير تصنيف الاستراتيجيّات الخطابيّة بأهم عوامل انتقائها-

[1] محمّد يونس،تحليل الخطاب وتجاوز المعنى،مرجع سبق ذكره،ص65.

4-4- مرجعيّات خطاب (الإبراهيمي) وانعكاساتها على انتقاء الاستراتيجيّة الخطابيّة الأنسب:

إنّ المتمعّن في "مرجعيّات الخطاب- References of discourse" لدى (الإبراهيمي)،يجدها تتكوّن من مجموعة روافد[*]:دينيّة،ولغويّة،ومنطقيّة،وتاريخيّة...إلخ،جمَعَتْ بين التّراث وروح العصر الذي عاشه،وانعَكَسَتْ بدورها على انتقاء الاستراتجيّات الخطابيّة لديه،في ظل عناصر سياقيّة تداوليّة خاصّة ومتغيّرة.

وتتجسّد المرجعيّات الخطابيّة عند (الإبراهيمي)،من خلال توظيفه لأدوات لغويّة وشبه منطقيّة،سِمَتُهَا «الاستمداد من التّراث،والإفادة من الثّقافة القرآنيّة وتحلية أسلوبه بها،وخاصّة بألفاظ القرآن وتراكيبه،والحديث الشّريف وبلاغته وهذا بالإضافة إلى الثّقافة الأدبيّة الشّعريّة والنّثريّة والقصصيّة،والثّقافة الإسلاميّة بعامّة».[1]

ويمكن أن نُصَنِّفَ أهم تلك المرجعيّات،إلى سبعة أصناف،هي كالآتي:

4-4-1- المرجعيّة الدِّينيّة:

إنّ حضور النّص الدِّيني (القرآن الكريم والحديث النّبوي الشّريف) بشكل قوي،في لغة الخطاب،نابع من طبيعة تكوين مرسله،والمكانة التي يوليها لهذه الرّوافد،وخاصّة إذا كان هذا المرسل،من أصحاب الدّعوة الإصلاحيّة.

فطالما تكرّرت دعوات المصلحين وتوجيهاتهم،إلى «العناية بالقرآن الكريم وهو يُعَدُّ الرّافد القويّ،والمنبَع الثّري للثّقافة العربيّة،والاهتمام به حفظًا وتذوّقًا ودراسة وتفسيرًا،استجابة طبيعيّة لهذه الرّسالة التي يحملها رجال الإصلاح وهم يقاومون تيّار الثّقافات الأجنبيّة الدّخيلة».[2]

ويُعتَبَرُ (الإبراهيمي) من أبرز أولئك المصلحين،عملًا بذلك ودعوة إليه؛فكثيرًا ما غُذِّيَت خطاباته،بنصوص قرآنيّة وأحاديث نبويّة شريفة،استعملها كقوّة بيانيّة وسلطة إقناعيّة في كثير من المواضع الخطابيّة؛حتّى غدَت هذه المرجعيّة خصّيصة من خصائص خطابه،وآليّة مهمّة من الآليّات التي توظّفها مختلف الإستراتيجيّات الخطابيّة لديه.

ولا شكّ،أنّ هذا التّأثّر منشؤه من طبيعة تكوينه في صغره،وهو الذي تشرّب معاني القرآن وألفاظه منذ نعومة أظافره[**]،والذي عُطِّرت طفولته بسيرة وأحاديث المصطفى(ﷺ)،وهو العالِم بالتّفسير وعلوم الحديث رِوايَةً ودِرايَةً.

---

[*] نقصد بالرّافد كل مصدر من المصادر المكوّنة لأيّة مرجعيّة،فعلى سبيل المثال،نجد أنّ المرجعيّة الدِّينيّة،تتكوّن من أوّل رافد،وهو القرآن الكريم،وأمّا الرّافد الثاني فهو الحديث النّبوي الشّريف،وهكذا مع بقيّة المرجعيّات وروافدها الخاصّة بها،وقد كفانا (الإبراهيمي) قولًا،عندما وظّف مصطلح "الرّافد" بالمفهوم نفسه،الذي نودُّ التّعبير عنه،عندما قال:«فمن آتاه **الله** من أبنائنا حظًّا من الموهبة وقف عندها وأخذ يعصر المواهب عصرًا،فتبضّ له بشيء وتشحّ بأشياء،لأنّه **لم يرفدهَا** بالأمداد التي تفتقر إليها،والمواد التي تتغذّى منها من المحفوظ والمقروء المهضوم والمدروس المفهوم»،البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج04،ص159.

[1] شكري فيصل،قضايا الفكر في آثار الإبراهيمي،مرجع سبق ذكره،ص201.

[2] محمّد ناصر،الشّعر الجزائري الحديث اتّجاهاته وخصائصه الفنّية 1925-1975م،دار الغرب الإسلامي،بيروت-لبنان؛ط02: 2006م،ص43.

[**] ذكر (الإبراهيمي) أنّه لم يبلغ تسع سنين من عمره؛حتّى حفظ القرآن مع فهمه لمفرداته وغريبه؛ينظر:البشير الإبراهيمي،الآثار، مصدر سبق ذكره،ج05،ص273.

ولهذا نجده،في العديد من السّياقات التّخاطبيّة،ينصح النّاشئة بأهمّية الرّافد القرآني،وهو ما دلّ عليه خطابه الذي وجهّه إلى الطّلبة الجزائريّين المهاجرين،قائلًا لهم:

«لا تعتمدوا على حفظ المتون وحدها،بل احفظوا كلّ ما يقوّي مادّتكم اللغويّة،ويُنمّي ثروتكم الفكريّة،ويُغذّي مَلكَتَكُم البيانيّة؛**والقرآن القرآن!** تعاهدُوه بالحفظ وأحيُوهُ بالتّلاوة ورَبُّوا ألسنتكم على الاستِشهَاد به في اللّغة والقواعد...».[1]

وعلى غرار توظيف مصلحات العلوم الشّرعيّة،كمصلحات الفقه وأصوله،وعلوم الحديث النّبوي الشّريف...إلخ باعتبارها روافدًا مهمّة من روافد المرجعيّة الدّينيّة الإسلاميّة،وبما حصّله (الإبراهيمي) من هذه العلوم،نجد أنّ التّأثّر بالمنهج السّلفي،له انعكاسه هو الآخر في انتقاء استراتيجيّة خطابيّة بدل أخرى[2]؛إذ شكّل هذا المنهج أحد القضايا التّي كان يدافع عنها (الإبراهيمي) من خلال خطاباته،والتي عكست مدى مبايَعَته للحركة السّلفيّة في الحِجاز[*] وأيضًا مثّلتها ردوده على بعض رؤساء الطُّرُق الصُّوفيّة[**]،من خصومه وخصوم جمعيّته.

4-4- 2- المرجعيّة (اللغويّة والأدبيّة) التّراثيّة:

يُمثّل حضور التّراث اللّغوي والأدبي العربي القديم مرجعًا أساسيًّا من مراجع الخطاب عند (الإبراهيمي)؛حتّى وإن «تشبّع بالعلوم الدّينيّة وأهدافها وبالفكر الإصلاحي ومبادئه،ولكنّه في واقع الأمر مزج بين الأمرين،بين المصلح والأديب في حياته الثّقافية ممّا يعطي طابعًا خاصًّا لخطبه وكتاباته كلّها»[3] ،إلى حدٍّ،يجعل قارئ خطابه يطرح التّساؤل التالي:**لماذا كلّ هذا الاهتمام بالتّراث؟**.

وما نقدّمه كفرضيّة للإجابة على هذا التّساؤل،هو وجود سببين رئيسين –في تقديرنا–كان لهما الأثر البالغ في ذلك:

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج03،ص204.

[2] هذا ما أكّدته لنا دراستنا لأرجوزته الموسومة بـ"تعليم البنت"،والتي حاول من خلالها،أن يُقنِعَ بعض (علماء نَجْدْ)،بضرورة تعليم البنت المسلمة؛عندما استند على خطاب شعري وضمّنه آليّات إقناعيّة معيّنة؛ينظر:سفيان مطروش وسليمان بن سمعون،**إستراتيجيّة الخطاب الإقناعي في أرجُوزَة "تعليم البنت" لمحمّد البشير الإبراهيمي**،مجلّة الواحات للبحوث والدّراسات،جامعة غرداية، غرداية؛مج11، ع01:رمضان1439هـ/جوان2018م،ص.ص50-69.

[*] بالإضافة إلى وجود فقرات صريحة دافع فيها عن الدّعوة السّلفيّة وأتباعها في الحِجاز،له مراسلات إلى حكّامها وبعض علمائها؛ينظر على سبيل المثال،في الجزء 04 من آثاره:خطابه"الشّيخ محمّد نصيف"،ص122؛ورسائله:"إلى علماء نَجْد"،ص126؛"تعليم البنت"، ص131؛وفي الجزء05:"برقية إلى الملك سُعود"،ص51؛"رسالة إلى الشّيخ محمّد بن إبراهيم آل الشّيخ"،ص221...إلخ.

[**] عُرِفَ عن (الإبراهيمي) خصومته الشّديدة لبعض الطّرقيين؛ينظر:على سبيل المثال،في الجزء01 من آثاره: تقرير بعنوان "فلسفة جمعيّة العلماء"،ص158؛ومقالاته "إلى الطّرقيين بمناسبة رسالتهم إلى جمعيّة العلماء"،ص295؛"موقفنا من الطّرقيّة وصحفها"، ص407. وفي الجزء03:"أفي كلّ حي،عبد الحي؟"،ص391؛"عبد الحي الكتّاني ما هو؟ وما شأنه؟"،ص539...إلخ.

[3] عبد **الله** ركيبي،تطوّر النّثر الجزائري الحديث،مرجع سبق ذكره،ص34.

– يكمن السّبب الأوّل: في طبيعة تكوين شخصيّة (الإبراهيمي) اللّغويّة والأدبيّة،والدّليل على ذلك؛أنّه بعد حفظه للقرآن الكريم،أتبَعَهُ مباشرة بحفظ بعض أُمَّات كتب اللّغة العربيّة ودواوينها الشّعريّة،وهذا ما أقرّ به،في قوله:

«...وكنت أحفظ معه ألفيّة ابن مالك ومُعظَم الكافية له،وألفيّة ابن معطي الجزائري وألفِيَتي الحافظ العراقي في السّير والأثر،وأحفظ جمع الجوامع في الأصول،وتلخيص المفتاح للقاضي القزويني،ورقم الحِلَل في نظم الدّول لابن الخطيب وأحفظ الكثير من شعر عبد **الله** بن خميس التّلمساني،[...] وأحفظ معظم رسائل بلغاء الأندلس مثل ابن شهيد وابن برد،وابن أبي خصال،وأبي المطرف ابن أبي عميرة،وابن الخطيب،ثمّ لفتني عمّي إلى دواوين فحول المشارقة،ورسائل بلغائهم،فحفظتُ صدرًا من شعر المتنبّي،ثمّ استوعبته بعد رحلتي إلى الشّرق،وصدرًا من شعر الطّائيّين وحفظتُ ديوان الحماسة،وحفظتُ كثيرًا من رسائل سهل بن هارون وبديع الزّمان،وفي عنفوان هذه الفترة كنت حفظتُ بإرشاد عمّي كتاب كفاية المتحفّظ للأجدابي الطّرابلسي،وكتاب الألفاظ الكتابيّة للهمداني،وكتاب الفصيح لثعلب،وكتاب إصلاح المنطق ليعقوب السّكيت،**وهذه الكتب الأربعة هي التّي كان لها معظم الأثر في مَلَكَتِي اللّغويّة**».[1]

ولعلّ من قرأ هذه الفقرة يتعجّب ويحتار من حفظ (الإبراهيمي) لكلّ هذه المصادر والمتون،وربما يُقدِّم مبرّرا بأنّها تمثّل كلّ ما تعلّمه خلال حياته،فنقول له،لا تستعجل...إليك هذه الفقرة التي ستذهب عنك العجب والحيرَة:

«...ولم يزل عمّي- رحمه **الله**- يتدرّج بي من كتاب إلى كتاب تلقينًا وحفظًا ومدارسة للمتون والكتب التي حفظتها **حتّى بلغتُ الحادية عشرَة**،فبدأ لي في درس ألفيّة ابن مالك دراسة بحث وتدقيق،وكان قبلها أقرأني كتب ابن هشام الصّغيرة قراءة تفَهُّمٍ وبحث،[...]**ولم يكُن شيء من ذلك يرهقني،لأنّ الله تعالى وَهَبَنِي حافظةً خارقةً للعادة وقريحةً نيّرةً،وذهنًا صَيُّودًا للمعاني ولو كانت بعيدة**».[2]

إنّ ما ذكره (الإبراهيمي)،عن طبيعة المادّة التي كان يحفظها وهو صغير-كمًّا ونوعًا-وعن طبيعة حافظته التي وهبهَا **الله** إيّاه،أغنتنا عن كلّ قول وقدّمت لنا جزءًا من الإجابة عن تساؤلنا السّابق.

– ويتمثّل السّبب الثاني،في أنّ ذلك المخزون اللّغوي والأدبي الذي حصّله (الإبراهيمي) وهو صغير،قد أدّى إلى الدّفاع عنه وهو كبير-ربّما إلى حدّ التّعصّب أحيانًا- فكيف لا يُدافع عنه بعد أن كَمُلَتْ خبرته واستحكمَتْ تجربته؟ وبعد أن شَهِدَ له أهل العربيّة في زمانه بأنّه مَلَكَ ناصيتها.

وهو الذي جعل حفظ وقراءة منتخبات الأدب العربي قديمه وحديثه،شرطًا لا يُمكن التّنازل عنه لمن يريد أن يَكتُبَ في جريدة "البصائر"،بعد أن صار رئيس تحريرها،وهذا ما صرّح به مُعاتبًا وناصحًا بعض كُتَّاب الجريدة المبتدئين،بقوله:

«...ولكنّ بعض الكُتَّاب-هداهم **الله** رشدهم- بَالغُوا قبل أن يَبْلُغُوا،فَهُم يوافوننا بمقالات دون الطّرف الأدنى فنضطرّ إلى إهمالها اضطرارًا فيلوذون بحقّ (التّشجيع)...فليعلَموا- علَّمهم **الله**- أنّ التّشجيع لا يكون على حساب اللّغة وتراكيبها،ولا على حساب "البصائر"ومنزلتها[...]ونصيحتنا إلى هؤلاء وإلى ناشئتنا الكاتبة أن ينظروا لأنفسهم وأن يعتمدوا عليها،وأن يُدمنوا القراءة لآثار فحول الكُتَّاب من قدماء ومحدَثين،وأن يحملوا أقلامهم على احتذائها

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج05،ص.ص273-274.

[2] المصدر نفسه،ص274.

بالتّدريج،وأن يتكثّروا بحفظ اللّغة الأدبيّة،ويتبصّروا في مواقع استعمالها في التّراكيب،وأن يكونوا عصاميّين في الأدب والكتابة،فإنّ المعاهد التي تقلّبوا فيها للتّحصيل لا تُخرِّج أديبًا ولا كاتبًا،ما دام حظّ البيان فيها منزورًا،وعلم اللّغة والإنشاء فيها مهجورًا،والأدب العربي فيها لا يُدرَّسُ قصدًا،وإنّما تُعرَضُ نُتَفَه عرضًا».[1]

وإذا جعل من هذه القناعة،شرطًا في تحرير مقال لنشره في "البصائر"،**أليس حريّا به أن يطبّقها في خطابه؟**.[*]

ونجده في مقام آخر،موجّها نصائحه إلى بعض الأدباء النّاشئة في تلك الفترة،قائلًا لهم:

«أكرّر النّصيحة لأدبائنا الكُسَالَى،[...]،أن لا يقنعوا من الأدب بما يلقاهم منه في أيّام الطّلب في الكتب المقرّرة فإنّ ذلك القَدر النَّزَر لا يُرَبّي ملَكَة،ولا يصقل ذهنًا،ولا يكوّن أديبًا،إنّما يُربّي الملكَات الأدبيّة الصّحيحة ويقوّمها الإدمان،إدمان القراءة المتأنّية المتدبّرة لكتب الأدب الحرّة الأصيلة،والاستكثار من حفظ الشّعر واللّغات والأمثال ومعرفة مواردها ومضاربها،والتّنبّه لمواقع استعمالها من كلام البلغاء،من شُعراء وخُطباء وكُتّاب،ثمّ ترويض القرائح والألسنة والأقلام على المحاذاة،ذلك أدنى أن تستحكم الملَكَة،وتنقاد القريحة فتجري الأقلام على سداد،ويمدّها الفكر من تلك المعاني بأمداد،وتوضع الكلمات في الجمل،موضع اللآلئ من العقد».[2]

نلاحظ من قوله؛أنّه لم يتوقّف عند حدود التّردّد على القراءة؛بل تجاوزها إلى محاذاة ومحاكاة تلك الأساليب.

4-4- 3- المرجعيّة (اللغويّة والأدبيّة) الحديثة:

من أبرز تجلّيات،المرجعيّة (اللغويّة والأدبيّة) الحديثة،في خطاب (الإبراهيمي)،هي التّأثّر بمدرسة الإحياء العربيّة؛إذ تولّد هذا التأثّر في ظل تأثّر شامل تميّزت به الحركة الإصلاحيّة في الجزائر عمومًا،وليس (الإبراهيمي) لوحده.

إذ يرى الباحث (محمّد ناصر)؛أنّه لم يكن إعجاب الحركة الإصلاحيّة بأدباء النّهضة العربيّة وشعرائها يتوقّف عند حدود القراءة والمتابعة فقط؛بل تجاوزها إلى التّشرّب والتّقليد.[3]

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار، مصدر سبق ذكره،ج02،ص295.

[*] هذا ما عبّر عنه الباحث (محمّد ناصر)،بقوله:«ولم نرَ من بين زعماء الإصلاح من كان شديد التّأكيد على هذا الجانب مثل البشير الإبراهيمي»،محمّد ناصر،الشّعر الجزائري الحديث،مرجع سبق ذكره،ص48.

[2] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج03،ص.ص580-581.وينظر:ص203. من المصدر نفسه،وكذلك:ج04، ص159. وقد لخّص (الإبراهيمي) طرحه هذا،في المقولة التّالية:«...ومن قرأ كُتُبَ الدّنيا ولم يَظهَر لها في شِعرِهِ ولا في كتابته أثر،فكأنّه لم يقرأ شيئًا»،المصدر نفسه،ج04،ص160.

[3] ينظر:محمّد ناصر،الشّعر الجزائري الحديث،مرجع سبق ذكره،ص52.وينظر أيضًا:مقال (للإبراهيمي) بعنوان"حركاتنا حركات إحياء" ،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج04،ص.ص209-211. كما يحضُرُ شعر (أحمد شوقي) بشكل مُلفِت،في خطاب (الإبراهيمي) استشهادًا ودراسة؛ينظر:"مات شوقي!"،المصدر نفسه،ج01،ص106؛و"الدِّين في شعر أحمد شوقي"،ج05،ص.ص201-209.

4-4- 4- المرجعيّة التّاريخيّة:

جسَّدَت المرجعيّة التّاريخيّة في خطاب (الإبراهيمي)،سِمَةً سياقيّة أثَّرت على تشكيل الكثير من خطاباته،فبعد تمعّننا في مدى استحضاره للأحداث التّاريخيّة وتأثيرها على خطاباته؛من حيث موضوعاتها ومقاصدها،وبالتالي التّأثير على اختيار استراتيجيّة (أو استراتيجيّات) خطابيّة معيَّنة،وجدناها تحضر وفقَ ثلاثة محاور كبرى:

أ- توظيف التّاريخ كشاهد أو تمثيل،بتنوّعاته المختلفة:"أمثال وحِكَم سائرة،قصَص،...إلخ".

ب- الاستثمار في الأحداث التّاريخيّة (الآنيّة أو السّابقة) ذات المحطّات المهمّة،وفقَ مسلكين اثنين:

- الأوّل منهما:أحداث عارضة ودوريّة،كالإحتفائيّات،والخُطَب الجُمَعيَّة،وافتتاح المساجد والمدارس،وذكريات تأسيس الجمعيّة وجريدة "البصائر"...إلخ.

- وأمّا الثاني،فينقسم بدوره إلى ثلاثة محاور أساسيّة هي:إحياء ذكرى وفاة بعض الشّخصيّات التي كان له بها علاقة مباشرة،والمناسبات الدِّينيّة،والمناسبات الوطنيّة...إلخ.

ج- التأثّر بالأحداث التي لها علاقة مباشرة بالجزائر والعالَمَين الإسلامي والعربي؛وحتّى على المستوى الإفريقي والعالمي في بعض الأحيان.(*)

4-4- 5- المرجعيّة الفكريّة الخاصّة:

يُعرَف عن خطاب (الإبراهيمي) أنّه خطاب،يتميّز بحَمُولة فكريّة خاصّة أو كما تُعرَفُ عند الكثير من الباحثين بتسمية "النّسق الفكري الخاص"؛حيث يتجلّى هذا النّوع،في المعاني الظّاهرة والخفيّة للخطاب ذاته.

(فالإبراهيمي) لم يكن مجرَّد مخاطب عادي يعتمد على البيان والزّخرفة اللفظيّة وكفى؛بل يُعَدُّ مُفكّرًا يحترم نفسه وعقله وفكرته ودعوته،ويمضي في آثاره الكتابيّة ضمن قواعد جعلته كاتبًا له قضاياه الفكريّة،الأصيلة التي توقّف عندها يدعو إليها ويبشّر بها،وله منهجه الفكري الذي يتميّز به حين يطرح هذه القضايا ويُدَلِّل عليها.(1)

فالأنساق الفكريّة لدى (الإبراهيمي)،متداخلة،ومكثّفة،ومتضاربة،يحكمها المختلَف المرجعي،وأمّا علاقته بها،فهي حاصلة بوعي تميّزت به رؤيته المجسّدة بالنّقد المؤيَّد بالتّحليل والمراجعة،والوعي مؤصّل هنا بمنهج تحكمه مرجعيّة (الإبراهيمي) الإسلاميّة الفاعلة التي تتعامل مع الأنساق التي سبقتها،بترتيب فكري تضمنه القراءة السُّننيّة للحياة وهذا ما جعل بناء النّسق الفكري والمعرفي عنده،يعني قراءة ما سبق بالتّشكيل الواعي الذي يؤوَّل إلى الجديد المميّز(2) فالسّياق التّاريخي الخاص،الذي عاشه (الإبراهيمي) بأحداثه المتغيّرة،تولَّدَ عنه هذا النّسق الفكري الخاص.

(*)لخّص نجلُه (أحمد طالب الإبراهيمي)،تلك الرّساليّة في ثلاثة أقاليم،بقوله:«إذا أردت أن تختصر رسالة الإبراهيمي في كلمات،فهذه الكلمات هي:الإسلام والعروبة والجزائر»،البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج01،ص20.

(1) ينظر:شكري فيصل،قضايا الفكر في آثار الإبراهيمي،مرجع سبق ذكره،ص191.

(2) ينظر:عمر أحمد بوقرورة،بناء النّسق الفكري عند محمّد البشير الإبراهيمي "قراءة في ظل البنية والمتغيّر"،دار الهدى،عين مليلة-الجزائر ؛د ط:د ت،ص.ص62-63.

4-4- 6- المرجعيّة المنطقيّة:

على غرار المرجعيّات التي سبق لنا ذكرها،تحضر المرجعيّة المنطقيّة هي الأخرى في خطاب (الإبراهيمي)،بما يستمدّه منها من آليّات شبه منطقيّة،تنعكس مباشرة في انتقاء استراتيجيّتين محدّدتين،هما الاستراتيجيّة التّلميحيّة والاستراتيجيّة الإقناعيّة (الحِجَاجِيّة)؛بما أنّ الأهداف الخطابيّة المتعلّقة بالتّلميح والحِجَاج،تحتاج في تأسيسها إلى آليّات شبه منطقيّة أكثر من أهداف أخرى،وهذا مَكمَن الانعكاس.(*)

4-4-7- المرجعيّة الموسوعيّة:

يمتلك خطاب (الإبراهيمي) بُعدًا موسوعيًّا بامتياز؛حينما ينعكس في مدى استعانته بمجموعة من الرّوافد المعرفيّة المختلفة،والمتنوّعة من حيث مجالات اهتماماتها وآليّاتها الإجرائيّة التي تستخدمها،من:دِينيّة،ولغويّة،وتاريخيّة،...إلخ.

إذ إنّها،تترجم قيمة المرجعيّة الموسوعيّة،التي تختصّ بها ثقافة (الإبراهيمي) بصورة شاملة،ومدى توظيفها في انتقاء استراتيجيّة (أو استراتيجيّات) خطابيّة معيّنة،توجّهها عناصر سياقيّة خاصّة،مثلما نجده في خطاباته،التي تعكس «مدى تفتّحه على ثقافة عصره،وهو الذي ورث تكوينًا على يد علماء "تقليدييّن"».(1)

فكلّما ضمَّن في خطاباته من«مثَل أو قول أو شاهد أو حديث أو فكرة شائعة،وحاول أن يحيط بحيثيّاتها مُلمّحًا هنا،ومُتوسّعًا هناك،ولكنّك في كلتا الحالين،تشعر بنقص يجذبك إلى تصفّح مصادر وقواميس موسوعيّة».(2)

وفي الختام،نقول إنّ خطاب (الإبراهيمي)-بكلّ استراتيجيّاته-،يمثّل حزمة تراكمات مرجعيّة مختلفة،طُبِّقَت عليها في بعض الأحيان،إجراءات وقراءات معرفيّة حديثة؛لأنّها«تنبع من مرجع المبدِع الثّقافي والاجتماعي والنّفسي،وما ينتُجُ عنها من أحداث وحوادث تطبع بيئته المعيشيّة ومستوى تطلّعاته الفكريّة الخاطريّة».(3)

وعليه،خلُصنا إلى أنّ هذه المرجعيّات الخطابيّة التي يمتلكها (الإبراهيمي)،أثَّرَت تأثيرًا مباشرًا- بوعي واضح أو غير واضح- على انتقاء استراتيجيّة (أو استراتيجيّات) خطابيّة محدَّدَة لديه،انعكست في مجموعة الآليّات اللغويّة وشبه المنطقيّة التي وظَّفها في خطاباته بمختلف أشكالها اللّغويّة،وسياقاتها التّداوليّة الخاصّة والمتغيّرة.

ويبقى الكشف عن تلك الاستراتيجيّات الخطابيّة،هو مَنَاطُ دراستنا بصفة كلّيّة،وذلك من أجل إخراج «صناعة الخطاب من مفهومها الضيّق في مجال كتابة الرّسائل والشّعر والمناظرة والخطبة لتشمل الخطاب الكلّي الذي يحمله أيّ كتاب يؤلّفه صاحبه،فيصبح الخطاب هو مجموع المعاني التي تحملها الأجزاء،أو مجموع المقاصد الكليّة المراد إبلاغها وكذا الأشكال التّعبيريّة التي حقّقت ذلك».(4)

(*) هذا ما يؤكّده تحليلنا التّطبيقي،لاستراتيجيّتي التّلميح والإقناع (الحِجَاج) في خطاب (الإبراهيمي)؛ينظر في:الفصلين الرّابع والخامس من البحث.

(1) البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج03،ص16.

(2) عبد الجليل مرتاض،البنية اللسانيّة في رسالة "الضّب" للبشير الإبراهيمي،دار هومه-الجزائر؛د ط:2014م،ص103.

(3) عبد السّميع موفق،**المرجعيّة والنّسق في خطاب البشير الإبراهيمي"مقاربة أسلوبيّة"**،مجلة الآداب واللّغات،جامعة محمّد البشير الإبراهيمي،برج بوعريريج؛ع03:جانفي2016م،ص187.

(4) محمّد بازّي،صناعة الخطاب،مرجع سبق ذكره،ص26.

ويلخّص المخطط التّالي،كل ما تحدّثنا عنه من مفاهيم في هذا الفصل،مطبّقة على خطاب (الإبراهيمي):

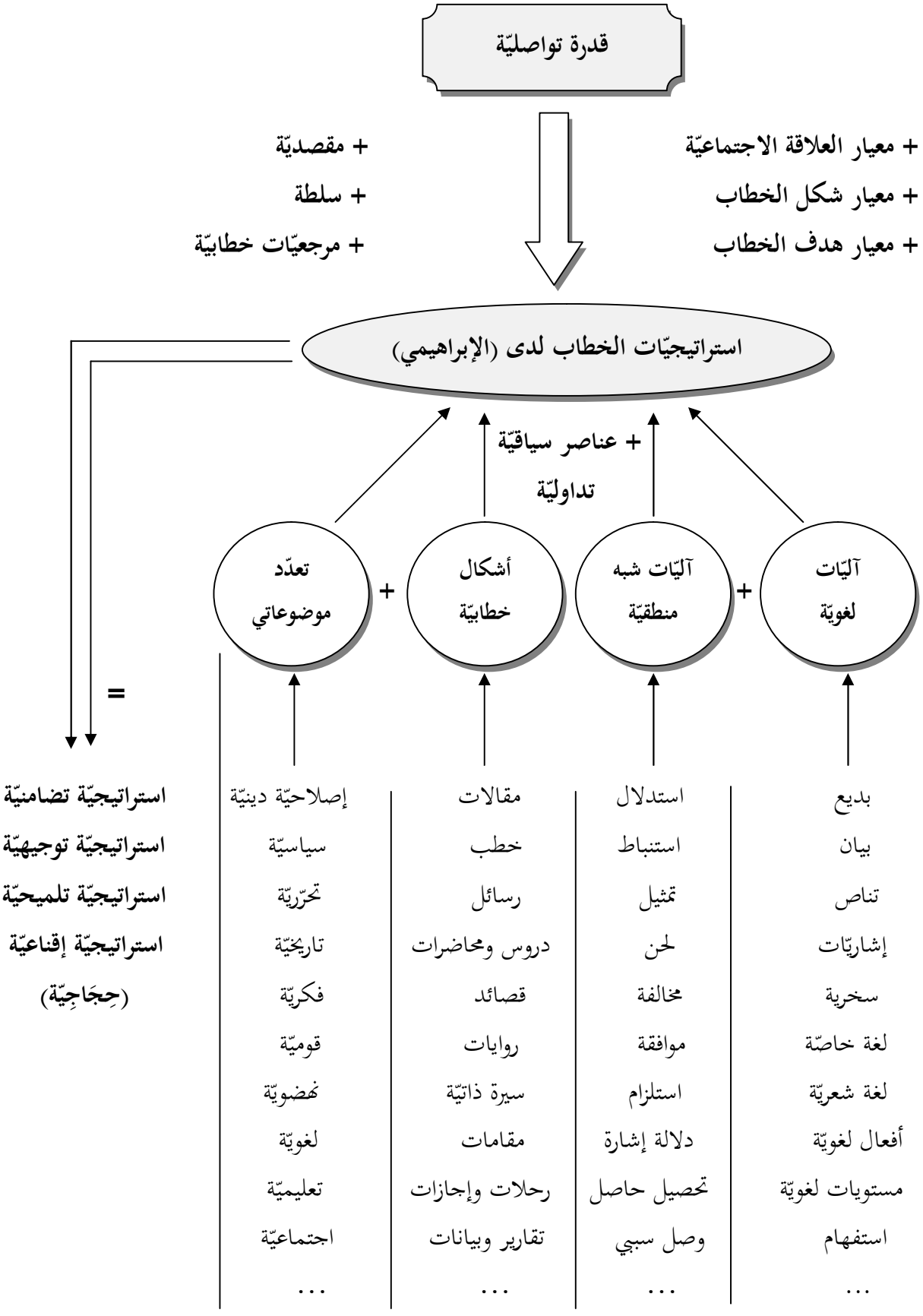

– مخطّط رقم07:يوضّح كيفيّة انتقاء الاستراتيجيّات الخطابيّة لدى (الإبراهيمي)–

الفصل الثّاني

الإِستراتيجيّة التّضامنيّة في خطاب (الإبراهيمي)

– الفصل الثّاني: الإستراتيجيّة التّضامنيّة في خطاب (الإبراهيمي).

1– مفهوم "الاستراتيجيّة التّضامنيّة– Solidarity strategy":

لا شكّ أنّ أيَّ خطاب،يُشكِّلُهُ ويُقيِّدُهُ البناء الاجتماعي بأوسع معانيه،وعلى جميع المستويات؛أي من حيث الطّبقات والعلاقات الاجتماعيّة التي تؤطِّره على المستوى المجتمعي،وأيضًا طبيعة العلاقات الخاصّة بمؤسّسات محدّدة وبهذا يظهر،أنّ للخطاب قدرة على التّكوين الاجتماعي؛أي يساعد في بناء علاقات اجتماعيّة بين النّاس.[1]

ولهذا غالبًا ما تعكس لغة التّواصل بين المرسِل والمرسَل إليه،طبيعة العلاقة الاجتماعيّة القائمة بينهما،في محوريها: التّكافؤي أو التّراتبي السُّلَّمِي،وخاصّة إذا تدخّلت في العمليّة التّخاطبيّة التّواصليّة،الخصائص الاجتماعيّة المشتركة التي تجمع بينهما:"كالدِّين،واللّغة،والعرق،والوطن،والمهنة...إلخ".

فلكلّ لغة طبيعيّة أدواتها اللّغويّة وصيغها التّعبيريّة الخاصّة،التي يعبِّر بها مستعملوها عن مختلف العلاقات الاجتماعيّة القائمة بينهم،من ناحية تفعيل "السّلطة" أو بالتنازل عنها،من خلال تفعيل "التّضامن"،بما أنّهما من «أهم العوامل المؤثّرة في عمليّة الاتّصال الاجتماعي المباشر بين الأفراد،ويمكننا أيضًا أن نقول أنّهما تعبِّران عن حاجة الفرد لتحديد رؤيته لطبيعة هذه العلاقات».[2]

فلغة التّأدُّب في الجماعات الكلاميّة المختلفة لا تهدف إلى نقل الأفكار والأحاسيس فقط؛بل الأغلب فيها أنّها وسائل لتوثيق صِلَات النّاس بعضهم ببعض،فهي مظهر من مظاهر التّهذّب،وفي كثير من الأحوال شارة الطّبقة الاجتماعيّة التي ينتمي إليها المخاطِب وتلك التي ينتسب إليها المخاطَب.[3]

ولهذا كثيرًا ما نجد في بعض الخطابات،توظيفها لمجموعة من الألفاظ والتّراكيب التي تدلّ على إرادة المرسل بالتقرّب من متلقّي خطابه والتّضامن معه،وبالتّحديد إذا كان الخطاب موجَّهًا إلى متلقٍّ مخصوص؛إذ يعمَدُ المرسل إلى استعمال آليّات لغويّة متنوّعة:"كالاسم العلَم،والدُّعابة،والدّعاء...إلخ"،تنعكس في صيغ تعبيريّة ذات شحنات دلاليّة تضامنيّة من قبيل:"أخي المحترم،وصديقك المخلص،ودمتم لأخيكم،وأغلب عبارات التّحيّة...إلخ".

وبالتالي يمكن اعتبار النّزوع إلى استخدام صيغ التّهذيب الإيجابيّة،التي تؤكّد درجة التّقارب بين المرسل والمتلقّي،بأنّها استراتيجيّة تآزر وتضامن "Solidarity strategy"،ويمكن أن تكون هذه هي الاستراتيجيّة الأساس،العاملة بين مجموعة برمّتها أو أن تكون خيارًا يستعمله متكلِّم في ظرف معيَّن.[4]

وذلك بتدخّل مقاصد المخاطِب،ونوعيّة سلطته،وسلطة المخاطَب معًا،بالإضافة إلى خصوصيّة العلاقة الحميميّة التي تجمع بينهما،وهل هي علاقة مسبقة؟؛أي قبل لحظة إنتاج الخطاب،أم هي علاقة آنيّة؟ حاول المرسل إنتاجها لحظة التّلفّظ بخطابه فقط،وذلك في ظل عناصر سياقيّة تداوليّة معيّنة.

---

(1) ينظر:نورمان فيركلف،الخطاب والتّغيّر الاجتماعي؛تر:محمّد عنانى،المركز القومي للتّرجمة،القاهرة–مصر؛ط01:2015م،ص87.

(2) هدسون،علم اللّغة الاجتماعي،مرجع سبق ذكره،ص196.

(3) ينظر:محمود السّعران،اللّغة والمجتمع "رأي ومنهج"،د د ن،الإسكندريّة–مصر؛ط02:1963م،ص21.

(4) ينظر:جورج يول،التّداوليّة؛تر:قصي العتابي،الدّار العربيّة للعلوم ناشرون،بيروت–لبنان؛ط01:1431هـ/2010م،ص106.

إذ تؤثّر كل هذه العناصر مجتمعة،على اختيار استراتيجيّة خطابيّة محدّدة،من طرف المرسل،يستثمر من خلالها مختلف الآليّات اللّغويّة الدّالة على التقرّب من المرسل إليه والتّضامن معه،تسمّى بـ"الاستراتيجيّة التّضامنيّة".

وتُعرَّف بأنّها،الاستراتيجيّة التي «يحاول المرسل أن يجسِّدَ بها درجة علاقته بالمرسل إليه ونوعها،وأن يعبِّر عن مدى احترامه لها ورغبته في المحافظة عليها،أو تطويرها بإزالة معالم الفروق بينهما،وإجمالًا هي محاولة التقرّب من المرسل إليه وتقريبه».[1]

ويسعى مرسل الخطاب من خلال استثماره في آليّات هذه الاستراتيجيّة،إلى إزالة الفوارق الاجتماعيّة والوظيفيّة الموجودة بينه وبين المعني بخطابه،ممّا تَنتُجُ عنه علاقة حميميّة جديدة بينهما إذا كانت في الأصل غير موجودة،أو بتعزيزها إذا كانت موجودة مسبقًا.

2- عناصر ودواعي تأسيس الاستراتيجيّة التّضامنيّة:

تتأسّس "الاستراتيجيّة التّضامنيّة" في أيِّ خطاب،على حضور مجموعة من العناصر والدّواعي،هي كالآتي:

2- أ- عناصر تأسيس الاستراتيجيّة التّضامنيّة:

تنضمّ مجموعة من العناصر ذات البُعد الاجتماعي،في دعم العمليّة التّخاطبيّة التّواصليّة،عندما تتجاوز الغرض التّبليغي المحض،بغية تحقيق غرض حميمي تضامني بين طرفيها؛حيث يختلف حضور هذه العناصر من خطاب لآخر بحسب الظّروف المحيطة بإنتاج كل خطاب،كما يختلف تأثيرها بحسب القدرة التّواصليّة التي يمتلكها المرسل،وطبيعة سلطته وسلطة متلقّي خطابه،وبهذا تؤثّر تلك العناصر الاجتماعيّة (سواء أكانت مجتمعة أو متفرّقة)،في تأسيس "الاستراتيجيّة التّضامنيّة".

إذ يمكن أن نجملها في عدّة نقاط،«منها:

1- مدى التّشابه/الاختلاف الاجتماعي.

2- مدى تكرار الاتّصال.

3- مدى امتداد المعرفة الشّخصيّة.

4- درجة التّآلف،أو كيفيّة معرفة طرفي الخطاب لكلّ منهم.

5- مدى الشّعور بتطابق المزاج أو الهدف أو التّفكير.

6- الأثر الإيجابي/السّلبي».[2]

---

[1] عبد الهادي بن ظافر الشّهري،استراتيجيّات الخطاب،مصدر سبق ذكره،ج02،ص08.

[2] المصدر نفسه،ص.ص10-11.

2- ب- دواعي تأسيس الاستراتيجيّة التّضامنيّة:

تتشكّل لدَى المخاطِب جملة من الدّواعي،يؤسِّس من خلالها استراتيجيّته التّضامنيّة داخل خطابه،من بينها:

1- «تأسيس الصّداقة بين طرفي الخطاب،أو إعادتها بين طرفين فرّق بينهما الزّمن فابتعدا كثيرًا عن بعضهما البعض أو العمل على تمرير العلاقة بين طرفين لهما علاقة دائمة[...].

2- التركيز على حسن التّعامل مع صاحب السّلطة،بطريقة تحقّق الأهداف وتنقل المقاصد وتؤسّس العلاقات الطيّبة معه،أو تُبقِي عليها.

3- تحسين صورة المرسل أمام الآخرين،إذا كان معروفًا بالتّشدّد في آرائه،أو التّسلّط في تعامله،أو توخّي الطّريقة الرسميّة والجفاء في خطابه.

4- تفعيل التّضامن في حياة النّاس،بما ينعكس على التّفاعل الخطابي،وتطوير حقّهم في ممارسة الحياة بحريّة مع تقليص دور السّلطة.

5- أهمّية استعمالها في الحقول التّعليميّة،حيث يكون التّأدّب والتّخلّق في الخطاب مع الطّالب وسيلة تيسِّر الفهم وتزرع الحب،فتصبح طريقًا للعِلم،وسبيلًا إلى المعرفة».[1]

وبعد حضور إحدى هذه الدّواعي أو جلّها،بالإضافة إلى العناصر الاجتماعيّة السّابق ذكرها،لابدَّ أن يوظّف المرسل مجموعة من الآليّات اللّغويّة،في استراتيجيَّته التّضامنيّة،لخّصناها في المخطّط التالي:

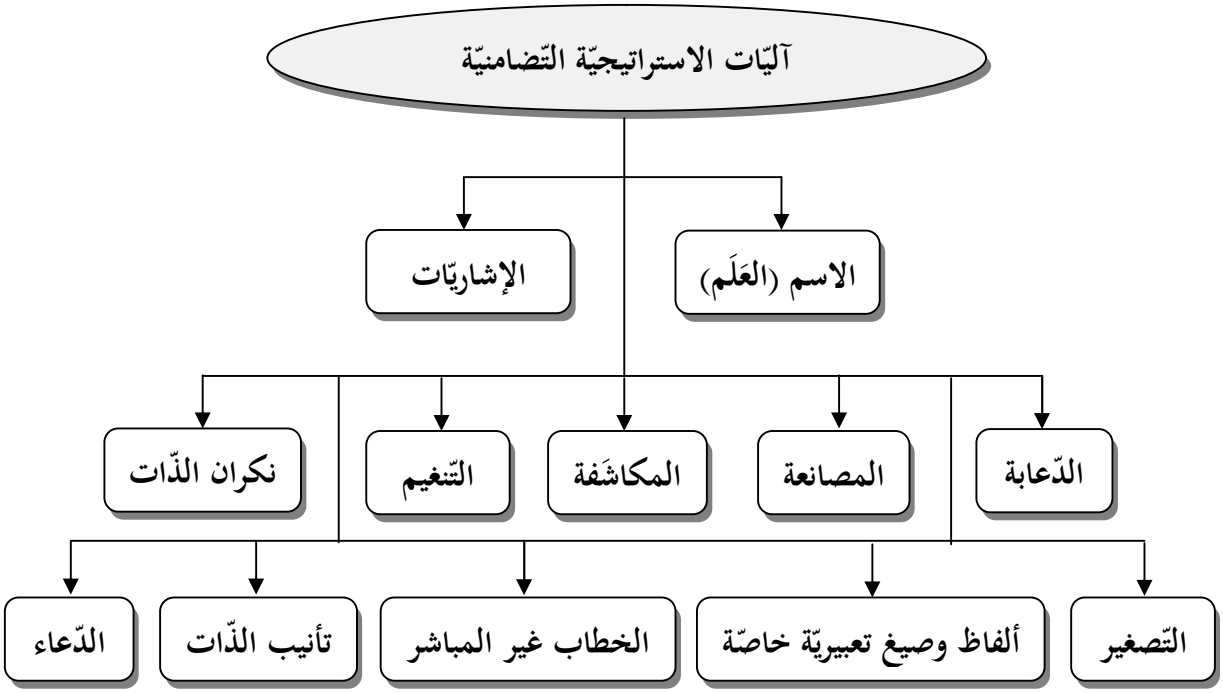

- مخطّط رقم08:يوضّح أهم الآليّات اللغويّة المستَعمَلة في الاستراتيجيّة التّضامنيّة -

[1] عبد الهادي بن ظافر الشّهري،استراتيجيّات الخطاب،مصدر سبق ذكره،ج02،ص.ص12-13.

وقبل معرفة مدى حضور هذه الآليّات في الخطاب التّضامني لدَى (الإبراهيمي)،نطرح التّساؤل التّالي:

ما هي أهم الآليّات اللّغويّة التي تمّ توظيفها في الخطاب التّضامني الإبراهيمي؟.

3- الآليّات اللغويّة في الخطاب التّضامني لدى (الإبراهيمي):

3-1- استعمال الاسم (العَلَم):

يُعرَّف "الاسم العلَم"،بأنّه «الاسم الذي يعيّن مسمّاه مطلقًا،أي بلا قيد التّكلّم أو الخطاب أو الغيبة»[1] وأسماء الأعلام منها المفرد ذو الكلمة الواحدة ومنها المركّب،وإذا تصدَّرَ الاسم العلم،بـ "أَبْ" أو "أُمْ" سمّي كنية وإذا دلّ على رفعة صاحبه،أو ضعته،أو حرفته،أو بلده؛فهو اللّقب،وإذا اجتمعت الثّلاثة "الاسم،والكنية،واللّقب" على مسمّى واحد بُدِأَ بأيّ منها،مع شرط تأخير اللّقب عن الاسم.[2]

ولهذا تتفاوت من حيث درجة تعبيرها عن التّضامن،بين طرفي العمليّة التّخاطبيّة التّواصليّة،أوّلها «الاسم فالكنية فاللّقب،فهذا هو التّرتيب في قوّة دلالتها على التّضامن».[3]

3-1-1- استخدام الاسم الأوّل:

قد يلجأ المخاطِب إلى استعمال الاسم الأوّل الخاص بالمخاطَب؛كي يعبِّر له عن مدى قربه منه،وتعزيز علاقته به.

وعليه نجد،استثمار (الإبراهيمي) لهذه الأداة في خطابه التّضامني،يختلف من خطاب لآخر،بحسب المقصديّة التّي يَرُومُ تحقيقها،ووفقَ خصوصيّة علاقته الحميميّة بالمتلقّي الموجَّه إليه الخطاب،أو بالشّخص المتحدَّث عنه،كأن يُثنِيَ على عمل شخص مَا،فيوظّف اسمه الأوّل،مصرّحًا بعبارات الثّناء عليه،أو يكتفي بالتّلميح بها.

ويجسّد النّوع الأوّل من هذا التّوظيف،الخطاب الذي ردَّ من خلاله (الإبراهيمي)،على رسالة وردَت إليه من مستشرق مَجَرِي،مسلم الدّيانة،يدعى (عبد الكريم جرمانوس)؛حيث أسّس خطابه،على مجموعة ألفاظ ذات دلالات تضامنيّة بامتياز،فمّما قاله عنه:

«ونحن نغتبط بهذه الرّسالة،ونعدّها عامل اتّصال بين الأجزاء المتباعدة من أهل هذا الدِّين،ونفحة من نفحات الإسلام العاطرة في أوروبا،ونوجّه إلى أخينا عبد الكريم- على بُعدِ الدّار- ثناءً خالصًا على هذه التّحفة اللّطيفة وتحيّات تحمل من الرّبيع روحه وريحانه».[4]

لا شكّ أنّ خصوصيّة العلاقة الحميميّة ذات البُعد الدِّيني،التي تجمع بين (الإبراهيمي) والشّخص المتحدَّث عنه أثّرت على عمليّة إنتاج الخطاب،بانتقاء مرسله لألفاظ خاصّة،وإدراجها في صيغ تعبيريّة ذات معاني تضامنيّة،عند قوله: "نغتبط،أهل هذا الدِّين،نفحات الإسلام العاطرة،بُعد الدّيار،ثناءً خالصًا..."،وبشكل خاص عندما وظّف لفظ

---

[1] ابن عقيل،شرح ابن عقيل على ألفيّة ابن مالك،ج01،دار التّراث،القاهرة-مصر؛ط20:1400هـ/1980م،ص118.

[2] ينظر:سعيد الأفغاني،الموجَز في قواعد اللّغة العربيّة،دار الفكر،د ب؛د ط:د ت،ص100.

[3] عبد الهادي بن ظافر الشّهري،استراتيجيّات الخطاب،مصدر سبق ذكره،ج02،ص22.

[4] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج02،ص392.

"الأخ" مع اسم الشّخص المتحدَّث عنه مباشرة،عند قوله:"ونوجّه إلى أخينا عبد الكريم"،وبهذه العبارة يكون قد حقّق أرقى درجات التّضامن معه.

ومن النّماذج الخطابيّة،التي تجسّد النّوع الثّاني،من توظيف الاسم الأوّل ضمن التّلميح بعبارات الثّناء،قول (الإبراهيمي):

«أيّها السّادة:إنّ الرّجل الوحيد الذي يُعَدُّ بحقّ صاحب هذه الفكرة التي ما زلنا نبدئ القول فيها ونعيد،هو السيّد الحكيم عبد القادر السماتي[...]،وإذا ذكرنا عبد القادر فإنّما نذكر الإخلاص والجدَّ والثّبات والبصيرة[...]، وإذا ذكرنا عبد القادر فلسنا بناسين أصحابه الذين آزَرُوه على الخير،وأعانوه على الرّشد».[1]

تضامن (الإبراهيمي) مع الشّخص المتحدَّث عنه،بالثّناء عليه؛حتّى وإن لم يصرّح بعبارات الثّناء،والدّليل على ذلك أنّه في البداية ذكر اسمه ولقبه معًا،على سبيل التّحديد؛كي يعرف الحاضرون من الشّخص المقصود بهذا الكلام- فالخطاب أُنتِجَ في سياق افتتاح مسجد-،ثم كرّر اسمه الأوّل على سبيل الثّناء عليه،وإعجابه بالعمل الذي قام به،بما أنّه صاحب فكرة بناء المسجد،وهذا دليل آخر أنّ العلاقة الحميميّة التي جمعت بين طرفي الخطاب،ذات بُعد دِيني بحت.

وربّما يستعمل (الإبراهيمي)،الاسم الأوّل في سياق وصفه لشخصٍ تربطه به علاقة أخويّة روحيّة؛(أي هي علاقة أعمق من الحميميّة)،كعلاقته بزميله (الفضيل الورتلاني)؛حيث تجاوز الألقاب والكُنَى،في صدد الحديث عنه بقوله: «الفضيل الورتلاني نشأ نشأة الصِّبَا والحداثة في أحضان الفطرة الطّاهرة وفي أحضان الجبال الشمَّاء...».[2]

ويحدث وأن يتمّ توظيف "الاسم الأوّل"،في سياق دفاع (الإبراهيمي)،عن بعض الأشخاص تربطه بهم علاقة حميميّة خاصّة جدًّا،مثلما دلّ عليه خطابه الذي دافع فيه عن الشّاعر (محمّد العيد آل خليفة)،بأن قال عنه: «ومن يعرف محمّد العيد،ويعرف إيمانه وتقواه وتديّنه وتخلّقه بالفضائل الإسلاميّة،يعرف أنّ روح الصّدق المتفشيّة في شِعره إنّما هي من آثار صدق الإيمان وصحّة التّخلّق،ويعلم أنّه من هذه النّاحية بدع في الشّعراء».[3]

أو بما قاله عنه،في سياق تواصلي آخر:

«إنّي أجاهركم بأنّكم جهلتم قدر شاعركم،وواطَأْتُم على هذا الجهل الجزائريّون جميعًا،ولو كان محمّد العيد في أمّة غير الأمّة الجزائريّة لكان له شأن يستأثر بهوى الأنفس،وذكر يسير مسير الشّمس».[4]

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج01،ص.ص93-94.

[2] المصدر نفسه،ج02،ص329.

[3] المصدر نفسه،ج01،ص369.

[4] المصدر نفسه،ج02،ص380.

إنّ المكانة التي يُوليهَا (الإبراهيمي) للشّاعر (محمّد العيد خليفة)،وطبيعة العلاقة الخاصّة،القائمة بينهما[*]،أدّت به إلى التّضامن معه،بتوظيف اسمه الأوّل دون كنية أو لقب،بل جعلته يعاتب المعنيّين بالخطاب،على جهلهم بقيمة هذا الشّاعر.

وممّا زاد من مصداقيّة هذا العتاب في بُعده التّضامني،هو خصوصيّة الكفاية اللّغويّة التي يمتلكها (الإبراهيمي) والمتجلّية طبعًا ضمن هذا السّياق،في رؤيته النّقديّة للشّعر.

كما لا ينبغي أن يدلّ توجيه هذه الأداة إلى مرسل إليه مخصوص،بل يمكن أن يتجاوز بها إلى مرسل إليه عام عندما يتحدّث عن شخص ميِّت كانت تربطه به علاقة ودّ،ليكون عربون وفاء لتلك العلاقة التي جمعتهما ذات يوم كعلاقته برفيقه في الدّعوة الإصلاحيّة (مبارك الميلي)،أو بشخص يُكِنُّ له كلّ الاحترام والتّقدير،مثل (محمّد بن شنب) بصفته أحد علماء الجزائر.

فمّما قاله عن الأوّل:

«ذلكم مبارك الميلي الذي فقدته الجزائر من ثلاث سنين ففقدت بفقده مؤرّخها الحريص على تجلية تاريخها المغمور وإنارة جوانبه المظلمة[...]،وجوانب العظمة في حياة أخينا مبارك كثيرة،ومآخذ العظات والأسى من تلك الحياة أكثر[...]،شارك مبارك أقرانه وشاركه السّابقون له في الطّلب واللّاحقون في كل شيء...».[1]

وأمّا قوله عن الثّاني:

«مات محمّد فعرفت هذه الطّائفة من مات[...]،مات محمّد فأسف العارفون لفضله على فضله وما هو بالذّخيرة المنزورة ولا الحظّ المنقوص ولكنّه البحر فيضًا وسعَة جوانب[...]،مات محمّد فأيقن زملاؤه وشركاؤه في الصّنعة أنّهم فقدوا بفقده ركنًا من أركان العلم الصّحيح».[2]

دلّ توظيف اسم ولقب الشّخص المتحدَّث عنه في الخطاب الأوّل،على تحديد الشّخصيّة المتحدَّث عنها أوّلًا،ما دام الخطاب موجّهًا لعموم قراء جريدة "البصائر"،ثم عبَّر عن العلاقة الحميميّة التي كانت تجمع بينهما،بذكر اسمه الأوّل مقرونا بلفظ "أخينا" ومجرّدًا من الكنية واللّقب،وبهذا التّوظيف يكون قد فعَّل قيمة التّضامن بينه وبين المتلقّي العام وكأنّه يلمّح له،بالتّمسّك بخُلُق الوفاء وعدم التّنكّر لأشخاص رحلوا عن الحياة،بعد أن قدّموا خدمات قيّمة في سبيل دِينهم ووطنهم.

---

[*] للإطّلاع على خصوصيّة هذه العلاقة؛ينظر على سبيل المثال،مقال"بين عالم وشاعر"،البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره، ج01،ص.ص227-229.وأيضًا بعض القصائد التي كتبها (محمّد العيد آل خليفة) في شخص (الإبراهيمي)؛ينظر:محمّد العيد آل خليفة،ديوان محمّد العيد آل خليفة،دار الهدى،عين مليلة-الجزائر؛د ط:2010م،ص.ص355-357.وص.ص373-374.

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره، ج02،ص.ص183-185.

[2] المصدر نفسه، ج01،ص45.

وأمّا دلالة التّضامن في خطابه الثاني،عند توظيفه لاسم "محمّد" مباشرة دون كنية ولا لقب؛لأنّ المرسل إليه مخصوص،ويعلم من هو الشّخص المتحدَّث عنه،بناءً على علاقة مشتركة تجمع بين طرفي العمليّة التّخاطبيّة التّواصليّة بما يُعرَفُ في الدّرس التّداولي بـ"الافتراض المسبق- presupposition ".(*)

فقد أُنتِجَ في سياق خطبة ألقاها (الإبراهيمي) بمناسبة "تأبينيّة"،أقيمت للحديث عن مآثر (محمّد بن شنب)،وبهذا الاستعمال حقّق المرسل قيمة تضامنيّة مع المرسل إليه،كما عبَّر بذلك عن قُرب الفقيد منه،والاحترام الذي يُكنّه له.

ومن السّياقات الأخرى التي يستعمل فيها (الإبراهيمي)،الاسم الأوّل؛حينما يستعمله مدمجًا مع آليّة المكاشفة (**) وهذا ما عبَّر عنه عندما تكلّم عن ظروف نشره لمقالاته الافتتاحيّة في جريدة "البصائر" -بصفته رئيس تحريرها-،وما يحدث له أسبوعيًّا مع عميدها (حمزة بوكوشة)،وذلك في قوله:

«ومن عادتي في هذه الكلمات التي أفتتح بها أعداد "البصائر" أن أكتبها -في الغالب- في النّصف الأخير من آخر ليلة في الأسبوع،ولا أكتبها إلّا بعد مضايقة من المطبعة لحمزة،ومضايقة من حمزة لي:وحمزة-فيما يتراءى لي- أجرأ أسرَة البصائر عليَّ،وقد أكتب الكلمة وأنا مسافر فأحسّ في باطن نفسي راحة من مضايقة حمزة لي،وأنّ مضايقات حمزة لأعود بالخير على "البصائر" من ضيقي وتبرّمي».(1)

في سياق مكاشفة (الإبراهيمي) لقرّاء "البصائر"،عن ظروف نشر مقالاته الافتتاحيّة،وما يتم بينه وبين عميد الجريدة،وظّف اسمه الأوّل مجرّدًا من الكنية واللّقب،أو حتّى بذكر التّسمية الوظيفيّة التي تجمع بينهما.

فلم يقل:"السّيد حمزة بوكوشة"،أو "عميد الجريدة حمزة بوكوشة"،أو أيّ قول آخر من هذا القبيل،فيه من الدّلالات التّضامنيّة،بأنّه تنازل عن سلطته الوظيفيّة،وتواضع مع المرسل إليه،ومع الشّخص المتحدَّث عنه بوجه أولى.

(*) من أهم القضايا التي تتناولها المقاربة التّداوليّة بالتّحليل والدّراسة،ما يعرف بـ **"الأقوال المضمرة – Implicites"** من حيث هي أقوال ضمنيّة تتجسّد في الخطاب،وخاضعة لخصوصيّة السّياق التّداولي،ومن أهمّها:

1- "الافتراض المسبق- Presupposition"،ويُقصَدُ به،أنّ في كل عمليّة تخاطبيّة تواصليّة،ينطلق طرفاها من معطيات وافتراضات مُعترَف بها ومتَّفَق عليها،تشكّل الخلفيّة التّواصليّة الضّروريّة لإنجاح العمليّة التّخاطبيّة التّواصليّة،وهي محتواة ضمن البُنَى التركيبيّة العامّة للخطاب،ففي الملفوظين:"أغلق النّافذة"،"ولا تغلق النّافذة"،خلفية "افتراض مسبق" مضمونها أنّ "النّافذة مفتوحة" ؛ينظر:مسعود صحراوي،التّداوليّة عند العلماء العرب،مرجع سبق ذكره،ص.ص30-31.وينظر أيضًا "أنواع الافتراض المسبق" موضَّحة بأمثلة تطبيقيّة،جورج يول،التّداوليّة،مرجع سبق ذكره،ص.ص53-58.

2- "متضمّنات القول- Implicites":ويُقصَدُ بها،جميع المعلومات القابلة للنّقل عبر قول معيَّن،والتي يبقى تفعيلها خاضعًا لخصوصيّة السّياق التّداولي،كأن تتضمّن جملة "إنّها السّاعة الثامنة"،بحسب سياق إنتاجها،معنى استعجل أو لا تستعجل،على حَدٍّ سواء؛حيث يتباين تأويلها،من مرسل إليه لآخر،بحسب القدرة التّواصليّة التي يمتلكها كل منهما؛ينظر:كاترين كيبرات أوركيوني،المضمَر؛ تر:ريتا خاطر،المنظّمة العربيّة للتّرجمة،بيروت-لبنان؛ط01:2008م،ص.ص74-75. وللتوسّع في معرفة "أوجه الاختلاف بين الافتراض المسبق ومتضمّنات القول"؛ينظر:المرجع نفسه،ص.ص48-106.

(**) سندرس هذه الآليّة بمزيد من الأمثلة التّطبيقيّة،في مرحلة لاحقة من هذه الاستراتيجيّة.

(1) البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج02،ص.ص214-215.

والدّليل على ذلك،أنّه كرّر اسمه (05 مرّات) على الأقل،في هذه الفقرة،ممّا ينبئ عن وجود علاقة اجتماعيّة تجمع بينهما،سِمتها الأخوّة والحميميّة،أكثر منها علاقة وظيفيّة،سِمتها الصّرامة والرسميّة.

3-1-2- استخدام الكنية:

تُوَظَّفُ الكنية كأداة من أدوات الاستراتيجيّة التّضامنيّة،بشكل مطَّرد في بعض الخطابات التي تتّسم بقليل من الرسميّة؛أي أنّ فاعليّتها في تحقيق التّضامن يكون أقلَّ منه في استعمال الاسم الأوّل،ومع ذلك يلجَأ المرسل إليها أحيانًا إلى تعزيز جانب من جوانب العلاقة الحميميّة التي تجمعه بالمرسل إليه،وبشكل خاص إذا كان يُعرَفُ في وسط اجتماعي مَا،أو علمي بكنية مخصوصة يُنَادَى أو يُعرَفُ بها.

ومن أمثلة تطبيق الكنية في الخطاب التّضامني الإبراهيمي،عند قوله:

«حضرة الأديب الفاضل الأستاذ أحمد توفيق المدني أسعده **الله**».[1]

رغم أنّ المرسل إليه،تجمعه بالمرسل علاقة حميميّة مسبقة،في محورها التّكافؤي،إلّا أنّه وظّف في هذا السّياق التّداولي الكنية وعبارات الاحترام،لإضفاء شيء من الرسميّة والتّقدير له،فيه من دلالة التّضامن،بأنّه يريد تعزيز علاقته به أكثر فأكثر.

كما نجد في نموج خطابي آخر،توظيف (الإبراهيمي) للكنية،في سياق إجازة علميّة قدّمها،لأحد علماء المغرب بقوله:

«...فقد سألني أخونا في **الله** العالم الحافظ الواسع الاطّلاع السّيد محمّد الفاسي الفهري[...]،أن أجيزه إجازة عامّة في رواية وتدريس ما أخذته ورويته عن مشائخي من علوم عقليّة ونقليّة،وهو أهل لجميع ذلك،ولو تحلّينا بحلية الإنصاف،وجرينا على جميل الأوصاف،لكان هو المجيز وأنا طالب الإجازة».[2]

بالرّغم من امتلاك (الإبراهيمي) لسلطة اجتماعيّة،ذات بُعد علمي -أي بصفته عالما دِينيًّا-،وذات محور تَراتبي سُلَّمِي،فهو في هذا المقام الأستاذ وطالب الإجازة هو التّلميذ،إلّا أنّه تنازل عنها،وتضامن معه،عن طريق استعمال الكنية،ولفظ الأخوّة،والوصف الموحي باحترام المعني.

والدّليل على ذلك أنّه بعد تصريحه بفعل الإجازة،أتبعه مباشرة بتوظيف صيغ تعبيريّة دلّت على التّواضع،وزادت من معاني الاحترام والتّقدير للمعني،في قوله:"ولو تحلّينا بحلية الإنصاف،وجرينا على جميل الأوصاف،لكان هو المجيز وأنا طالب الإجازة"،وبهذا ضاعف من القوّة التّضامنيّة لخطابه،وعزّز من علاقته بالمرسل إليه.

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج02،ص156.

[2] المصدر نفسه،ج05،ص311.

3-1-3- استخدام اللّقب:

عندما يكون الموقف التّواصلي بين طرفي الخطاب في أعلى درجات الرسميّة،يستعمل المرسل "اللّقب" كأداة من أدوات التّضامن مع المرسل إليه،بما يمتلكانه من سلطة،ووفقَ السّياق التّداولي الذي أُنتِجَ فيه الخطاب.

وعليه تتنوّع استعمالات هذه الأداة في الخطاب التّضامني الإبراهيمي،من خطاب لآخر،في ظل تغيّر العوامل السّابق ذكرها،وما وجدناه في آثار (الإبراهيمي) من نداءات أُستُعمِلَتْ فيها أداة "اللّقب" للدّلالة على التّضامن،قوله: "أيّها الإخوة المسلمون،أيّها الإخوة الأحرار،أيّها المستمعون الكرام،أيّها المسلمون أفرادًا وهيئات وحكومات،يا أتباع محمّد عليه السّلام،يا معشر المؤمنين...إلخ".

وما نلاحظه على هذه الصّيغ التعبيرية،أنّ مرسلها وجّهها إلى مرسل إليه عامّ، لم يستعمل فيها لا اسمًا مخصوصًا ولا كنية؛بل افترض مرسلًا إليه ذهنيًا،ليعبِّر له عن تضامنه معه؛وكي يهيِّئه لاستقبال مجموعة من التّوجيهات أو النّصائح فيما بَعد أو يحفّزه على عمل مهمّ...،إلى غيرها من المقاصد الخطابيّة التي يحدّدها السّياق التّداولي.

كما نجد نوعًا من التّخصيص نحو متلقٍّ معيَّن،في استعمال "الألقاب" ضمن نداءات تدلّ على التّضامن،من بينها قوله:"أيّها المسلمون الجزائريّون،أيّها الإخوة الجزائريّون،أيّها المجاهدون الأحرار،أيّها الإخوة العرب...إلخ.

وإذا نظرنا في الدّلالات الإيحائيّة لاستعمال هذه "الألقاب" ضمن نداءات ذات بُعد تضامني،نجد أنّها موجَّهة إلى متلقٍّ مخصوص:"كالشّعب الجزائري،أو المجاهدون والثّوار...إلخ"؛ممّا يوحي بأنّ مرسلها يَعِي جيّدًا مدى التّأثير العاطفي والوجداني لهذه الصّيغ التّعبيريّة،على متلقّي خطابه،ومن ثم حمله على الإقتناع.

وهناك صيغ تعبيريّة تضامنيّة أخرى موجّهة إلى مرسل إليه مخصوص ذُو سلطة اجتماعيّة،قد تعلُو على سلطة (الإبراهيمي) أو تعادلها في بعض الأحيان،كالملوك والرّؤساء،والوزراء،والعلماء...إلخ.

عندئذٍ توظّف "الألقاب" في الخطابات الرسميّة التي تتّسم بسياقات تواصليّة خاصّة،كما ورد في الخطاب التالي: «حضرة صاحب الجلالة الملِك سعود ملِك المملكة العربيّة السّعوديّة».[1]

أو كما جاء في هذه الفقرة الخطابيّة:

«السّيد الرّئيس جمال عبد النّاصر والسّيد الوزير أنور السّادات».[2]

أو مثلما،يظهر في هذا الخطاب:

«حضرة صاحب الفضيلة الشّيخ عمر بن حسن،رئيس هيئة الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر بالمملكة العربيّة السّعوديّة».[3]

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج05،ص51.

[2] المصدر نفسه،ص49.

[3] المصدر نفسه،ص224.

بالرّغم من غياب السّلطة الوظيفيّة المباشرة للمعنيّين بتلك الخطابات،على (الإبراهيمي)؛إلّا أنّه اختار اللّقب المناسب لكل رتبة وسلطة اجتماعيّة يمتلكها مرسل إليه معيَّن؛فالملك استعمل معه لقب "صاحب الجلالة"،والرّئيس وظّف معه لقب "السّيد الرّئيس"،والوزير خاطبه بـ"السّيد الوزير"،والعالِم لقَّبه بـ"صاحب الفضيلة الشّيخ".

وهذه كلّها مؤشّرات تدلّ على أنّ المخاطِب،يَعِي جيّدا الأبعاد التّداوليّة،التي تقدّمها "الألقاب" في مثل هذه السّياقات التّداوليّة الخاصّة،وهذا الذي أشار إليه (الجاحظ)،بقوله:«وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش،ساكن الجوارح،قليل اللّحظ،متخيّر اللّفظ،لا يكلّم سيّد الأمَة بكلام الأمَة ولا الملوك بكلام السّوقة».[1]

وتعَدُّ ألفاظ القرابة فرعًا مهمًّا من الألقاب،عندما تعكس طبيعة العلاقات الاجتماعيّة بين طرفي العمليّة التّخاطبيّة التّواصليّة،وهذه الألقاب هي:"ابن،أخ،أخت،أب،ولد...إلخ"،ولهذا يمكن أن يستعملها المرسل «عندما:

1- يكون لديه خيار باستعمال غيرها،ولكنّه يفضّلها للدّلالة على التّضامن.

2- أو فيما ليست حقيقة له».[2]

ويشكّل توظيف لفظة "الأخ" بمختلف اشتقاقاتها "الإخوة،الإخوان،..."،سِمَة بارزة في الخطاب التّضامني لدَى (الإبراهيمي)،وهذا ما صرَّح به عندما خاطَب أحد الوفود العربيّة والإسلاميّة،قائلًا:

«فأنا حينَ أُخَاطِبُ إخواني الكرام الذين أتاحَ لي الحظّ السّعيد أن أقف أمامهم في هذه اللّحظة،لا يحلو لي إلّا أن أخاطبهم بهذا الوصف الجليل،وهو وصف الأخوّة الذي منذ فقدناه لم نجد أنفسنا،وكأنّنا حبّات انقطع سلكها فانتثرت فأصبحت كلّ حبّة منها في كفٍّ لاقط،فمعذرة إلى إخواني الذين أعتزّ بأخوّتهم إن خرجت عن النّمط المألوف في رسوم الخطاب،وخاطبتهم بيا أيّها الإخوان».[3]

بل يراه ضرورة من ضرورات تخاطب المسلمين فيما بينهم،مستدلًّا في ذلك بآية قرآنيّة من سورة [الحجرات:10] حينما قال:«والذي أستحسنه هو أن يتخاطَب المسلمون فيما بينهم بكلمة "الأخ"،أخذًا من قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾».[4]

ولهذا قد يلجأ (الإبراهيمي)،إلى استعمال هذه الأداة،في الحالة التي يكون فيها المرسل إليه مكافئًا له في السّلطة الاجتماعيّة- على الأقل في بُعدها العلمي-،مثلما تضمّنه خطابه الموجَّه إلى زميله (الطيّب العقبي)،والذي قال فيه: «الأخ الأستاذ الشّيخ الطيّب العقبي-حفظه **الله**- وسدَّد في الحقّ خطاه.

قد اطّلعت-أيّها الأخ- على العدد الأوّل والأخير من جريدة "الإصلاح" على حِين فترة من الجرائد[...].

وإنّ أخاكم لا يرجو لتلك العزيمة "العقبيّة" إلّا أن يزيدها **الله** ثباتًا في الدّفاع عن الحقيقة،وأن يَقِيهَا عثرات القلم

---

[1] أبو عثمان بن عمرو بن بحر الجاحظ،البيان والتّبيين؛تح:عبد السّلام هارون،ج01،مكتبة الخانجي،القاهرة-مصر؛د ط:د ت، ص92.

[2] عبد الهادي بن ظافر الشّهري،استراتيجيّات الخطاب،مصدر سبق ذكره،ج02،ص31.

[3] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج02،ص465.

[4] المصدر نفسه،ج04،ص124.

وفتنة الرّأي[...]،ودمتم لأخيكم محمّد البشير الإبراهيمي».[1]

عكست البنية اللّغويّة التي صيغ بها هذا الخطاب،خصوصيّة العلاقة الاجتماعيّة-في محورها التّكافؤي،وفي بُعدها الأخوي-التي تجمع بين (الإبراهيمي) وزميله (العقبي)،والدّليل على ذلك أنّه كرّر لفظة "الأخ" واشتقاقاتها المختلفة ليعبّر له عن مدى قربه منه،وعن إرادته في تعزيز العلاقة الأخويّة بينهما.

كما يُعَدُّ استعمال لقب "الولد"،من أكثر ألقاب القرابة استعمالًا في الخطاب التّضامني الإبراهيمي،مثلما ورد في النّموذج الخطابي الآتي:

«ولدنا الأستاذ أحمد بن أبي زيد يسّره **الله** لليسرى[...]،والدك:الإبراهيمي».[2]

إنّ افتتاح (الإبراهيمي) لرسالته،بلفظ "ولدنا"،وختمها بلفظ "والدك"،عند مخاطبته لمتلقٍّ هو في الأصل ليس بولده نسبًا،فيه من الدّلالات التّضامنيّة،على وجود علاقة خاصّة جدًّا بينه وبين المرسل إليه المخصوص،وصلت إلى درجة العلاقة الأبويّة.

ولهذا نجده،في خطاب آخر،وجّهه إلى (محمّد العيد آل خليفة)،استعمل فيه لفظ "الولد" بمعنى تضامني أعمق من الخطاب السّابق،وذلك في قوله:«إلى ولدي الرّوحي الأستاذ محمّد العيد».[3]

إذ لم يكتف (الإبراهيمي)،باستعمال لفظ "ولدي" فقط؛بل دعّمها تضامنيًا،بتوظيف لفظ "الرّوحي"،وهذا ما عكس عمق العلاقة الحميميّة،التي تجمع بينهما،وقد سبق لنا الحديث عن خصوصيّة هذه العلاقة بالذّات.

كما يمكن،أن يوظّف (الإبراهيمي) هذه الأداة،مع مرسل إليه عام،تربطه به سلطة وظيفيّة في الأساس،في محورها التّراتبي السُّلَّمي،كما دلّ عليه مقاله الموسوم بـ "إلى أبنائنا المعلّمين الأحرار"،والذي قال فيه:

«إنّنا-يا أبنائي-كنّا أوّل من نام،وآخر من استيقظ،[...]،هذه هي حالتنا -يا أبنائي- نهدم ونرفع الأنقاض ونبني ونعمّر في آن واحد[...]،إنّكم-يا أبنائي- رجال حركة،فلا تشيّنوها بالسّكون،وأبطال معركة،فلا يكن منكم إلى الهوينا ركون».[4]

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج01،ص.ص410-411. وقد حلّل الباحث (خليفة بولفعة)،الرّسالة نفسها؛ينظر: خليفة بولفعة،**إستراتيجيّات الخطاب عند الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي**،مجلّة النّ(ا)ص،جامعة محمّد الصّديق بن يحي،جيجل؛ ع19:جوان2016م،ص.ص113-116.كما نشير أنّه شاء **الله**،في أن يتطابق بحثنا في الفكرة والعنوان مع هذا المقال،مع أنّنا تحصّلنا عليه قبل إتمام بحثنا،بمدّة وجيزة فقط.

[2] المصدر نفسه،ج02،ص39. وقد يوظّف (الإبراهيمي) هذه "الألقاب"،في بعض عناوين خطاباته بوجه عام،وفي شكلها الرّسالي بوجه خاص؛ينظر على سبيل المثال:«إلى ولدنا الأستاذ عبد الحميد الهاشمي»،المصدر نفسه،ج04،ص401.وأيضًا:«إلى ولدي الأديب عمر بهاء الدّين الأميري»،المصدر نفسه،ص403.

[3] المصدر نفسه،ج01،ص227.

[4] المصدر نفسه،ج03،ص.ص262-265. وقد يوظّف (الإبراهيمي) هذه "الألقاب"،في بعض عناوين خطاباته؛ينظر على سبيل المثال:«إلى أبنائي الطّلبة المهاجرين في سبيل العلم»،المصدر نفسه،ص201.وأيضًا:«كلمات واعظة لأبنائنا المعلّمين الأحرار»،المصدر نفسه،ص266.

عبّر (الإبراهيمي) بهذه الصّيغ التّعبيريّة التّضامنيّة،مع المرسل إليه المخصوص،بأن تنازل عن سلطته الوظيفيّة،مادام هو المسؤول الأوّل عن "جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين"،والمعلّمون المعنيّون بالخطاب،هم منتسبون إلى مدارس الجمعيّة؛حيث تضامن معهم بصفته العالم المصلح وليس رئيسًا للجمعيّة،وبأنّ قضيّتهم واحدة.

وهذا ما يوحي بأنّه يريد التقرّب منهم وليس التّعالي عليهم،ومخاطبتهم بلغة الرّئيس والمرؤوس،فالسّياق التّداولي،هنا هدفه تعليمي بحت،في معانيه الظّاهرة يدلّ على التّضامن وفي معانيه الضّمنيّة،عبارة عن توجيهات للمرسل إليه وحُجَج متعاقبة،من أجل إقناعه بتبنّي سلوكات معيّنة.

3-1-4- استخدام الثّلاثة (الاسم الأوّل،والكنية،واللّقب):

قد تجتمع العناصر الثّلاثة الدّالّة على "الاسم العلَم"؛حيث يستعمل المرسل في خطابه التّضامني،الاسم،والكنية واللّقب في جملة واحدة،وفقَ ترتيب معيَّن،وحسب درجة التّضامن التي يريد التّعبير عنها.

ولهذا تتنوّع صيغ توظيفها في الخطاب التّضامني لدى (الإبراهيمي)،بتنوّع السّياق التّداولي،كأن يتحدَّث عن شخص مَا،أو يوجّه رسالة إلى مرسل إليه مخصوص،ويستفتحها بخطاب تضامني بحت.

ومثال التّوظيف الأوّل،ما عبَّر عنه الخطاب التالي:

«زارنا في هذا الأسبوع الأديب الكاتب المفكّر الرّحّالة الأستاذ محي الدِّين القليبي».[1]

ومثال التّوظيف الثّاني،ما دلّ عليه خطاب الرّسالة التالية:

«حضرة الأخ الأسعد العلّامة النّاصر لدين **الله** الأستاذ الكبير أبي الأعلى المودودي أمير الجماعة الإسلاميّة -لاهور بباكستان...».[2]

نلاحظ الفرق في توظيف "الاسم،والكنية،واللّقب" بين الخطاب الأوّل وخطاب الرّسالة،فالأوّل بما أنّه أُنتِجَ في سياق الحديث عن شخصيّة زارت الجزائر،تربطها علاقة حميميّة (بالإبراهيمي)،وظّف العناصر الثّلاثة وفقَ دلالة تضامنيّة عاديّة نوعًا مَا.

وبما أنّ خطاب الرّسائل ينبني على «نوع من الحوار وتداول الكتابة،والمولّد الأساسي هو هذا التّداول الفكري واللّغوي والعاطفي بين الطّرفين».[3]

لهذا جاء خطاب رسالة (الإبراهيمي)،وفقَ دلالة تضامنيّة أكثر حميميّة،والدّليل على ذلك أنّه أسبقها بعبارة "حضرة الأخ الأسعد".

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج02،ص451.

[2] المصدر نفسه،ج05،ص161.

[3] عبد **الله** العشي،زحام الخطابات،مرجع سبق ذكره،ص145.

3-2- توظيف الإشاريّات:

إنّ مكمَن الاختلاف بين توظيف اسم العلَم والإشاريّات في الخطاب التّضامني،من حيث «الأدوات الإحاليّة وكذلك في الكفايات التي يتوفّر عليها المتكلّم للإحالة بهذه الأداة أو تلك،ذلك أنّ التّعيين بواسطة الإشاريّات يكون إدراكيًا أمّا التّعيين بواسطة اسم العلَم فهو عمومي».[1]

ولاستخدام الإشاريّات في الاستراتيجيّة التّضامنيّة،فوائد عدّة،من بينها «تأسيس العلاقة الاجتماعيّة،والإسهام في تطويرها،وقد تكون مؤشّرًا على الانتماء إلى جماعة معيّنة مثلًا،أو دليلًا على الاتّفاق معها في الرّأي،خصوصًا إذا لم يسبق للمرسل إليه معرفة ذلك الرّأي،أو التّلفّظ به من قِبَل المرسل[...]،ويتجاوز غرض الإسناد إلى هذه الأدوات معيار الوظيفة النّحويّة البحتة إلى المعيار التّداولي،وعليه،فإنّ الإسناد إلى أنا أو أنت أو نحن أو هو أو هم في كثير من الخطابات هو للتّدليل على الاستراتيجيّة التّضامنيّة».[2]

وبما أنّ الضّمائر "المتّصلة،والمنفصلة"،هي «ألفاظ مختصرة موجَزَة يُستَغنى بها ظاهرة أو مضمرة عن ألفاظ تحتاج عند النّطق أزمانًا وجهدًا أطول وأكثر».[3]

لهذا تتباين،من حيث دلالتها على التّضامن،باختلاف السّياقات التّداوليّة،وباختلاف نوعيّة العلاقة التي تجمع بين طرفي العمليّة التّخاطبيّة التّواصليّة.

3-2-1- استخدام الضّمائر المتّصلة:

بإمكان مرسل الخطاب التّضامني،أن«يستبدل ضميرًا معيّنًا بضمير آخر؛فهناك أحرف أو ضمائر يمكن أن يستعاض بها عن الضّمائر المنفصلة،ومن هذه الأحرف ما هو سابق للفعل وله دلالة الضّمائر المنفصلة،مثل حرف النّون،إذ يتّصل بالأفعال المضارعة،بوصفه سابقًا لها،وتتجاوز وظيفته مجرّد وظيفة الدّلالة النّحويّة على زمن الفعل إلى الاستعمال التّداولي للدّلالة على التّضامن نيابة عن الضّمير المنفصل (نحن)».[4]

وهذا ما يظهر في كثير من خطابات التّضامن لدَى (الإبراهيمي)؛حينما يوظّف هذا الحرف،لتحريك العاطفة في نفس متلقّي خطابه،وبالأخص المنتسِبين منهم إلى جمعيّة العلماء،ليعمل هذا الخطاب التّضامني على إيقاظ الهِمَم وتحمّل المسؤوليّة،مثلمَا جاء،في قوله:

---

[1] يوسف السيساوي،الإشاريّات مقاربة تداوليّة،ضمن كتاب،التّداوليّات علم استعمال اللّغة؛تنسيق وتقديم:حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث،إربد-الأردن؛ط02:2014م،ص445.

[2] عبد الهادي بن ظافر الشّهري،استراتيجيّات الخطاب،مصدر سبق ذكره،ج02،ص.ص41-42.وينظر أيضًا:

R.Brown and A.Gilman,The Pronouns of Power and Solidarity,in T.A.Sebeok (ed),Style in Language,MIT Press:1960,pp252-262.

[3] عبد الرّحمان حسن حبنّكة الميداني،البلاغة العربيّة أُسُسُهَا،وعلومها،وفنونها،ج01،دار القلم،دمشق-سورية؛ط01:1416هـ /1996م،ص411.

[4] عبد الهادي بن ظافر الشّهري،استراتيجيّات الخطاب،مصدر سبق ذكره،ج02،ص54.

«هذه هي حالتنا -يا أبنائي- نهدم ونرفع الأنقاض ونبني ونعمّر في آنٍ واحد،ونؤدّي فريضة الوقت ونقضي الفوائت على غيرنا في آنٍ واحد،ثم نؤدّي الكفّارات على ذنوب لم نجترحها...».[1]

تجاوز توظيف حرف "النّون" الذي ناب عن الضّمير "نحن"،الوظيفة النّحويّة،ليقدّم وظيفة تداوليّة،ذات بُعد تضامني ظهر في تنازل (الإبراهيمي) عن سلطته الوظيفيّة،بصفته رئيس "جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين"،وجعل ذاته في مرتبة واحدة مع المعلّمين المنتسبين إلى مدارس جمعيّته،ليعبّر لهم بأنّ قضيّتهم واحدة،وما يلقَونَه من صعاب في هذا الميدان مَسَّهم جميعًا،ولهذا دعّم البُعد التّضامني الذي قدّمه حرف "النّون" بتوظيف لفظ من ألفاظ القرابة،عند قوله: "هذه هي حالتنا -يا أبنائي-..."،وهذا دليل قوي على إرادة المخاطِب في تعزيز علاقته بالمخاطَب والتّضامن معه.

بالإضافة إلى حرف "النّون"،يمكن أيضًا،أن ينوب الضّمير المتّصل "نا"،عن الضّمير المنفصل "نحن"؛حيث «يكثر استعمال هذا التركيب في بعض السّياقات التي تؤطّرها العاطفة».[2]

والخطاب التّضامني الإبراهيمي، لم يغفل بدوره،هذه الصّياغة اللّغويّة التّضامنيّة،في العديد من السّياقات التّداوليّة الخاصّة،في بُعدها الوجداني والعاطفي،مثلما دلّ عليه الخطاب الذي وجّهه (الإبراهيمي)،إلى نخبة من الشّباب العربي والذي قال فيه:

«فتَنَ الاستعمار الغربي بعضنا عن بعض ثمّ فتننا عن أنفسنا،ورمانا بمقوّماته وبمنوّماته فأصمانا...رمانا بمقوّماته من قوّة وعِلم وصناعة،وبمنوّماته من كل ما يضعنا ويرفعه،ويضرّنا وينفعه،وراضَنا على هذا جيلًا بعد جيل،حتّى ماتت فينا نزعة السّيادة والقيادة،وأصبحنا نعتقد أنّنا خُلِقنا من طينة غير طينته،وأنّ عقولنا صِيغَت من جوهر غير جوهره،فاستخفّ بنا كما استخفّ فرعون قومه فأطاعوه،وأمكنّاه من نفوسنا فقادها بخطام الشّهوات كما يحب إلى حيث يحب،ومن عقولنا فاستهواها،ومن رقابنا فاستذلّها،ومن أوطاننا فاستغلّها،ومن وحدتنا فمزّقها،ولم نصحُ من ذلك التّنويم-إن صحّ أنّنا صحونا-إلّا والأخ متنكّر لأخيه...».[3]

جعل (الإبراهيمي) من الضّمير المتّصل "نا" ركيزة لغويّة،مرّر من خلالها خطابه،الذي يبدو في ظاهره،خطابًا تضامنيًّا بامتياز،ينمّ عن عاطفة أخويّة ذات بُعد قومي عربي،تجمع بين (الإبراهيمي) وأولئك الشّباب.

وإذا تمعنَّا في المقاصد الخفيّة،التي رام تحقيقها هذا الخطاب،نجد أنّه خطاب حِجَاجِي أكثر منه تضامني؛أي أنّ مرسله حاول إقناع المرسل إليه المخصوص،بالتّفطّن لنظريّة المؤامرة التي تسلّط بها العالم الغربي على العالم العربي،وتُعتَبَرُ ظاهرة الاستعمار أكبر أدواتها الفاعلة،بما حقّقته من نتائج إيجابيّة في سبيل ذلك،وأوّل تلك النتائج،هي تخدير العالم العربي وتنويمه،وجعله غائبًا عن كل مقوّمات الحضارة من علم وصناعة...إلخ.

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج03،ص264.

[2] عبد الهادي بن ظافر الشّهري،استراتيجيّات الخطاب،مصدر سبق ذكره،ج02،ص56.

[3] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج05،ص100.

فمجرّد أن سلّط (الإبراهيمي) الضّوء على هذه النّتائج،وطرحها في شكل أفكار متسلسلة،على الشّباب العربي هو في حدّ ذاته محاولة منه لإقناعهم،بأنّهم الأصلح والأجدر بتخريج العالم العربي من هذا الواقع،بما يمتلكونه من خصائص تميّزهم عن باقي فئات المجتمع،وبوجه أخص أنّهم يمثّلون نخبة الشّباب العربي في تلك الفترة -1955م-.

ومن أدلّتنا على أنّ خطابه كان تضامنيًّا في معانيه الظّاهرة،وحِجَاجِيًّا في معانيه الضّمنيّة،استخدامه لأسلوب التّمثيل على سبيل الحِجَاج؛حينما قال:

"فَتَنَ الاستعمار الغربي بعضنا عن بعض ثم فتننَا عن أنفسنا،ورمانا بمقوّماته وبمنوّماته فأصمانا...،فاستخفّ بنا كما استخفّ فرعون قومه فأطاعوه"،في إشارة إلى قوله (ﷻ)،حكاية عن حال (فرعون) وقومه:

﴿**فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ**﴾،[الزّخرف:54].

وبهذا مثّل واقع العرب من حيث علاقتهم بالاستعمار،بحال (فرعون) وقومه.

وهناك خطابات تضامنيّة أخرى،يوظّف فيها (الإبراهيمي)،الضّمير المتّصل "نا"،ليعبّر به عن ذاته،بصيغة الجماعة للدّلالة على الاحترام والتّواضع،في سياق حديثه عن شخص مَا،مثلما أسفر عنه تصديره لأحد كتب التّفسير حيث قال عن مؤلّفه:

«وقد عرض علينا طائفة من فهومه لآيات متفرّقة،فرأينا فهمًا سديدًا واتّجاهًا حميدًا،وتفطنًا للدقائق الكامنة في الألفاظ والآيات،بصرًا بما بين الآي والسّور في ترتيبها التّوقيفي من المناسبات والصّلات[...].

وقد قدّم لنا في اجتماعنا الأخير بالقاهرة قطعًا من خواطره المتفرّقة في معاني سورة "العصر" وغيرها،ونظرنا فيها فاقترحنا عليه أن لا يضيّع أمثال هذه الفوائد،وأن يجمعها في كراريس ويحفظها بالطّبع...».[1]

لقد صيغ هذا الخطاب،في شكل شهادة،أدلى بها (الإبراهيمي) في حقّ مؤلّف الكتاب،وبهذه الشّهادة حقّق بُعدًا تضامنيًّا معه،بما أنّ خطاب الشّهادة،غالبًا ما يكون «مشوبًا بالعاطفة بفعل سلطة المناسبة،وجلال الموقف،وهيمنة العلاقة الخاصّة،يركّز فيه كاتبه على علاقته بشخصيّة الكاتب المحتفَى به،ومعرفته له،وغالبًا ما يكون صاحب الشّهادة قد لازم المحتفَى به زمنًا يؤهّله لأن يكون شاهدًا عليه»[2] ،وهذا ما يظهر جليًّا في شهادة (الإبراهيمي).

وقد تتدخّل أيضًا بعض الضّمائر المتّصلة،باستخدام «حرف الكاف مع الميم للدّلالة على المخاطَب الجمع،سواء المنصوب أو المجرور،ويتجلّى ذلك في ما نسمّيه بالتّمليك،فإضافة ما يملكه المرسل إلى مُلكِ المرسل إليه يُعَدُّ من شواهد الاستراتيجيّة التّضامنيّة [...]،وهذا سبب تسميتها بآليّة التّمليك،وتعتمد هذه الآليّة على إلصاق الضّمائر في توظيفها».[3]

ومن السّياقات التّداوليّة الخاصّة،التي يمكن أن تستدعي توظيف هذه الأداة،في الخطاب التّضامني الإبراهيمي،ما دلّ عليه النّموذج الخطابي التالي:

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج04،ص232.

[2] عبد الله العشي،زحام الخطابات،مرجع سبق ذكره،ص163.

[3] عبد الهادي بن ظافر الشّهري،استراتيجيّات الخطاب،مصدر سبق ذكره،ج02،ص54.

«إنّ جمعيّتكم هذه أُسِّسَت لغايتين شريفتين،لهما في قلب كلّ عربي مسلم بهذا الوطن مكانة لا تساويها مكانة وهما إحياء مجد الدِّين الإسلامي وإحياء مجد اللّغة العربيّة[...].

أيّها الإخوان الكرام،

ليس من معنى سعي جمعيّتكم لهاتين الغايتين أنّها تُعرِضُ عمّا سواهما،وأنّها لا تقيم الوزن لهذه العلوم التي أصبحت وسائل للحياة أو هي الحياة نفسها».[1]

دلّت لفظة "جمعيّتكم"،على تضامن (الإبراهيمي) مع أعضاء الجمعيّة،الموجّه إليهم الخطاب؛حيث نسب إليهم الجمعيّة،وجرّد ذاته من هذه النّسبة،وكأنّه غير معنيّ بهذه الجمعيّة،مع أنّه نائب رئيسها -في الفترة التي ترأّسها (ابن باديس)-،والدّليل على ذلك أنّه دعّم الدّلالة التّضامنيّة التي جاء بها هذا الاستعمال،بأن ناداهم بـ "أيّها الإخوان الكرام"،ممّا يدلّ على إرادته في تقوية العلاقة الحميميّة التي تجمعه بأولئك الأعضاء.

بيد أنّه لا يقتصر توظيف الضّمير المتّصل،حرف "الكاف" مع "ميم" الجمع،للدّلالة على التّمليك فقط؛بل يمكن استعمالهما للدّلالة على الاحترام،الذي يكنّه المرسل للمرسل إليه المخصوص.

وهذا ما عبّرت عنه الرّسالة التي وجّهها (الإبراهيمي)،إلى أحد زملائه من علماء الهند،قائلًا له:

« لم تذكِّر رسالتكم مِنّي ناسيًا،وهيهات أن أنساكم،بل ما زال لساني رطبًا بذكركم ومجالسي معطَّرة بالثّناء عليكم وعلى أعمالكم،متّصلا ذلك أوّله بآخره،وأوّله منذ قرأت أوّل كتاب لكم من إهداء أخي العربي البليغ المأسوف على بيانه وجهاده الأستاذ مسعود عالم الندوي،وآخره منذ شرّفني **الله** باللّقاء بكم في منزلكم العامر بلاهور...».[2]

مع أنّ المرسل إليه،شخص واحد؛إلّا أنّ المرسل خاطبه بصيغة الجمع،وفي هذا بُعدٌ تضامني واضح،جسّدته دلالة الاحترام التي عبّرت عنها الصّيغ التّعبيريّة التي حملتها الرّسالة،وهذا ما يدلّ على أنّ (الإبراهيمي) كان يقصد من وراء رسالته تعزيز علاقته الحميميّة بصديقه العالم،في محورها التّكافؤي،وليس مجرّد ردّ عادي على رسالة جاءت منه،والدّليل على ذلك أنّه استند أيضًا إلى تذكيره بحدث مسبق جمع بينهما.

3-2-2- استخدام الضّمائر المنفصلة:

بما أنّ «ضمير المتكلّم أخصّ من ضمير المخاطَب أي:"أعرف منه"،وضمير المخاطَب أخص من ضمير الغائب»[3]؛فإنّ درجة دلالتها على التّضامن،تكون وفقَ هذا التّرتيب.

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج01،ص.ص133-135.

[2] المصدر نفسه،ج05،ص162.

[3] مصطفى الغلاييني،جامع الدّروس العربيّة،ج01،المكتبة العصريّة،صَيدَا-لبنان؛ط28:1414هـ/1993م،ص121.

3-2-2-أ- استخدام ضمائر المتكلّم:

يدلّ الضّمير "نحن" في الدّرس النّحوي،على المتكلِّم المعظِّم لنفسه أو على المتكلِّم المشارك[1]،وتنظر المقاربة التّداوليّة إلى الدّلالة الثّانية،باعتبارها تقدّم معنًى تضامنيًّا،بناءً على قيمة المشاركة التي يُوليها المرسِل للمرسَل إليه.

ولهذا قسَّمت (لاكوف- R.Lakoof)،دلالة الضّمير "نحن"،إلى «قسمين رئيسين هما:

1- نحن الشّاملة.

2- ونحن القاصرة أو الحاصرة».[2]

إذ «يدخل المرسل إليه في إطار الصّنف الأوّل،وهي بهذا تعادل أنا وأنت أو أنتم،أمّا نحن في الصّنف الثاني فهي تستبعد المرسل إليه،ولذا فهي تعني أنا وآخرون،ومن هذا الصّنف الضّمير الذي يستعمله أصحاب المقامات الرّفيعة للدّلالة على مرتبتهم،مثل الملوك ومن في حكمهم».[3]

3-2-2-أ-1- استخدام (نحن) الشّاملة:

تتفاوت درجات التّضامن التي تجسّدها "نحن" الشّاملة،بناءً على المرجع الذي تحيل إليه،فقد يقتصر مرجعها على المرسل ومجموعة قليلة من الأشخاص،أو ربما تشمل مجموعة أوسع بقليل،«كما قد يكون مرجعها عامّا يُدرِج فيه المرسل البشر كلّهم،وبهذا يمكن تقسيمها حسب مرجعها إلى ثلاثة أقسام هي:

1- نحن البسيطة.

2- نحن المتوسّطة.

3- نحن العامّة».[4]

ومن أمثلة استعمال (نحن) البسيطة في الخطاب التّضامني الإبراهيمي،ما نجده في الكلمات الواعظة،التي وجّهها (الإبراهيمي) إلى المعلّمين الأحرار (أي المنتسِبين إلى جمعيّة العلماء،وليس لإدارة الاحتلال الفرنسي)،حثّهم فيها على وجوب حمل أمانة التّعليم،بقوله:

«إنّ هذه الحركة العلميّة المباركة أمانة في أعناقنا جميعًا،وعهد إلهيٌّ محتَّم الوفاء علينا جميعًا،فنحن في تحمّله وفي وجوب الوفاء به سواسية،ليس صغيرنا بأقل تبعة ولا أخفّ حملًا من كبيرنا،ونحن في تحمّل هذه الأمانة وأدائها أمام رَبٍّ يعلم ما نخفي من النيّات وما نعلن من الأعمال،وأمام أمَّة تُعين على الوسائل،وتنتظر النّتائج».[5]

---

[1] ينظر:جلال الدِّين السّيوطي،همع الهوامع في شرح جمع الجوامع؛تح:أحمد شمس الدّين،ج01،دار الكتب العلميّة،بيروت-لبنان؛ ط01:1418هـ/1998م،ص202.

[2] Robin Lakoof,taking power the language of politics in our lives,basic book:1990,p190.

نقلًا عن:عبد الهادي بن ظافر الشّهري،استراتيجيّات الخطاب،مصدر سبق ذكره،ج02،ص48.

[3] المصدر نفسه،ص48.

[4] المصدر نفسه،ص50.

[5] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج03،ص266.

يظهر من رسالة (الإبراهيمي)،أنّه لجأ إلى استثمار الضّمير "نحن" في بُعدها التّضامني البسيط،والمعبّر عن ذات المتكلّم وجماعته الخاصّة؛حيث نزل من سلطته الوظيفيّة بصفته رئيسًا لجمعيّة العلماء،إلى التّشارك مع المرسل إليه في تحمّل المسؤوليّة،وحمل القضيّة الواحدة.

وأمّا عن استعمال "نحن" المتوسّطة في الخطاب التّضامني لدَى (الإبراهيمي)،ما عبَّر عنه في خطابه الذي تحدَّث فيه عن الجهود التي قدّمها العرب لخدمة لغتهم،مقارنة بما قدّمه المستشرقون لها،قائلًا:

«وإنّ لهذا الفريق في خدمة هذه اللّغة أيادي بيضاء يستحقّون عليها الشّكر العظيم من أبناء هذه اللّغة،فكم كتبوا عنها مؤلّفات وكم عقدوا للبحث عن دقائقها مؤتمرات،وكم طبعوا من أسفارها القيّمة في اللّغة والأدب والتّاريخ والعلوم،ولو لم يكن من فضلهم عليها إلّا إحياء أمّهات علميّة عجزنا نحن عن إحيائها لكان ذلك مُوجِبًا لعرفان جميلهم[...]،إذا كان الأجنبي عن هذه اللّغة يعرف لها فضلها فيُحيِي من آثارها ما استطاع،ويحثُّ قومه على تعلّمها والاستفادة من ذخائرها،وحكومته من ورائه تجمع له مئات الآلاف من أسفارها القيّمة،فماذا صنعنا نحن ونحن أبناؤها حقيقة؟ الحقّ أنّ ما صنعناه نحن لهذه الأم ضئيل،وإنّ ما أنفقناه في سبيلها قليل،ولكنّ النّية في خدمتها صحيحة والرّغبة في تعلّمها مُلِحَّة».[1]

على الرّغم،من أنّ هذا الخطاب موجَّه في الأساس إلى أعضاء "جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين"؛إلّا أنّه أشار بالضّمير "نحن" في بُعدِهِ التّضامني المتوسّط،إلى مرجع محدّد نسبيًّا،تمثّل في المتكلِّم والحضور،وكل عربي قادر على خدمة اللّغة العربيّة.

حيث دلّ تكرير استخدام "نحن" المتوسّطة،على العِتاب والتّقصير،كما دلّ أيضًا على تضامن المرسِل مع المرسَل إليه-المخصوص (الحضور)،والعام (كل عربي)-،بعدم التّملّص من تحمّل المسؤوليّة واعتبارها مسؤوليّة مشتركة بينهما وعليه يُستَنتَجُ؛أنّ «استعمال (نحن) بدلًا من (أنا) يؤدّي إلى افتراض المشاركة في المسؤوليّة من قِبَل القارئ الذي يكون هدفًا للخطاب».[2]

ومن أمثلة توظيف "نحن" العامّة في الخطاب التّضامني الإبراهيمي،ما تضمّنته الفقرة الخطابيّة التالية:

«إنّما نحن في عالم أسباب ومسبّبات تصطرع فيه سنن ثابتة لا تبديل فيها ولا تغيير،والثّورة الجزائرية دائرة في هذا المدار من أوّل يوم».[3]

تعدّى مرجع "نحن" العامّة،المستعمَلة في هذه الفقرة،التّعبير عن المجموعة الواحدة،أو الخاصّة،إلى التّعبير عن العالَم كلّه،لينتقل بالبُعد التّضامني العام الذي جاء به هذا الضّمير،إلى البُعد التّضامني الخاص،وهو الحديث عن الثّورة الجزائريّة.

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج01،ص380.

[2] بيار أشار،سوسيولوجيا اللّغة،منشورات عويدات،بيروت-لبنان؛ط01:1996م،ص117.

[3] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج05،ص243.

3-2-2-أ-2- استخدام (نحن) القاصرة:

قد يلجأ (الإبراهيمي) في بعض السّياقات التّداوليّة الخاصّة،إلى استعمال "نحن" القاصرة،ليدلّ بها على التّضامن عندما يكون المرسل إليه صاحب سلطة وظيفيّة واجتماعيّة أعلى من سلطته؛أي على مستوى محورها التراتبي السُّلَّمي.

مثلما جاء في رسالته التي وجّهها إلى مَلِك السّعوديّة،عرض عليه،من خلالها،مقترحًا يختصّ بدعم القضيّة الجزائريّة في الأمم المتّحدة،وممّا قاله فيها:

«نحن على يقين من أنّكم ما بدأتم إلّا لتتمّوا،فاسمحوا لنا- يا صاحب الجلالة- أن نُلفِتَ نظر جلالتكم إلى أنّ من بين رجالات العرب رَجُلَينِ مُتَخَصِّصَين في الإلمام التّام بشؤون الجزائر من جميع نواحيها مع الإخلاص والغيرة والجراءة [...]،ونحن- على كل حال- نشكر جلالتكم باسم الأمّة الجزائرية السّلفيّة المجاهدة».[1]

استعمل (الإبراهيمي) ضمير "نحن" القاصرة،بدل ضمير المتكلّم "أنا"،ليدلّ بذلك على احترامه وتبجيله للمرسل إليه وأنّه يقدّر مقامه ومكانته،فزيادةً على البُعد التّضامني الذي يوحي به استخدام هذا الضّمير،إلّا أنّه شرط من شروط التّواصل مع المرسل إليه ذي السّلطة الوظيفيّة والمرتبة الاجتماعيّة الرّفيعة،وهذا ما أكّده صاحب (الصّناعتين) بقوله:«...وبين من تكتب إليه:أنا أفعل كذا،وبين من تكتب إليه:نحن نفعل كذا؛"فأنا" من كلام الإخوان والأشبَاه و"نحن" من كلام الملوك».[2]

3-2-2-ب- استخدام ضمائر المخاطَب:

بإمكان المرسل،أن يلجأ إلى توظيف ضمائر المخاطَب بأنواعها المختلفة:"أنتَ،وأنتِ،وأنتما،وأنتم،وأنتنَّ"،بناءً على خصوصيّة السّياق التّداولي الدّاعي لذلك.

ولهذا قد يعمَد المرسل إلى «تغيير مواقع عناصر التركيب لأغراض وغايات تداوليّة يريد تحقيقها،بالإضافة إلى أنّه يسعى إلى جعل خطابه يستجيب لحال مُخَاطَبِه،لتحقيق التّفاعل والانسجام»[3] معًا.

مثلما جرى في حوار دار بين (الإبراهيمي) وأحد علماء الحديث،عندما قدَّم الضمير "أنت" على الضّمير "أنا"،من أجل تحقيق الاحترام في بُعده التّضامني،بقوله:

«وأشهد أنّي كنت أسمع منه علمًا وتحقيقًا،فقلت له يومًا:الآن أعطيتني أشياء وأحرَ بنَا أن نؤجَر معًا،أنت وأنا».[4]

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج05،ص.ص51-52.

[2] أبو هلال العسكري،كتاب الصّناعتين الكتابة والشّعر؛تح:علي محمّد البجاوي ومحمّد أبو الفضل إبراهيم،دار إحياء الكتب العربيّة، مصر؛ط01:1371هـ/1952م،ص159.

[3] مسعود صحراوي،التداوليّة عند العلماء العرب،مرجع سبق ذكره،ص204.

[4] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج03،ص546.

لا شكّ أنّ التّرتيب النّحوي،للضّمير "أنا" يكون قبل الضّمير "أنت"،إذا ذكِرَا في تركيب واحد،وهذا ما أكّد عليه (سيبويه)،بقوله:«وإنّما كان المخاطَبُ أولى بأن يُبدَأَ من قِبَل أنّ المخاطَبَ أقربُ إلى المتكلِّم من الغائب،فكما كان المتكلِّم أولى بأن يبدَأَ بنفسه قبل المخاطَب».[1]

تجاوز (الإبراهيمي) المعنى الذي يشترطه التّرتيب النّحوي،بأن قدّم ضمير المخاطَب "أنت" قبل ضمير المتكلّم "أنا"،ليُنتِجَ به معنًى تداوليًّا جديدًا،في ظل سياق تداولي خاص،ومع مرسل إليه مخصوص،بتحقيق معاني الاحترام والتّواضع معه،ليصبح هذا التّرتيب في حدِّ ذاته تطبيقًا فعليًّا للاستراتيجيّة التّضامنيّة.

ومن أمثلة استعمال ضمير المخاطَب "أنتم"،في الخطاب التّضامني لدَى (الإبراهيمي)،هو في حالة ما إذا كان المرسل إليه أعلى درجة وظيفيّة أو اجتماعيّة منه،وعليه يغدو تطبيق هذا الضّمير دليلًا على وجود علاقة رسميّة سِمَتُها التّقدير والاحترام بين طرفي العمليّة التّخاطبيّة التّواصليّة،كما يظهر في النّموذج الخطابي التالي:

«إنّ الواجب الذي يفرضه الدِّين على أمثالكم أن تقوموا **لله** بحملة صادقة أنتم أهل للقيام بها في قضيّة الجزائر[...] أيّها الأخ،هذا عرض عرضته عليكم وأنتم تعلمون ما أُكِنُّهُ لسماحتكم من التّقدير والاحترام والاعتراف بمكانتكم في الدّولة وفي الأمّة».[2]

مع وجود علاقة صداقة حميميّة مسبقة،تجمع بين (الإبراهيمي) والمرسل إليه المخصوص؛إلّا أنّه فضَّل استعمال الضّمير "أنتم" بدل الضّمير "أنت"،مراعاة للسّلطة الاجتماعيّة والوظيفيّة التي يتمتّع بها المرسل إليه،وبهذا الاستعمال يكون قد حقّق أعلى معاني الاحترام والتّقدير،ومن هنا « تنشأ علاقة أقوى من التّضامن».[3]

وفي بعض السّياقات التّداوليّة الخاصّة،يوظّف الضّمير "أنتم" في الخطابات ذات المقاصد التّعليميّة،بما يقدّمه من بُعد تضامني،يسهم في تحقيق هذا النّوع من المقاصد الخطابيّة.

وعليه كثيرًا ما يوظّف (الإبراهيمي) هذا الضّمير،في خطاباته التي يرُومُ من خلالها تحقيق مقاصد تعليميّة معيّنة موجَّهة إلى مرسل إليه مخصوص،تجمع بينهما علاقة المعلّم بتلميذه.

وهذا ما يظهر جليًّا،في الفقرة الخطابيّة التّالية،والتي تمثّل عيّنة مصغّرة،من سلسلة خطابات كان قد وجّهها (الإبراهيمي) إلى المعلّمين المنتسِبين إلى مدارس "جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين"،وممّا خاطبهم به،قوله:

«أنتم جنود العِلم،ولكلمة "جندي" معنى يبعث الرّوعة[...] وإنّما أنتم حرّاس دروب،ومرابطة ثغور،فاصبروا واثبتوا [...]وأنتم ممثّلوا جمعيّة العلماء في ناحية من أهمّ أعمالها،وهي التّربية والتّعليم[...]،أنتم حرّاس هذا الجيل الجديد والمؤتمَنون عليه،والقوّامون على بنائه،وأنتم بُنَاةُ عقوله ونفوسه؛فابنوا عقوله على أساس من الحقيقة...».[4]

---

[1] عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه،الكتاب"كتاب سيبويه"؛تح:عبد السّلام محمّد هارون،ج02،مكتبة الخانجي،القاهرة-مصر؛ط03: 1408هـ/1988م،ص364.

[2] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج05،ص.ص222-223.

[3] هدسون،علم اللّغة الاجتماعي،مرجع سبق ذكره،ص196.

[4] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج03،ص.ص270-271.

دلّ استخدام الضّمير "أنتم" على بُعد تضامني،أكثر من إحالته على مرجع معيَّن،وهو فئة المعلّمين المعنيّين بالخطاب حيث يكمُن البُعد التّضامني في تنازل (الإبراهيمي) عن سلطته الوظيفيّة التي تربطه بهم،بصفته رئيسًا لجمعيّة العلماء والاكتفاء بتمرير النّصائح والتّوجيهات في ظل علاقة حميميّة خاصّة تجمع بين المعلّم وتلميذه،بناءً على تجربته الشّخصيّة وما يمتلكه من خبرات في هذا الميدان.

ولهذا ضاعف من القوّة التّضامنيّة للضّمير "أنتم"،بإطلاق بعض النّعوت والأوصاف على أولئك المعلّمين،بقوله: "أنتم جنود العِلم...،وإنّما أنتم حرّاس دروب،ومرابطة ثغور...وأنتم ممثّلوا جمعيّة العلماء في ناحية من أهمّ أعمالها ...أنتم حرّاس هذا الجيل الجديد والمؤتمَنون عليه...وأنتم بُنَاةُ عقوله ونفوسه...".

3-2-2-ج- استخدام ضمائر الغائب:

على غرار،توظيف ضمائر المتكلِّم والمخاطَب،يمكن للمرسل،أن يوظّف ضمائر الغائب،للتّدليل على التّضامن. مثلما دلّ عليه خطاب (الإبراهيمي)،الذي ألقاه بمناسبة حضوره احتفاء تكريم زميله (الفضيل الورتلاني) بالقاهرة،وممّا قاله،عنه:

«...فالأستاذ الفضيل الورتلاني الذي يحتفي به إخوانه وعارفوا فضله من أهل العلم والأدب والوجاهة والقلم واللّسان هو ولدي روحيًا وتلميذي فكريًّا،وهو ثمرة طيّبة من بواكير الحركة الإصلاحيّة العلميّة التي أنا أحد المحرّكين لها والغارسين لبذورها،زكّاه **الله** صبيًّا ويافعًا وشابًا وآتاه من المواهب في الصّغر ما شارك به أساتذته في وضع الأساس لهذه الحركة المباركة،بحيث لم يزيدوا عليه فيها-وأنا أحدهم- إلّا بالسّن،فإذا أطريته اللّيلة تمشيًّا مع أدب التّكريم أكون قد مدحتُ نفسي وانحرفتُ عن الأدب العرفي».[1]

عبَّر توظيف ضمير الغائب "هو"،عن مكانة الشّخص المحتفَى به،لدَى (الإبراهيمي)،وبهذا حقّق بُعدًا تضامنيًّا معه بل زاد من القوّة التّضامنيّة لخطابه،بتوظيفه لعبارات المدح والإطراء،إلى درجة أنّه اعتبر الاسترسال،في المدح،ما هو إلّا مدح لشخصه؛حينما قال:"فإذا أطريته اللّيلة تمشيًّا مع أدب التّكريم أكون قد مدحتُ نفسي".

ولا شكّ أنّ الدّاعي لذلك،هو استحضار (الإبراهيمي)،لنوعيّة علاقته بزميله (الفضيل الورتلاني)،وهذا ما صرّح به قائلًا:«لكل من الإخوان الحاضرين علاقة بالأستاذ الفضيل هي التي حرّكته لحضور الحفلة،وهي التي تُملي عليه إذا تكلّم بها معلنا أو ناجى مخافتًا،ولكن علاقتي به تزيد على ذلك كلّه:هي علاقة الوالد بالولد،وهو لوفائه وإنصافه يفخر بها،وأنا به أشد فخرًا وأكثر مباهاة وأكثر اعتزازًا».[2]

ومن خلال هذه الفقرة،تبيّن لنا،بأن (الإبراهيمي) يعي جيّدًا،مدى تأثير نوعيّة العلاقات الاجتماعيّة بين النّاس على العمليّة التّخاطبيّة التّواصليّة،كما اعترف،بأنّ علاقته بالمحتفَى به،ليست علاقة صداقة فقط؛بل هي علاقة الوالد بولده.

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج04،ص148.

[2] المصدر نفسه،ص148.

ويُظهِرُ لنا،الخطاب التّالي،كيفيّة استثمار الخطاب التّضامني الإبراهيمي،لضمير الغائب "هي"،في صدد حديثه،عن واقع الأمَّة الجزائريّة،في فترة الاحتلال الفرنسي،موجّهًا خطابه إلى المعلّمين المنتسِبين،إلى جمعيّته،بقوله:

«إنّ هذه الأمّة-يا أبنائي- هي أمّتنا،وهي رأس مالنا شئنا أو أبينا،وهي عوننا على العلم،وهي مددنا وملاذنا،وهي نصرتنا ومعاذنا،وهي مناط قوّتنا،ومظهر أعمالنا؛فعلينا أن نراعي شعورها في غير واجب يترك...».[1]

لم يكتَفِ (الإبراهيمي)،بتوظيف ضمير الغائب "هي"،ليعبِّر عن تعاطفه تجاه الأمَّة الجزائريّة؛بل ضاعف من القوّة التّضامنيّة لخطابه،بتكريره للضّمير (06 مرّات)،وبهذا الاستعمال وجّه،أيضًا،ذهن المرسل إليه المخصوص،إلى وجوب خدمة هذه الأمَّة.

3-2-3- استخدام اسم الإشارة:

ليس بالضّرورة،أن يوظّف المرسل خطابه التّضامني،مع مرسل إليه مقصودًا بذاته؛بل يمكنه أن يتضامن مع شخص متحدَّث عنه،بناءً على خصوصيّة العلاقة التي تجمعه به،أو بما يمتلك ذلك الشّخص من مقام اجتماعي رفيع،يقتضي التّأدّب في الحديث عنه،أو بحسب الانطباعات التي يمتلكها المرسل عن الشّخص المتحدَّث عنه.

وبالطّبع لا يتمّ له ذلك،إلّا باستخدام أدوات لغويّة معيّنة،تُعرَفُ بـ"أسماء الإشارة"،وهي«ما دلّ على معيَّن بوساطة إشارة حسّيّة أو معنويّة».[2]

ويكمُنُ بُعدُهَا التّضامني،في «إرادة تكريم المتحدَّث عنه والتّعبير عن ارتفاع منزلته،باستعمال اسم الإشارة الذي يشار به إلى البعيد»[3]،كالاسم "أولئك".

وإذا تتبّعنا مدى توظيف الخطاب التّضامني الإبراهيمي،لهذا النّوع من"أسماء الإشارة"،نجد العديد من السّياقات التّداوليّة الخاصّة،التي اقتضت توظيف هذا الاسم،بالإضافة إلى خصوصيّة الشّخص (أو الأشخاص) المتحدَّث عنهم.

وهذا ما يدلّنا عليه،خطابه الذي تحدَّث فيه عن حيثيّات حضوره احتفاء كُرِّمَ فيه قائد مصري،شارك في حربٍ لنصرة الشَّعب الفلسطيني،ضدّ الاحتلال الصهيوني؛وممّا قاله (الإبراهيمي) عن الحدَث:

«وتكلّم القائد البطل عن أولئك البائسين الذين أُخرِجوا من ديارهم بغير حقّ إلّا أن يقولوا:وطننا فلسطين».[4]

دلّ توظيف اسم الإشارة "أولئك"،على بُعد تضامني يكِنُّه (الإبراهيمي) للشَّعب الفلسطيني،جرّاء ما تلقّاه من مآسي ومعاناة،وبشكل خاص الذين شُرِّدُوا وبقوا بدون مأوى،وهذا ما يظهر في وصفه إيّاهم بـ "البائسين"،وفي توظيفه لأسلوب "التّناص- Intertextualiy"[5]،عند قوله:

---

(1) البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج03،ص270.

(2) سعيد الأفغاني،الموجَز في قواعد اللّغة العربيّة،مرجع سبق ذكره،ص103.

(3) عبد الرّحمان حسن حبنّكة الميداني،البلاغة العربيّة،مرجع سبق ذكره،ج01،ص423.

(4) البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج04،ص138.

(5) عرّفه الباحث (محمّد مفتاح)،بقوله:«نعني به أنواع حضور اللّغة الطّبيعيّة،سواء أكانت كلمة،أم تركيبًا لغويًّا ذا قول،أو جملة،أو نصًّا،في كتابة شخص بمعناها الأصلي،أو بالتّصرّف فيه ضروبًا من التّصرّف؛ونقصد به أيضًا تكرار الأصوات والحروف،والكلمات=

"أولئك البائسين الذين أُخرِجوا من ديارهم بغير حقّ إلّا أن يقولوا:وطننا فلسطين" ←تناص مع قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ**﴾،[الحج:40].

وهذا ما يُنبِئ بوجود اهتمام خاص يُولِيه (الإبراهيمي) للقضيّة الفلسطينيّة وشَعبِهَا.

وقد يكون توظيف (الإبراهيمي) لاسم الإشارة "أولئك" في سياق حديثه عن جماعة تربطها به،علاقة جدّ خاصّة ذات أبعاد دينيّة ووطنيّة،عندئذٍ يكون مثل هذا التّوظيف،سِمَة بارزةً في خطابه التّضامني،بناءً على ما وجدناه في خطابات كثيرة احتوتها آثاره.

كما يظهر في هذا النّموذج الخطابي،الذي عاتب من خلاله العرب،على تقصيرهم تجاه الثّورة الجزائريّة،بقوله: «وما دامت الأقوال لا غناء في فيها للثّورة الجزائرية،فليرح خطباء العربيّة وشعراؤها وكتّابها ألسنتهم وأقلامهم من التغنّي بالثّورة الجزائريّة وأبطالها،وليوجّهوا عنايتهم إلى التي هي أوفى بذمام الأخوّة،وهي مدّ الأيدي لإعانة أولئك الأبطال المجاهدين».[1]

تجاوز (الإبراهيمي) بتوظيف اسم الإشارة "أولئك"،عتاب العرب شعوبًا وحكومات،للدّفاع عن المجاهدين الجزائريّين وبهذا حقّق بُعدًا تضامنيًا معهم.

وعليه،يمكن أن يستعمل أيضًا،اسم الإشارة الذي يُشار به للقريب «بما ليس فيه كاف ولا لام»[2]،كالاسم "هذا" عند تعاطفه مع فئة،له عليها سلطة وظيفيّة أو اجتماعيّة،مثلما دلّ عليه خطابه الذي وجّهه إلى المعلّمين المنتسِبين إلى مدارس جمعيّته،بقوله:

«إنّ حاجتنا إليكم هي أن تنقذوا هذا الجيل النّاشئ من الأمّيّة التي ضربت بالشّلل على مواهب آبائهم...».[3]

دلّ توظيف اسم الإشارة "هذا"،على درجة من التّعاطف والاهتمام الذي يُولِيه (الإبراهيمي)،لجيل جزائري،نشأ في ظروف سادها الجهل والأمّيّة،والتي كانت إحدى نتائج السّياسات المتعاقبة للاحتلال الفرنسي في الجزائر.

3-3- استعمال ألفاظ وصيغ تعبيريّة خاصّة:

دائمًا ما يسعى المرسل إلى التّودّد والتّقرّب من المرسل إليه،من خلال ما يمتلكه من كفاية لغويّة،في ظل تأثير السّياق النّفسي والوجداني؛حيث ينتقي مجموعة من الألفاظ والصّيغ التعبيريّة،ويجعل منها مؤشّرات على تضامنه مع المرسل إليه،كتوظيف عبارات:"التّهنئة،أو التّحيّة،أو التّعزية...إلخ".

ويمثّل النّموذج الخطابي التالي،إحدى صيغ التّهنئة،التي خاطب بها (الإبراهيمي) أحد زملائه،بقوله: «أكتب إليكم مهنّئًا بالعيد».[4]

= والتّعابير في النّص الواحد،وتداخل النّصوص،وتحاورها في عدّة نصوص داخل مجموع واحد»،محمّد مفتاح،مفاهيم موسّعة لنظريّة شعريّة "اللّغة-الموسيقى-الحركة"،ج03،المركز الثّقافي العربي،الدّار البيضاء-المغرب؛ط01:2010م،ص94.

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج05،ص180.

[2] مصطفى الغلاييني،جامع الدّروس العربيّة،مرجع سبق ذكره،ج01،ص128.

[3] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج03،ص268.

[4] المصدر نفسه،ج04،ص203.

دلّت عبارة "مهنّئا بالعيد"،على إرادة المرسل في تعزيز علاقته الحميميّة بالمرسل إليه،مع أنّها وردَت في مناسبة دينيّة.

ومن الألفاظ المعجميّة الدّالة على التّضامن،تلك الألفاظ التي تندرج ضمن عبارات التّحيّة التي تبتدئ أو تنتهي بها بعض الخطابات،فمن الطّبيعي أن تكون لكل لغة،مجموعة من الصّيغ التّعبيريّة تُستَخدَمُ للتحيّة،ومجموعة أخرى تُستَخدَمُ للوداع،وذلك لأهمّية الدّخول في الاتّصال والخروج منه.[1]

وإذا نظرنا في حقيقة توظيف عبارات التّحيّة،في بداية أيّ خطاب أو ختامه،نجد أنّه من البديهي مناقشة أمر كهذا؛لأنّه ضرورة من ضرورات الدّخول في العمليّة التّخاطبيّة التّواصليّة والخروج منها.

ولكنّ الذي يعنينا في هذا المبحث،هو عندما ينتقي المرسل ألفاظًا معيّنة،تنتمي إلى حقل دلالي معيّن ذو بُعد تضامني،يسعى من خلاله المرسل،إلى تأسيس علاقة حميميّة مع المرسل إليه (الخاص والعام)،إذا كانت غير موجودة من قَبل،أو بتعزيزها إذا كانت مؤسَّسة مسبقًا.

وقد وجدنا نصًّا في آثار (الإبراهيمي)،وضّح من خلاله،قيمة عبارات التّحيّة،وما تحدثه من تأثير إيجابي في توطيد العلاقات الاجتماعيّة بين النّاس،بقوله:

«التّحايا مفاتيح القلوب،وذرائع الأمل المطلوب،وأشرف التّحايا ما مازج النفوس،وخالط الأرواح،ووافق الأمزجة،وأيقظ العواطف النّائمة،وحرّك الأوتار الحيّة بما يُشجِي ويُطرِب».[2]

ولهذا كثيرًا ما يضمّنها استهلالًا وختامًا في خطاباته،وتعكس الفقرة الخطابيّة الموالية،كيفية توظيف التّحيّة في الاستهلال؛حينما وجّه رسالة إلى "الطّلبة الجزائريّين بالزّيتونة"،بمناسبة الذّكرى السّابعة لوفاة (ابن باديس)،وفي ذلك قال:

«أحيّي بتحيّات **الله** المباركة الطيّبة أبنائي المهاجرين في سبيله [...]،وأحيّي بأحسن منها إخواني العلماء من حضر منهم في هذا المشهد ومن غاب عنه[...]،أيّها العلماء الخيرة،أيّها الأبناء البررة:حيّاكم **الله** وبيّاكم».[3]

لا شكّ أنّ خصوصيّة السّياق التّداولي،الذي أُنتِجَ فيه هذا الخطاب،بالإضافة إلى خصوصيّة علاقة المخاطِب بالمخاطَب،أنتجَت عبارات تحيّة بهذه الصّيغ التّعبيريّة،ذات البُعد التّضامني الخاص.

فالمناسبة متعلّقة بإحياء ذكرى (ابن باديس)،والمعنيّون بالخطاب هم طلبة "جمعيّة العلماء" المبتَعثُون إلى "جامع الزّيتونة"،ومن حضر من علماء الجمعيّة،أو غاب عن الاحتفاء،ومع أنّ الرّسالة التي وجّهها إليهم (الإبراهيمي) كانت بصفته رئيسًا للجمعيّة؛إلّا أنّه ضمّنها بعبارات تحيّة ذات شحنات عاطفيّة بامتياز،وخاصّة أنّه وظّف معها ألفاظ القرابة،عند قوله:"أحيّي بتحيّات **الله** المباركة الطيّبة أبنائي المهاجرين في سبيله"،"وأحيّي بأحسن منها إخواني العلماء"

---

[1] ينظر:هدسون،علم اللّغة الاجتماعي،مرجع سبق ذكره،ص201.

[2] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج04،ص103.

[3] المصدر نفسه،ج02،ص152. وقد حلّل الباحث (خليفة بولفعة)،الفقرات الأولى من الرّسالة نفسها،ضمن الاستراتيجيّة ذاتها؛ ينظر:خليفة بولفعة،**إستراتيجيّات الخطاب عند الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي**،مرجع سبق ذكره،ص.ص116-118.

فالطّلبة وصفهم بالأبناء،والعلماء وصفهم بالإخوة،وفي هذا تنازل عن السّلطة الوظيفيّة،وتواضع مع المرسل إليه،وهذا في حدّ ذاته تضامن آخر.

وتظهر كيفيّة توظيف (الإبراهيمي) لعبارات التّحيّة،في ختامات خطاباته،وفقَ طريقتين،الأولى منهما؛أنّه يختتم خطابه باسمه الخاص،وهذا يكثر في خطابه الرّسالي بوجه أولى،كأن يعبِّر بقوله:

«وسلام **الله** عليكم،ورحمته تغشاكم،وبركاته تراوحكم وتفاديكم،من أخيكم المشتاق إليكم،المعتزّ بكم.

محمّد البشير الإبراهيمي».[1]

فالكفاية اللّغويّة التي يكتسبها المرسل،هي التي أمدَّته بمعجم ثري من الألفاظ الدّالة على التّضامن،وانتقاء الأنسب منها،إلى درجة أنّها أخذت صيغة الدّعاء.

وأمّا عن الطّريقة الثّانية؛فهي توظيفه لعبارات التّحيّة في ختام الخطاب،بصفته رئيسًا لجمعيّة العلماء،كما جاء في رسالته التي وجّهها إلى رئيس "هيئة الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر" بالمملكة العربيّة السّعوديّة،بقوله:

«واقبلوا في الختام تحيّات الأخوّة الصّادقة [...].

من أخيكم محمّد البشير الإبراهيمي رئيس جمعيّة العلماء الجزائريّين».[2]

بالرّغم من توظيف المرسل لعبارات تحيّة،ذات بُعد تضامني،نابع من علاقة حميميّة خاصّة تجمعه بالمرسل إليه،إلّا أنّه ختمها بصفته رئيسًا "لجمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين" وليس باسمه الخاص.

ولعلّ طبيعة القضيّة التي كانت سببًا في توجيه الرّسالة،وهي طلب (الإبراهيمي) من رئيس الهيئة،بأن يحثّ السّعوديّين على دعم الثّورة الجزائريّة ماديًّا،هو الذي أدّى إلى إنتاج الخطاب بهذه الصّيغة،وكأنّه تواصل بين مؤسّسة وأخرى وليس بين (الإبراهيمي) ورئيس الهيئة.

وبالتّالي يتّضح أنّ،توظيف عبارات التّحيّة في الخطاب،إضافة إلى دلالتها على التّضامن،هي عبارة عن «"واجب" اجتماعي لا مفرَّ من أدائه،وأنّ الاستهانة به،أو التّفريط فيه،تخلق العداوة والبغضاء،وأنّ الاسترسال فيها قد تكون غايته الإسراف في التّودّد والمبالغة في التّرحيب،وقد يكون ستارًا يخفي المشاعر الحقيقيّة لأحد المتخاطبين أو كليهما وقد يكون تمهيدًا للأخذ في الحديث الأساسي الهام أو استدراجًا إليه».[3]

وتُوحِي الألفاظ الدّالّة على سعادة المرسل لالتقائه بالمرسل إليه،وتبادل أطراف الحديث معه،على تعزيز العلاقة الحميميّة بينهما،مثلما وظّفها (الإبراهيمي) في خطابه الذي وجّهه إلى بعض زملائه من علماء جمعيّته،وذلك في قوله:

«من أبهج ساعات العمر ساعة يقف فيها أخ يحادث إخوانه على بساط الشّعور المشترك والإحساس الصّادق والإخلاص في القول وحسن الإصغاء...».[4]

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج05،ص162.

[2] المصدر نفسه،ص225.

[3] محمود السّعران،اللّغة والمجتمع،مرجع سبق ذكره،ص21.

[4] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج01،ص50.

وتتدخّل عبارات التّعزية هي الأخرى،كأداة من أدوات الاستراتيجيّة التّضامنيّة،التي يسعى من خلالها المخاطِب إلى التقرّب من المخاطَب وللبَوحِ له عن تعاطفه معه،ومشاركته لأحزانه.

ومن المواضع الخطابيّة التّضامنية لدى (الإبراهيمي)،التي وُظِّفَت فيها هذه الأداة،رسالته الموجّهة إلى أحد أصدقائه عبَّر له فيها عن حزنه ومواساته له،بقوله:

« لم يبلغني إلّا اليوم خبر وفاة الأخ العامل الخيِّر السيّد رشيد بطحوش،ولا تسأل عمّا غمرني من الهمّ والأسى والأسف لموت هذا الأخ،وعمّا استعرضته من شمائله ولطفه وأعماله الخيريّة التي فاتت بفواته وماتت بموته،رحمه **الله** وألهمنا جميعًا فيه الصّبر واغتنام الأجر.

أعزّيكم – أيّها الأخ– فيه وأرجو أن تبلّغوا تعزيتي إلى إخوانه وجميع المرزوئين فيه،ولجميعكم طول البقاء.

دمتم أيّها الأخ سالمين لأخيكم محمّد البشير الإبراهيمي».[1]

دلّت عبارات التّعزية على درجة التّعاطف والمواساة،التي يُوليِها المرسِل للمرسَل إليه؛حيث انتقى ألفاظًا خاصّة تنتمي إلى حقل دلالي يعبِّر عن الحزن والأسى،عند قوله:"غمرني،الهم،الأسى،الأسف،أعزّيكم...إلخ".

بل تجاوز بهذه الألفاظ من معاني الحزن إلى الدّعاء،بقوله:"رحمه **الله** وألهمنا جميعًا فيه الصّبر واغتنام الأجر... دمتم أيّها الأخ سالمين لأخيكم محمّد البشير الإبراهيمي"،وما زاد من قوّتها التّضامنيّة،هو استعماله للفظ "الأخ" وتكريره.

ولا تقتصر دلالة توظيف عبارات التّعزية لدَى (الإبراهيمي)،على التّضامن فقط؛بل قد يستعملها لتصبح أداة لغويّة مهمّة،لخطاب يبثّ من خلاله آلامه وأحزانه،تحت تأثير سياق نفسي ووجداني خاص،بما سمّاه النّاقد (عبد الملك مرتاض)،"لغة الحَزَن والشَّجَن لدى الإبراهيمي".[2]

وهذا ما يظهر جليًّا،في الرّسالة التي وجّهها (الإبراهيمي) من منفاه ببلدة آفلو[*]،إلى صديقه (أحمد توفيق المدني) على إثر وفاة (ابن باديس)–16 أفريل1940م–؛حيث تضمّنت لغة هذه الرّسالة،كثيرًا من عبارات التألّم والحزن،وعدم الجزع من قضاء **الله** وقدَره،وعبَّرت كذلك عن مدَى مكانة الفقيد عند صاحبه،وفي ذلك قال (الإبراهيمي):

«أعتقد أنّ الرّاحل أخي العزيز لم يكن لأحَد دون أحَد،بل كان كالشّمس لجميع النّاس،وأعتقد أنّ فقده لا يحزن قريبًا دون بعيد،وأنّ أوفر النّاس حظًّا من الأسى لهذا الخطب هم أعرف النّاس بقيمة الفقيد وبقيمة الخسارة بفقده للعلم والإسلام،لا للجزائر وحدها.

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج01،ص411.

[2] ينظر:عبد الملك مرتاض،محمّد البشير الإبراهيمي أمير البيان؛كرائم اللّغة وفصاحة اللّسان،مرجع سبق ذكره،ص239.

[*] في سنة "1940م"،عرضَت إدارة الاحتلال الفرنسي،على (الإبراهيمي) عدّة عروض إغرائيّة،مقابل أن يخدم مصالحًا معيّنة تخصّها وبعد رفضه لتلك العروض،نفَتهُ إلى بلدة آفلو–ولاية تيارت في تلك الفترة،وولاية الأغواط حاليًّا–،وبعد أسبوع من نَفيِهِ تلقَّى خبر وفاة رفيقه (عبد الحميد بن باديس)؛ليُنتَخَبَ بعدها غيابيًّا رئيسًا لـ "جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين"خَلفًا لسابقه،وتولّى إدارتها من منفَاه إلى غاية إطلاق سراحه سنة "1943م"؛ينظر:البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج01،ص11.وقد تعمّدنا ذكر هذا الحدَث لما له من انعكاسات على حياة (الإبراهيمي) الشّخصيّة،وبالتّالي له تأثيره على إنتاج الكثير من خطاباته،وهذا ما سنلحظه في مراحل لاحقة من البحث.

فلهذا بعثتُ أعزّيكم على فقد ذلك البحر الذي غاض،بعد أن فاض [...]،وإن كانت التّعازي تعاليل،لا تطفئ الغليل،ولكنّها على كلّ حال تحمل بعض الرّوح من كبد تتلظّى شجنًا،إلى كبد تتنزّى حزنًا.

وظنّي في أخي أنّه لو كان يعرف عنواني لكان أوّل مُعزٍّ لأوّل مُعزَّى.

واحسرتاه!رحم **الله** الرّاحل العزيز،جزاء ما بثَّ من علم وزرع من خير،وثقّف من نفوس،و**لله** ذلك اللّسان الجريء وذلك الجنان المشعّ،وذلك الرّأي الملهِم،وإنّا لفقدك يا عبد الحميد لمحزونون.

أخوكم الحزين الإبراهيمي».[1]

عكست لغة هذه الرّسالة،مدى تأثّر (الإبراهيمي) وحزنه على فقد زميله (ابن باديس)،نظرًا لخصوصيّة العلاقة التي كانت تجمع بينهما،وهذا ما عبَّر عنه (عبد الملك مرتاض)،في حديثه عن تلك العلاقة،بقوله:«ولم يكن الشّيخ ابن باديس،بالقياس إلى الإبراهيمي،صديقًا حميمًا فحسب،ولا رفيقًا في النّضال من أجل العروبة والإسلام فحسب،ولا ظهيرًا في الاجتهاد والإصلاح فحسب،ولا زميلًا في كرسي التّعليم فحسب،ولا رفيقًا في الكتابات الإعلاميّة والأدبيّة فحسب،ولكنّه كان كل ذلكم جميعًا».[2]

وما زاد من حزن (الإبراهيمي)،هو ظروف النّفي التي كان يعيشها آنذاك،ولذلك نجد تنوّعًا في توظيف أساليبه التّعبيريّة،وهو يتحدّث عن (ابن باديس)،كاستعماله للتّشبيه في قوله:"أعتقد أنّ الرّاحل أخي العزيز لم يكن لأحَد دون أحَد،بل كان كالشّمس لجميع النّاس"،بالإضافة إلى استخدامه للاستعارة،والسّجع...إلخ.

دون أن ننسى معاني الحزن والحسرة التي جسّدتها بعض الألفاظ المنتقاة،عند قوله:"الفقد،الخطب،الخسارة،تتلظّى شجنًا،تتنزّى حزنًا،واحسرتاه!،الفقيد،الرّاحل العزيز...إلخ".

ليختتم تلك الأساليب،بتوظيف أسلوب التّناص،عند قوله:

"وإنّا لفقدك يا عبد الحميد لمحزونون" ← تناص مع قول النبيِّ (ﷺ):

«إنّ العينَ تدمع،والقلب يحزن،ولا نقول إلّا ما يَرضَى ربُّنَا،وإنّا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون».[3]

وخصوصيّة العلاقة الحميميّة التي كانت تجمع بين (الإبراهيمي) وبين المرسل إليه المخصوص،كان لها التّأثير الفعلي هي الأخرى،في صياغة تعابير تضامنيّة خاصّة،في قوله:"وظنّي في أخي أنّه لو كان يعرف عنواني لكان أوّل مُعزٍّ لأوّل مُعزَّى...أخوكم الحزين الإبراهيمي".

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج02،ص37.

[2] عبد الملك مرتاض،محمّد البشير الإبراهيمي أمير البيان؛كرائم اللّغة وفصاحة اللسان،مرجع سبق ذكره،ص.ص239-240.

[3] أبو عبد **الله** محمّد بن إسماعيل البخاري،صحيح البخاري،دار ابن كثير،دمشق-سورية؛ط01:1463هـ/2002م،ص315.رقم الحديث [1303]. وأمّا لفظ الحديث في صحيح مسلم،هو قول النّبي (ﷺ):«تَدمَعُ العَينُ ويَحزَنُ القَلبُ،ولا نَقُولُ إلَّا مَا يَرضَى رَبُّنَا و**الله**! يَا إبراهيم! إنَّا بِكَ لمحزُونُون»،أبو الحسين مسلم بن الحَجَّاج،صحيح مسلم،دار السّلام،الرّياض-السّعوديّة؛ط02:1421هـ /2000م،ص1023.رقم الحديث [2315].

ومن بين ألفاظ المعجم التي تكشف عن استعمال (الإبراهيمي) للاستراتيجيّة التّضامنيّة،هي تَضَمُّنُ خطابه شكر المرسل إليه والثّناء عليه،مثلما نجده في خطابه الذي وجّهه إلى كل من عزّاه وتضامن معه،إمّا بالحضور أو بالمراسلة على إثر وفاة ابن أخته،وفي ذلك قال:

«فُجِعتُ في ولد أختي،بل ولدي تربيةً وتنشئةً،فخفّ إخوان الصّدق لمشاركتي في التوجّع،وتعزيتي على المصيبة وتواترت رسائلهم وبرقيّاتهم تحمل من معاني الأخوّة أطيَبها وأعلاها،وأنا أشكر لجميع الإخوان هذه العاطفة الأخويّة الشّريفة،سواء منهم من حضر الدَّفن ومن عزّى بالمراسلة،وأخُصُّ بالثّناء شُعَب جمعيّة العلماء بالعاصمة وأحوازها،فقد خفّف حضورهم وقع الفجيعة،فأنا أسال **الله** أن يكافئ جميع الإخوان عنّي بالإحسان وأرسِلُ إليهم هذه الكلمة محيّية شاكرة مجيبة».[1]

دلّ هذا الخطاب،على إرادة (الإبراهيمي) في تعزيز علاقته مع المعنيّين بالخطاب،بأن عبَّر لهم عن شكره وامتنانه لهم،على ما قدّموه من تضامن،خفّف من وطأة مصيبته؛بل تجاوز الشّكر إلى الدّعاء لهم،وبهذا حقّق أعلى درجات التّضامن.

وللعبارات الدّالّة على إرادة تعاون المخاطِب مع المخاطَب،ودعمه معنويًّا،وتمنّي الخير له،دور مهم في تجسيد الاستراتيجيّة التّضامنيّة،كما جاء في الخطاب الذي وجّهه (الإبراهيمي) بصفته رئيس تحرير جريدة "البصائر" قائلًا فيه:

«و"البصائر" تتمنّى لمجلّة "إفريقيا الشّماليّة" انتصارًا يقوّي المعنويّات،وانتشارًا يقوم بالماديّات،وتحسّنًا يضمن الإقبال واطّراد السّير،ولا تبخل عنها بالمستطاع من العَون والتّأييد[...]،وتتمنّى لصاحبها نفحات تغذّي الأمل،وتدفع إلى العمل،وتطرد طائف الملَل،و**الله** في عون الصّحافي ما دام الصّحافي في عون أخيه،وصبر جميل،أيّها الزّميل،فكلانا مبتلى...».[2]

استعمل (الإبراهيمي) سلطته،كرئيس تحرير جريدة "البصائر" ليوجّه خطابه التّضامني،إلى صاحب جريدة جزائريّة أخرى،تشترك مع جريدته في خدمة مبادئ واحدة،هي:الإسلام والعربيّة والجزائر،ممّا يعني تشاركها أيضًا في طبيعة الصّراع الذي تخوضه من أجل نصرة هذه المبادئ.

ولهذا جاء خطاب (الإبراهيمي) محمّلًا بألفاظ تعبِّر عن التّضامن والتّعاون مع هذه الجريدة،ومحفّزًا لصاحبها بتحدّي الصّعاب وحثّه،على الصّبر جرّاء الظّلم الملحَق به،وهذا ما دلّت عليه العبارات التالية:

"والبصائر تتمنّى لمجلّة إفريقيا الشّماليّة...ولا تبخل عنها بالمستطاع من العَون والتّأييد...،وتتمنّى لصاحبها نفحات تغذّي الأمل،وتدفع إلى العمل،وتطرد طائف الملَل...".

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج02،ص422.

[2] المصدر نفسه،ص239.

وبالإضافة إلى توظيف أسلوب "السّجع"،لصوغ تلك العبارات التّضامنيّة،وظّف أيضًا أسلوب "التّناص" في قوله: "**والله** في عون الصّحافي ما دام الصّحافي في عون أخيه" ←تناص مع قول النبيّ (ﷺ): «من نَفَّسَ عن مؤمن كُربَةً من كُرَبِ الدّنيا،نَفَّسَ **الله** عنه كُربَةً من كُرَبِ يوم القيامة،ومن يَسَّرَ على مُعسِرٍ يَسَّرَ **الله** عليه في الدّنيا والآخرة،ومن سَتَرَ مسلمًا،ستره **الله** في الدّنيا والآخرة،و**الله** في عَونِ العَبدِ ما كان العَبدُ في عَونِ أخيه...».[1]

"وصبر جميل،أيّها الزّميل،فكلانا مبتلى" ← تناص مع قوله تعالى:

– ﴿وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾،[يوسف:18].

– ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾،[يوسف:83].

وقد يتجاوز (الإبراهيمي) بخطابه التّضامني،البُعد المحلّي الوطني،إلى البُعد القومي العربي،مثلما دلّ عليه مقاله الموسوم بـ"محنة مصر محنتنا"،والذي قال فيه:

«إنّ جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين،المعبّرة عن إحساس الشّعب الجزائري كلّه،تعلن تأييدها للشّعب المصري وتضامنها معه في موقفه الحازم،ولا تصدّها عن أداء واجبات الأخوّة هذه الحدود الوهميّة التي خطّها الاستعمار بين أجزاء الوطن الواحد،ولا هذه السّدود الواهيّة التي أقامها بين أبناء الوطن الواحد،لأنّ العواطف الجيّاشة كعثانين السّيل لا تردّها حدود ولا سدود».[2]

نلاحظ من هذا الخطاب،أنّ (الإبراهيمي) لم يكتفِ باستعمال سلطته كرئيس لـ"جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين" ويوجّه من خلالها خطابه التّضامني؛بل تجاوزها بأن نصَّبَ جمعيّته،ممثّلًا عن الشّعب الجزائري،بقوله: "إنّ جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين،المعبّرة عن إحساس الشّعب الجزائري كلّه،تعلن تأييدها للشّعب المصري وتضامنها معه...".

وذلك راجع،للسّياق التّاريخي الذي نشر فيه المقال–05نوفمبر1951م–؛أي أنّ الجزائر،لازالت مُحتَلّة من طرف فرنسا،وبالتّالي لا توجد هيئة جزائريّة رسميّة تقوم بهذا الواجب القومي،إلّا بعض الأحزاب السّياسيّة،و"جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين"ومن على رأسها طبعًا.

وأيضًا،لعبارات التّرحيب والشّوق،قوّتها الدّلاليّة الموحيّة على التّضامن،ولهذا كثيرًا مَا وظّفها (الإبراهيمي) في خطابه التّضامني،مثلمَا دلّ عليه خطابه الموجّه إلى وفد صحافي مصري زارَ مقرَّ جمعيّة العلماء،بمناسبة زيارته للجزائر،وممّا قاله في هذا السّياق التّداولي الخاص:

---

[1] أبو الحسين مسلم بن الحَجّاج،صحيح مسلم،مرجع سبق ذكره،ص1173. رقم الحديث [2698].

[2] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره، ج03،ص492.

«أيّها الإخوان الأعزّة!

إنّنا نرحّب بضيوفنا الكرام،وكلمة الضّيف فيها ما فيها من الغربة والتّكلّف،فإذا ما خاطبت الإخوان بها جريًا على الوضع المألوف فمن المحال أن أخاطبكم بعد الآن بكلمة الضّيف[...].

أيّها الإخوان!

كلّ هؤلاء متشوّق إلى رؤيتكم...».[1]

إنّ توظيف المرسل لعبارات التّرحيب والشّوق،في قوله:"إنّنا نرحّب بضيوفنا الكرام...كلّ هؤلاء متشوّق إلى رؤيتكم"،دليل على تضامنه مع المرسل إليه،وإرادته في تعزيز علاقته الحميميّة معه.

ومن الصّيغ التّعبيريّة المجسّدة للاستراتيجيّة التّضامنيّة في خطاب (الإبراهيمي)،عندما ينتقي ألفاظًا خاصّة،ويعطي من خلالها العذر والحقّ لمرسل إليه مخصوص،مثلمَا فعل في كلماته التي وجّهها إلى المعلّمين الأحرار المنتسِبين لمدارس جمعيّة العلماء؛فممّا قاله لهم:

«ليس الذّنب في هذه الحالة الأليمة ذنبكم،وليست التّبعة فيها واقعة عليكم،بل أنتم فرائس هذه الأخلاط القاتلة وأنتم المجنيُّ عليكم لا الجُناة،وإنّما التّبعة على الذين يملكون القدرة على التّغيير،ثمّ لا يغيّرون،وتواتيهم الفُرَص إلى الإصلاح،ثم لا يُصلِحون».[2]

من أجل أن يحفّز (الإبراهيمي)،أولئك المعلّمين،على العمل أكثر،وحتّى يخرجهم من حالة اليأس التي وقعوا فيها جرّاء الواقع المزري الذي وصل إليه التّعليم في تلك الفترة (الاستعماريّة)،استخدم مجموعة من العبارات التّضامنيّة،في ظاهر الخطاب،بأن نفى عنهم مسؤوليّة ذلك الواقع -ولعلّها هي الحقيقة-؛بل ضاعف من دلالة خطابه التّضامني،بأن صنّفهم ضمن المجنِي عليهم؛أي هم أحد ضحايا هذا الواقع.

وإذا استخرجنا المعاني المستلزَمَة من هذا الخطاب التّضامني،نجد أنّه يلمّح بضرورة العمل على الإصلاح،أكثر فأكثر كلّما سمحت الفرصة لذلك،وهذا ما نلمسه في قوله:

"وإنّما التّبعة على الذين يملكون القدرة على التّغيير،ثم لا يغيّرون،وتواتيهم الفُرَص إلى الإصلاح،ثمّ لا يُصلِحون".

وتُعَدُّ الصّيغ اللّغويّة التي يعبِّر بها المرسل عن إعجابه بالمرسل إليه المخصوص،إحدى آليّات الاستراتيجيّة التّضامنيّة التي يمكن أن يعتمد عليها المرسل في إنتاج خطابه التّضامني.

وكثيرة هي الصّيغ اللّغويّة،التي يمكن أن يعبِّر بها المرسل عن إعجابه بالمرسل إليه المخصوص "فرد أو جماعة"،ومن أبرزها تصريحه بلفظ "تعجبني" وما يدخل معه من اشتقاقات.

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج02،ص364.

[2] المصدر نفسه،ج03،ص268.

وهذا ما دلّ عليه الخطاب الذي وجّهه (الإبراهيمي)،إلى جماعة معيّنة بعد بنائها لمدرسة،وممّا قاله:

«إنّني معجب بهذه الفئة الصّالحة،داعٍ لها بالتّوفيق والتّسديد،راجٍ لجماعاتنا العاملة للعلم أن يكون حظّها في التّعاون عليه كحظِّ جماعة سيدي إبراهيم».[1]

تضامن (الإبراهيمي) مع الجماعة التي لها المبادرة في بناء المدرسة،باستعمال صيغة الإعجاب بها،عند قوله: "إنّني معجب بهذه الفئة الصّالحة..."،وقد ضاعف من الدّلالة التّضامنيّة بوصفه إيّاها بـ"الفئة الصّالحة"،ثم بدعائه لها،وباعتماد مسلك التّلميح،استغلّ إعجابه هذا،ليحفّز به جماعته الخاصّة،بأن تتّخذ من هذه الجماعة قدوة لها.

وفي بعض السّياقات التّداوليّة الخاصّة،يمكن أن يستعمل (الإبراهيمي) ألفاظ المدح والإطراء،ليؤسّس بها خطابه التّضامني،وبوجه أخص إذا كان خطابه موجَّها إلى متلقٍّ مخصوص تجمعه به علاقة حميميّة خاصّة جدًّا،كالتي تجمعه بأصدقائه العلماء.

وبما أنّ عبارات المدح والإطراء،كثيرة في الخطاب التّضامني الإبراهيمي،بناءً على ما يمتلكه من قدرة تواصليّة تتكيّف مع تغيّر السّياقات التّداوليّة الخاصّة،ومع نوعيّة العلاقة الحميميّة التي تجمعه بالمرسل إليه المخصوص.

ولهذا سنقتصر على تحليل نموذج خطابي واحد،نكتشف من خلاله الأبعاد التّضامنيّة التي يمكن أن يصوغها (الإبراهيمي)،عبر استعمال ألفاظ المدح والإطراء.

ويكمُنُ النّموذج الخطابي الذي نقصده،في الخطاب الذي ألقاه (الإبراهيمي) بمناسبة الحفل التّكريمي الذي أقيم بمنزل (محمّد نصيف)،أحد أصدقائه من علماء المملكة العربيّة السّعوديّة،بمناسبة انتهاء زيارة (الإبراهيمي) لهذا البلد "أكتوبر 1952م"؛إذ أسّس عندئذٍ خطابه التّضامني بانتقاء ألفاظ مدح وإطراء،مزج فيها بين النّثر والشّعر معًا،في قوله:

«أيّها الإخوان:إذا لم ينصف الحجاز شيخه ومخلِّد مجده ورافع رايته أستاذنا الشّيخ نصيفا،فإنّ العالم الإسلامي كلّه ينصفه[...]،وإنّني أقولها بصيحة صريحة وأؤدّيها شهادة للحق والتّاريخ بأنّه محيِي السُّنَّة في الحجاز [...]،وأنّه صنع للسّلفيّة وإحياء آثارها ما تعجز عنه الجمعيّات بل والحكومات[...]،وسيشكر له **الله** غزوه للبدع بجيوش السّنن المتمثّلة في كتبها وعلوم أئمّتها،وجمعيّة العلماء نفسها مدينة له،فإنّ الكتب السّلفيّة لم تصلنا إلّا عن يده،وسيسجَّل أنّه مفخرة من مفاخر الإسلام وأنّه كفّارة عن تقصير العلماء،وأنّه زهرة فوّاحة في أرض الحجاز وأنّه جماله الذي يغطّي كل شَين،إنّي كنت قلت في الشّيخ نصيف أبياتًا منها:

قُلْ لِلَّذِي عَابَ الحِجَا زَ وَجَانَبَ المَثَلَ الحَصِيفَا
هَيْهَاتَ لَسْتَ بِبَــالِغٍ مُدَّ الحِجَازِ وَلَا "نَصِيفَا"».[2]

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج02،ص345.

[2] المصدر نفسه،ج04،ص125.

عكس هذا الخطاب التّضامني،مدى خصوصيّة العلاقة الحميميّة،في محورها التّكافؤي،والتي تجمع بين (الإبراهيمي) وزميله (محمّد نصيف)؛إذ تتجلّى هذه الخصوصيّة،في السّمات الدّلاليّة التي عبَّرت عنها ألفاظ المدح والإطراء الموظَّفة في الخطاب.

فدرجة التّعبير عن التّضامن،بدأت تتصاعد شيئًا فشيئًا،عبر مراحل الخطاب المختلفة،بما حملته تلك الألفاظ من دلالات،نابعة من نوعيّة المرجعيّات الخطابيّة والقدرة التّواصليّة،التي يمتلكها (الإبراهيمي).

ولهذا تظهر المرجعيّة الدِّينيّة بشكل واضح في هذا الخطاب،عند توظيفه لمصطلحات،من قبيل:

"محيِي السُّنَّة،السّلفيّة،إحياء،البدع...إلخ".

ثمّ نجد تدرجًّا في التّعبير عن التّضامن،من خلال توظيف ألفاظ مدح وإطراء،جسّدتها العبارات التّالية:

"مفخرة من مفاخر الإسلام،كفّارة عن تقصير العلماء،زهرة فوّاحة في أرض الحجاز...إلخ".

وتكمُنُ ذروة البُعد التّضامني لهذا المدح والإطراء،في استعمال (الإبراهيمي) لبيتين من الرَّجَزْ،وباختياره لهذا النّمط الشِّعري[*]،زاد من القيمة التّضامنيّة لخطابه بصفة عامّة،وليس في هذا الموضع فقط.

وزيادة على كون الرَّجَزْ «وسيلة للبوح بالانفعالات السّاذجة،والتّعبير عن مختلف العواطف بكل عفويّة وتلقائيّة»[1] تداوله بين علماء اللّغة العربيّة والشّريعة الإسلاميّة،بناءً على الخصوصيّة التّعليميّة التي قدّمها هذا النّمط الشِّعري؛حيث يكثر استعماله في المتون العلميّة.

وما ضاعف من القيمة التّضامنيّة لهذين البيتين،هو تضمّنها اسم الشّخص الذي قصد (الإبراهيمي) مدحه،وتعزيز علاقته به،عند قوله:"هَيْهَاتَ لَسْتَ بِبَالِغٍ مُدَّ الحِجَازِ ولا "نَصِيفَا".

3-4- توظيف المكاشفة:

يُعَدُّ كشف المرسل،لبعض خصوصيّاته،ومصارحة المرسل إليه بها،دليلًا على محاولة التقرّب منه؛إذ «يتفاوت النّاس من اطّلاع الغير على الأشياء العامّة إلى كشف أدقّ الخصوصيّات،وعلى ذلك فاستعمال الصّراحة مع مرسل إليه معيَّن هو دليل على التّضامن والثّقة فيه».[2]

فعندما يكشف (الإبراهيمي) في خطابه،عن بعض الأشياء والأحداث التي تخصّه،فيه من دلالات التّضامن مع المرسل إليه (الخاص/أو العام) ومحاولة التقرّب منه،ومن تجليّات توظيف هذه الآليّة في خطابه التّضامني،قوله التالي:

---

[*] باعتباره نمطًا،من أنماط الشّعريّة العربيّة؛ينظر:المهدي لعرج،المدخل إلى دراسة الأرجوزة العربيّة،أفريقيا الشّرق،الدّار البيضاء-المغرب؛د ط:2011م،ص05.

[1] المرجع نفسه،ص67.

[2] عبد الهادي بن ظافر الشّهري،استراتيجيّات الخطاب،مصدر سبق ذكره،ج02،ص59.

«طلب إليَّ أخي الأستاذ محمّد علي الحوماني مقرّر ندوة الأصفياء[*] إلقاء كلمة في النّدوة عن مشكلة العروبة في الجزائر».[1]

تصريح المرسل بمن اقترح عليه موضوع المحاضرة،يُعتَبَرُ مكاشفة أراد من خلالها التّقرّب من المرسل إليه،وبالتّالي استدراجه إلى التركيز فيما سيقوله لاحقًا.

وفي كثير من السّياقات التّداوليّة،يُسفِرُ (الإبراهيمي) عن أهدافه التي يصبُو إليها من خلال نشاطاته،مثلمَا نجده في مقاله الذي عبَّر من خلاله،عن دواعي رحلته إلى المشرق العربي والإسلامي،بقوله:

«دواعي هذه الرّحلة كثيرة،ولكنّها ترجع إلى أصل واحد،ومثيراتها في نفسي قديمة العهد،تتّصل بما ركب في طباعي من حُبِّ الاطّلاع والبحث،خصوصًا في شؤون الشّعوب الإسلاميّة،وكانت تذودني عن هذه الرّحلة-كلّما هممتُ بها- الأعمال الدّاخليّة لجمعيّة العلماء،وما هي بالقليلة،وعدم موافقة إخواني عليها،حرصًا منهم على تلك الأعمال أن تختلّ أو تتعطّل،ونحن معشر هذه الطّائفة نَعُدُّ من سعادتنا وسِرِّ نجاحنا أنّنا لا نتحرّك إلّا عن اتّفاق،ولا نسكن -إذا سكنّا- إلّا عن اتّفاق،فلمّا توافرت الدّواعي أَذِنَ لي إخواني فكانت الرّحلة».[2]

لقد حقّق كشف (الإبراهيمي) لدواعي رحلته المشرقية،بُعدًا تضامنيًّا،تميّز في تعزيز علاقته بقرّاء مقالاته.

ولهذا قد يستعمل الآليّة ذاتها،مع المرسل إليه ذاته،بغية الاعتذار له،كما جاء في هذا الخطاب:

«إنّ هذه المقالات التي أكتبها متتابعة في "البصائر" هي خلاصة المذكّرات التي أعددتها لكُتَّاب الرّحلة،ومعذرة لإخواننا الشّرقيين إذا قرأوا فيها سردًا لتنقّلاتي،أو توسّعًا في شيء معلوم عندهم،فإنّني إنّما أكتب لقومي ومن يليهم وهم في حاجة شديدة إلى مثل هذه الأخبار،لانقطاعهم عن الشّرق وتشوّفهم إلى كل ما يَرِدُ منه أو عنه،ومعذرة أخرى إلى قرّاء "البصائر" إذا أحسّوا بتفاوت في أسلوب هذه المقالات،فإنّ ذلك نتيجة التأثّرات المتفاوتة التي تَرِدُ على الرّحّالة الدّارس».[3]

بتوظيف آليّة "المكاشفة"،تجاوز (الإبراهيمي)،دلالة الاعتذار إلى دلالة التّضامن،بناءً على علاقة اجتماعيّة قائمة بين صحافي وقرائه.

كما أنّ تصريح المرسل للمرسل إليه،بالمسوّغات التي اقتضاها إنتاج الخطاب،وتوجيهه إليه بشكل خاص،هو كذلك تَجَلٍّ من تجلّيات آليّة "المكاشفة".

وهذا ما استخدمه (الإبراهيمي)،في تقريره الذي رفعه إلى رئيس وزراء الحكومة الباكستانيّة،في نهاية زيارته لهذا البلد،وفي ذلك قال:

---

[*] ندوة الأصفياء،هي «مجموعة من العلماء والأدباء والمفكّرين يجتمعون دوريًّا في ندوة يتولّى خلالها أحدهم إلقاء محاضرة حول موضوع معيَّن يتبعها تعقيب ومناقشة»،البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج05،ص148.

[1] المصدر نفسه،الصّفحة نفسها.

[2] المصدر نفسه،ج04،ص24.

[3] المصدر نفسه،ص.ص28-29.

«هذا ما دفعني الإخلاص والحب لهذه الحكومة إلى تقديمه لدولتكم،راجيًا أن تحلّوه محلّ الاهتمام،وإنّه ليسرّني كعالم ديني أن أُعِينَ هذه الحكومة الشّابّة ولو بكلمة طيّبة،كما يَسُرُّ جميع المسلمين أن يروا هذه الدّولة النّاشئة كلّ يوم في تقدّم وترقٍّ،وأن يروها في كلّ ساعة تخطو خطوة إلى الأمام».[1]

يظهر البُعدُ التّضامني في هذا الخطاب،عند قول (الإبراهيمي):"هذا ما دفعني الإخلاص والحب لهذه الحكومة إلى تقديمه لدولتكم..."،وممّا ضاعف من القوّة التّضامنيّة لخطابه،هو تصريحه بما يمتلكه من سلطة اجتماعيّة،ذات بُعد دِيني-أي بصفته أحد علماء العالم الإسلامي-،فرضت عليه القيام بواجبه تجاه دولة إسلاميّة.

3-5- استعمال الدّعابة:

يمكن أن يستخدم المرسل،"الدّعابة"،كآليّة تضامنيّة،يوطّد بها علاقته الحميميّة مع متلقٍّ مخصوص أو عام،وبوجه خاص إذا كان المرسل صاحب سلطة اجتماعيّة أو وظيفيّة،وأراد التّنازل عنها باستعماله لهذه الآليّة.

وتكمن أهميّة توظيف "الدّعابة"،في الخطاب التّضامني،فيما تقدّمه من نتائج إيجابيّة في تعزيز العلاقات الاجتماعيّة بين المتخاطبين،بناءً على وظائف عدّة،يمكن أن نلخّصها «فيما يلي:

1- تحقيق التّواصل أو التّفاعل الاجتماعي وتجديده على نحو مستمر.

2- تعزيز التّماسك الاجتماعي بين الأفراد والجماعات،خاصّة في أوقات الأزمات[...].

3- النّقل بطريقة مستترة ضاحكة مَرِحَة لبعض المعلومات عن بعض الأفراد أو الفئات في المجتمع.

4- التّعبير عن الاتّجاهات العامّة نحو السّلطة بأشكالها كافّة (السّياسيّة والدّينيّة والأسريّة والتّعليميّة...إلخ)[...].

5- اللّعب العقلي بالأفكار والألفاظ (من خلال التّورية مثلًا)،والتّعبير عن الإدراك العميق المتفكّه لبعض المتناقضات الموجودة في المجتمع أو في سلوك بعض البشر».[2]

ولهذا على الأغلب،نجد أنّ الخطاب التّضامني لدى (الإبراهيمي)،يستحضر هذه الوظائف عند استعماله للدّعابة حيث يتجسّد بُعدُهَا التّضامي،في خطاباته التي تُصَنَّفُ ضمن المداعبات الإخوانيّة[*] بشكل واضح.

وللّغة الشّعريّة -ممثَّلة في بحر الرَّجَزْ-،حظّها الأوفر،في تأسيس الخطاب التّضامني،الذي يتم فيه،توظيف "الدّعابة" كما يظهر في الرّسالة التي وجّهها (الإبراهيمي) إلى أحد أصدقائه،قائلًا:

«إلى الأستاذ صالح الأشْتَرْ:

شَانِئَكَ الأَبتَرْ يَا صَالِحُ الأَشْتَرْ

إِنْ كَانَ مِنْ لَحْمٍ فَأَنْتَ كَالنَّشْتَرْ

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج04،ص75.

[2] شاكر عبد الحميد،الفكاهة والضّحك"رؤية جديدة"،سلسلة عالم المعرفة،المجلس الوطني للّثقافة والفنون والآداب،الكويت؛رقم: 289،د ط:1423هـ/2003م،ص390. ونشير هنا،بأنّ المؤلّف،نسب هذه الوظائف،إلى "النّكتة"،التي سمّيناها نحن بـ"الدّعابة".

[*] نقصد بها مجموعة الرّسائل التي وجّهها (الإبراهيمي) إلى أشخاص تجمعه بهم علاقة حميميّة خاصّة،وقد أُستُعمِلَ المصطلح ذاته في الجزء الرّابع من آثاره؛ينظر:البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج04،ص399.

نَثْرُكَ قَدْ جَارَى نَظْمَ أَخِي شَشْتَرْ
النَّاسُ أَسْقَاطٌ فَبِعْ وَلَا تَشْتَرْ...».[1]

اعتمد (الإبراهيمي) على كفايته اللّغويّة والرّافد القرآني،ليوظّف من خلالهما آليّة "الدّعابة"،بغية تحقيق خطابه التّضامني،مع مرسل إليه مخصوص تجمعه به علاقة حميميّة،جدّ خاصّة.

ولهذا نجده يستغل اسم المعني بخطابه –(صالح الأشْتَرْ)– ليفتتح به خطابه،مُستَعمِلًا في ذلك أسلوب "التّناص" حينما قال:"شَانِئَكَ الأَبتَرْ" ⟵ تناص مع قوله تعالى:

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾،[الكوثر:03].

ثمّ جعل من حرف "الرّاء" السّاكن،رويًّا لقصيدته،ليحقّق تناسبًا صوتيًّا بين اسم المرسل إليه،وما يوظّفه من كلمات مضحكة،ذات بُعد تضامني،في المعنى الحرفي للخطاب،بينما هي في أصلها،ذات بُعد تلميحي،مُؤَسَّس على علاقة مسبَقة تجمع بين طرفي الخطاب.

وبهذا يمكننا القول،إنّ «وجود الأديب كمتلقٍّ لخطاب أديب آخر،يجعل الخطاب يُنجَزُ بطريقة متفرّدة،لأنّ الطّرفين يشتركان في أكثر من أمر؛في رؤية العالَم وفي الحساسيّة الجماليّة وفي تلقّي اللّغة وفي الإطار المرجعي وفي طبيعة فهم الكتابة،وفي طبيعة المقروء،وقبل ذلك في الطّابع الوجداني والعقلي،كل تلك المشتركات تعمل على إنشاء خطاب مميّز؛مميّز بلغته وبأسلوبه وبأفكاره وبرؤيته وبهدفه»[2] ،ومميّز في تداوليّته.

كما يمثّل الخطاب النّثري،المسلك الخطابي المناسب الذي يجد فيه المرسل مُتَّسَعًا لاستثمار آليّة "الدّعابة"،وعليه نجد عدّة مواضع خطابيّة تضامنيّة،وَظَّفَ فيها (الإبراهيمي) هذه الآليّة،بما يمتلكه من كفاية لغويّة وبما يستمدّه منها من ألفاظ يعطيها معانٍ فكاهيّة ذات بُعد تضامني في ظاهرها،ولكن تحمل في طيّاتها أبعادًا تلميحيّة لا يستطيع فكَّ رموزها وحلّ إشاراتها القارئ المتَخَصِّص،ما بَالُك بالقارئ العادي!،إلّا من امتلكَ مفاتيح متعدّدة ليقرأ بها هذا النّمط من خطاب (الإبراهيمي)،أوّلها معرفة السّياق التّداولي الخاص المحيط بإنتاج الخطاب؛حيث تمثّل رسالته الموسومة بـ "هذه العزيمة"،إحدى تلك الخطابات.

وقبل أن نبدأ في تحليل جزء من هذه الرّسالة،لابدَّ أن نشير إلى الظّروف التي كانت سببًا في إنشائها؛إذ جاء في تقديم هذه الرّسالة،بقلم (الحسن بغدادي القادري)–من تلامذة (الإبراهيمي)– أنّ السَّبب يكمُن وراء تعطيل الرّسائل التي كان يبعث بها أعضاء الجمعيّة إلى (الإبراهيمي) بصفته الرّئيس،وهو بمنفاه ببلدة "آفلو"،وبعدَ أن أحسَّ بطول مدّة الانقطاع عرف أنّ هناك شخصًا ما يعمل لدى المصالح البريديّة الفرنسيّة تعمَّدَ تعطيلها،فأملى هذه الرّسالة على تلميذه المذكور آنفًا؛كي يُوصِلَهَا إلى (العربي التبسّي) بصفته نائبًا له.[3]

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج04،ص411.

[2] عبد الله العشي،زحام الخطابات،مرجع سبق ذكره،ص141.

[3] ينظر:البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج02،ص103.

وقد جاء مطلع الرّسالة،وفقَ الصّيغ اللّغويّة الآتية:

«أيّها العِفْرِيتُ النِّفْرِيتْ،الذي هو أنتَنُ من الحِلْتيتْ،وأثقل من الكِبْرِيتْ،وأهدى إلى رسائلي من الدَّليل الخرِّيتْ وأمضى في تمزيقها من السَّيف الإصْلِيتْ،مَا لَك؟ عُرِّيتَ وهُرِّيتْ،وقُطِّعتَ وفُرِّيتْ[...]،وأُقسِمُ عَليكَ بالصُّورْ والطُّورْ والقانون المسْطُورْ،والقَايْدْ،والمسْطَرَاطُورْ،الذي شَبَعَ فانتفَخَ فَأَصبَحَ امْبَرَاطُورْ،وبالنّاطُورْ الحَاملِ للسَّاطُورْ وبالجَمَل المقطُورْ في عَرَبَات الحنطُورْ،والشَّيخ أبي طَرطُورْ،الذّي هو على المكر مَفطُورْ...».[1]

عند قراءة أوّليّة لهذه الفقرة الخطابيّة،يتّضح بأنّها ذات بُعد تضامني بحت،دلّ على تنازل (الإبراهيمي) من سلطته الوظيفيّة،في محورها التّراتبي السُّلَّمي،بصفته رئيس "جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين"،ليتضامن مع (العربي التبسّي) بصفته نائبًا له.

ولهذا يمكن أن نستغرب،لجوء (الإبراهيمي) إلى هذا النّوع من الخطابات،ذات الألفاظ الغريبة،ويناقش من خلالها قضيّة مصيريّة،تخصّ تسيير جمعيّته،مع أنّ السّياق يقتضي الجدِّيَّة؛أي كان بإمكانه أن يرسل خطابًا عاديًا يتّسم بطابع الرسميّة الوظيفيّة.

ولا شكّ أنّ،ظروف النّفي التي كان يعيشها (الإبراهيمي)،هي أبرز عامل أدّى إلى إنتاج الخطاب بهذا الشّكل وكأنّها نوع من التّرويح عن النّفس،وممّا ينبئ أيضًا،بوجود علاقة حميميّة خاصّة،تجمعه بنائبه (العربي التبسّي)،لهذا تجاوز الرسميّات بتوظيف الدّعابة،واضعًا في الحسبان الكفاية اللّغويّة التي يمتلكها المرسل إليه،وبالتّالي قدرته على فهم وتأويل كل المعاني الخفيّة التي جاءت بها الرّسالة.

ولهذا اتّخذ (الإبراهيمي) من أسلوب السَّجع في نوعه المتوازي،أداةً مهمّة في بناء خطابه التّضامني،نظرًا لما يمتلكه السّجع من خصائص صوتيّة جسّدت آليّة الدّعابة في هذه الرّسالة،فعندما قال صاحبها:"أيّها العِفْرِيتُ النِّفْرِيتْ،الذّي هو أنتَنُ من الحِلْتِيتْ،وأثقل من الكِبريتْ،وأهدى إلى رسائلي من الدَّليل الخرِّيتْ...".

فالظّاهر من هذه الفقرة،أنّها مداعبة منه إلى المرسل إليه المخصوص،ولكنّه في حقيقة الأمر،يلمّح بالشّخص الذّي قام بتعطيل رسائله ليصفه بالعفريت من الجنّ،ممّا يُوحِي بأنّه لم يَهتدِ لهذا الشّخص بَعدُ.

وأمّا في قوله:"وأُقسِمُ عَليكَ بالصُّورْ والطُّورْ،والقانون المسْطُورْ،والقَايْدْ،والمسْطْرَاطُورْ،الذّي شَبعَ فَانتفَخَ فَأَصبَحَ امْبَرَاطُورْ وبالنَّاطُورْ ...،والشَّيخ أبي طَرْطُورْ،الذّي هو على المكرِ مَفْطُورْ".

فهو يلمّح بالمصادر التي يمكن أن يَشُكَّ بها:

القانون المسْطُورْ ⟵ هل هو قانون جديد؟.

والقَايْدْ ⟵ هل هو أمر من القايد؟.

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج02،ص104.

والمسْطْرَاطُورْ[*] الذي شبع فانتفخ فأصبَح امْبْرَاطُورْ

هل هو أمر من المدير،الذي بعدما شبع أصبح شخصًا متَجبِّرًا ومتسَلِّطًا؟.

والشَّيخ أبي طَرْطُورْ،الذّي هو على المكرِ مَفْطُورْ

فيه إشارة إلى أحد مشايخ الطُّرُق الصُّوفيّة بالمنطقة؟؛أي واحد منهم كانت له يَدٌ في تعطيل البريد.

ويستمرّ (الإبراهيمي) في طرح اقتراحاته في قالب هزلي خَاطَبَ فيه المعني بالتَّعطيل،على أنّه جنّ أو إنس،في جرس صوتي يحمل دلالات غريبة يصعب فكّها في كثير من الأحيان،فها هو يقول:

«يا عِفْرِيتْ!إنْ كنتَ من الجنِّ،فأسألك بمن مضى من عالم الحنّ،وبمريدِيك غُواة الفنّ،وهُواة الدنّ،وأبطال القذف والزنّ،والرنِّ والطنّ،وكل مُغنّ،بمحاسن الظّبي الأغَنِّ،وكل متلئِبٍ مُكتَئِنٍّ،تحت السّحاب المزجَحِن،وكل مِفَن[...].

وإنْ كنتَ من الإنسْ- وما الإنسُ هكذا تفعل- فأسألك باسم الجنسْ،وعلم الجنسْ،ولامْ الجنسْ،والفصل والجنسْ ولا التّبرئة النّافية للجنسْ،وأسألك بعربات الكنسْ،والأب "لَامَنْسْ"،وما في كلامه من دنسْ،وبكل أمون عنسْ،لها في سلاسة شدْقَمْ قنْسْ،أن تهجر هذه الفِعَالْ،وتهتمّ بتصريف الأفعَالْ،وتنظيف الكِعَالْ وتجفيف النِّعَالْ،وتلطيف السُّعَالْ،والتأدُّبِ بأدبِ جُعَالْ،وكل من اسمه فُعَالْ...».[1]

إنّ أبرز توظيف ظاهر المعاني،هو توظيفه لمصطلحات نحويّة في قالب فكاهي،تماشيًا مع الجرس الصّوتي للغة هذا الجزء من الرّسالة،معتمدًا في ذلك على كفايته اللّغويّة،وعلى «الإحساس الشّديد بالصّوت وتسخيره خادمًا للبنية وحدها...ريثما يستقيم الصّوت فينساب انسيابًا،وينثال انثيالًا،ويغدُو هو كل شيء في الخطاب ولا شيء سواه».[2]

ومن صيغ الدّعابة،التي يمكن أن يستعملها (الإبراهيمي) في خطابه التّضامني،توظيفه لبعض الألقاب تنادرًا مع مرسل إليه مخصوص،تربطه به علاقة أب بابنه.

ومن الخطابات المعبِّرة عن هذا الاستعمال،ما تضمّنته رسالة (الإبراهيمي)،التي وجّهها إلى أحد تلامذته،قائلًا فيها: «حضرة الفيلسوف ولدنا الأستاذ أحمد بن أبي زيد قصيبة حفظه **الله**:

وما زلت أنعتكم في رسالتي إليكم بالفيلسوف تنادُرًا ومباسَطَةً وتظرّفًا،وأنا لا أجهل أنّكم تنطوون على شمائل فيلسوف أو تحملون روحه بالتّعبير العصري».[3]

---

[*] القايد:شخص جزائري تضعه فرنسا مسؤولًا عن القُرَى،وأمّا لفظ المِسْطْرَاطُور:فهي من الكلمة الفرنسيّة (administrateur) بمعنى المدبِّر أو المدير؛ينظر:مجموعة من المؤلِّفين،القاموس (فرنسي- عربي)،دار الكتب العلميّة،بيروت-لبنان؛ط02:1424هـ/ 2004م،ص19.وللتوسّع في شرح الألفاظ الغريبة،التي تضمّنها هذا الخطاب؛ينظر:البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره، ج02،ص.ص104-105.

[1] المصدر نفسه،الصّفحتان نفسهما.

[2] عبد الملك مرتاض،خصائص الخطاب في رواية الثّلاثة،ضمن كتاب،الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي بأقلام معاصريه،مرجع سبق ذكره،ص246.

[3] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج02،ص40.

نجد في هذا الخطاب،تصريح (الإبراهيمي) بأنّ نعته لتلميذه بالفيلسوف،كان من باب الدّعابة والتّنادر،ليس إلّا فالتّدليل أو «المخاطبة العاطفيّة تُعَدُّ نوعًا خاصًا من التّضامن».[1]

3-6- توظيف المصانعة:

يمكن أن نعتبر،آليّة "المصانعة"،من بين الآليّات التي يجسّد بها المرسل استراتيجيّته التّضامنيّة؛ويقصد بها توفّر مجموعة من المواضعات اللّغويّة المشتركة،بين المرسِل والمرسَل إليه،ضمن سياق تداولي خاص.

ولهذا تتنوّع وسائلها اللّغويّة،لدَى المرسل،بين:"اللّهجة،واللّغة الخاصّة،وذكر خصائص المرسل إليه".

3-6-1- استخدام اللّهجة:

لا شكّ أنّ لكل مجتمع خصائصه اللّغويّة التي تميّزه عن باقي المجتمعات،تسمّى بـ "اللّهجات المحلّيّة أو الإقليميّة" وكثيرًا ما يلجأ المشاركون في العمليّة التّخاطبيّة التّواصليّة إلى توظيفها،من أجل تحقيق أبعاد تضامنيّة فيما بينهم.

وعلى هذا الأساس تُعرَّفُ اللّهجة (Dialect)،بأنّها «مجموعة من الصّفات اللّغويّة تنتمي إلى بيئة خاصّة،ويشترك في هذه الصّفات جميع أفراد هذه البيئة».[2]

وإذا نظرنا،في مدى حضور هذه الوسيلة اللّغويّة في الخطاب التّضامني الإبراهيمي،نجد أنّها وُظِّفَتْ في مواضع كثيرة من خطاباته؛حيث يتدرّج توظيفها لديه،وفقَ مستويين من الاستعمال اللّهجي:

- الأوّل منهما،استعمال اللّهجة المحلّيّة أو الإقليميّة،الخاصّة بالمنطقة التي نشأ وتربّى فيها (الإبراهيمي).
- وأمّا الثّاني،فيكمُن في توظيف لهجة القُطر الجزائري،بشكل عام.

ويُعَدُّ خطابه الآتي من بين توظيفه للمستوى الأوّل،وذلك في قوله:

«ولا يكتب عن صحافي أو صحيفة في عدد خاص،إلّا رَجُلٌ (بَاصٌّ)،ونفسي-كما يعلم بعض القرّاء- جزائريّة سطيفيّة،فكلمة بَاصٌّ بتشديد الصّاد من لغتها،ومعناه:لا عقل له».[3]

استعمل المخاطِب كلمةً من لهجته المحليّة ثمّ شرحها بعد ذلك،في سياق التّمازح مع المخاطَب،وبهذا يكون قد حقّق بعدًا تضامنيًّا معه.

فيما تمثّل المستوى الثّاني من توظيف اللّهجة في الخطاب التّضامني لدَى (الإبراهيمي)،ما ضمّنه من مفردات في روايته المعروفة بـ"رواية الثّلاثة"[*]،فهذا النّص الأدبي،حمَل الكثير من الألفاظ العامّيّة الجزائريّة،التي عكسَت مدَى قوّة الخطاب التّضامني الذي أراده من خلالها (الإبراهيمي)،ومن ذلك قوله،على لسان شخصيّات الرّواية:

---

[1] هدسون،علم اللّغة الاجتماعي،مرجع سبق ذكره،ص198.

[2] إبراهيم أنيس،في اللّهجات العربيّة،مكتبة الأنجلو المصريّة-القاهرة،مصر؛ط03:د ت،ص15.

[3] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج02،ص215.

[*] كتبها (الإبراهيمي)،في منفَاه "سنة1941م"،وهي مسرحيّة في شكل أرجوزة مُطوَّلة - 884 بيت- موزّعة على ثلاث جلسات مُزِجَتْ فيها أحداث واقعيّة مع أحداث خياليّة في قالب فُكاهي مُمتِع،ينظر:المصدر نفسه،ص.ص 59-102.وللإشارة:أنّه تظهر آليّة "الدّعابة" -والتي سبق لنا دراستها- بصفّة كليّة في هذه الرّواية؛حيث قال عنها صاحبها:«وبعد،فقد داعبنا بهذه الرّواية،ثلاثة أساتذة هم لنا أبناء،وهم فيما بينهم إخوة كلُّهم أدباء،فعسَى أن تكون حافزة لِهِمَمِهِمْ في التّدريب على هذا النّوع الرّاقي من الأدب الهزلي»=

«...أَرْجُوكُمَا أَنْ تَحْضَرَا سَرِيعًا لِتَدْفَعَا خَطْبًا دَهَى مُرِيعَا
فِي السَّاعَةِ التِّي أَكُونُ فِيهَا مُرَفَّهًا فِي عِيشَتِي تَرفِيهَا
فِي يَومِ تِسعٍ مِنْ شُبَاطَ المَاضِي لِأَنّنِي أَكُونُ فِيهِ (فَاضِي) [...]
وَبَسْمِلَا وكَبِّرَا وَحَوْقِلَا والتَزِمَا الصَّمْتَ وَلَا (تُشَقْلِلَا) [...]
وكُلُّ حَالٍ للمَآلِ يَرمُزُ فَانْظُرْ فَأَنْتَ القَاعِدُ (المقَعْمَزْ) [...]
(المشهد الثالث:يدخل تلميذ صغير بيده طُبْسِي فطائر باردة) [...]
(يدخل تلميذ آخر في يده قَرْعَة شمَّة ملفوفة في قرطاس)
التّلميذ:هَديَّةٌ مِنْ رَجُلٍ برَّانِي مِثْلَ حِمَارِ جَارِنَا الحرَّانِي [...]
مِنْكَ وَمِنْ رُؤَيْسِكَ الخرْنَانِ فَأَنْتُمَا قَوْسٌ بِلَا إِرْنَانِ [...]
فَرِبَّمَا طَالَتْ إِلَى الزَّوَالِ وَأَنْتَ تَدْرِي أَنَّنِي (زَوَّالِي) [...]
وَخَلِّنَا نَكْوِ الحَشَا بـِ (قَارُو) وَنَسْتَمِعُ لِقَارِئِي (الفِقَارُو) ...».[1]

3-6-2- استخدام اللّغة الخاصّة:

لكل عِلمٍ أو فنٍّ لغته الخاصّة التي يتداولها روّاده فيما بينهم؛حيث يقصد بها،ذلك «التّلوّن الذي لا يُستَعمَل إلّا من قِبَل أفراد أو جماعات فرعيّة،موضوعة في ظروف خاصّة»[2] ،والتّي من مظاهرها اللّغويّة الاجتماعيّة:مصطلحات المهنة،أو اللّغة السّرّية ...إلخ.

ومن علامات نجاح العمليّة التّخاطبيّة التّواصليّة بين طرفيها المنتميان إلى مهنة واحدة،هو أن يحسن كلاهما «التّحدّث بلغة المهنة jargon of vocation حين يتحدّث إلى زملائه»[3] ،وعليه تغدُو اللّغة الخاصّة وسيلة،يمكن استثمارها لتحقيق الاستراتيجيّة التّضامنيّة.

= البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج02،ص64.وللتوسّع في الاستراتيجيّات الخطابيّة التي وُظِّفَت في هذه الرّواية؛ ينظر:إبراهيم براهمي،استيراتيجيّات الخطاب في رواية الثّلاثة للبشير الإبراهيمي،منشورات بونة للبحوث والدّراسات،عنابة-الجزائر؛ ط01:2013م.

[1] المصدر نفسه،ص.ص65-99. وفيما يلي،شرح لبعض الألفاظ العامّية الجزائريّة:"فَاضِي بالفاء وليس بالقاف:في اللّسان العامّي معناه:مستريح من الشّغل"،"تُشَقْلِلَا:كلمة عامّية معناها لا تُثرثِرَا"،"مْقَعْمَزْ:قاعد على قدميه فقط،قعدة المستَوفِز"،"طُبْسِي:صَحن" "قرعة شمَّة:قنّينة يوضع فيها مسحوق التّبغ الذييمى"شمّة"لأنّه يُشَم"،"برّاني:في اللّهجة الجزائريّة بمعنى غريب عن البلد"،"الخَرْنَان:كلمة عامّية وهو الذي يكرّر الكلام الفارغ،وأرنَانْ القوس صفة مدح لها وهو تصويتها عن صدور السّهم عنها،ويوصف السّهم بالأرنان أيضًا"،"زوّالي:معناها فقير"،"قارو:كلمة عاميّة معناها سيجارة،والقاف تُنطَق كالجيم المصريّة"،"الفقارو:هي الجريدة الفرنسيّة المعروفة بـ "Le Figaro"؛ينظر:المصدر نفسه،الصّفحات نفسها.

[2] جولييت غارمادي،اللّسانة الاجتماعيّة؛تعريب:خليل أحمد خليل،دار الطّليعة،بيروت-لبنان؛ط01:1990م،ص53.

[3] عبده الرّاجحي،اللّغة وعلوم المجتمع؛قرأه:محمود الجيار،دار الصّحابة للتّراث،طنطا-مصر؛ط01:1434هـ/2013م،ص63.

وبما أنّ (الإبراهيمي)،يمتلك كفاية لغويّة،لها خصوصيّتها،ومرجعيّات خطابيّة متنوّعة،لذا كثيرًا ما يضمِّن خطاباته التّضامنيّة،بعض المصطلحات الخاصّة بعلوم اللّغة العربيّة:"كالنّحو،والبلاغة...إلخ"،أو مصلحات علوم أخرى: "كالفقه والمنطق،والتّاريخ...إلخ"،وفي بعض الخطابات يتجاوز هذا الاستعمال،بتوظيف الشّاهد النّصّي(*)،من: "آيات قرآنيّة،أو أحاديث نبويّة،أو أبيات شعريّة،أو أمثال عربيّة...إلخ".

ونوردِ بعضًا من تلك الاستعمالات على تنوّعات طرحها،فهي تكاد أن تكون سِمَةً بارزة من سِمَات خطاب (الإبراهيمي) بوجه عام،وليس خطابه التّضامني فقط.

ويظهر في مقال نشره (الإبراهيمي) ضمن سلسلة مقالاته الموسومة بـ"فصل الدِّين عن الحكومة"،كيف وظّف مجموعة مصطلحات،تختصّ بعدّة علوم،عند قوله:

«...ولكنّنا نغيِّر العنوان في هذه المرّة،ونقول:فصل الحكومة عن الدِّين قلبًا في الوضع لا في الموضوع،وتفاؤلًا للحالة بعدم الاستبقاء،كما يُتفَاءَل بقلب الرّداء في الاستسقاء،وأنّ بين التركيبين الإضافيين لفرقًا دقيقًا في لغتنا العربيّة،تخيّله الفقهاء في بحث ورُود النّجاسة على الماء،وورُود الماء على النّجاسة،وحقّقه البيانيّون في بحث:سلب العموم،وعموم السّلب».(1)

لا شكّ أنّ خصوصيّة المرجعيّات الخطابيّة التي يمتلكها (الإبراهيمي)،كان لها تأثيرها المباشر على استحضار اللّغة الخاصّة،بتوظيف بعض المصلحات الفقهيّة والنّحويّة والبلاغيّة،من قبيل:"قلب الرّداء،الاستسقاء،التركيب الإضافي،ورُود النّجاسة،سلب العموم،عموم السّلب...إلخ".

ويكمُنُ البُعدُ التّضامني في هذا الاستعمال،في أنّه موجَّه إلى مرسل إليه مخصوص،كما أنّ الخطاب عبارة عن مقال منشور وليس خطابًا تعليميًّا "محاضرة أو درس"،يقتضي هذا التّوظيف.

وتعكس الفقرة التّالية،من الخطاب الذي ألقاه (الإبراهيمي)،بمناسبة تكريمه في بيت صديقه (محمّد نصيف)(**) طريقة استخدامه للشّاهد النّصّي،ضمن لغة خاصّة يشترك فيها هو والمرسل إليه المخصوص،الحاضر حضورًا عينيًّا وهذا في قوله:

«أيّها الإخوان:إنّي أتوسّم في هذه الوجوه وأتلمّح ما وراءها من علم ومكارم،لا أقول فيهما بالتّقليد ولكنّني خبرت وبلوت فأجد مصداق الحديث،هذه مكّة رمت إليكم بأفلاذ كبدها،بل أقول هذا الحجاز رمى إليكم بأفلاذ كبده ومن غير أستاذنا الجليل محمّد نصيف يستطيع أن يجمع العالَم في دار،أو يدّخر كنزًا ثمينًا تحت جدار[...]، ومادامت الموائد تنصب،واللّقم ترفع،والصّحون تجر،والأفواه تفتح وتضم،والطّعام كرات،والملاعق مخاريق بأيدي لاعبينا

(*) ينبغي التّفريق،بين استعمال الشّاهد النّصي،من أجل تحقيق الاستراتيجيّة التّضامنيّة،وبين الشّاهد النّصي،الذي يوظَّف من أجل تجسيد الاستراتيجيّة الإقناعيّة (الحِجَاجِيَّة)،وسندرس النّوع الثاني،عند تحليلنا للخطاب الحِجَاجِي لدى (الإبراهيمي)،في الفصل الخامس من البحث.

(1) البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج03،ص118.

(**) سبق لنا تحليل فقرة أخرى من هذا الخطاب،ضمن استعمال ألفاظ المدح والإطراء،للدّلالة على التّضامن.

فإنّ حال أستاذنا معنا حال أبي دلامة من شيوخ بني تميم إذ يقول:نحن شيوخ بني تميم...وأنت -يا أستاذنا- أبو دلامة،فاجهد جهدك،وإنّ شيوخ بني تميم موفون بعهدهم فأَوفِ بعهدك...».[1]

بناءً على الخلفيّة التي يمتلكها (الإبراهيمي)،عن طبيعة القدرة التّواصليّة التي يكتسبها المتلقّي (كل من حضر حفل التكريم)،وظّف بعض الشّواهد التي استمدّها،هي الأخرى من خصوصيّة مرجعيّاته الخطابيّة،ليحقّق بها بُعدًا تضامنيًّا خاصًّا.

ففي قوله:"ولكنّني خبرت وبلوت فأجد مصداق الحديث،هذه مكّة رمت إليكم بأفلاذ كبدها"،استثمر في قول النّبي (ﷺ)،يوم غزوة بدر الكبرى:«هَذِهِ مَكَّةُ قَدْ أَلقَتْ إِلَيكُمْ أَفْلَاذَ كَبِدِهَا».[2]

ليصل إلى معنى تضامني مع المرسل إليه،عند قوله:"بل أقول هذا الحجاز رمى إليكم بأفلاذ كبده".

وما زاد من القوّة التّضامنيّة لهذا الخطاب،هو توظيف مرسله لمجموعة من الصّيغ التّعبيريّة الدّالة على المزاح والدّعابة عند قوله:"ومادامت الموائد تنصب،واللّقم ترفع،والصّحون تجر،والأفواه تفتح وتضم،والطّعام كرات،والملاعق مخاريق بأيدي لاعبينا".

ليجعل من هذه الصّيغ،مَدخلًا،لما سيذكر من شاهد نصّي آخر،حينما قال:"فإنّ حال أستاذنا معنا حال أبي دلامة من شيوخ بني تميم إذ يقول:نحن شيوخ بني تميم "،بما حمله هذا الاستشهاد،من إسقاط قصّة الشّاعر (أبي دلامة) مع شيوخ بني تميم[*]،على حال (محمّد نصيف) وضيوفه.

ثم عزّز (الإبراهيمي)،من خطابه التّضامني،بتوظيف أسلوب "التّناص"،مع الرّافد القرآني،عندما قال:

"وإنّ شيوخ بني تميم موفون بعهدهم فأَوفِ بعهدك" ← تناص مع قوله تعالى:

﴿**وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا**﴾،[البقرة:177].

ومن أمثلة،توظيف (الإبراهيمي)،للأمثال العربيّة والأبيات الشّعريّة،من أجل تحقيق بُعد تضامني،ما كشفت عنه الفقرة التّالية،من الخطاب الذي ألقاه بمناسبة حفلة تكريم زميله (الفضيل الورتلاني)[**]،وفي ذلك قال:

«تواضع النّاس على أنّ مدحَ المرء لنفسه ذمّ،وتندّرَ العرب في ذلك بالكلمة السّاخرة:مَادِحٌ نفسه يقرئك السّلام وتواضعوا على أنّ إطراء المرء لولده ذمّ،فإن لم يكن ذمًا فهُجنة،وإن اعتذر عن ذلك بعض النّاس الخارجين عن القياس

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج04،ص125.

[2] ابن هشام،السّيرة النّبويّة؛علّق عليها،وخرّج أحاديثها،عمر عبد السّلام تدمري،ج02،دار الكتاب العربي،بيروت-لبنان؛ط03: 1410هـ/1990م،ص260.

[*] بحثنا عن هذه القصة،وعن تتمّة البيت،فلم نجد لها مرجعًا يذكرها بالصّيغة التي ذكرها (الإبراهيمي)؛إلّا بيتًا واحدًا وجدناه في ديوان الشّاعر،نعتقد أنّه هو البيت المقصود،مع اختلاف في روايته،وفي سبب قوله،من [الوافر]:

«دَرَاهِمٌ مَا انْتَفَعْتُ بِهَا وَلَكِنْ وَصَلْتُ بِهَا شُيُوخَ بَنِي تَمِيمِ»

زَنْد بن الجَوْن أبو دُلَامَة،ديوان أبي دُلَامَة؛شرح وتحقيق:إميل بديع يعقوب،دار الجيل،بيروت-لبنان؛ط01:1414هـ/1994م، ص115.

[**] سبق لنا تحليل فقرة أخرى من هذا الخطاب،ضمن استعمال الضمير الغائب،للدّلالة على التّضامن.

بأنّ هذا من مقتضيات الفطرة،فهو تنفّس بشيء من معاني العواطف التي تنطوي عليها كلّ نفس،والفطريّات الوجدانيّة لا تخضع لهذه القوانين التي يسنُّها المجتمع،ومن كلمات العرب السّائرة في هذا الباب:المرء مفتون بابنه،وزاد البُحتُري:وبشعره،وهو صادق:فإنّ فتنة الشّاعر بشعره أعظم من افتنان الوالد بولده».[1]

اعتمد (الإبراهيمي) على ما يمتلكه من كفاية لغويّة،ومن مرجعيّات خطابيّة خاصّة،عند توظيفه للمثَل العربي "مَادِحٌ نَفسَهُ يُقرئِكَ السَّلَام"[2]،وكذلك عند إشارته إلى قول الشّاعر،من [الكامل]:[3]

وَيُسِيءُ بِالإِحْسَانِ ظَنًّا لَا كَمَنْ هُوَ بِابْنِهِ وَبِشِعْرِهِ مَفْتُونُ

ولكنّ الاعتماد على الكفاية اللّغويّة،أو المرجعيّات الخطابيّة الخاصّة،غير كافٍ لتحقيق البُعد التّضامني،ما لم يستحضر (الإبراهيمي) خصوصيّة الكفاية اللّغويّة التي يمتلكها المرسل إليه المخصوص،والحاضر حضورًا عينيًّا.

وعليه،يتّضح لنا،أنّ مثل هذا الاستعمال اللّغوي،يندرج ضمن اللّغة الخاصّة،المراد بها التّضامن مع مرسل إليه مخصوص،أوّلًا،من حيث نوعيّة علاقته الحميميّة بالمرسل،ثم من حيث قدرته التّواصليّة؛فالحضور الذين خاطبهم (الإبراهيمي)،يشكّلون مزيجًا بين العلماء،وطلبة العلم،والمثقّفون...إلخ.

بينما المتلقّي العادي،الذي يمتلك قدرة تواصليّة بسيطة جدًّا،لا يستطيع فهم وتأويل المعاني التي يقصدها المرسل وهذا مَا عبَّر عنه (الجاحظ)،بقوله:«ومدار الأمر على إفهام كل قوم بمقدار طاقتهم،والحمل عليهم على أقدار منازلهم».[4]

وبالتّالي ينعدم التّضامن معه في هذه الحالة،وربما تحوّل الخطاب من خطاب تضامني إلى خطاب مغالطي،يؤدّي إلى سوء الفهم،ومن ثمّة التّأثير على العلاقة الاجتماعيّة القائمة بين طرفي الخطاب،بأن تتحوّل من علاقة حميميّة بسيطة،إلى علاقة خصومة.

3-6-3- ذكر خصائص المرسل إليه:

بإمكان المخاطِب،أن يوظِّف مجموعة من العبارات الدّالة على سِمَات وخصائص المخاطَب،من أجل أن يعزّز علاقته معه،ويتمّ ذلك عبر انتقاء ألفاظ معيّنة،تركّز على جوانب إيجابيّة يمتلكها المرسل إليه.

وتحضر هذه الآليّة في الخطاب التّضامني لدى (الإبراهيمي)،بحسب تغيّر السّياق التّداولي،وخصوصيّة المرسل إليه،كما جاء في قوله التّالي:

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج04،ص147.

[2] ينظر قصة المثَل؛محمّد بن مكرم "ابن منظور"،مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر؛تح:رياض عبد الحميد مراد،ج03،دار الفكر، دمشق-سورية؛ط01:1404هـ/1984م،ص283.

[3] العديد من كتب التّراث تنسب هذا البيت،إلى (البُحتُري)،ولقد بحثنا عنه في ديوانه،فلم نجده؛ينظر:الوليد بن عُبَيد أبو عبادة البُحتُري،ديوان البُحتُري؛تحقيق وشرح وتعليق:حسن كامل الصّيرفي،05 مجلّدات،دار المعارف،القاهرة-مصر؛ط02:1964م.وقد ذُكِرَ البيت،في ديوان أبي (تمّام الطّائي)؛ينظر:ديوان أبي تمّام؛شرح الخطيب التّبريزي؛تح:محمّد عبده عزّام،مج03،دار المعارف،القاهرة-مصر؛ ط04:د ت،ص331.

[4] الجاحظ،البيان والتّبيين،مرجع سبق ذكره،ج01،ص93.

«أيّها الإخوان المسلمون الكرام:

ليس هذا أوّل يوم دُعِيتُ فيه إلى الحقّ فأجَبتُ؛ولكنّه أوّل يوم دُعِيتُ لسماع الحقّ غير مجمجم،وليس هو أوّل اجتماع رائع شهدته؛ولكنّه أوّل اجتماع شهدته لسماع أداء الحساب من الرّجال العاملين،ولقد كنتم لا تُدعَون ولا تُستَشارون ولا يُعتَبر لكم شأن ولا يُقرَأ لكم حساب،تُدَبَّرُ لكم المكائد منكم ومن غيركم وأنتم لا تعلمون فأصبحتم اليوم مُعتَبَرِين تُستَشَارُونَ في كل شيء،وتؤخذ آراؤكم السّديدة وتطّلعون على كل شيء،أصبح منكم رجال يعملون للخير العام مهما تفرّقت الأهواء ومهما تلبّدت الأجواء».[1]

نلاحظ،كيف استعمل المخاطِب،عبارات محدّدة،ركّز من خلالها على بعض الخصائص الإيجابيّة التي يمتلكها المعنيّون بخطابه،وهم أعضاء المؤتمر الإسلامي الجزائري،مستندًا في ذلك على تذكيرهم بالحال التي كانوا عليها من قَبل ومقارنتها بالحال التي هم عليها لحظة التّلفّظ بالخطاب،عند قوله:"ولقد كنتم لا تُدعَونَ ولا تُستَشارونَ ولا يُعتَبَرُ لكم شأن ولا يُقرَأ لكم حساب،تُدبَّرُ لكم المكائد منكم ومن غيركم وأنتم لا تعلمون فأصبحتم اليوم معتَبَرِين تُستَشَارُونَ في كلّ شيء...إلخ".

وبهذه الصّيغ التّعبيريّة،عبَّر (الإبراهيمي) لأولئك الأعضاء،عن إرادته في تعزيز علاقته بهم،وبأنّ القضيّة التي يعملون من أجلها،هي قضيّة مشتركة بينهما،وبالتالي حقّق بُعدًا تضامنيًا معهم؛ليكون مقدّمة تخدم نتيجة حِجَاجِيَّة سَتُذكَرُ في نهاية الخطاب.

وعليه،نجده في بعض السّياقات التّداوليّة الخاصّة،يستعمل الآليّة نفسها؛بحيث يكون خطابه تضامنيًّا،ولكنّه من أجل تمرير بعض التّوجيهات،إلى المرسل إليه المخصوص،الذي تربطه به علاقة وظيفيّة.

وهذا ما عبَّر عنه خطابه الموجَّه،إلى المعلّمين المنتسِبين لمدارس "جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين"،والذي قال فيه: «ونَعنِي بالمعلّمين هذه الطّائفة المجاهدة في سبيل تعليم أبناء الأمّة لغتهم،وتربيهم على عقائد وقواعد دِينهم،وطبعهم على قالب من آدابه وأخلاقه.

نَعنِي هذه الطّائفة الصّابرة على مكاره الحياة كلّها،المحرومة من الرّاحة والاطمئنان في جميع أوقاتها،فهي في الشّتاء تشقى وتتعب،وفي الصّيف تضحّي وتنصب[...]،هذه الطّائفة هي عماد جمعيّة العلماء في أجَلّ وظائفها،وهي التّربية والتّعليم،وهي العصَب المدبّر لحياة هذه الحركة المباركة؛فعليها -بحكم الأمانة والدِّين- واجبات تشرعها الجمعيّة بالنّظام والقانون،وتؤكّدها بالدّعوة والإرشاد...».[2]

دلّت الصّيغ التّعبيريّة،التي جاء بها الخطاب،على تنازل (الإبراهيمي) عن سلطته الوظيفيّة،ليحقّق بُعدًا تضامنيًّا،مع مرسل إليه مخصوص،تربطه به علاقة وظيفيّة،في محورها التّراتبي السُّلَّمي.

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج01،ص260.

[2] المصدر نفسه،ج03،ص277.

ويكمُنُ البُعدُ التّضامني،في الدّلالات العاطفيّة التي حملتها بعض العبارات،التي ركّزت على خصائص أولئك المعلّمين،من قبيل قول (الإبراهيمي):"ونَعنِي بالمعلّمين هذه الطّائفة المجاهدة في سبيل تعليم أبناء الأمّة لغتهم...،نَعنِي هذه الطّائفة الصّابرة على مكاره الحياة كلّها...إلخ".

ومن خلال هذه الصّيغ التّعبيريّة،وصل إلى طرح توجيهاته،بقوله:"فعليها -بحكم الأمانة والدِّين- واجبات تشرعها الجمعيّة بالنّظام والقانون...إلخ".

وعليه،نخلص إلى أنّ استثمار المرسل لآليّة "ذكر خصائص المرسل إليه"،هو من أجل تحقيق مقاصد تضامنيّة بحتَة ويمكن أن يتجاوزها إلى تحقيق مقاصد أخرى:كالتّوجيه والإقناع.

3-7- استعمال الخطاب غير المباشر:

يتجسّد تطبيق آليّة "الخطاب غير المباشر"،بُغيَة تحقيق الاستراتيجيّة التّضامنيّة[*]،فيما لخّصته "قاعدة التَّعفّف" التي جاءت بها (لاكوف- R.Lakoof)،في صيغة مقتضاها "لا تفرض نفسك على المخاطَب".

إذ توجِب هذه القاعدة على المخاطِب،«ألّا يستعمل من العبارات إلا ما يمكنّه من حفظ مسافة بينه وبين المخاطَب فلا يفاتحه بما يكشف أحوال أحدهما للآخر،متجنّبًا الصّيغ التي تحمل دلالة وجدانيّة مثل أفعال القلوب،ولا يحمله على فعل ما يكره،محترزًا من استعمال عبارات الطّلب المباشرة،ولا يقتحم عليه شؤونه الخاصّة إلّا بالاستئذان قبل الكلام فيها والاعتذار بعده».[1]

وأحيانًا مَا تتضمّن خطابات (الإبراهيمي)،هذه الآليّة في بُعدهَا التّضامني،حينما يوجّه من خلالها مجموعة من النّصائح لمرسل إليه مخصوص أو عام.

وتُعَدُّ سلسلة مقالاته الشّهيرة المعنوَنَة بـ"الشّاب الجزائري كما تمثّله لي الخواطر"،إحدى خطاباته التي وَظَّفت آليّة "الخطاب غير المباشر" في بُعدِهَا التّضامني،مثلما عبَّرت عنه الفقرة التّالية،والتي قال فيها:

«أتمثّله متساميًا إلى معالي الحياة،عربيدَ الشّباب في طلبها،طاغيًا عن القيود العائقة دونها،جامحًا عن الأعنّة الكابحة في ميدانها،مُتَّقد العزمات[...]،أتمثله مقدامًا على العظائم في غير تهوّر،محجامًا عن الصّغائر في غير جبن[...].

أتمثّله واسع الوجود،لا تقف أمامه الحدود،يرى كلّ عربي أخًا له،أخوة الدّم،وكلّ مسلم أخًا له،أخوّة الدِّين،وكلّ بشر أخًا له،أخوّة الإنسانية،ثمّ يعطي لكلّ أخوّة حقّها فضلًا أو عدلًا.

---

[*] ينبغي التّفريق،بين الخطاب غير المباشر،الذي هو عبارة عن مسلَك تضامني،وبين الخطاب غير المباشر،الذي هو عبارة عن مسلَك تلميحي؛بل هو استراتيجيّة قائمة بذاتها،تُسَمَّى بـ"الاستراتيجيّة التّلميحيّة"،وسندرس في الفصل الرّابع من البحث،كيفيّة توظيفها في خطاب (الإبراهيمي).

[1] طه عبد الرّحمان،اللّسان والميزان أو التّكوثر العقلي،مرجع سبق ذكره،ص241.

أتمثّله حِلْفَ عمل لا حليف بطالة،وحِلسَ معمل لا حِلسَ مقهى،وبطل أعمال لا ماضغ أقوال،ومرتاد حقيقة لا رائد خيال[...]،أتمثّله مقبلًا على العلم والمعرفة ليعمل الخير والنّفع،إقبال النّحل على الأزهار[...]،مقبلًا على الارتزاق إقبال النّمل تجدُّ لتجِدَ[...]،يا شباب الجزائر،هكذا كونوا !...أو لا تكونوا».[1]

بما أنّ الخطاب التّخييلي،هو «خطاب ليس له دلالة تعيينيّة»[2] مباشرة،لذا اعتمد (الإبراهيمي) على ما يمتلكه من كفاية تخيّليّة،عند صياغته لخطابه التّخييلي ذِي البُعد التّضامني؛إذ يكمُن هذا البُعد،في تجنّب (الإبراهيمي) توجيه نصائحه بصفة مباشرة بصيغة الأمر والنّهي،وعدَل عنها إلى استعمال صيغة خياليّة عبَّر عنها بلفظ "أتمثّله"،ليحوّل بذلك سلطته الاجتماعيّة،ذات البُعد العلمي-بصفته عالما دينيًّا-،ويقدّم نفسه بصفته الأب النّاصح لأولاده،الذي يتمنّى لهم كل الخير بالطّبع.

فالخطاب في معانيه الظّاهرة،يجسّد استراتيجيّة تضامنيّة مع المرسل إليه المخصوص -كل شاب جزائري-،بينما يحقّق في معانيه الضّمنيّة،مقصديّة إقناعيّة،وهي محاولة إقناع المرسل إليه،بأن يسعى إلى العمل بتلك المقترحات المتخيَّلَة،ولو في جزء بسيط منها،تاركًا له الخيار في الأخذ بها،والدّليل على ذلك تذييله لخطابه التّخييلي،بعبارة: "يا شباب الجزائر،هكذا كونوا...أو لا تكونوا".

3-8- توظيف نكران الذّات:

قد يحدث على مستوى البنية اللغويّة لأيّ خطاب تضامني،أن يتنكَّرَ المرسل لذاته،عندما يتحدّث عن نفسه وكأنّه يعني شخصًا آخرًا؛إذ أصبحت هذه الآليّة من آليّات «الاستراتيجيّة التّضامنيّة،خصوصًا عند من يمتلك السّلطة».[3]

ومن مواضع تجسيد هذه الآليّة،في الخطاب التّضامني الإبراهيمي،ما تضمّنه حديثه بمناسبة محاضرة ألقاها على أعضاء "جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين"،في الفترة التي ترأّسها (ابن باديس)،وذلك بقوله:

«أيّها الإخوة الكرام،

إنّ موضوع هذه المحاضرة-عرض الحالة العلميّة- هو ثمرة اقتراح اقترحه عَلَيَّ الأخ الرّئيس بالأمس،فمن حقّه عَلَيَّ أن أشكره على إرشادي لموضوع قد يكون مفيدًا إذا جمعت أطرافه،ولكن أنَّ لي ذلك وإنّ غيري لأَملَك به منّي».[4]

فالعبارة الأخيرة من الخطاب،تعبِّر عن مدى تنكّر (الإبراهيمي) لذاته،وتواضعه للمرسل إليه،من منطلق العلاقة الحميميّة التي تجمع بينهما،على مستوى محورها التّكافؤي،وبهذا حقّق بُعدًا تضامنيًّا مؤسّسًا على هذه العلاقة.

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج03،ص.ص509-510.

[2] أوزوالد ديكرو وجان ماري سشايفر،القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللّسان،مرجع سبق ذكره،ص336.

[3] عبد الهادي بن ظافر الشّهري،استراتيجيّات الخطاب،مصدر سبق ذكره،ج02،ص61.

[4] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج01،ص143.

وقد يتنكّر (الإبراهيمي) لذاته،في سياق حديثه عن رئيس الجمعيّة،فلا يوظّف الألفاظ التي تحيل على "الأنا"؛بل يحيل إلى ذاته،باستعمال عبارات من قبيل:"رئيس الجمعيّة" أو "صاحب البصائر"...إلخ،وكأنّه الشّخص غير المقصود بذلك الكلام.

ومثال استعمال العبارة الأولى،ما توضّحه الفقرة الخطابيّة التّالية،والتي تحدَّث فيها (الإبراهيمي) عن حيثيّات زيارة أحد رجال الأعمال الجزائريّين لمركز "جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين" وإدارة جريدة "البصائر"،قائلًا عنها:

«زار السيّد محمّد خطّاب الجزائر في أوائل رمضان الماضي لتفقّد إخوانه وأصدقائه [...]،وزار مركز جمعيّة العلماء وإدارة "البصائر" وذَاكَرَ رئيس الجمعيّة في عدّة مشاريع علميّة وفي حال الطّلبة الجزائريّين الذين يطلبون العلم بالقَرَويّين وما يجب لهم من عناية ورعاية».[1]

يتّضح من هذه الفقرة،أنّ (الإبراهيمي) تنكّر لذاته وسلطته الوظيفيّة،بصفته رئيسًا للجمعيّة،واكتفى بذكر عبارة "وذَاكَرَ رئيس الجمعيّة"،بدل أن يقول:"وذاكرني" أو أيّة عبارة أخرى تحيل على هذا المعنى،وباختياره لهذه العبارة يكون قد حقّق بُعدًا تضامنيًا مع المرسل إليه.

كما يمكن أن يتنكّر (الإبراهيمي) لذاته،بعبارة "كاتب هذه السّطور" ليحقّق بها بُعدًا تضامنيًا مع المتلقّي،وهذا ما دلّ عليه مقاله الذي نشره في جريدة "البصائر"،بمناسبة الذكرى الثّامنة لوفاة (ابن باديس)؛إذ استعمل هذه العبارة في سياق حديثه عن مقترح قدّمه له زميله الرّاحل،قائلًا:

«وقد اقترحَ على كاتب هذه السّطور أن يضع برنامجًا جامعًا لدروس الكلّيّة وكتبها ودرجاتها ومناهج التّربية فيها وطرائق التّعليم العالي...».[2]

استعمل (الإبراهيمي) آليّة نكران الذّات،عند قوله "وقد اقترحَ على كاتب هذه السّطور"،ليحقّق بذلك تضامنًا مع المرسل إليه المخصوص،وهو كل من يهتم بإحياء ذكرى (ابن باديس).

ومن أبرز مظاهر توظيف هذه الآليّة في الخطاب التّضامني لدَى (الإبراهيمي)،عندما يتنكّر لنفسه،بتحويل قيمة التّكريم المعنويّة،من ذاته إلى شخص أو جماعة لها مكانة خاصّة عنده،ففي خطابه الذي ألقاه بمناسبة تكريمه في بغداد،عبَّر عن هذا البُعد التّضامني،بقوله:

«إنّ نفسي تحدّثني ولا تكذّبني أنّ هذا التّكريم الذي تفتنّ فيه بغداد ليس مصروفًا لشخصي،إنّما هو موجَّه إلى وطني وأبناء وطني الذّائِدِين عن حِماه».[3]

بهذه الصّيغ اللّغويّة المعبّرة عن نكران الذّات،حقّق (الإبراهيمي)،أرقى معاني التّضامن بتوجيه القيمة المعنويّة للتّكريم،من ذاته إلى المجاهدين الجزائريّين.

---

[1] المصدر نفسه،ج02،ص168.

[2] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج02،ص196.

[3] المصدر نفسه،ج04،ص104. [كذا في الأصل]،يقصد "تَفَنَّنَ".

3-9- استعمال تأنيب الذّات:

يمكن أن يظهر في البنية اللّغويّة المكوّنة لخطاب مَا،مجموعة من العبارات التي تدلّ على تأنيب المرسل لذاته تضامنًا مع المرسل إليه،لتكون هذه الصّيغ التّعبيريّة،إحدى آليّات الاستراتيجيّة التّضامنيّة،ولكن وفقَ ضوابط معيّنة يكون من خلالها المرسل «في التّهمة لنفسه معتدلًا،وفي حسن الظّن بها مقتصدًا؛فإنّه إن تجاوز مقدار الحقّ في التّهمة لنفسه ظلمها،فأودَعهَا ذلّة المظلومين».[1]

إذ يمكن لألفاظ الاعتذار أن تكون ألفاظًا دالّة على استعمال آليّة "تأنيب الذّات"؛فاعتذار المرسِل للمرسَل إليه يُنبِئ بالمكانة التي يُوليها له،وبأنّه تواضع له.

وبالأخصّ إذا كان المرسل،صاحب سلطة وظيفيّة لا تحتاج إلى اعتذار في الأصل،أو أيّة مسؤوليّة تربطه بجهة معيّنة بينما اختار هذه الآليّة ليعبِّر عن رغبته في التّضامن مع المرسل إليه،ليس إلّا.

وكثيرًا،ما يوظّف (الإبراهيمي) ألفاظ الاعتذار،في خطابه التّضامني؛حينما يكون صاحب سلطة وظيفيّة،ويتنازل عنها ليتضامن مع المرسل إليه المخصوص،الذي تربطه به علاقة وظيفيّة في الأساس،مثلما دلّ عليه خطابه الموجّه إلى التّلامذة المبتَعَثين إلى جامع الزّيتونة،وذلك في قوله:

«وعذرًا إذا تعجّلتُ كلمةً منصفة،وهي أنّ الإصلاح المأمول لا يتوقّف منه على الحكومات إلّا شطره المادّي [...] وإنّني مرسل إلى أبنائي التّلامذة الزّيتونيّين بالكلمة التّالية،تحيّيهم،وتشدّ من عزائمهم،فإن لم تكن روحًا يدوم ويبقى تكن ريحانًا يُشَمُّ ويُذوَى،وإذا تأخّرت عنهم فعُذرُها أنَّ العُرجَ في آخر الذَّودِ،فلينتظروا العَودَ،وأن عسى أن أكون قد قمت ببعض حقّهم عليَّ».[2]

بالرّغم من امتلاك (الإبراهيمي) للسّلطة الوظيفيّة على المرسل إليه،إلّا أنّه تنازل عنها،من أجل تحقيق أبعاد تضامنيّة مع التّلامذة الزّيتونيّين،وهذا ما دلّ عليه،في قوله:"وإنّني مرسل إلى أبنائي التّلامذة الزّيتونيّين بالكلمة التّالية،تحيّيهم وتشدّ من عزائمهم،فإن لم تكن روحًا يدوم ويبقى تكن ريحانًا يُشَمُّ ويُذوَى...إلخ".

وما زاد من القوّة التّضامنيّة لهذا الخطاب،عندما وظّف معاني الالتماس،وتأنيب الذّات،جرّاء التّقصير في حق أولئك التّلامذة،بقوله:"وأن عسى أن أكون قد قمت ببعض حقّهم عليَّ".

وفيما يخص كيفيّة استخدام (الإبراهيمي) لآليّة "تأنيب الذّات"،من أجل تحقيق بُعد تضامني،مع مرسل إليه لا تربطه به أيّة مسؤوليّة،نكتشفه في هذا القول:

«وأتقدّم بالاعتذار إلى الذين آلمهم احتجاب هذا القلم عنهم عدّة أسابيع،مبشّرًا لهم بأنّه سيعود إلى الميدان،أمضى ممّا كان».[3]

---

[1] الجاحظ،البيان والتّبيين،مرجع سبق ذكره،ج01،ص93.

[2] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج03،ص410.

[3] المصدر نفسه،ج02،ص421.

مع أنّ (الإبراهيمي)،ليس مجبرًا،على تقديم اعتذاره لقرّائه،بسبب تعطّل نشر مقالاته،لعدّة أسابيع،ممّا ينبئ بوجود احترام وتقدير يكنُّه (الإبراهيمي) لكل قارئ مهتم بما ينشر من مقالاته،وممّا ضاعف من القوّة التّضامنيّة لهذا الخطاب هو توظيفه لألفاظ ذات شحنات دلاليّة عاطفيّة،من قبيل قوله:"آلمهم،مبشّرًا لهم...إلخ".

وقد يستعمل (الإبراهيمي)،آليّة "تأنيب الذّات"،ليتضامن مع جماعة معيّنة،في سياق العتاب؛حيث يخاطبها بالضّمير "نحن"،أو أيّ ضمير آخر ينوب عنه،كما عبَّر عنه،بقوله التالي:

«وأمّا خدمة الجمعيّة من الوجهة الثانية،وهي أنّها مشروع يسير بنظام،ويدار على أعمال تحتاج إلى مدَد من رأي ومدَد من مال؛**فالله** يشهد أنّنا كلّنا مقصرّون في هذه النّاحية تقصيرًا لا يُغتَفر».[1]

فلو أنّه وجّه عتابه إلى أعضاء جمعيّته،بضمير المخاطَب "أنتم" أو أيّ ضمير آخر ينوب عنه،لدلّ على تعالي (الإبراهيمي) على من يخاطبهم،كما يدلّ على تنصّله من المسؤوليّة،ولكنّه بهذا الاستعمال حقّق بُعدًا تضامنيًّا،في تنبيه المخاطَبين،بأنّه مادامت الأهداف والقضيّة التي يعملون من أجلها هي قضيّة واحدة،فعلينا تحمّل المسؤوليّة جميعًا،وما زاد من القوّة التّضامنيّة،لهذا الاستعمال،إشهاده **لله** (ﷻ)،في قوله:"**فالله** يشهد أنّنا كلّنا مقصرّون في هذه النّاحية تقصيرًا لا يُغتَفر".

3-10- استعمال الدّعاء:

يستعمل المخاطِب "الدّعاء"،بصيغ تعبيريّة متنوّعة،وفقَ سياق تداولي متغيِّر،بالإضافة إلى خصوصيّة المرسل إليه كلّها أمور لابدَّ للمرسل من استحضارها عند اختياره للصّيغ التّعبيريّة المناسبة لدعائه،وهذا ما أكدّه صاحب (الصّناعتين) عندما قال،بأنّه:«ينبغي أن يكون الدّعاء على حسب ما تُوجِبُهُ الحال بينَكَ وبين من تكتُبُ إليه وعلى القدر المكتوب فيه»[2] ،وعليه يمكن أن نعتبر "الدّعاء"،أحد الآليّات التي يمكن أن تتبلور من خلالها الاستراتيجيّة التّضامنيّة.

وكثيرًا ما استثمرَ (الإبراهيمي) في آليّة "الدّعاء"،عند تأسيسه لخطابه التّضامني،مراعيًا نوعية علاقته بالمخاطَب وخصوصيّته،كما يظهر في خطابه الموجَّه إلى بعض أعضاء جمعيّة العلماء،وبعض آخر من تلامذتها المهاجرين،ومما خاطبهم به،قوله:

«أيّها العلماء الخِيَرَة،أيّها الأبناء البرَرة:

حيّاكم **الله** وبيّاكم،وأبقاكم عوامل رفع لهذا الوطن وأحياكم،وأطال أعماركم للعربيّة تُعلُونَ صروحها وتنقشون في الأنفس لا في الأوراق شروحها،ولهذه الأمّة تضمّدون جروحها وتُدَاوُونَ قروحها،وللمِلَّة الحنفيّة تحمُونَ حماها وترمُونَ من رماها».[3]

---

[1] المصدر نفسه،ج01،ص140.

[2] أبو هلال العسكري،كتاب الصّناعتين،مرجع سبق ذكره،ص159.

[3] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج02،ص152.

تبيّن من الصّيغ التّعبيريّة للدّعاء،أنّ دلالة بعض الألفاظ قد أسفرَت عن نوعيّة مقاصد الخطاب والموضوع الذي طرحه المرسل،كما بيّنت نوعيّة المرسل إليه،ففي الدّعاء تمّ التركيز على خدمة الوطن واللّغة العربيّة والإسلام،ممّا يدلّ على أنّه موجَّه في الأساس إلى أعضاء جمعيّة العلماء وتلامذتها.

ومن هنا تحقّق البُعد التّضامني،في حثّ المخاطَبين على الاجتهاد في خدمة هذه المحاور الثلاثة:الإسلام،والعربيّة والجزائر.

وإذا تمعّنا في علاقة هذه المحاور الثّلاثة بعضها ببعض،نجد أنّها في أصلها شعار"جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين": "الإسلام ديننا،والعربيّة لغتنا،والجزائر وطننا".(*)

ويؤكّد لنا،النّموذج الخطابي الآتي،طبيعة الموضوع الذي يناقشه (الإبراهيمي) مع المرسل إليه،وأيضا خصوصيّته،بناءً على الصّيغ التّعبيريّة التي جاء بها دعاؤه،بقوله:

«أيّها الإخوان الأوفياء:

حيّاكم **الله** وأحياكم،وأبقاكم للعروبة تحيُون مآثرها وتجدِّدون مفاخرها،وللعربيّة تُوفُون بعهودها وتقُومُون بحقوقها [...]،إنّي مغتبط لإحيائكم لذكرى شوقي شاعر العرب».(1)

بما أنّ الخطاب،أُنتِجَ في سياق إحياء ذكرى الشّاعر (أحمد شوقي)،وبما أنّ الحاضرين أغلبهم من دُعاة القوميّة العربيّة،ركّز (الإبراهيمي) في دعائه على العروبة وخدمة اللّغة العربيّة،وبهذا الدّعاء حقّق بُعدًا تضامنيًّا مع المتلقّي المخصوص،بإحالة ذهنه إلى وجود قضيّة مشتركة تجمع بينهما،وهي خدمة اللّغة العربيّة،التي هي أساس القوميّة العربيّة.

وهذا ما عبَّر عنه (محمّد عابد الجابري)،بقوله:

«لقد كانت اللّغة العربيّة فعلًا،ولا تزال،العنصر الرئيسي،ولربّما الوحيد الذي يجمع بين الشّعوب العربيّة التي تزخر بالأقلّيات الدّينيّة والعرقيّة ولا تتمتّع أقطارها بوحدة طبيعيّة واقتصاديّة كافية،كانت اللّغة العربيّة،ولا تزال،الرّابطة العامّة التي تجمع كافّة سكّان العالم العربي من المحيط إلى الخليج[...]،فكما كانت من قَبل شرطًا في الاجتهاد الدّيني (التّشريع) فهي اليوم شرط الوجود القومي،إنّها والتّاريخ العربي الإسلامي-ذو الطّابع الرّوحي المهيمن-شيء واحد. [...]،من أجل ذلك لم يكن غريبا أن يركّز المفكّرون القوميّون العرب على اللّغة كرابطة قوميّة أساسيّة،بل وحيدة ويجعلون من التّاريخ توأمًا لها أو مضمونها الحي».(2)

(*) قد سبق وأن ذكرنا،بأنّ هذه المحاور شكَّلَت،الأقاليم الثّلاثة التي سَخَّرَ (الإبراهيمي) حياته،في سبيل خدمتها.
وينظر صورة هذا الشّعار،في موقع "جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين":http://www.oulamadz.org/.
وينظر أيضًا:تحليل هذا الشّعار؛بشير التركي،رائد الجهاد الإمام الشّيخ البشير الإبراهيمي،ضمن كتاب،الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي بأقلام معاصريه،مرجع سبق ذكره،ص.ص269-270.

(1) البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج05،ص226.

(2) محمّد عابد الجابري،الخطاب العربي المعاصر"دراسة تحليليّة نقديّة"،مركز دراسات الوحدة العربيّة،بيروت-لبنان؛ط05:1994م، ص109.

وبما أنّه من سِمَات الاستهلال «علاقته بالمجتمع،أي أنّه أكثر الأجزاء الفنيّة في العمل تجسيدًا لهذه العلاقة،فالمفردات القليلة التي يبتدئ الاستهلال بها هي جزء من بنية عادة راسخة في المجتمع أو جزء من تقليد سابق جرى تداوله فالاستهلال ضمنًا يحمل تاريخ وتقليد مَا،وله بعد ذلك أعراف بناء،وطريقة قول».[1]

لذلك يمكن أن يوظِّف (الإبراهيمي) آليّة "الدّعاء"،مستهلًّا بها بعض خطاباته،التي يناقش من خلالها بعض القضايا ذات المصير المشترك بينه وبين المرسل إليه؛حيث تصبح الصّيغة التّعبيريّة للدّعاء شاملة لتلك القضايا،مثلما تضمّنه أوّل خطاب،بمناسبة عودة جريدة "البصائر" إلى النّشر في سلسلتها الثّانية،بعدما تم تعطيلها لفترة مؤقّتة بسبب اندلاع الحرب العالميّة الثّانية،وممّا قاله في ذلك الدّعاء:

«اللهمّ باسمك نبتدي،وبهديك نهتدي،وبك يا مُعين،نسترشد ونستعين،ونسألك أن تكحّل بنور الحقّ بصائرنا وأن تجعل إلى رضاك مصائرنا[...]،اللهمّ يا ناصر المستضعفين انصرنا،وخذ بنواصينا إلى الحقّ،واجعل لنا في كلّ غاشية من الفتنة ردءًا من السّكينة،وفي كلّ داهمة من البلاء درعًا من الصّبر،وفي كلّ داجية من الشّك علمًا من اليقين[...]،وهذه جريدة "البصائر" تعود إلى الظّهور بعد احتجاب طال أمدُه...».[2]

عبَّر هذا الدّعاء (أو الابتهال) الافتتاحي،عن بُعد تضامني بين (الإبراهيمي) بصفته رئيس تحرير جريدة "البصائر" وبين قرّائها المتطلّعين لكل جديد يخصّها،فهذا الابتهال «لا يعبِّر عن حزن أو غضب أو قلق،بمقدار ما يعبِّر عن أمل وتحفّز وتطلّع؛فكأنّ العزم كان معقودًا وكأنّ المسار كان مرسومًا،وكأنّ الخطّ كان مسطورًا،فلم يكن بقي لتحقيق الغاية إلّا التماس العَون من رَبِّ السّماء...».[3]

ونجد توظيف الآليّة ذاتها في خطابه التّضامني الموجَّه إلى المجاهدين الجزائريّين،إبّان الثّورة التّحريريّة المباركة؛حيث تميّزت الصّيغة اللّغويّة للدّعاء بمعجم لغوي خاصّ،تميّز هو الآخر بألفاظ عاطفيّة وحميميّة تبعث على مواصلة العمل الثّوري ضدّ الاحتلال الفرنسي،وفي ذلك قال:

«إلى الثّائرين الأبطال من أبناء الجزائر والمغرب العربي:اليوم حياة أو موت،بقاء أو فناء.

حيّاكم **الله** أيّها الثّائرون الأبطال وبارك في جهادكم وأمدَّكم بنصره وتوفيقه وكتب ميِّتكم في الشّهداء الأبرار وحَيَّكم في عباده الأحرار».[4]

نلاحظ من خلال،الصّيغ التّعبيريّة التي جاء بها هذا الدّعاء،أنّ (الإبراهيمي) اعتمد على إثارة العاطفة،بانتقائه لألفاظ ذات شحنات دلاليّة وجدانيّة خاصّة،من قبيل:"الثّائرين،الأبطال،أبناء الجزائر والمغرب العربي،الجهاد،النّصر الشّهداء الأبرار،الأحرار...إلخ".

---

[1] ياسين النصير،الاستهلال فنّ البدايات في النّص الأدبي،دار نينوى،دمشق-سورية؛ط03:1430هـ/2009م،ص22.

[2] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج03،ص41.

[3] عبد الملك مرتاض،محمّد البشير الإبراهيمي أمير البيان؛كرائم اللّغة وفصاحة اللّسان،مرجع سبق ذكره،ص225.

[4] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج05،ص47. ونشير بأنّ هذا الخطاب،أُرسِلَ عن مكتب "جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين"بالقاهرة،باسم (محمّد البشير الإبراهيمي) و(الفضيل الورتلاني)،وقد ذُكِرَ هذا الخطاب وخطابات أخرى مشتركة،في كتاب: الفضيل الورتلاني،الجزائر الثّائرة،دار الهدى،عين مليلة-الجزائر؛د ط:2009م،ص.ص170-171.

وحملت المعاني الظّاهرة لهذا الدّعاء،بُعدًا تضامنيًّا مع أولئك المجاهدين،ولكن في معانيها الضّمنيّة،حملت دعوة إلى الاستمرار في الجهاد ضد طغيان الاحتلال الفرنسي.

وكما استُعمِلَت آليّة "الدّعاء" في الخطاب التّضامني الإبراهيمي،مع المرسل إليه الجماعة،كذلك يمكن أن يستعملها مع مرسل إليه مفرد؛حيث يتمّ ذلك وفقَ خيارين اثنين،يحدّدهما السّياق التّداولي الخاص،ونوعيّة العلاقة القائمة بين (الإبراهيمي) والمرسل إليه:

– الخيار الأوّل منهما؛عندما يختتم بهذه الآليّة،خطاباته الرسميّة الموجَّهة إلى الملوك والرّؤساء...إلخ؛أي المخاطَب صاحب السّلطة الوظيفيّة العليا،والرتبة الاجتماعيّة المرموقة.

– وأمّا الخيار الثّاني؛فحينما يفتتح بها خطاباته الموجَّهة إلى بعض الأصدقاء وأعضاء جمعيّة العلماء والتّلامذة المقرّبين أي أنّ السّلطة الاجتماعيّة القائمة بينهما،ذات محور تكفاؤي.

ومثال الخيار الأوّل،ما يتجلّى في الرّسالة الموجّهة إلى مَلِكِ السّعوديّة،والتي قال فيها (الإبراهيمي):

«أيّدكم **الله** بنصره وتولّاكم برعايته،ونصر بكم الحقّ كما نصر بكم التّوحيد،وجعلنا من جنوده في الحقّ».[1]

انتقى (الإبراهيمي) ألفاظًا خاصّة،وضمّنها دعاءه،بالاعتماد على التّكرير،ليعبِّر بها عن بُعد تضامني تجاه المرسل إليه المخصوص.

ومثال الخيار الثاني،هو ما يظهر في مجموعة الرّسائل التي وجّهها إلى بعض زملائه وتلامذته المقرّبين:

كما نجده في الرّسالة التي وجّهها إلى صديقه (عبد **الله** كنون)،والتي صاغها وفقَ التّعبير التالي:

«حضرة الأخ الصّديق العلّامة الأستاذ عبد **الله** كنون حفظه **الله** وأبقاه».[2]

وأيضًا مثلما نجده في الرّسالة التي وجّهها إلى تلميذه (أحمد قصيبة)،والتي ضمّنها دعاءه الآتي:

«ولدنا الأستاذ أحمد بن أبي زيد يسَّره **الله** لليُسرى:

وصلتني رسالتكم الكريمة فأحمد **الله** لي ولكم على نعمه المتواترة،ونسأله التّوفيق والإعانة وحسن العاقبة وتيسير الصّالحات».[3]

تتميّز صيغ هذان الدّعاءان،في أنّها جاءت مساندة للبُعد التّضامني،الذي عبَّرت عنه مفردات القرابة،عند قوله: "حضرة الأخ...،ولدنا الأستاذ...إلخ"،فتواجُدها في تركيب واحد،عكس مدى العلاقة الحميميّة التي تجمع بين طرفي الخطاب.

ومع هذا،ليس بالضّرورة أن يكون لدى (الإبراهيمي) مرسل إليه محدّد ومعلوم؛بل في بعض السّياقات التّداوليّة يوظّف آليّة "الدّعاء" مع مرسل إليه عام،وغير محدَّد،مثل خطابه الذي استفتح به عمله الأدبي "رواية الثّلاثة" بقوله:

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج05،ص52.

[2] المصدر نفسه،ص296.

[3] المصدر نفسه،ج02،ص39.

«هذه -أكرَمَكَ **الله**- رواية الثّلاثة».[1]

فالمتلقِّي للخطاب الأدبي،يتميّز بكونه متلقٍّ مُطلَق وغير مقيّد،من حيث مكانته الاجتماعيّة،وحضوره الزّمني،ولذا جاءت الصّيغة التّعبيريّة للدّعاء،في شكل جملة اعتراضيّة.

وعليه،نجده في سياقات تداوليّة أخرى،يستعمل المسلك ذاته،على سبيل العتاب والنّصح ليس إلّا؛وكي لا يصل خطابه إلى درجة التّعنيف والتّنفير.

وهذا ما حدَث في الخطاب الذي وجَّهه إلى فئة محدَّدة من الكُتَّاب المبتدئين،حاولت نشر مقالاتها في جريدة "البصائر"،وهي لم تَصِل بَعدُ إلى المستوى المطلوب؛وفي ذلك قال (الإبراهيمي):

«...ولكن بعض الكُتَّاب - هَداهم **الله** رشدهم- بالغُوا قبل أن يبلغُوا،فهم يوافوننا بمقالات دون الطّرف الأدنى فنضطرُّ إلى إهمالها اضطرارًا فيلوذون بحقّ (التّشجيع)...فليعلمُوا- علّمهم **الله**- أنّ التّشجيع لا يكون على حساب اللّغة وتراكيبها،ولا على حساب "البصائر" ومنزلتها».[2]

لا شكّ أنّ،الدّعاء الذي صيغ وفقَ جمل اعتراضيّة،أضفى بُعدًا تضامنيًا للخطاب،كما أنقص من لهجته الحادّة.

ولهذا كثيرًا مَا،يُسبَقُ القصد من الخطاب «بكلمات تتناسب مع مَا سيُذكَر من الحديث، كتقدمة بها يُرفع الحرجُ عن المتكلّم أو يُطلَبُ بها تثبيت المخاطَب،ونحو ذلك».[3]

كأن يبتدئ المرسل بصيغة الدّعاء ليُظهِرَ تضامنه مع المرسل إليه،ويمرّر في الوقت ذاته بعض التّوجيهات والنّصائح إذ يمكن أن يقع مثل هذا التّوظيف،في الخطابات التي لا يملك فيها المخاطِب سلطة على المخاطَب.

ومثال هذا الاستعمال في الخطاب التّضامني الإبراهيمي،ما تضمّنه خطابه الموجَّه إلى الشَّعب اللّيبي،موازاة مع حدوث أزمة سياسيّة في بلادهم؛حيث ناداهم بقوله:

«أيّها الإخوان اللّيبيّون الكرام:

حيّاكم **الله** وبصّرَكم بالعواقب،وجعل لكم في الماضي عبرة للحاضر وعِظَة للمستقبَل،ونصركم في معارك الرّأي كما نصركم في معارك الحرب،وأراكم الخير خيرًا لتتّبعوه،والشّر شرًا لتتّقوه وتجانبوه،ووقاكُم شرّ تحكُّم الأفراد وزلَلَ السَّاسة وأخرجكم من ظلمات الاستبداد إلى نور الشّورى،ووفّق قادتكم إلى التي هي أحسن عاقبة،وجعل لكم في كل مسلك ضيِّق فرجًا عاجلًا ومخرجًا حسنًا».[4]

عبَّر دعاء (الإبراهيمي)،عن تضامن في معانيه الظّاهرة،وعن الدّعوة إلى العمل ببعض النّصائح والتّوجيهات في معانيه الضّمنيّة،فعند قوله:

"حيّاكم **الله** وبصّرَكم بالعواقب،وجعل لكم في الماضي عبرة للحاضر وعِظة للمستقبل...".

---

[1] المصدر نفسه،ص59.

[2] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج02،ص295.

[3] أبو عبد **الله** مصطفى العدوي،أدب التّخاطب،دار الأندلس الخضراء،جدّة-السعودية؛ط01:1420هـ/1999م،ص63.

[4] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج04،ص238.

أي عليكم،أن تأخذوا العبرة من ثورتكم ضد الاحتلال الإيطالي.

وأمّا قوله:"وأراكم الخير خيرًا لتتّبعوه،والشّر شرًا لتتّقوه وتجانبوه".

أي عليكم،أن تتفطّنوا للمؤامرات التي حيكت ضدّكم.

وبالنّسبة،إلى قوله:"ووقاكُم شرّ تحكُّم الأفراد وزلَلَ السَّاسَة،وأخرجكم من ظلمات الاستبداد إلى نور الشّورى".

أي عليكم بالشّورى،ونبذ النّظام القمعي.

الفصل الثّالث

الإِستراتيجيّة التّوجيهيّة في خطاب (الإبراهيمي)

– الفصل الثّالث: الاستراتيجيّة التّوجيهيّة في خطاب (الإبراهيمي).

1– مفهوم "الاستراتيجيّة التّوجيهيّة– Directing strategy":

إنّ خصوصيّة السّياق التّداولي،وطبيعة موضوع الخطاب،ومقصديّة مرسله،بالإضافة إلى نوعيّة العلاقة القائمة بين طرفي الخطاب،كلّها عوامل،يمكن أن تفرض على المخاطِب،تجاوز تنفيذ الاستراتيجيّة التّضامنيّة،إلى ممارسة مجموعة من الأفعال التّوجيهيّة على المخاطَب،ممّا ينبِئ بأنّه عمَدَ إلى تنفيذ استراتيجيّة خطابيّة أخرى،تعرف بـ "الاستراتيجيّة التّوجيهيّة".

فبتوظيف الأفعال التّوجيهيّة:"كالأمر،والنّهي،والتّحذير،والإغراء...إلخ"،يمكن للمرسل أن يُقيِّدَ المرسل إليه من أجل الأخذ بها مستقبلًا،بناءً على تحقيق منافع معيّنة،تخصّ المرسل وحده،أو المرسل إليه فقط،أو كليهما،أو أيّة منافع عامّة يمكن أن تشملهما،أو تتجاوزهما.

ويوجد نوعان من المرسل إليه،يمكن للمرسل أن يخاطبهما،باستعمال الاستراتيجيّة التّوجيهيّة:

– النّوع الأوّل؛هو المرسل إليه،المتخيَّل ذهنيًا،في لحظة إنتاج الخطاب.

– وأمّا النّوع الثاني؛فهو المرسل إليه،الحاضر حضورًا عينيًا؛أي يكون وجهًا لوجه مع المرسل.

وعليه،تتباين الآليّات اللغويّة المستعملة،في الخطاب الموجَّه لكل من النّوعين؛من حيث قوّتها التّوجيهيّة،ثم من حيث مدى تحقيق المقاصد التي يروم تحقيقها،صاحب الخطاب التّوجيهي.

وبهذا يتميَّز الخطاب التّوجيهي المتعلِّق بالنّوع الأوّل من المرسل إليه،في كونه يمتلك خاصيّة الدّيمومة والاستمراريّة؛أي هو خطاب صالح لكلّ زمان من حيث تأثيره على متلقٍّ ما،وهذا ما نجده في الخطابات المكتوبة،أو المسجَّلة تسجيلًا صوتيًا ومرئيًا،بينما تكمن فاعليّة الخطاب التّوجيهي،بالنّسبة للنّوع الثاني من المرسل إليه،في أنّها آنيّة؛أي محدودة الزّمان والتّأثير على المتلقّي.

وإنّ امتلاك المرسل للسّلطة «شرط أساس عند استعمال معظم آليّات استراتيجيّة التّوجيه،حتّى لو كانت السّلطة مختبئة وراء المرسل،مثل السّلطة الدّينيّة التي تسوّغ استعمال هذه الاستراتيجيّة لمن يريد توجيه النّاس وتبليغهم بما تُوجِبه الشّريعة وبما تحرّمه،كما تسوّغ السّلطة للمرسل استعمال بعض الآليّات في الخطاب،في حين تلغيها عند المرسل إليه في السّياق نفسه،لأنّه دونه سلطة».[1]

وبالتّالي تتفاوت فعاليّة القوّة الإنجازيّة لأفعال التّوجيه،بحسب نوعيّة السّلطة التي يمتلكها المرسل"اجتماعية،أو وظيفيّة".

كما تتّميّز الاستراتيجيّة التّوجيهيّة،بخاصيّة الوضوح في دلالتها على قصد المرسل؛فوضوح القصد «سبب في عدم حَيْرَة المرسل إليه،ممّا يضمن تحقيق هدف المرسل بنوعيه الكلّي والنّفعي في العالم الخارجي،ولن يستطيع المرسل إليه،بلا شك،أن يحقّق الهدف الذي ينشده المرسل إذا كان الخطاب غامضًا،أو يحتمل أكثر من تأويل».[2]

---

[1] عبد الهادي بن ظافر الشّهري،استراتيجيّات الخطاب،مصدر سبق ذكره،ج02،ص86.

[2] المصدر نفسه،ص88.

وبناءً على ما سبق،يمكن أن نعرّف الاستراتيجيّة التّوجيهيّة،بأنّها:مسلك خطابي،تعبّر عنه مجموعة من الأفعال الإنجازيّة،يوجّهها المرسل إلى المرسل إليه،من أجل تحقيق مقاصد معيَّنة،تَنتُجُ عنها منافع معيّنة.

وبطبيعة الحال،توجد دواعٍ مختلفة،تجعل من المرسل يختار هذا النّوع من الاستراتيجيّات الخطابيّة.

2- دواعي توظيف الاستراتيجيّة التّوجيهيّة:

تجتمع العديد من الدّواعي،التي تؤدّي إلى توظيف الاستراتيجيّة التّوجيهيّة،من عند المرسل دون غيرها،«وهي:

1- عدم التّشابه في عدد من السّمات مثل:السّمة المعرفيّة،الطّالب/الأستاذ [...].

2- عدم وجود تكرار في الاتّصال بين طرفي الخطاب،إذ تنحصر اللّقاءات في اللّقاءات الرسميّة التي يؤطِّرها جَوُّ العمل مثلًا،وبالتالي فليس هناك عمق في المعرفة الشّخصيّة،فلا تتجاوز المعرفة داخل إطار التّعامل الرسمي.

3- الشّعور بالتّفاوت في مستوى التّفكير بين طرفي الخطاب،ممّا يؤثّر في فهم كل منهما لطبيعة الآخر،فقد يستعمل المرسل الاستراتيجيّة التّضامنيّة،بالرّغم من سلطته،ولكنّ المرسل إليه قد يؤوّل ذلك بأنّه ضعف من المرسل،ويتساءل لماذا لا يستعمل التّوجيهيّة كما تقتضي صلاحيّته مثلًا،ودَرأً لهذه التّأويلات المفترضَة،يجد المرسل أنّ استعمال التّوجيه بدءًا هو أسلَمُ استراتيجيّة وأضمَنُها نتيجة.

4- تهميش ما قد يحدثه استعمال هذه الاستراتيجيّة من أثر عاطفيّ سلبيّ على المرسل إليه،فيقصي المرسل اعتبار هذه التّأثيرات على نفسيّة المرسل إليه،متجاهلًا إيّاها.

5- تصحيح العلاقة بين طرفي الخطاب غير المتكافئين في المرتبة،وإعادتها إلى سيرتها الأولى،إذا كان التّعامل حسب الاستراتيجيّة التّضامنيّة قد يؤثّر على سير العلاقة بينهما،أو يقلّل من هَيْبَة المرسل أو شأنه،بسبب تنازله عن حقّه المكتسَب،فالتلفّظ بالخطاب بهذه الاستراتيجيّة هو إعادة لهَيبة العلاقة وتجسيد لها،بل وتأكيد لحضورها في الذّهن وعدم إغفالها،حتّى لو استعمل استراتيجيّة التّضامن في بعض السّياقات.

6- رغبة المرسل في الاستعلاء،أو الارتفاع بمنزلته الذّاتية[...].

7- إصرار المرسل على تنفيذ قصده عند إنجاز الفعل،وعلى حصول أقصى مقتضى خطابه،والتّأكيد على أنّه لا يتوانى عن تعقّب خطابه والتّمسّك بمدلوله؛فمدلوله الحَرفي هو الفيصل عند اللّبس في ذهن المرسل إليه،وبالتالي،فإنّ استعمال تلك الاستراتيجيّة يُعَدُّ احتراز من سوء الفهم،أو التّأويل الخاطئ.

8- حصول تحَدٍّ واضح للمرسل أو لتعليماته،أو تحدٍّ ضدّ الأنظمة والتّعليمات العامّة،أو بالإساءة إليه رغم سلطته أو عندما يشعر المرسل بأنّ المرسل إليه قد يتجاوز حدوده في النّقاش،أو الحوار،أو أنّه يتحدّاه بفعل ما».[1]

---

[1] عبد الهادي بن ظافر الشّهري،استراتيجيّات الخطاب،مصدر سبق ذكره،ج02،ص.ص89-90.

وتقوم أغلب الآليّات اللغويّة للاستراتيجيّة التّوجيهيّة،على مفاهيم "نظريّة الأفعال الكلاميّة – Act Theory Speech"،والتي تمثّل بدورها أهم قضايا ونظريات المقاربة التّداوليّة.(*)

ويُعرَّف "الفعل الكلامي- Speech act"،بأنّه «كلّ ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري وفضلًا عن ذلك،يعدّ نشاطًا ماديًا نحويًا يتوسَّل أفعالًا قوليّة Actes Locutoires لتحقيق أغراض إنجازيّة Actes illocutoires (كالطّلب والأمر والوعد والوعيد... الخ)،وغايات تأثيريّة Perlocutiores Actes تخصّ ردود فعل المتلقّي (كالرّفض والقَبُول)،ومن ثمّ فهو فعل يطمح إلى أن يكون فعلًا تأثيريًّا،أي يطمح إلى أن يكون ذا تأثير في المخاطَب اجتماعيًّا أو مؤسّساتيًّا،ومن ثمَّ إنجاز شيء ما».(1)

وقد قسّم (سيرل-J.R.Searle)،الفعل الكلامي إلى خمسة أصناف:(2)

1- الإخباريّات أو "التّأكيدات،التقريريّات" (Assertives):

تجعل وجهة تأكيدات المتكلِّم ينخرط (بدرجات مختلفة) في حقيقة القضايا المعبَّر عنها،على أن يكون شيء ما حالة بالفعل،فالحالة المعبَّر عنها هي الاعتقاد،ومن الأفعال المنضوية تحت هذا النوّع:الشّكوى،والتّلخيص،والاستنباط والتّحليل والتّشخيص،والتّبرئة،والتّنويه...إلخ.

2- الإلتزاميّات أو "الوعديّات" (Commissives):

هي الأفعال الإنجازيّة التي تكون فيها الوجهَة،في جعل المتكلِّم ينخرط في إنجاز فعل مستقبلي،ومن الأفعال المنضوية تحت هذا النوّع:ألتزم،وأتعهّد...إلخ.

3- الأمريّات أو "التّوجيهيّات" (Directives):

تقوم وجهة الإنجاز في الأوامر على حصول المخاطِب بواسطتها على قيام المخاطَب بشيء ما،ويمكن لهذه الأوامر أن تنطلق من الاقتراح لتصل إلى المطالبة الإجباريّة،ومن الأفعال المنضوية تحت هذا النوّع:الطّلب،والأمر،والنّهي،والترجّي والاستدعاء،والنّصح،والاستجواب،والاستفهام،والإذن،والتّشجيع،والاستعطاف...إلخ.

(*) من بين التّسميات التي تُطلَقُ عليها أيضًا،عند بعض التّداوليّين:"نظريّة الحدَث الكلامي"،و"نظريّة الحدَث اللّغوي"،و"النّظريّة الانجازيّة" ولهذا تُعَدُّ أهمّ قضيّة في المقاربة التّداوليّة؛بعد أن تكوّنت بشكل خاصّ في مرحلتيها الأساسيّتين:مرحلة التّأسيس عند (أوستين- J.L.Austin)،ومرحلة النُّضج،والضّبط المنهجي عند تلميذه (سيرل- J.R.Searle)،ثمّ (غرايس- P.Grice) من بعدهما؛ينظر:محمود نحلة،آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر،مرجع سبق ذكره،ص59.

(1) مسعود صحراوي،التّداوليّة عند العلماء العرب،مرجع سبق ذكره،ص40.

(2) ينظر:فرانسواز أرمينكو،المقاربة التّداوليّة،مرجع سبق ذكره،ص.ص66-68.وللتوسّع أكثر،في هذه التّقسميات؛ينظر:
JOHN R.SEARLE,EXPRESSION AND MEANING,Studies in the Theory of Speech Acts,Cambridge University Press:1979,pp01-57.

4- الإعلانيّات "الإدلاءات،الإيقاعيّات" (Declaratives):

الغرض منها إحداث تغيير في العالَم يطابق العالَم المحتوى القضوي بمجرّد الإنشاء النّاجح للفعل الكلامي،ويتم ذلك بالاستناد إلى مؤسّسة غير لغويّة،بحيث تعتبر المؤسّسة الإنشاء النّاجح لذلك الفعل إحداثًا للتّغيير المطلوب ومن الأفعال المنضوية تحت هذا النوّع:القرّار الشّخصي أو المؤسّساتي...إلخ.

5- التعبيريّات أو "التّصريحات،البوحيّات" (Expressives):

غرضها الإنجازي هو التّعبير عن الموقف النفسي تعبيرًا يتوافر فيه شرط الإخلاص،ومن الأفعال المنضوية تحت هذا النّوع:الشّكر،والتّهنئة،والاعتذار،والتّعزية،والتأسّف،والتّرحيب...إلخ.

وبعد حضور إحدى هذه الدّواعي أو جلّها،لابدَّ أن يستعمل المرسل مجموعة من الآليّات اللغويّة في استراتيجيَّته التّوجيهيّة،لخّصناها في المخطّط التالي:

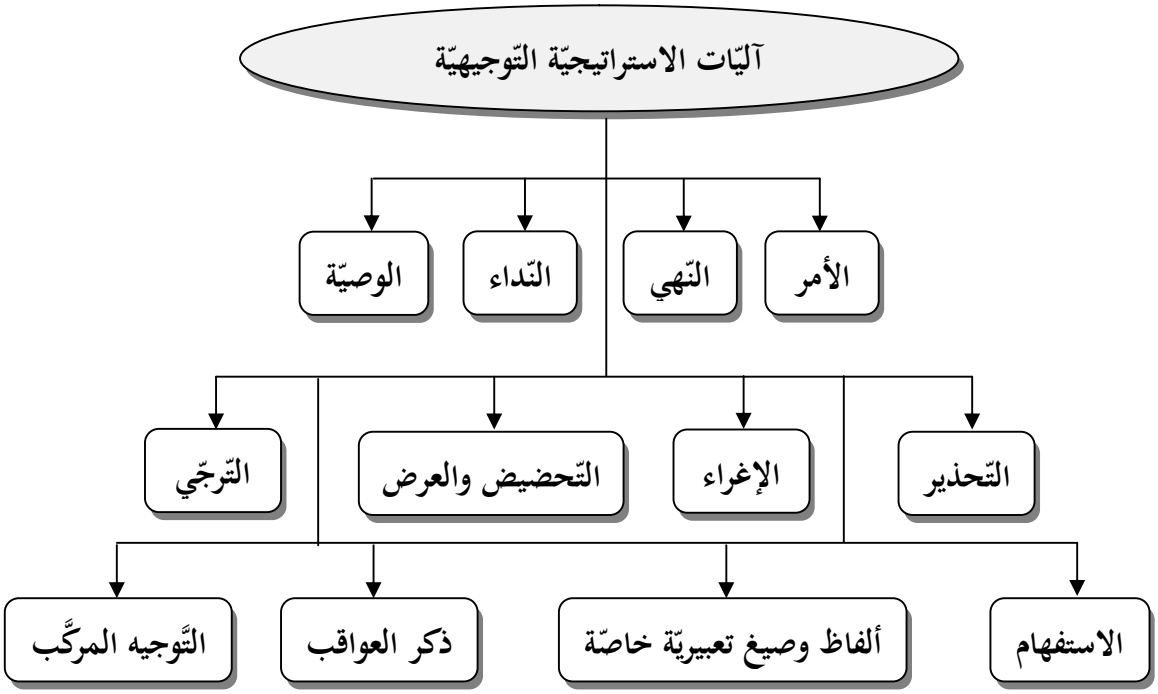

- مخطّط رقم09:يوضّح أهم الآليّات اللغويّة المستَخدَمَة في الاستراتيجيّة التّوجيهيّة -

وقبل اكتشاف مدى حضور هذه الآليّات اللغويّة،في الخطاب التّوجيهي لدى (الإبراهيمي)،نطرح التّساؤل التّالي: ما هي أهم الآليّات اللغويّة التي تمّ توظيفها في الخطاب التّوجيهي الإبراهيمي؟.

3- الآليّات اللّغويّة في الخطاب التّوجيهي لدى (الإبراهيمي):

3-1- توظيف الأمر:

يُعرَّف الأمر بأنّه «طلب تحقيق شيء ما،مادّي أو معنوي،وتدل عليه صيغ كلاميّة أربع،هي:"فعل الأمر-المضارع الذي دخلت عليه لام الأمر-اسم فعل الأمر-المصدر النّائب عن فعل الأمر"»[1] ،ويستفاد من صيغه الأربع «التّكليف الإلزامي بالفعل».[2]

وبهذا يغدو "الأمر"،أهم آليّات الاستراتيجيّة التّوجيهيّة التي يتوخّاها المرسل،عندما يرُوم تحقيق مقاصده الخطابيّة وفقًا لما تقتضيه سلطته،وسلطة المرسل إليه،ونوعيّة العلاقة التي تجمع بينهما،بالإضافة إلى خصوصيّة السّياق التّداولي.

حيث تتدخّل هذه العوامل كلّها،من أجل تحقيق غايات تعبّر عنها أفعال إنجازيّة في زمن لاحق،«والزّمن هنا مقصور على المستقبَل وحده،لأنّ الشّيء الذّي يطلبه إنسان من آخر لا يحصل ولا يقع إلا بعد الطّلب وانتهاء الكلام؛أي لا يقع إلّا في المستقبَل».[3]

ولم يخلُ الخطاب التّوجيهي الإبراهيمي،من توظيف "الأمر" بمختلف صيغه التّعبيريّة،فعندما يرسل (الإبراهيمي) مجموعة من الأفعال التّوجيهيّة بصيغة فعل الأمر "افْعَلْ"،إلى جماعة من المصَلِّين بمناسبة افتتاح مسجد قائلًا،لهم: «فاحرصوا،رحمكم **الله**،على أن تكون لحِيَاتِكم قيمة،وارأبوا عن أن تكون في كفّة النّحس والهضيمة،واسعوا في الوصول بها إلى القيم الغالية،والحصول منها على الحصص العالية».[4]

فاستعماله لتلك الأفعال "احرصوا،ارأبوا،اسعوا"،فيه من الدّلالة على حرصه الشّديد،بأن تعلو هِمَمُهُم لعمل المزيد.

ولا شكّ،أنّ السّلطة التي امتلكها (الإبراهيمي)،على المرسل إليه المخصوص -كل من حضر مراسيم افتتاح المسجد-لحظة التلفّظ بالخطاب،تكمُن في بُعدها العلمي الدّيني؛أي بصفته عالما دينيًا،ليس إلّا.

كما خاطب العرب،بقوله:

«أي أبناء العمومة:إنّ الجزائر والشّمال الأفريقي كلّه فَلْذَة من كبد الإسلام،وقطعة من وطن العروبة الكبير،وبقيّة ممّا فتح عقبة والمهاجر وحسّان،وإنّ هذا الوطن هو أحد أجنحتكم التي تطيرون بها إلى العُلا،وإنّه متّصل بكم اتّصال الكف بالسّاعد،تَصِلُون إليه مشيًا،ويصل إليكم حبوًا،فريّشوا هذا الجناح المهيض حتى تقوى قوادمه،وصُونُوا حِمَاه فإنّه حِماكم،وذُودُوا عن عِرضه فإنّه عِرضُكُم.

إنّ هذا الوطن امتداد لوطنكم الأكبر،وإنّه يحمل أمانة الأجداد التي تحملونها،فأعينوه على التّحرير،وأنقِذوه من سوء المصير».[5]

---

[1] عبد الرّحمان حسن حبنّكة الميداني،البلاغة العربيّة،مرجع سبق ذكره،ج01،ص228.

[2] المرجع نفسه،ص231.

[3] عبّاس حسن،النّحو الوافي،ج01،دار المعارف،القاهرة-مصر؛ط03:1974م،ص46.

[4] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج01،ص65.

[5] المصدر نفسه،ج04،ص156.

بدأ المرسل خطابه بنداء ثم وجّه أفعالا إخباريّة،ذكر من خلالها أهم الخصائص التي يشترك فيها مع المعنيِّ بالخطاب لتكون تمهيدًا للقضيّة التي يودّ الدّفاع عنها،ليتبعها بعد ذلك بأفعال توجيهيّة بصيغة الأمر،عند قوله:"فريشوا،صونوا ذودوا،أعينوه،أنقذوه"،ومُضمِّنًا خطابه بعض العبارات التي تدلّ على العواقب المحتَمَلة،إذا لم يُذعِن الموجَّه لتلك التّوجيهات،وعمل على تنفيذها.

وهذا ما عبّر عنه المخطّط الآتي:

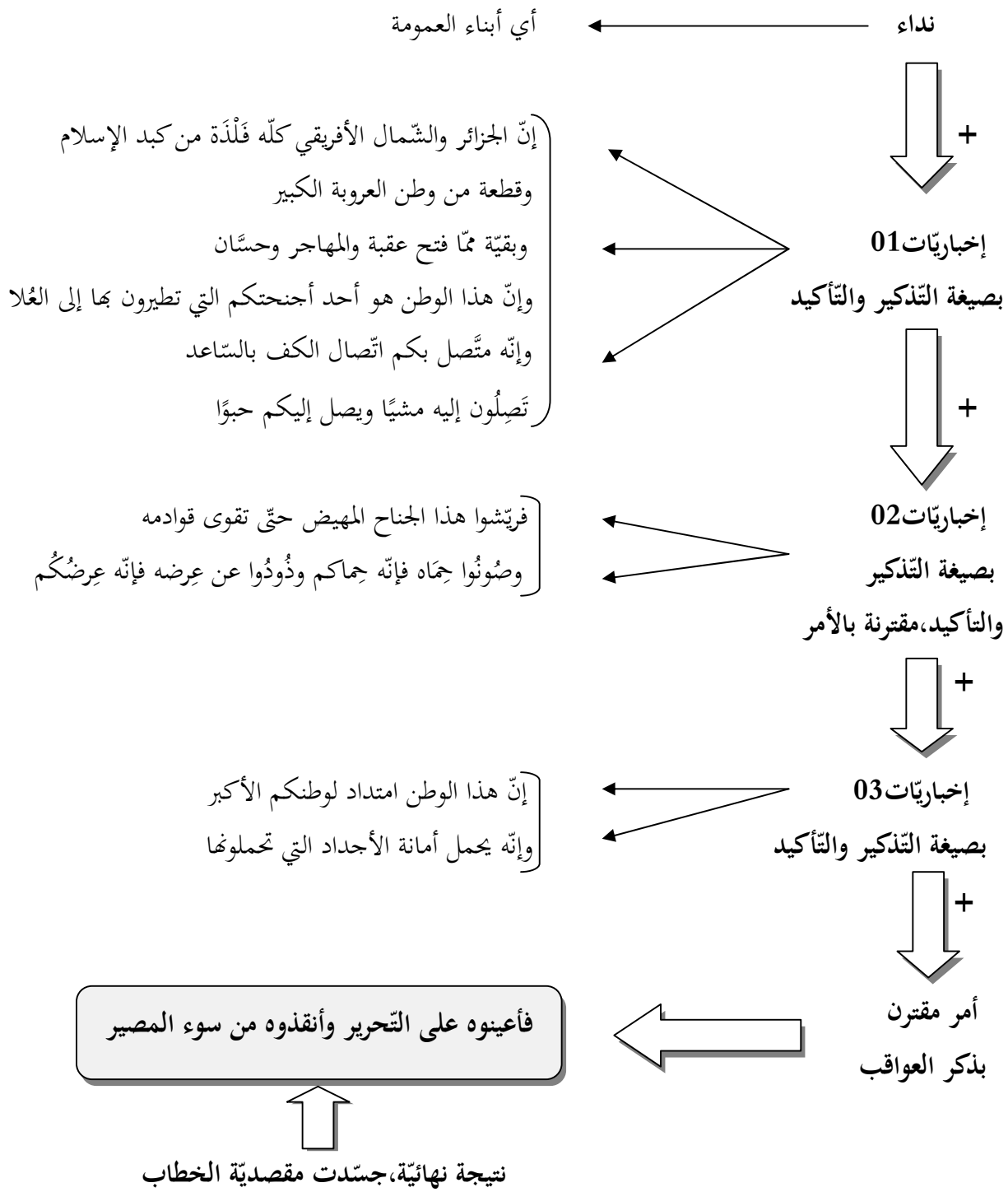

– مخطّط رقم10:يوضّح كيفيّة توظيف آليّة "الأمر" في الخطاب التّوجيهي لدَى (الإبراهيمي)–

وفي بعض السّياقات التّداوليّة،يضيف (الإبراهيمي) إلى سلطته الحاضرة أثناء تلفّظه بخطابه التّوجيهي،سلطة اجتماعيّة ذات بُعد دِيني؛حينما يوظّف النّصوص الدِّينيّة،ويعتمد على ما تمتلكه من سلطة على المرسل إليه.

إذ يُعَدُّ النّص القرآني أكثرها حضورًا لديه،مثلما تجسَّد في إحدى خطبه المسجديّة الجُمَعِيَّة،وهو يقول:

«أيّها النّاس،اتّقوا **الله** تعالى حقّ التّقوى،وحافظوا على حدوده في السّرّ والنّجوى،وامتثلوا أمر ربّكم الذي أكسبكم به فخرًا وتعظيمًا،وهو قوله:﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ [الأحزاب:65] [*]،واعلموا أنّ يومكم هذا خُصِّص للاجتماع والعبادة والحسنى والزّيادة،فأقيموا القصد في التقرّب من بعضكم ودَعُوا الأحقاد والتّباغض،وأَسبِلُوا على ما فرّط من بعضكم للبعض أذيال السّتر والعفو،والزموا خُلُقَ الرّضا والصّفح،فكونوا عباد **الله** رحماء بينكم:﴿**وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا**﴾،[آل عمران:103]». [1]

بما أنّ الخطاب،أُنتِجَ بمناسبة خطبة جُمَعيَّة،لهذا جاءت الأفعال التّوجيهيّة بصيغ الأمر الدّالة على العموم؛لأنّ المتلقّي في هذا السّياق التّداولي،هو عموم المسلمين بمختلف رتبهم:الاجتماعيّة،والوظيفيّة،والعلميّة...إلخ.

وهذا ما دلّ عليه قول المخاطِب بـ:"أيّها النّاس"،ليتبعه مباشرة بمجموعة من أفعال الأمر:"اتّقوا،حافظوا،امتثلوا..." وهي أفعال توجيهيّة تقتضي الانجاز القلبي -نسبة إلى القلب- والسّلوكي التّعاملي معًا.

وممّا زادها سلطة إضافة إلى سلطة الخطيب،توظيفه لآيات قرآنيّة مساندة لأفعاله:

فكُونُوا عباد **الله** رحماء بينكم ⇦ ﴿**وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ**﴾.

وتتنوّع الصّيغ الأمريّة في الخطاب التّوجيهي الإبراهيمي،لتكون في شكل إرشادات مباشرة تتطلّب التّنفيذ الفوري ولا تقبل أيّ تأويل؛حيث يكثر هذا النّوع من التّوظيف،في خطاباته الإرشاديّة،المبنيّة على سلطة مؤسّساتيّة يمتلكها (الإبراهيمي)،تجسّدها علاقة وظيفيّة ذات محور تراتبي سلَّمي.

كأن يوجّه (الإبراهيمي) إرشاداته،إلى رؤساء الشُّعَب المحليّة لـ "جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين"،أو إلى المعلِّمين الأحرار المنتَسِبين إلى مدارس الجمعيّة...إلخ،فإنّ سلطته المؤسساتيّة،بصفته رئيسًا للجمعيّة،تمنحه إمكانيّة توجيه بعض الإرشادات،إلى مرسل إليه مخصوص،من أولئك الذين تربطه بهم علاقة وظيفيّة،وهذا ما نجده في خطابه الموجَّه إلى المعلِّمين،قائلًا لهم:

«أمّا الخوف فمنشؤه أوهام تحُوكُهَا الأمّ الجاهلة لصغيرها منذ الرّضاعة تستعين بها على إسكات الطّفل أو تسكين حِدَّته،وهي لا تدري ماذا تجني عليه من تلك الأوهام،ولا أيّ مرض عضال ابتلته به صغيرًا ليتجرّع غصصه كبيرًا فاجتثّوا هذا الغرس الخبيث من نفوسهم بتقوية الإرادة فيهم وبتنمية الحقائق في أذهانهم،وداوُوا كل نقيصة من تلك

---

[*] نشير إلى أنّ أرقام الآيات وأسماء سُوَرِهَا،غير موجودة في الخطابات الأصليّة من آثار (الإبراهيمي)،وإنّما هي من وضع الباحث.

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج01،ص.ص65-66.

النّقائص بتقوية ضدّها في نفوسهم،وببيان أضرارها بالتّصوير العملي على قدر ما تحتمله عقولهم،وأنجع الأدوية ترويضهم على الصّبر والصّدق والتّسامح والشّجاعة».[1]

قبل أن يوجّه المرسل أفعاله الأمريّة،وجّه أوّلًا،مجموعة من الأفعال الإخباريّة،تمثّلت في تشخيص الدّاء،وتبسيطه للمرسل إليه المخصوص،وبالتالي،هيّأه لاستقبال إرشاداته؛لهذا بعدها مباشرة،قام بتوجيه أوامر أخرى مُدَعِّمة لها،بقوله: «ربّوهم على الفضائل -وأكرّر القول وأعيده- وقدّموها على العِلم،[...]،ربّوهم على الرّجولة وبُعد الهمَّة،وعلى الشّجاعة والصّبر[...]،أفهموهم من الصّغر معنى الأُسرَة وروابطها وواجباتها،وتدرّجوا بهم من معنى الأسرة إلى معنى الأمّة،وأشربوا قلوبهم أنّهم فروع من دوحة واحدة ذات خصائص طبيعيّة ليحافظوا عليها».[2]

فتوظيف (الإبراهيمي) للأمر بهذه الطّريقة،وبهذا التّكرير،إلى حدِّ قوله:"وأكرّر القول وأعيده"،هو تأكيد ذو«غرض تواصلي يستخدمه المتكلِّم لتثبيت الشّيء في نفس المخاطَب»[3] ،كما ينبّهه إلى أهمّية القضيّة المخاطَب من أجلها وإقناعه بإدراك النّتائج الوخيمة التي يمكن أن تُسفِر عنها،جرّاء التّقصير والإهمال.

وإذا تمعنّا،في موضوع هذا الخطاب،وفي الصّيغ التي جاءت بها الأوامر،نجد أنّها موجّهة،بناءً على سلطة اجتماعيّة يمتلكها (الإبراهيمي)،في بُعدَيهَا العلمي والتّعليمي معًا،أكثر من سلطته المؤسساتيّة،ذات البُعد الرّسمي،ويعود ذلك -في نظرنا- إلى وجود سببين اثنين:

- أوّلهما،بصفته عالما دينيًا إصلاحيًا،فالدّعوة الإصلاحيّة تقتضي توجيه هذا النّوع من الخطابات.
- وأمّا ثانيهما،بما اكتسبه (الإبراهيمي) من خبرات سابقة في ميدان التّعليم،وهو الذي امتهن التّعليم،في سن الرّابعة عشرة من عمره.

والدّليل على ذلك،أنّه وجّه إرشادات أخرى،في صيغة تضامنيّة،عند قوله:

«أي أبنائي المعلّمين:

إنّكم جنود الإصلاح،فأصلحوا نفوسكم وداووها من داء الأنانيّة والغرور وتلاقوا على الحرفة الجامعة بالأخوّة والتّعاون والتّساند والتّضامن».[4]

وإنّ مناداة (الإبراهيمي) للمعلّمين،بـ "أي أبنائي المعلّمين"،ثم وصفهم بأنّهم "جنود الإصلاح"،عبارة عن تضامن مهّد به للتّوجيهات التي سيذكرها:"فأصلحوا...وداووها...وتلاقوا..."،ليحثّهم على تحقيق قيمة التّضامن فيما بينهم ولهذا انتقى ألفاظًا،ذات شحنات دلاليّة تخدم هذا القصد،من قبيل:"الأخوّة،التّعاون،التّساند،التّضامن".

ويوضّح النّموذج الخطابي التالي،كيفيّة توظيف الأوامر بصيغة "اسم فعل الأمر"،للدّلالة على الوجوب والإلزام مثلما خاطب به (الإبراهيمي) رؤساء الجمعيّات المحليّة،بقوله:

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج02،ص.ص114-115.

[2] المصدر نفسه،ص115.

[3] مسعود صحراوي،التّداوليّة عند العلماء العرب،مرجع سبق ذكره،ص206.

[4] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج02،ص115.

«تنبيه أكيد إلى رؤساء الجمعيّات المحليّة:

يجب عليكم-أيّها السّادة-أن تحرصوا كلّ الحرص على تعمير صناديق جمعيّاتكم بكل وسيلة:بالاكتتاب،وبالاشتراك الشَّهري،وبالزّيادة في أجور التعّليم على أولياء التّلاميذ[...]،فعليكم أن تجتهدوا في تحضير المال اللاّزم لمواجهة هذه الزّيادة التي لابدّ منها،وسيصلكم منشور عام في شأنها،مفصّل على حسب درجات المعلّمين.

لا ينتهي هذا الشّهر حتّى يكون المنشور في أيديكم،فنفّذوه بارك **الله** فيكم

عن المجلس الإداري،الرّئيس محمّد البشير الإبراهيمي».[1]

بدأ المرسل خطابه التّوجيهي،بذكر فعل إخباري في صيغة الوجوب والإلزام،المتحقّق بالفعل "يجب"،ثم اسم فعل الأمر "عليكم"،ليتبعهما بعد ذلك،بفعل أمر"فنفِّذوه"،ثم ختمها،بفعل "إعلاني"،كشف عن نوعيّة السّلطة التي خوّلت له توجيه تلك الأوامر،وبالتّالي حقّق قرارًا مؤسّساتيًّا وليس فرديًّا.

وهذا ما يوضّحه،المخطّط التالي:

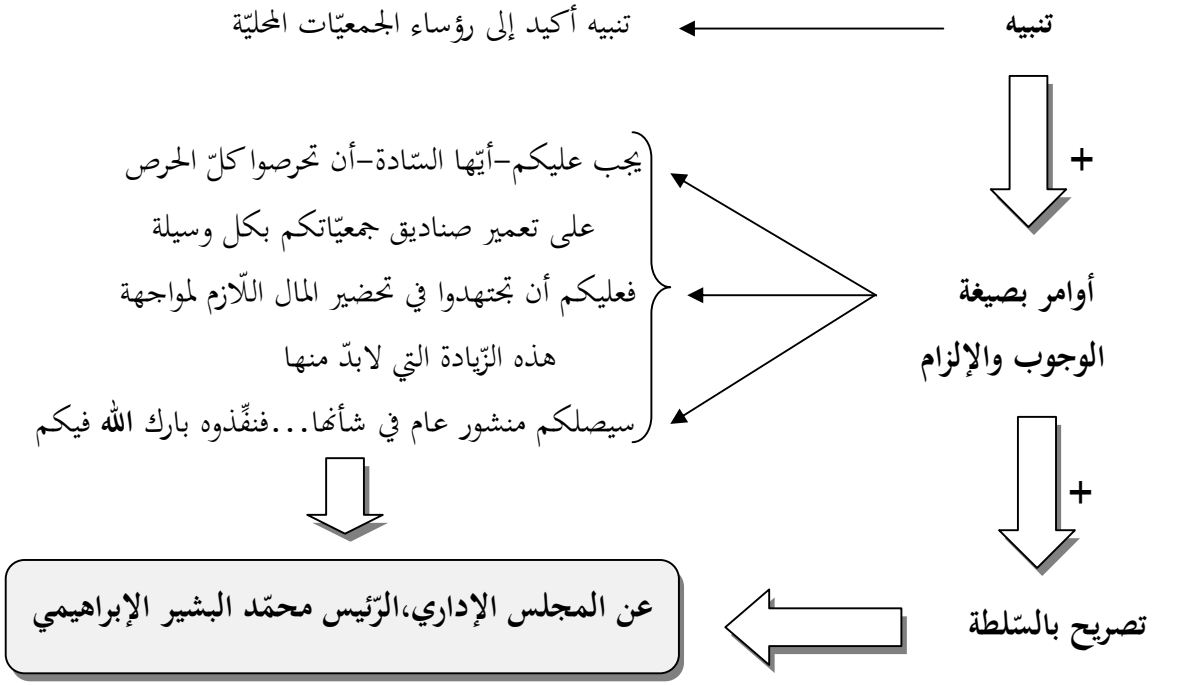

- مخطّط رقم11:يوضّح توظيف آليّة "الأمر بصيغة الوجوب" في الخطاب التّوجيهي لدَى (الإبراهيمي)-

وعليه،نجده في سياق تواصلي آخر،استعمل صيغ الوجوب والإلزام،دون أن يصرّح بها،مثلما دلّ عليه خطابه الموجَّه إلى المشايخ والوعّاظ المنتسبين إلى "جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين"،بمناسبة حلول شهر رمضان،ليبيّن لهم المهام المنُوطَة بهم،والتي يراها من باب الوجوب والإلزام،أن يعملوا بها،وممّا قاله في هذا السّياق:

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج02،ص273.

«فعلى المشايخ الواعظين أن يتّعظوا في أنفسهم قبل أن يعظوا غيرهم،فإنّ الوعظ إذا لم ينفع صاحبه لم ينفع النّاس ومن لم يكن متأثّرا بقوله، لم يكن مؤثّرا به في النّاس،وعليهم أن يقوموا بما انتدبناهم فيه خير قيام،وأن يؤدّوا حقّ **الله** عليهم في النّصح والتّذكير،وأن يعتمدوا في تذكيرهم على صرائح الآيات القرآنيّة،وما صحّ من حديث رسول **الله** ﷺ،وأن يضربوا الأمثال بسِيرته وسيرة أصحابه-رضي **الله** عنهم-وأن يجلوا حدود القدوة في ذلك كلّه،وأن يقرّبوا المعاني من أذهان العامّة[...]،وعليهم أن يجاوزوا ما لا يعلمون من دقائق الوعظ الخفيّة،إلى ما يعلمون من حقائقه الواضحة...».[1]

يظهر من هذا الخطاب التّوجيهي،كيف وظّف (الإبراهيمي) صيغًا تعبيريّة تدلّ على الوجوب والإلزام،دون أن يصرّح بالفعل "يجب" أو اسم فعل الأمر "عليكم"،واكتفى بصيغة "على،أو عليهم".

ولكنّ (الإبراهيمي) تجاوز بخطابه التّوجيهي المرسل إليه المخصوص(الوعّاظ والمشايخ المنتسِبين إلى جمعيّته)،الذي يمتلك عليه سلطة مؤسساتيّة،ليوجّه خطابه بصِيَغِه الوجوبيّة والإلزاميّة،إلى عامّة النّاس الذين يحضرون تلك المجالس ليقول لهم:

«وعلى السّامعين أن يكون هَمُّهُم من حضور مجالس الوعظ نصيحةً تزكّي النّفس،أو فائدة علميّة تكمّلها،لا قطع الوقت و"تقصير اللّيل"،وأن يُقبِلوا على هذه المجالس بآذان مصغية،وقلوب واعية[...]،وأن يفرّقوا بين هذه المجالس التي أنعم **الله** بها عليهم،وبين المجالس التي يزيّنها لهم الشّيطان ليقطعوا اللّيل بها في سمر صاخب،ولهوٍ ماجن،ومال ضائع،وحرمات منتهكة».[2]

بالرّغم من عدم امتلاك (الإبراهيمي) لسلطة مؤسساتيّة على المرسل إليه العام (كل من يحضر دروس الوعظ والإرشاد) إلّا أنّه وجّه خطابه،بناءً على سلطة اجتماعيّة،ذات بُعد دِيني ووطني معًا،باعتباره عالما دينيًا،ورئيس أهم جمعيّة إصلاحيّة في الجزائر-خلال تلك الفترة-.

ولهذا يمكن أن يتجاوز بتوظيف المسلك ذاته،من البُعد الوطني،إلى البُعد القومي العربي؛حيث يعكس مقاله الموسوم بـ" فلسطين واجباتها على العرب"،مدى تفاعل (الإبراهيمي) مع القضيّة الفلسطينيّة؛بل وصل به الاهتمام بهذه القضيّة إلى درجة أنّه نصّب نفسه محاميًا،يدافع عن فلسطين وأهلها.

وهذا ما دلّ عليه،خطابه الموجّه إلى زعماء المشرق العربي وشعوبه،وكذا الكتّاب والخطباء والشّعراء العرب،منبّها إيّاهم بما يجب عليهم تجاه فلسطين وشَعبها،بقوله:

«واجب الدّول العربيّة التّصميم الذي لا يعرف الهوادة،والاعتزام الذي لا يلتقي بالهوينا[...]،وواجب زعماء العرب أن يتّفقوا في الرّأي ولا يختلفوا،وأن يتوقّوا عيوب الزّعامة ونقائصها من تطلّع لرياسة عاجلة[...]،وواجب كتّاب العرب وشعرائهم وخطبائهم أن يلمسوا مواقع الإحساس ومكامن الشّعور من نفوس العرب،وأن يؤجّجوا نار النّخوة

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج03،ص286.

[2] المصدر نفسه،ص287.

والحميّة والحفاظ فيها[...]،وواجب شعوب الشّرق العربي أن تندفع كالسّيل،وتُصبِّح صهيون وأنصاره بالويل،وأن تبذل لفلسطين كل ما تملك من أموال وأقوات...».[1]

اعتمد (الإبراهيمي) على ما يمتلكه من سلطة اجتماعيّة في بُعدها الدِّيني والقومي العربي،ليوجّه مجموعة من الإرشادات في صيغة الوجوب والإلزام،جسّدها انتقاء ألفاظ خاصّة،ذات شحنات دلاليّة حماسيّة،عند قوله: "التّصميم،الاعتزام،تأجيج،نار النّخوة،الحميّة...إلخ".

ومن أبرز خطاباته التّوجيهيّة،ذات البُعد الإسلامي،والتي عبّر فيها بصيغ الوجوب والإلزام،ذلك الخطاب الموجَّه إلى الحكومة الباكستانيّة وشَعبِها بدرجة أولى،ثم الأمّة الإسلاميّة بدرجة ثانية؛حيث جاءت هذه التّوجيهات بمناسبة مؤتمر العالم الإسلامي الذي أقامته دولة باكستان "سنة 1952م"،وفي ذلك قال:

«يجب على طرفين أن يشكرَا **الله** على هذه النّعمة الجليلة شكرًا عمليًا:الطّرف الأوّل هو حكومة باكستان وشَعب باكستان،والطّرف الثاني هو الأُمَم الإسلاميّة.

أمّا شكر الأُمَم الإسلاميّة فقد تحقّق وتجلّى في هذه العناية التي رأيتموها من العالم الإسلامي في استجابته لدعوة ترسلوها[...]،وأمّا نوع الشّكر العملي الذي يجب أن تؤدّيه باكستان حكومة وشَعبًا فهو مُقسَّم عليها لتحفظ به هذه النّعمة وتحصنها من الزّوال.

فالحكومة يجب عليها أن تشكر **الله** على هذه النّعمة بمحافظتها على الإسلام عقيدةً وعملًا وحكمًا وأدبًا ولغةً [...]،والشَّعب يجب عليه أن يشكر **الله** على هذه النّعمة بعدم الاختلاف،وعرفان قدر هذه النّعمة...».[2]

دلّ تكرير الفعل "يجب"،على أهمّية موضوع الخطاب،وما يوليه المرسل من تعاطف وحبّ الخير للمرسل إليه.

ويعدّ الفعل المضارع المسبوق بلام الأمر،من بين الصّيغ الأمريّة الأخرى،التي يمكن أن يستثمر فيها الخطاب التّوجيهي لدى (الإبراهيمي)،لما له من دلالات ترتبط بالمستقبل القريب،ولذا استُعمِلَ في الخطابات التّوجيهيّة التي تستدعي تنفيذًا لا يقبل التّأخير والتّأجيل،ومثال هذا التّوظيف،نجده في الخطاب الإرشادي الموجَّه إلى المعلِّمين،والذي جاء فيه،قول (الإبراهيمي):

«إنّ هذا البرنامج الذي أضعه بين أيدي أبنائي المعلِّمين،والبرنامج الذي وضعته للتّعليم التّجهيزي،والذي وضعته لتعليم البنت المسلمة،كلّها مرشدة لهم إلى أحسن الطّرائق في التّعليم،ومُعِينة لهم على تنسيق المسائل في هذا الوقت الذي تعسّرت فيه الكتب وكادت تتعذّر،وكلّها تمهيدات تخفّف عنهم المشقّة،فليجتهدوا في تنفيذها وليحقّقوا غاياتها ومراميها،وليجعلوها دستورًا يقفون عند نصوصه،ويجمعون ما تفرّق من أساليبهم الخاصّة في التّعليم عليه بخصوصه وليتبيّنوا أنّ الغاية من توحيد البرنامج هي توحيد التّعليم والتّربية،حتّى ينشأ هذا الجيل مطبوعًا بطابع واحد في لسانه وبيانه وقلمه،وفي تفكيره ومشربه،وفي آرائه في الحياة ونظرته إليها وأحكامه عليها».[3]

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج03،ص455.

[2] المصدر نفسه،ج04،ص80.

[3] المصدر نفسه،ج02،ص.ص110-111.

وبما أنّ الأمر «مطلوب به حصول ما لم يحصل،أو دوام ما حصل[...]،وقد يدلّ على الأمر بلفظ الخبر».[1]

لهذا نجد في خطاب (الإبراهيمي)،توظيفًا للأفعال الإخباريّة في شكل ملخّص،أراد من خلاله التّعريف ببرامجه،قبل أن يُتبِعه بعدّة توجيهات عبَّر عنها الفعل المضارع المسبوق بلام الأمر،عند قوله:"فليجتهدوا،ليحقّقوا،ليجعلوها...".

مع العلم أنّها، لم تأت من مجرّد حبّ التّوجيه والإرشاد فقط؛بل جاءت من منطلق خلفيّة مشتركة تجمع بين طرفي الخطاب،في بُعدَيها السّلطوي المؤسّساتي،والسّلطوي العلمي النّاتج عن تجربة شخصيّة عاشها (الإبراهيمي) من خلال مراحل حياته العلميّة والتّعليميّة،ولهذا دعَّم صيغه الأمريّة بمبرّرات من الواقع جعلته ينحُ هذا المنحَى،بالإضافة إلى كشفه عن غايات ونتائج برامجه التي لخّصها في هذا الخطاب،يمكن أن نوضّحها من خلال المخطّط التالي:

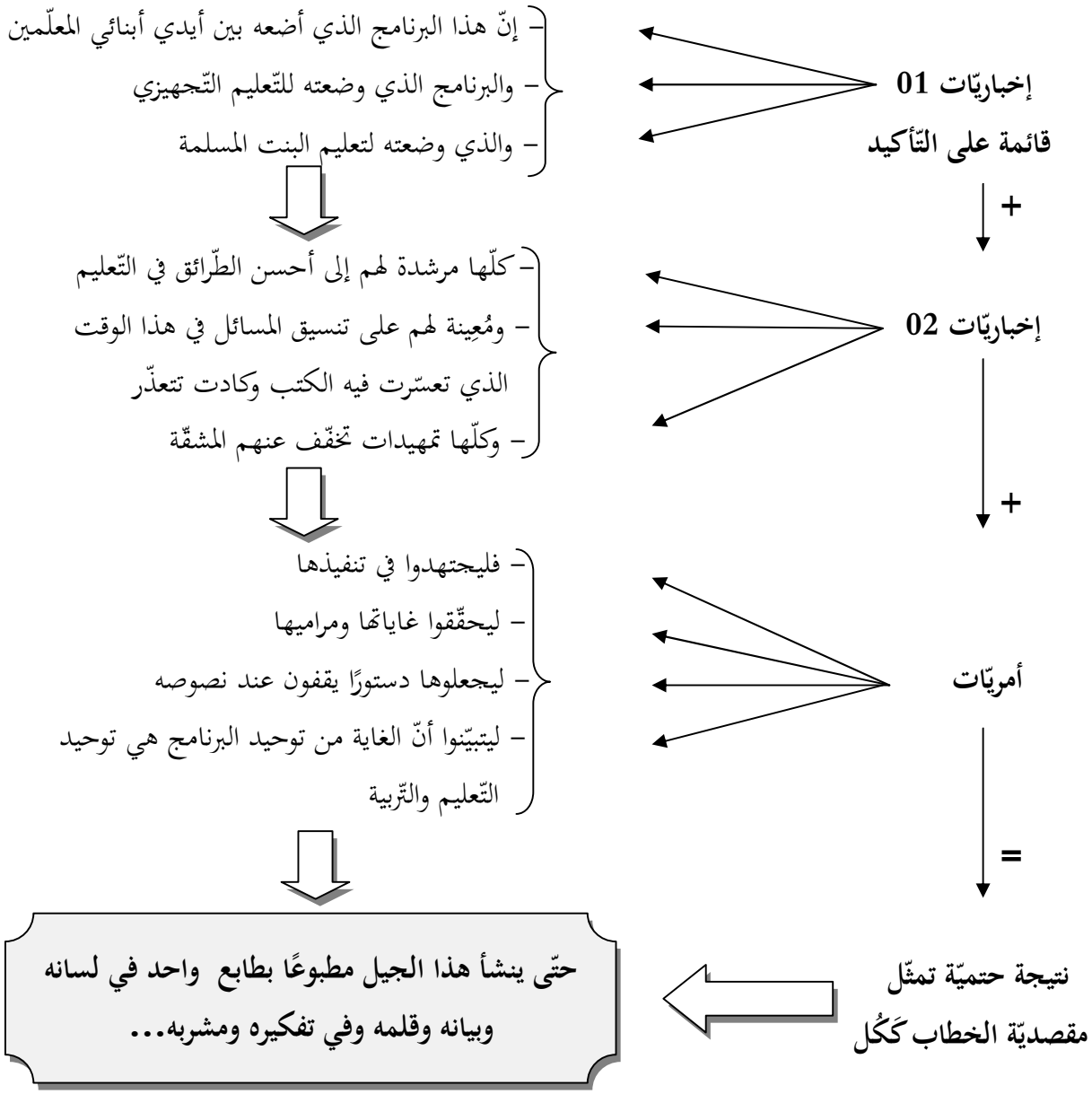

– مخطّط رقم12:يوضّح توظيف آليّة "الأمر بالفعل المضارع" في الخطاب التّوجيهي لدَى (الإبراهيمي)–

[1] جلال الدِّين السّيوطي،همع الهوامع في شرح جمع الجوامع،مرجع سبق ذكره،ج01،ص30.

ويتوسّع استخدام (الإبراهيمي)،للفعل المضارع المسبوق بلام الأمر؛حتّى في الخطابات الموجَّهة إلى مرسل إليه لا تربطه به علاقة وظيفيّة؛بل علاقة عالِم بأمّته،كما عبّر عنه خطابه الموجَّه إلى الشّباب المسلم بقوله:

«ليحرص الشّباب على أن يكونوا كمالًا في أمّتهم لا نقصًا،وأن يكونوا زينًا لها لا شينًا،وأن يضيفوا إلى تليد مكارمها طريفًا،وإلى قديم محاسنها جديدًا،وأن يمحوا كلّ سيئة لسلفهم بحسنة[...]،أعيذ الشّباب المحمّدي أن يُشغِل وقته في تعداد ما اقترفه آباؤه من سيئات أو في الافتخار بما عملوه من حسنات،بل يبني فوق ما بنَى المحسنون،وليتّق عثرات المسيئين،وأعيذه أن ينام في الزّمان اليقظان،أو يهزل والدّهر جادّ،أو يرضى باللّدون من منازل الحياة».[1]

بناءً على ما يمتلكه (الإبراهيمي) من سلطة اجتماعيّة،في بُعدها العلمي والدِّيني،وجّه مجموعة من النّصائح والإرشادات،في صيغ أمريّات،إلى الشّباب المسلم،من أجل تحفيزه على علو الهمّة،وطلب معالي الأمور في هذه الحياة.

وبطبيعة شخصيّة العالِم المصلح التي يمتلكها (الإبراهيمي)؛فإنّه لا ينثَني عن قول الحق وصَوغِه في شكل توجيهات يبعث بها إلى أيّ مرسل إليه كانت سلطته أو رتبته الاجتماعيّة،باعتبار أخوَّة الدِّين التي تقتضي النّصيحة لوجهه ﷻ.

وهذا ما عمل عليه (الإبراهيمي)،عندما ضمّن مجموعة من صيغ الفعل المضارع المسبوق بلام الأمر،في خطابه الذي وجَّهه إلى حكومة ليبيا وشَعبها؛كي ينبِّههم بالعواقب الوخيمة التي يمكن أن تنجرّ عن توقيعهم لمعاهدة مع بريطانيا وفي ذلك قال:

«أيّها الإخوان:

إنّنا نخاطب اللّيبيّين،وإنّ حكّامكم منكم فهم داخلون في الخطاب فليراجعوا بصائرهم،وليرجعوا إلى أمّتهم يستهدونها ويسترشدون بها،وإلى إخوانهم العرب يستعينونهم ويستنجدون بهم،وليخافوا عذاب **الله** وحساب التّاريخ».[2]

استفتح (الإبراهيمي) خطابه التّوجيهي،بنداء عبّر من خلاله عن تضامنه مع المرسل إليه،وبأنّ الدّافع إلى توجيه هذا الخطاب،هو الأخوّة في الدِّين،ثم حدّد المعنيّين بهذا التّوجيه،شعبًا وحكومة،ليركّز انتباههم إلى ما سيقوله من توجيهات إلى أن وصل إلى ذكر العواقب الوخيمة،التي يمكن أن تسفر عنها المعاهدة،وصاغها في شكل نتيجة حتميّة،بقوله: "وليخافوا عذاب **الله** وحساب التّاريخ".

بيد أنّه ينبغي التّفريق بين الأوامر التي يوجّهها المرسل الذي يمتلك سلطة على المرسل إليه،وبين الأوامر التي يوجّهها المرسل وهو لا يمتلك أدنى سلطة على المرسل إليه؛حيث تأتي عندئذ في صيغة الطلبيّات وليس الأمريّات،وهذا ما يعنيه (السّكّاكي) بقوله:«إذا كان الاستعلاء ممّن هو أعلى رتبة من المأمور استتبع إيجابه وجوب الفعل بحسب جهات مختلفة،وإلّا لم يستتبعه فإذا صادَفَت هذه أصل الاستعمال بالشّرط المذكور أفادت الوجوب،وإلّا لم تُفِد غير الطّلب ثمّ إنّها حينئذٍ تولد بحسب قرائن الأحوال ما ناسب المقام».[3]

أي أنّ السّلطة تقتضي وجوب تنفيذ الأمر،وغيابها يقتضي الطّلب فقط،وكلٌّ بحسب السّياق التّداولي.

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج04،ص.ص120-121.

[2] المصدر نفسه،ص240.

[3] أبو يعقوب السّكّاكي،مفتاح العلوم،مرجع سبق ذكره،ص.ص318-319.

3-2- استعمال النّهي:

يُعرَّفُ النّهي،بأنّه «طلب الكفّ عن شيء ما،مادّي أو معنوي،وتدل عليه صيغة كلامية واحدة هي:"الفعل المضارع الذي دخلت عليه (لا) الناهية»[1]،ويُستَفاد من صيغته «التّكليف الإلزامي بالتّرك وعدم الفعل».[2]

وبهذا يُعَدُّ "النّهي"،آليّة مهمّة من آليّات الاستراتيجيّة التّوجيهيّة،التي يسعى المرسل إلى تطبيقها بناءً على مقاصد خطابه وعلاقته الاجتماعيّة بالمرسل إليه-في بُعدها السّلطوي-،كما تؤثّر القضيّة المراد طرحها في الخطاب،وظروف إنتاجه،على تحديد درجات التّوجيه باستعمال "النّهي"؛إذ يمكن أن يخرج،عن دلالته الأصليّة،إلى دلالات أخرى: "كالدّعاء،والالتماس،والإباحة،والتّوبيخ،والتّهديد...إلخ".

وهذا ما وضّحه (السّكّاكي)،بقوله:«للنّهي حرف واحد وهو لا الجازمة في قولك:لا تفعل،والنّهي محذوٌّ به حَذْوَ الأمر في أنّ أصل استعمال:لا تفعَل،أن يكون على سبيل الاستعلاء بالشّرط المذكور،فإن صادف ذلك أفاد الوجوب وإلّا أفاد بالتَّرك فحسب،ثمّ إن استُعمِل على سبيل التضرّع[...]،سمّي:دعاءً،وإن استُعمِل في حقّ المساوي الرتبة لا على سبيل الاستعلاء،سمّي:التماسًا،وإن استُعمِل في حقّ المستأذَن،سمّي:إباحة،وإن استُعمِل في مقام التّرك،سمّي: تهديدًا».[3]

إذن،يفهم من هذا القول؛أنّ سلطة كل من طرفي الخطاب،وسياق إنتاجه؛هي من تحدِّد درجة دلالة "النّهي".

وبناءً على ما يمتلكه (الإبراهيمي) من سلطة،تجده كثيرًا ما يستثمر الدّلالات المختلفة للنّهي في خطابه التّوجيهي بغية الدّفاع عن قضيّة ما،لها أهميّة بالغة في نظره ولا تحتمل التّأجيل في كثير من الأحيان.

فعندما خاطب الشَّعب الجزائري بكل فئاته،من أجل توحيد يوم الصّوم والإفطار وعدم التّجاوب لجهات تسعى إلى تغليطهم دومًا -لجنة الأهلّة،خلال فترة الاحتلال الفرنسي-،قائلًا:

«لا عذر لكم في الاختلاف في هذا الزّمن الذي قارب بين أجزاء الأرض وقرّب بين أفراد البشر وسهّل نقل الأخبار وصحّح مقاييس العلم[...]،لا تجعلوا الحدود الإقليميّة التي وضعها المخلوق،حدودًا فارقة في الشّعائر التي وضعها الخالق،ولا ترتابوا في أخبار التليفون إذا عرف الصّوت وتعدّد النّاقل،ولا ترتابوا في أخبار الإذاعة فإنّها أمنع من أن يتطرّق إليها الخلل في هذا الباب وأنّها لا تذيع إلا ما تقدمّه لها الهيئات الشّرعيّة.

لا تلتفتوا إلى شبهة تباعد الأقطار فكثيرًا ما يكون يوم عيد الأضحى بمنًى هو يوم عيد الأضحى عندنا بشهادة الحُجَّاج منكم[...]،لا تتراخوا في أداء الشّهادة برؤية الهلال وتعميمها بجميع الوسائل وأقواها وأسرعها التليفون.

لا تسمعوا كلام الجاهلين الذين يسوّلون لكم الخلاف في الدِّين باسم الدِّين[...].

رئيس جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين،محمّد البشير الإبراهيمي».[4]

---

[1] عبد الرّحمان حسن حبنّكة الميداني،البلاغة العربيّة،مرجع سبق ذكره،ج01،ص228.

[2] المرجع نفسه،ص231.

[3] أبو يعقوب السّكّاكي،مفتاح العلوم،مرجع سبق ذكره،ص320.

[4] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج02،ص.ص163-164.

بعد أن وجَّه المرسل جملة من النّواهي،بقوله:"لا تجعلوا،لا ترتابوا،لا تلتفتوا،لا تتراخوا،لا تسمعوا"،وتنبيهه للشبهات المحتمَلة،وتأكيده لمصادر المعلومة الموثوق بها،ختم خطابه بتبيان سلطته المؤسّساتيّة التي خوَّلت له توجيه هذا الخطاب مع أنّ المرسل إليه،في هذا السّياق التّداولي،هو مرسل إليه عام؛أي كل جزائري مسلم.

وهذا ما أكدّه في خطاب توجيهي آخر،ناقش فيه القضيّة ذاتها،نادى من خلاله الأمّة الجزائريّة،قائلًا:

«أيّتها الأمّة:

قد دلّتك هذه اللّجنة على نفسها،وفضَحها **الله** في هذه السَنَة بسوء أعمالها.

قالت:إنّها لا تعمل بشهادة الأقطار الإسلاميّة،ثم تبيّن أنّها لا تعمل بشهادة القطر الجزائري،ولا معنى لهذا إلا أنّها متعمّدة لإفساد صوم المسلمين وإفطارهم...

لا معنى لعملها إلّا هذا.

لا تصدّقوها بعد الآن.

لا تثقوا بها.

لا تثقوا بهذا البوق الذي يُذِيع غشّها.

لا عذر لكم بعد الآن...».[1]

بدأ الموجِّه خطابه بذكر أفعال إخباريّة في شكل تنويه،وضع عن طريقه المرسل إليه في سياق القضيّة،بفضحه لأعمال لجنة الأهلّة،وبعد ذلك التّنويه وجَّه (الإبراهيمي)،عدّة نواهٍ لينبِّه ويحذّر الشّعب الجزائري من تلك اللّجنة وهذا فيه من دِلالات حرصه على ما ينفع أمّته بشكل عام،وكيف بالقضيّة تخصّ ركنًا من أركان الدِّين الإسلامي؟.

ومن النّماذج الخطابيّة التّوجيهيّة،التي استُعمِلَت فيها آليّة "النّهي"،بناءً على سلطة مؤسّساتيّة تجمع بين (الإبراهيمي) والمرسل إليه المخصوص،ما عبّر عنه حديثه الموجَّه إلى الطّلبة المهاجرين في سبيل العلم،بقوله:

«لا يعذلكم في حبِّ وطنكم إلا ظالم،ولا يصرفكم عن إتقان وسائل النّفع له إلا أظلم منه».[2]

عبّرت صيغة النّهي،الموظّفة في هذا الخطاب،عن مجموعة من الإرشادات،وجّهها (الإبراهيمي) إلى الطّلبة المهاجرين ممّا يدلّ على حرصه عليهم،وحبّ المنفعة لهم.

ومن بين الخطابات التّوجيهيّة،التي اعتمد فيها (الإبراهيمي) على آليّة "النّهي"،حديثه الشّهير الذي ألقاه من إذاعة "صوت العرب بالقاهرة" وجّهه إلى جميع المسلمين،والمعنوَن بـ"موالاة المستعمر خروج عن الإسلام"؛حيث صاغه وفقَ التّوجيهات التّالية:

«أيّها المسلمون أفرادًا وهيئات وحكومات:

لا توالوا الاستعمار فإنّ موالاته عداوة **لله** وخروج عن دِينه.

ولا تتولّوه في سِلم ولا حرب فإنّ مصلحته في السِّلم قبل مصالحكم،وغنيمته في الحرب هي أوطانكم.

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج02،ص417.

[2] المصدر نفسه،ج03،ص204.

ولا تعاهدوه فإنّه لا عهد له.

ولا تأمنوه فإنّه لا أمان له ولا إيمان.

إنّ الاستعمار يلفظ أنفاسه الأخيرة فلا يكتب عليكم التّاريخ أنّكم زدتم في عمره يومًا بموالاتكم له.

ولا تحالفوه فإنّ من طبعه الحيواني أن يأكل حليفه قبل عدوّه».[1]

بدأ المرسل خطابه التّوجيهي،بنداء المرسل إليه العام،بغية تهيئته لتلقّي توجيهاته،التي جاءت في صيغة نواهي تقابلها نتائج حتميّة،ذات أبعاد وخيمة؛حيث وضع لكل نهيٍ نتيجته الحتميّة إذا فُعِل عكسُه،ثم ختم حديثه بنتيجتين كليّتين أجملتا ما سبقهما من عواقب موالاة الاستعمار،وهذا ما يعبَّر عنه المخطّط الآتي:

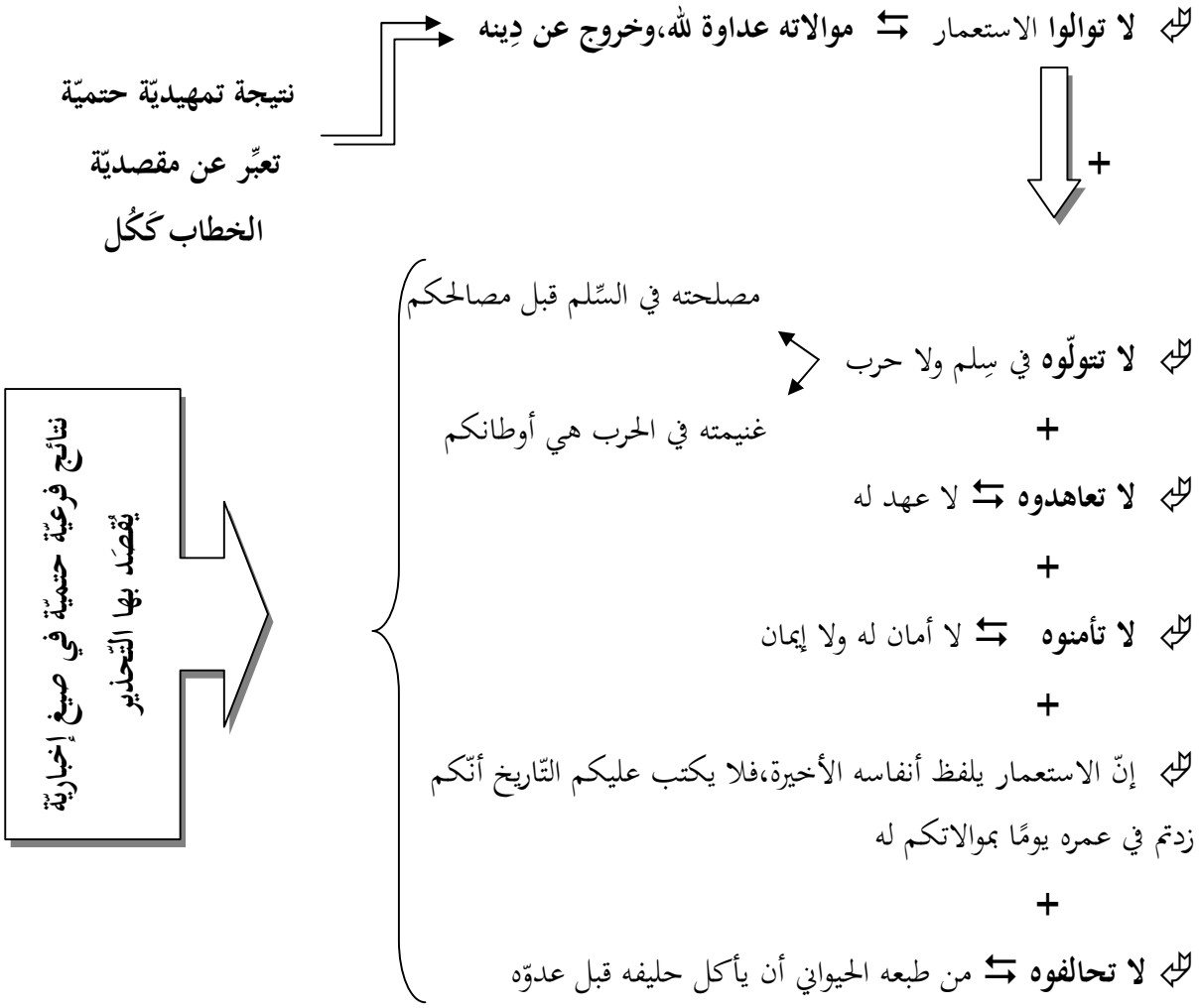

– مخطّط رقم13:يوضّح كيفيّة توظيف آليّة "النّهي01" في الخطاب التّوجيهي لدَى (الإبراهيمي)–

وفي بعض السّياقات التّداوليّة،يمكن أن يتجاوز (الإبراهيمي)،بخطابه التّوجيهي،تحقيق المنفعة مع مرسل إليه تربطه به علاقة اجتماعيّة،ذات بُعد سلطوي وظيفي أو أخوي،إلى مرسل إليه مخصوص،تربطه به علاقة صَدٍّ وتنافر في الأساس وهذا ما نلحظه في كلامه الموجَّه،إلى الأئمّة المنتسِبين لحكومة الاحتلال الفرنسي،عندما خاطبهم،قائلًا:

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج05،ص70.

«أيّها القوم،لسنا لكم خصومًا،وإنّما نحن نصحاء،ولا خصم لنا في القضيّة إلا الاستعمار،إنّنا نريد تحريركم وتصحيح بنائكم،وإرجاعكم إلى **الله**،وتقوية صِلتكم بالأمّة التي تصلّي وراءكم،حتّى تكونوا شفعاءها إلى **الله**،وإنّ نزاعنا مع الاستعمار في ميدان من صميم الدِّين،فلا تقفوا في طريقنا،ولا تكونوا عونًا له علينا،وإنّنا لا نسكت حتّى نؤدّي حقّ **الله** فيه،وفيكم إن أبيتم إلا ذلك...».[1]

قبل أن يُسفِر (الإبراهيمي) عمّا يريد تحقيقه من نواهٍ لبعض السّلوكات والأعمال،التي يقترفها أولئك الأئمة،ناداهم بـ"أيّها القوم"،للَفت انتباههم،مع ما فيه من معاني البُعد والصّدِّ بينه وبينهم،ثم ألحق نداءه بمحاولة التقرّب منهم بقوله:"لسنا لكم خصومًا،وإنّما نحن نصحاء،ولا خصم لنا في القضيّة إلا الاستعمار...إلخ".

ثم كشف عن الأهداف التي يريد أن يصبو إليها من وراء هذه التّوجيهات،قائلا:"إنّنا نريد تحريركم،وتصحيح بنائكم،وإرجاعكم إلى **الله**،وتقوية صلتكم بالأمّة التي تصلّي وراءكم...إلخ"،إلى أن وصل إلى النّواهي،المعبّرة عن مقصديّة خطابه،بشكل عام،وهي إنذار وتحذير أولئك الأئمّة،وهذا ما نلمسه في قوله:"فلا تقفوا في طريقنا،ولا تكونوا عونًا له علينا،وإنّنا لا نسكت حتّى نؤدّي حقّ **الله** فيه،وفيكم إن أبيتم إلا ذلك..."،وهذا ما يوضّحه المخطّط التالي:

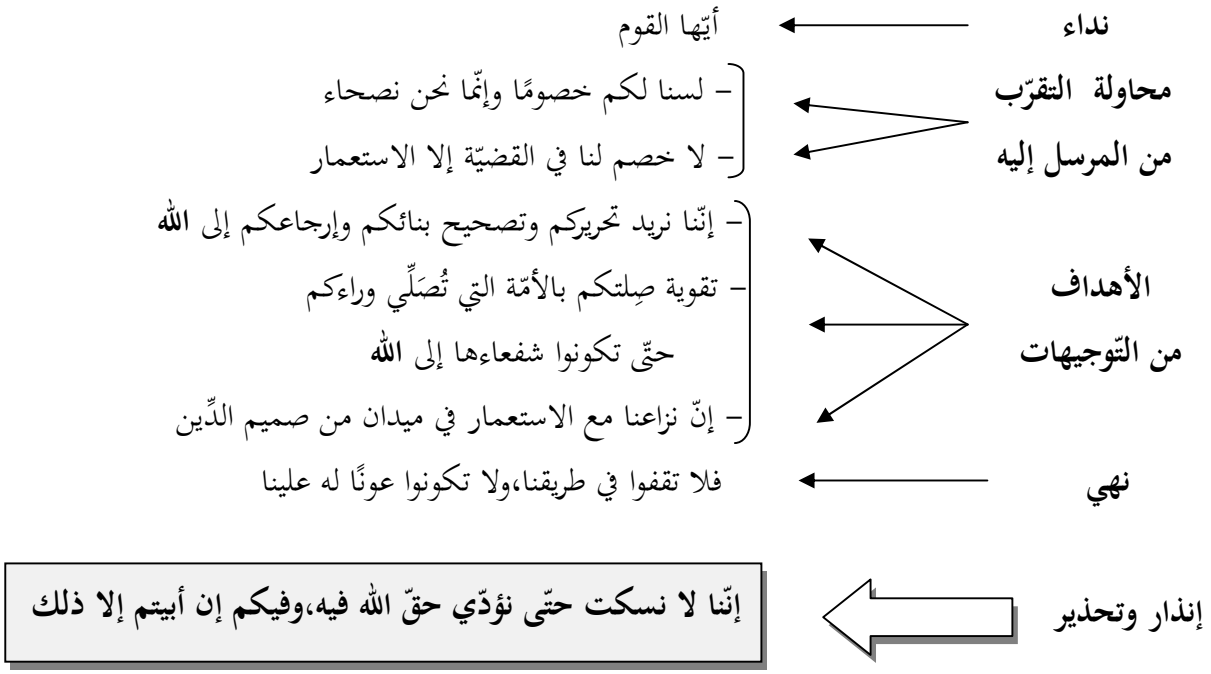

– مخطّط رقم14:يوضّح كيفيّة توظيف آليّة "النّهي02" في الخطاب التّوجيهي لدَى (الإبراهيمي)–

وهناك ألفاظ معجميّة،تدل على النّهي،يمكن أن يوظّفها المرسل في خطابه التّوجيهي،من قبيل،لفظ: «حرم،وحظر،ومنع،ونهى،ومشتقاتها».[2]

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج03،ص192.

[2] قطب مصطفى سانو،معجم مصطلحات أصول الفقه (عربي-إنكليزي)،دار الفكر،دمشق-سورية؛ط1420:01هـ/2000م، ص85.

وهي التي وظّفها (الإبراهيمي) في أحد خطاباته الموجَّهة،إلى الذين ينذرون الذّبائح عند القبور،ولا ينذرونها **لله** تعالى،وفي ذلك قال:

«يا قومنا،أجيبوا داعي **الله**،ولا تجيبوا داعيَ الشّيطان،يا قومنا إنّ أصول هذه المنكرات مَفسَدة للعقيدة،وإنّ فروعها مُفسِدَة للعقل والمال،وإنّكم مسؤولون عند **الله** عن جميع ذلك؛يا قومنا إنّكم تنفقون هذه الأموال في حرام وإنّ الذّبائح التي تذبحونها حرام لا يحلّ أكلها،لأنّها ممّا أهِلَّ به لغير **الله**،فمن أفتاكم بغير هذا فهو مفتي الشّيطان،لا مفتي القرآن».[1]

بعد أن بيّن (الإبراهيمي)،مضارَّ الذّبح لغير **الله**،على عقيدة المسلم،وعقله وماله،عبّر عن نهي أكل الذّبائح،التي تكون بهذه الطّريقة،بقوله:"حرام لا يحلّ أكلها".

فتأثير سلطته كعالم دِيني إصلاحي،بقيت نسبيّة؛من حيث تأثيرها على هذا النّوع من المتلقّي؛حتّى دعّمها بسلطة النّص القرآني،عند قوله:"وإنّ الذّبائح التي تذبحونها حرام لا يحلّ أكلها،لأنّها ممّا أهِلَّ به لغير **الله**"،في إشارة إلى قوله تعالى:﴿**إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ**﴾،[البقرة:173].

وبهذا الاستعمال،قوّى من خطابه التّوجيهي،وأصبحت له قابليّة على التّأثير،في المتلقّي،وحمله على الإقتناع.

3-3- توظيف التّحذير:

يُعرَف التّحذير،بأنّه «إلزام المخاطَب الاحتراز من مكروه،أو ما جَرَى مجراه»[2] ،ولأسلوب التّحذير صيغ مختلفة: "كالأمر،والنّهي،والصيغة المبدوءة بالضّمير "إيّاك،أو إيّاكم...إلخ".[3]

وعلى هذا الأساس يغدُو التّحذير،آليّة لغويّة لها مكانتها المهمّة ضمن الآليّات اللغويّة التي تستغلّها الاستراتيجيّة التّوجيهيّة،من خلال توظيف إحدى الصّيغ،التي سبق لنا ذكرها.

وعليه تتنوّع صيغ استعمال آليّة "التّحذير" في الخطاب التّوجيهي لدى (الإبراهيمي)،كما يكثر حضورها في العديد من خطاباته بمختلف موضوعاتها وأشكالها اللغويّة،وبمختلف سياقاتها التّداوليّة.

وبالطّبع،باختلاف طبيعة المرسل إليه المعني بالتّحذير،وبتنوّع السّلطة التي يمتلكها (الإبراهيمي)،لحظة التلفّظ بالخطاب سواء صرّح بها،أم لم يصرّح بها.

ومن بين صيغ التّحذير التي يمكن أن يوظّفها الخطاب التّوجيهي الإبراهيمي،صيغة "حَذَارِ"،التي تتّسم بالمصارحة وبُعدُهَا عن أيّة مراوغة،وأيّ تأويل من قِبَل المرسل إليه،وهذا ما عبَّر عنه خطابه الذي حذر من خلاله،زملاؤه من علماء "جمعية العلماء المسلمين الجزائريّين"،في فترة تَوَلِّيه منصب نائب رئيسها،قائلًا:

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج03،ص322.

[2] أبو حيّان الأندلسي،ارتشاف الضّرب من لسان العرب؛تح:رجب عثمان محمّد،ومراجعة:رمضان عبد التوّاب،مكتبة الخانجي،القاهرة -مصر؛ط01:1420هـ/1998م،ص.ص1477-1478.

[3] ينظر:عبّاس حسن،النّحو الوافي،مرجع سبق ذكره،ج04،ص126.

«وهذا العلم،وهو قرين المال وأخوه في تكوين الحضارة الوقتيّة تفيد المزاحمة فيه ولا تضرّ،وفي هذا المقام يجب ألا نغترَّ بالموجود ولا نقنع بطرق الاستثمار التي قلَّدْنا فيها غيرنا،ولا تكون هذه النّتائج التي لم يكن آباؤنا يحلمون بها قاطعة لنا عن طلب المزيد،وحذار أيّها الإخوان من هذه القناعة المجيعة- فوراء هذه الأمّة الضّعيفة طوائف هي أقوى مراسًا وأصحّ عزائم في المزاحمة على المال[...]،حذار أن يسبق الوهم العلم أو يغشى الشّكَّ اليقين أو نركن إلى نزعة القناعة والكفاف».[1]

من أجل أن يلفت (الإبراهيمي) انتباه المعنيّين بالخطاب،إلى إلزاميّة الجمع بين العلم والمال،وعدم الاقتصار على العلم فقط-لأنّ واقع الحال يقول ذلك-،وجَّه تحذيرًا بصيغة "حذار"،لما تحمله من دلالات على خطورة القضيّة.

ولهذا،نجده يكرّر الصّيغة ذاتها تباعًا في الجملة الواحدة،دلالة على عظم الشّيء المحذَّر منه ومكانة المحذَّر،وعلى العواقب التي يجنيها هذا الأخير في حالة عدم أخذه بالتّحذير.

ومن بين خطاباته التي تضمّنت هذه الصّيغة،مقاله الذي عنونه بـ"كتاب مفتوح إلى الأعضاء المسلمين بالمجلس الجزائري"؛حيث قال فيه،ما يلي:

« إنّ أقوامًا قبلكم وصلوا إلى ما وصلتم إليه،وارتقوا على أكتاف الأمّة إلى كراسي النّيابة ولكنّهم خانوا العهد وأضاعوا الحقوق،فسجَّل عليهم التّاريخ خزي الأبد وكلة المقت،فحذار حذار أن تكونوا مثلهم».[2]

نلاحظ بأنّ المرسل،أضاف إلى صيغة تكرير فعل التّحذير "حذار"،أسلوب التّشبيه،والمقارنة بأقوام آخرين،ليحقّق بهذا الخطاب،مقصديّة إقناعيّة (حِجَاجِيّة)،وهذا ما يوضّحه المخطّط التالي:

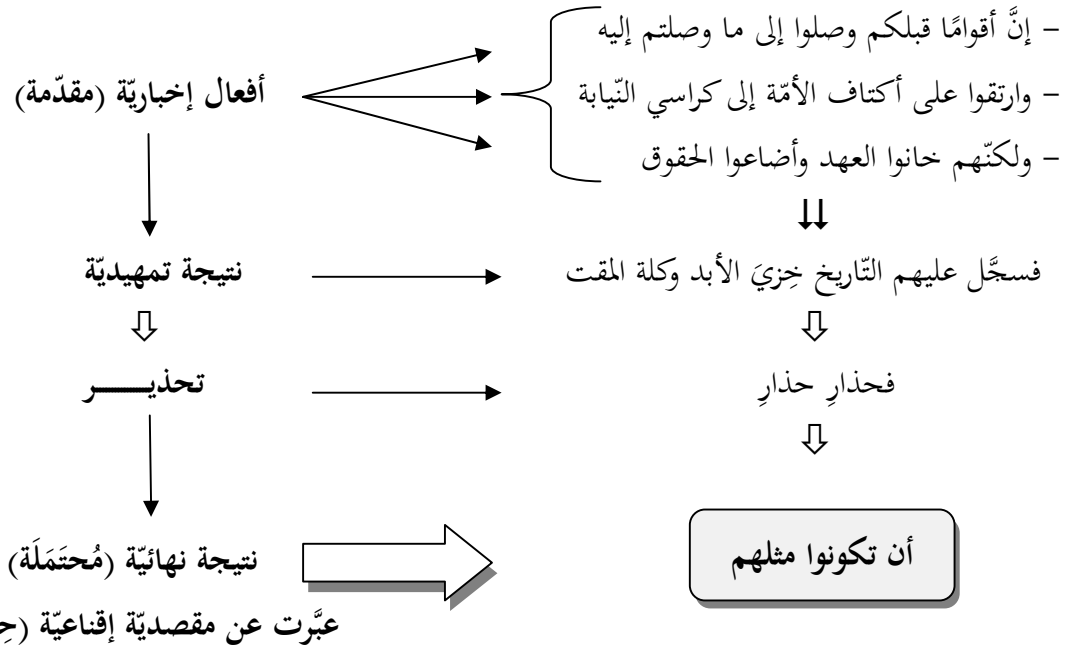

- مخطّط رقم15:يوضّح كيفيّة توظيف آليّة "التّحذير" في الخطاب التّوجيهي لدَى (الإبراهيمي)-

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج01،ص.ص54-55.

[2] المصدر نفسه،ج03،ص188.

ويمكن أن تتغيَّر صيغة التّحذير في الخطاب التّوجيهي لدى (الإبراهيمي)،لتكون بصيغة الفعل المضارع "يحذر" مسبوق بلام الأمر؛حيث يحضر توظيف هذه الصّيغة في الخطابات ذات البُعد السّلطوي المؤسّساتي،مثلما عبّر عنه خطابه الموجَّه إلى المعلِّمين الأحرار،والذي قال فيه:

«ليحذر المعلِّمون الكرام من سلوك تلك الطّريقة العتيقة التي كانت شائعة بين معلِّمي القرآن،وهي أخذ الأطفال بالقسوة والتّرهيب في حفظ القرآن،فإنّ تلك الطّريقة هي التي أفسدت هذا الجيل وغرست فيه رذائل مُهلِكَة،إنّ القسوة والإرهاب والعنف تحمل الأطفال على الكذب والنّفاق،وتغرس فيهم الجبن والخوف،وتُبغِض إليهم القراءة والعِلم،وكلّ ذلك معدود في جنايات المعلِّمين الجاهلين بأصول التّربية».[1]

بعد أن عبّر المخاطِب،عن خطورة القضيّة المطروحة للنقاش،بتوظيف الفعل "ليحذر"،دعّمه بتقديم تفصيل دقيق لما سيحدث من أخطاء وأخطار،تنتج عن إتّباع المعلِّمين لطرائق التّعليم التّقليديّة المبنيّة على أسلوب العنف والتّرهيب إلى حدِّ وصفه بالجناية على الطّفل.

ويمكن (للإبراهيمي)،أن يتجاوز بهذا الاستعمال،المرسل إليه الذي تربطه به سلطة مؤسّساتيّة،إلى مرسل إليه تربطه به علاقة اجتماعيّة،في بُعدها السّلطوي الدِّيني؛أي علاقة عالِم بأمّته.

مثلما دلّ عليه،خطابه الذي وجّهه إلى الأمّة الجزائريّة،محذّرًا إيّاها،ممّا عملته حكومة الاحتلال الفرنسي،في سبيل إعاقة التّعليم الدِّيني في الجزائر،وفي ذلك قال:

«فلتحذر الأمّة هذه المظاهر الغرّارة فإنّها كالسّراب،يخدع الظّامِئ ولا يرويه،وإنّ مثَل الحكومة كمثَل الشّيطان إذ قال للإنسان أُكفُر،فلمّا كفر قال إنّي بريء منك».[2]

بالرّغم من امتلاك (الإبراهيمي)،لسلطة اجتماعيّة،ذات بُعد دِيني،إلّا أنّ تأثير صيغة التّحذير،التي تضمّنها خطابه ظلّت نسبيّة،لهذا دعّمها بأسلوب التّشبيه،عند قوله:"فإنّها كالسّراب،يخدع الظّامِئ ولا يرويه".

ثم ضاعف من القوّة التّوجيهيّة،لخطابه التّحذيري،باستدعاء سلطة النّص القرآني،عن طريق استعمال أسلوبَي "التّمثيل" و"التّناص" معًا،عند قوله:

"وإنّ مثَل الحكومة كمثَل الشّيطان إذ قال للإنسان أُكفُر،فلمّا كفر قال إنّي بريء منك" ⟵ تناص مع قوله تعالى:

﴿**كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الحشر:16].

وبهذا التّوظيف،دعّم (الإبراهيمي) من سلطته الحاضرة أثناء التّلفّظ بالخطاب،كما عبَّر عن مقصديّة إقناعيّة (حِجَاجِيَّة)،شملت خطابه كلّه،وليس هذه الفقرة فقط.

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج02،ص113.

[2] المصدر نفسه،ج03،ص249.

كما يمكن أن يستعمل التّحذير،بصيغة فعل الأمر "احذروا"،مثلما جاء به خطابه الموجَّه إلى الشَّعب اللّيبي بقوله: «أيّها الإخوة اللّيبيّون:إنّ لكم إخوانًا يصل بينكم وبينهم الماء والصّحراء،ويشرفون عليكم من مخارم هذه السَّلاسل الشّامخة من الأطلس الكبير،وإنّهم يشاركونكم في الشّدائد والمحَن،كما شاركوكم في الألسنة والسحن،وإنّهم يقاسمونكم مرارة الامتحان الذي أنتم فيه،فانظروا في أيّ موضع وضعتكم الأقدار؛إنّكم في موضع قدوة لشعوب ترجو ما ترجون وتعمل لما تعملون،فاحذروا أن تكونوا قدوة في الهزيمة،ومثالًا لخيبة الأمل».[1]

لم يوجِّه المرسل فعله التّحذيري؛حتّى ذكَّر المرسل إليه بما تربطه به من علاقات اجتماعيّة مشتركة:"جغرافيًا،ولغويًا والقضايا الواحدة...إلخ"،ثم بيّن مكانة الشَّعب اللّيبي بالنّسبة للشّعوب العربيّة الأخرى؛حيث جعل من هذه الإخباريّات مسوّغات -في شكل سلطة-،خوّلت له،توجيه خطابه التّحذيري.

ومن خلال،هذا السّياق التّداولي،يتّضح أنّ القضايا العربيّة والإسلاميّة،هي أيضًا من صميم اهتمامات (الإبراهيمي) وليس القضايا الجزائريّة فقط.

وفي بعض السّياقات التّداوليّة،تُدرَج صيغ التّحذير،لتُصبحَ عنوانًا من عناوين الخطاب التّوجيهي لدى (الإبراهيمي) عندما تكون القضيّة المراد التّحذير منها لا تقبل التّأخير.

مثلما عبّر عنه مقاله الموسوم بـ"تحذير"،والذي وجهه إلى الأمّة الجزائريّة،من خلال جريدة "البصائر" لسان حال "جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين"،على خلفية استغلال بعض الأشخاص،لاسم الجمعيّة،وهم لا ينتسبون إليها،وفي ذلك قال (الإبراهيمي):

«بَلَغتنَا أخبار ورسائل من معتمدي جمعيّة العلماء في كثير من القرى أنّ هناك جماعة طوّافين بأيديهم وصولات مزوّرة باسم جمعيّة العلماء[...]،وجمعيّة العلماء تبرأ إلى **الله** وإلى الأمّة من هذه الطّائفة السّارقة المارقة المحترفة لهذه الحرفة السّخيفة[...]،وأنّها لتحذِّر الأمّة من أن تدفع مالها لهؤلاء المزوِّرين».[2]

بيّنت صيغة التّحذير الموظَّفة في هذا الخطاب،مدى خطورة القضيّة وأبعادها السّيئة على سُمعَة الجمعيّة ورئيسها جرّاء سلوك سلبي صدر عن طائفة غريبة تمتهن النّصب والاحتيال باسم جمعيّة العلماء،ولهذا مزج الخطاب بين الأمريّات والإخباريّات،عندما استعمل فعل التّحذير وتبرئة الذمّة على حدٍّ سواء.

وفي بعض السّياقات التّداوليّة الخاصّة،قد يأتي عنوان الخطاب التّحذيري لدى (الإبراهيمي)،ليدلّ على النّصح والتّحذير معًا،وهذا ما كشفه لنا مقاله المعنون بـ"نصيحة وتحذير"،والذي وجّهه إلى مجموعة من الشّباب الجزائريّين كانوا قد هاجروا إلى مصر من أجل طلب العلم،وعندما علم (الإبراهيمي) بأحوالهم المزرية التي آلوا إليها،وبعدما خبَر مستوياتهم العلميّة،رأى بأنّهم غير مؤهَّلين لما هاجروا من أجله،وبأنّهم يسيئون لسُمعَة الجزائر،ولهذا نصحهم وحذّرهم بقوله:

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج03،ص408.

[2] المصدر نفسه،ج02،ص274.

«رأيت في القاهرة عددًا كثيرًا من شبّان الجزائر،معظمهم وصل إليها في هذه السَّنَة والتي قبلها بوسائل كلّها أتعاب ومشاق[...]،وزاريني كثير من هؤلاء الطّلبة الجزائريّين يطلبون الإعانة الماليّة منّي أو من الأزهر بواسطتي،وسألتهم وتقصّيت،فسمعت من أقوالهم،وعلمت من مظاهرهم ما يحزن ويؤسف[...]،فحملتني الشّفقة عليهم وعلى سمعة الجزائر على أن أكتب هذه الكلمة محذّرا من لم يقع،لكيلا يقع[...]،أمّا أن يفارق الشّاب الجزائري وطنه،وسِنُّه مرتفعة،وعقله فارغ من العلم وجَيبُه فارغ من المال،فهذه الحالة هي التي نحذِّر منها وننصح من لم يقع أن لا يقع فيها...».[1]

بعد أن وصف (الإبراهيمي)،حالة التّيه التي وصل إليها أولئك الشّباب،والتي تمثّل واقعًا حقيقيًا لا مفرَّ منه،وجَّه إليهم تحذيرًا ممزوجًا بالنّصيحة،بناءً على خبرته ومعرفته،بالقدرة التي تتطلّبها الهجرة في سبيل طلب العلم،والمستوى العلمي الذي ينبغي أن يهاجر من أجله،بالإضافة إلى معرفته بالأحوال الاجتماعيّة والاقتصاديّة التي كانت تعيشها مصر في تلك الفترة "سنة1953م".

ويظهر في الخطاب الذي وجّهه (الإبراهيمي)،إلى "الطّلبة المهاجرين إلى تونس"،كيف استعمل التّحذير المسبوق بالضّمير "إيّاكم"،في قوله:

«إنّ في تونس تيّارات مختلفة اقتضتها مقتضيات زمانيّة ومكانيّة خاصّة،فإيّاكم أن تنغمسوا فيها،أو تكونوا في جانب دون جانب».[2]

دلّ التّحذير بتوظيف الضّمير "إيّاكم"،على اهتمام خاص يوليه (الإبراهيمي)،لأولئك الطّلبة،وحرصه على منفعتهم بناءً على معرفته بالظّروف السّياسيّة السّائدة في تونس آنذاك "سنة 1947م".

3-4- استعمال الإغراء:

يُصَنَّف "الإغراء"، كآليّة لغويّة من آليّات الاستراتيجيّة التّوجيهيّة،لما يفيده من دلالات الإلزام،مثله في ذلك مثل: "الأمر،والنّهي،والتّحذير".

إذ يُعرَّف الإغراء بأنّه «إلزام المخَاطَبِ العُكوف على ما يُحمَدُ عليه»[3] ؛أي أنّه فعل توجيهي يقوم على إلزام المرسل إليه.

وتتنوّع نماذج توظيف هذه الآليّة اللغويّة في الخطاب التّوجيهي لدى (الإبراهيمي)،من خطاب لآخر،بحسب القضيّة المراد مناقشتها،وبحسب نوعيّة المتلقّي.

ولهذا يؤسّس (الإبراهيمي) خطابه المغرِي،بتركيزه على النتائج المحصَّلة من ورائها،بناءً على بعض المقوّمات التي يمتلكها الطّرف المغرَى،مثلما جاء في خطابه الذي ألقاه أمام "الوفود العربيّة والإسلاميّة" المشاركة في مؤتمر الأمم المتّحدة بباريس "سنة 1952م"،وفي ذلك قال:

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج04،ص.ص250-252.

[2] المصدر نفسه،ج03،ص205.

[3] أبو حيّان الأندلسي،ارتشاف الضّرب من لسان العرب،مرجع سبق ذكره،ص1478.

«إنّ القوم استضعفونا ففرّقونا فأكلونا لقمة لقمة،فأوجِدُوا هذا الشّعب الموحَّد تَحيَوا وتُحيُوا العالَم به،أوجِدُوه تَسعَدُوا وتُسعِدُوا العالَم به...إنّ العالم اليوم مريض،وإنّه يتلمَّس الشّفاء،فأروه أنّ في الإسلام شفاءه،وإنّه في خصام مُنهَك وإنّه يلتمس الحكم،فأحيوا الإسلام الصّحيح يكن حكمًا في مشكلة هذا العصر...مشكلة الغنى والفقر...تكتّلوا ففي استطاعتكم أن تتكتّلوا...تكتّلوا يمدّكم العصر بروحه...إنّه عصر التّكتّل».[1]

بعد أن شخّص (الإبراهيمي)،أسباب ضعف الأمم العربيّة والإسلاميّة،طرح توجيهاته في صيغة إغراء،ركّز من خلاله على ما في الوحدة من قوّة،ثم وصف العالم بأنّه مريض،وأنّ شفاءه في تحقيق الدِّين الإسلامي الصّحيح،ليصل في الأخير إلى نتيجة إغرائيّة في معانيها الظّاهرة،عند قوله:"تكتّلوا ففي استطاعتكم أن تتكتّلوا...تكتّلوا يمدّكم العصر بروحه...إنّه عصر التّكتّل"،معتمدا في ذلك،على ما يقدّمه الإغراء من التّرغيب والتّشويق[2]،والدّليل على ذلك،أنّه كرّر لفظ التّكتّل "04 مرّات".

وتعبّر هذه النّتيجة الإغرائيّة،عن مقصديّة إقناعيّة (حِجَاجِيّة)،يروم (الإبراهيمي) تحقيقها،وهي إقناع المرسل إليه المخصوص،بأنّ القوّة والعزّة في التّمسّك بالدِّين الإسلامي،بما أنّ معظم الحاضرين،ينتمون إلى تيّارات فكريّة بعيدة عن التّوجّه الإسلامي.

وفي نداء استغاثة وجّهه (الإبراهيمي) إلى الشّعب الجزائري بصفة عامّة،والشُعَب المحليّة لجمعيته بصفة خاصّة،على إثر حدوث فيضانات جارفة حلّت ببعض المناطق من الشّرق الجزائري،استند (الإبراهيمي) على معجم لغوي خاص يحمل من معاني الاستعطاف والإغراء الشّيء الكثير،ولهذا جاء نداؤه،كالآتي:

«وفي طليعة من نوجّه إليهم هذه الصَّرخة،شُعَب جمعيّة العلماء في جميع أنحاء القُطر،لأنّهم الممثّلون لجمعيّة العلماء وهي الهيئة الوحيدة التي تعبِّر عن شعور الأمّة تعبيرًا صحيحًا وتحسُّ بآلامها[...]،وواجبنا في مثل هذه المواقف أن نضرب المثل الأعلى للإحساس المشترك والشّعور الإنساني والقيام بما يقتضيه منّا الواجب الدِّيني والوطني،وبذلك نضرب الرّقم القياسي للأجيال الآتية بأنّنا أُنَاسٌ نشعُر بالمسؤوليّة ونتحمّل أعباءها مهما عظُمَت.

وبهذا نحمل الخصوم والأصدقاء على احترامنا والإعجاب بنا».[3]

بالرّغم من امتلاك (الإبراهيمي) لسلطة مؤسّساتيّة،على المرسل إليه المخصوص،إلّا أنّه تنازل عنها،من أجل أن يحقّق مقاصده من خطاب الاستغاثة،ولهذا تكلّم بالضّمير المتّصل "نا" المحيل على الجماعة،ليمرّر خطابه المغري،تحت تأثير سياق وجداني ونفسي خاص،بالاستناد إلى معجمين اثنين:

- الأوّل منهما،معجم وجداني،عند توظيفه لألفاظ،ذات شحنات دلاليّة عاطفيّة خاصّة،من قبيل:"شعور الأمّة،تحس بآلامها،الواجب،المثل الأعلى،الإحساس المشترك،الشعور الإنساني،الواجب الدِّيني والوطني".
- وأمّا الثاني،فهو معجم حماسي ومغري،بانتقائه لألفاظ،ذات شحنات دلاليّة حماسيّة ومغرية،في قوله:

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج02،ص471.

[2] ينظر:مصطفى الغلاييني،جامع الدّروس العربيّة،ج03،مرجع سبق ذكره،ص17.

[3] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج02،ص188.

"نضرب الرّقم القياسي...أناس نشعر بالمسؤوليّة...نتحمّل الأعباء مهما عظمت...نحمل الخصوم والأصدقاء على احترامنا والإعجاب بنا".

ومن بين صيغ الإغراء التي يمكن أن يوظِّفها (الإبراهيمي) في خطابه التّوجيهي،هو تكرار الشّيء المغرَى به ليعبِّر عن مدى قيمته،كما يجسّد نوعيّة علاقة المرسِل بالمرسَل إليه،بنصحه وبحُبِّ المنفعة والخير له،وبتشجيعه على العمل بالشّيء الذي أغراه به.

مثلما دلّ عليه خطابه الموجّه إلى الطّلبة الجزائريّين المهاجرين في سبيل العلم،قائلًا لهم:

«لا تعتَمدوا على حِفظ المتون وحدها،بل احفظوا كل ما يقوّي مادَّتكم اللغويّة،ويُنمِّي ثروتكم الفكريّة،ويُغذِّي ملَكَتكُم البيانيّة؛والقرآن القرآن! تعاهدوه بالحفظ وأحيوه بالتّلاوة،وربّوا ألسنتكم على الاستشهاد به في اللّغة والقواعد وعلى الاستشهاد به في الدِّين والأخلاق...».[1]

أو مثلما دلّ عليه خطابه،في سياق تداولي آخر،مع المرسل إليه ذاته،بقوله:

«العلم...العلم...أيّها الشّباب لا يُلهِيكُم عنه سمسار أحزاب،ينفخ في ميزاب،ولا داعية انتخاب،في المجامع صخَّاب ولا يلفتنكم عنه معلِّل بسراب،ولا حاوٍ بجراب،ولا عاوٍ في خراب...».[2]

كشف تكرير (الإبراهيمي)،لكلمتي "القرآن والعلم"،عن قيمتهما عنده أوّلا،ثم كشف عن المكانة التي يُولِيهَا لأولئك الطّلبة،بأن وجّه لهم نصائحه وفقَ آليّة "الإغراء"،بناءً على تجربته الشّخصيّة،وهو الذي أفنَى حياته في سبيل خدمة "القرآن والعلم" وأهلهما.

3-5- توظيف النّداء:

بما أنّ النّداء،هو «توجيه الدّعوة إلى المخاطَب،وتنبيهه للإصغاء،وسماع ما يريده المتكلِّم».[3]

لهذا يعدّ آليّة لغويّة مهمّة،من الآليّات اللغويّة التي يستخدمها الخطاب التّوجيهي؛حيث يعمد المرسل إلى توظيف "النّداء" عندما يودّ تنبيه المرسل إليه،وتهيئته لما سيذكره فيما بعد،وبالتّالي حمله على تنفيذ مختلف الأفعال التّوجيهيّة.

وتتنوّع صيغ النّداء في الخطاب التّوجيهي الإبراهيمي،بحسب تنوّع المعني بالنّداء،وبتنوّع القضيّة المراد توجيهها،فإذا كان المتلقّي،هو أي مسلم كان،حتمًا سيكون النّداء،وفقَ الصّيغة التالية:

«أيّها المسلمون:قبل أن تقيموا حفلات المولِد أقيموا معاني المولِد،وتدرّجوا من المولِد المحمّدي الذي هو مولِد رجل إلى البعثة المحمّديّة التي هي مولِد دِين نسَخَ الأديان لأنّه أكمل الأديان[...]،حاسبوا أنفسكم في كلّ عام من أين انتقلتم وإلى أين وصلتم،أشيعوا بينكم في هذه الذّكريات المحبَّة والأخوَّة والاتّحاد على الحقّ،واذكروا أنّ صاحب هذه الرّسالة بُعِثَ بالعزّة والكرامة والعِلم والقوّة،فكونوا أعزّة وكونوا أحرارًا وكونوا أقوياء،واعرفوا محمّدًا بدِينِه وقرآنه وسيرته لا بمولدِه

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج03،ص204.

[2] المصدر نفسه،ص316.

[3] عبّاس حسن،النّحو الوافي،مرجع سبق ذكره،ج04،ص01.

وأقيموا دِينه،ولا عليكم بعد ذلك أن تقيموا مولِدَه أو لا تقِيمُوه».[1]

أسفر هذا النّداء،عن مجموعة من الأفعال التّوجيهيّة "أوامر ونواهي"،جسّدت عدّة نصائح وإرشادات،من عالِمٍ دِيني إلى كل مسلم بسيط.

ومن بين السّياقات التّداوليّة،التي تستدعي توظيف النّداء في الخطاب التّوجيهي لدى (الإبراهيمي)،إذا كان قصده من التّوجيه،التّذكير والتّحذير،بأعمال سلبية يُحتَمَل أن يمارسها المرسل إليه،وتعتبر تلك الأعمال ذات خطورة في نظر (الإبراهيمي)،كما يتّضح في النّداء الذي وجّهه إلى قادة الأحزاب السّياسيّة في الجزائر،إبّان فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر،والذي قال فيه:

«يا قادة الأحزاب! إنّ في مبادئكم دسائس دخيلة من الأفكار،تؤرّث العداوة الحزبيّة بين الإخوة بحجَّة المحافظة على المبدإ،فانبذوها بضرورة الاتّحاد ومراعاة الظّروف،وادحضوا شبهتها بحجَّة الوطن الصّريحة،وإنّ في صفوفكم دسّاسين مدخولين من الرّجال لهم أغراض في المنافع والكراسي ولهم مقاصد في الإفساد،وإنّكم لتعرفونهم بسيماهم وتعرفونهم في لحن القول،فأخرجوهم من الصّفوف،ولا تسمعوا لهم كلمة ولا تطيعوا لهم رأيًا[...].

يا قادة الأحزاب!إنّكم مسؤولون أمام **الله** وأمام التّاريخ وأمام الوطن وأمام الأمّة،فاعرفوا قيمة هذه المسؤوليّة الثّقيلة واشتركوا في تحمّلها بإخلاص تخفُ ويخفُ عليكم ثقلها».[2]

بعد أن عبّرت صيغة النّداء،عن المعنيّين بالخطاب،أتبع (الإبراهيمي) نداءه،بمجموعة من الإخباريّات والأمريّات والنّواهي،مستعملًا في ذلك أيضا،أسلوب "التّناص"،في قوله:

"وإنّكم لتعرفونهم بسيماهم وتعرفونهم في لحن القول،فأخرجوهم من الصّفوف" ⟵ تناص مع قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ**﴾،[محمّد:30].

ثم كرّر صيغة النّداء ذاتها،ليذكّر أولئك القادة،بثقل المسؤوليّة المنوطة بهم؛وبأنّهم محاسبون عليها أمام **الله** (ﷻ) أوّلا،ثم أمام:التّاريخ،والوطن،والأمّة الجزائريّة.

وبهذا التّذكير،عوّض (الإبراهيمي) سلطته الغائبة في هذا النّداء،على المرسل إليه المخصوص،بما أنّه لا يملك عليه أيّة سلطة مؤسّساتيّة،سوى أنّها علاقة اجتماعيّة،ذات بُعد وطني،استدعتها طبيعة الشّخصيّة الإصلاحيّة التي يمتلكها (الإبراهيمي).

وتمثّل الخطبة الشّهيرة التي ألقاها (الإبراهيمي) في مسجد "كتشاوا" بالعاصمة الجزائريّة[*]،نموذجًا خطابيًا اعتمد على النّداء من أجل تمرير العديد من التّوجيهات بمختلف آليّاتها اللغويّة الأخرى،على غرار:الأوامر،والنّواهي،والتّحذير والتّذكير...إلخ،لتتّسم الخطبة،ككُل،بطابع الإخباريّات ثم تأتي بعدها التّوجيهات.

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج04،ص144.

[2] المصدر نفسه،ج03،ص.ص302-303.

[*] ألقى هذه الخطبة،بمناسبة افتتاح المسجد،بعد استقلال الجزائر،وقد حضرت الافتتاح،الإطارات السّامية للدّولة الجزائريّة المستقلّة،يوم الجمعة:05 جمادى الآخرة 1382هـ،الموافق لـ 02 نوفمبر1962م.

فسياق إنتاج الخطبة،ونوعيّة المرسل إليه الحاضر حضورًا عينيًا،أدّى إلى تنوّع صيغ النّداء في هذه الخطبة،وفي ذلك قال (الإبراهيمي):

«يا معشر الجزائريّين:إنّ الاستعمار كالشّيطان الذي قال فيه نبيّنا ﷺ:"إنّ الشّيطان قد يئِسَ أن يُعبَدَ في أرضكم هذه،ولكنّه رضِيَ أن يُطَاعَ فيما دون ذلك"،فهو قد خرج من أرضكم ولكنّه لم يخرج من مصالح أرضكم ولم يخرج من ألسنتكم،ولم يخرج من قلوب بعضكم،فلا تعاملوه إلا فيما اضطررتم إليه،وما أبيح للضّرورة يقدَّر بقدرها.

يا معشر الجزائريّين:إنّ الثورة قد تركت في جسم أمَّتكُم ندوبًا لا تندمل إلاَّ بعد عشرات السّنين،وتركت عشرات الآلاف من اليتامى والأيامى والمشوّهين الذين فقدوا العائل والكافل وآلة العمل،فاشملوهم بالرّعاية حتّى ينسى اليتيم مرارة اليُتم،وتنسى الأيمّ حرارة الثّكل،وينسى المشوّه أنّه عالة عليكم،وامسحوا على أحزانهم بيد العطف والحنان فإنّهم أبناؤكم وإخوانكم وعشيرتكم.

يا إخواني:إنّكم خارجون من ثورة التهمت الأخضر واليابس،وإنّكم اشتريتم حرّيتكم بالثّمن الغالي،وقدّمتم في سبيلها من الضّحايا ما لم يقدِّمه شَعب من شعوب الأرض قديمًا ولا حديثًا،وحُزتُم من إعجاب العالَم بكُم ما لم يحُزه شعب ثائر،فاحذروا أن يركبكم الغرور ويستنزلكم الشّيطان،فتشَوّهوا بسوء تدبيركم محاسن هذه الثّورة أو تَقضُوا على هذه السُّمعة العاطرة».[1]

تضمّن النّداء الأوّل،مجموعة من الإخباريّات،ذكَّر من خلالها (الإبراهيمي)،الحضور،بالحد الذي يُسمَحُ فيه بالتّعامل مع فرنسا،جرّاء ما اقترفته من جرائم في الجزائر.

وبناءً على ما يمتلكه (الإبراهيمي) من مرجعيّة خطابيّة دِينيّة،دعّم سلطته النّسبيّة الحاضرة أثناء إنتاج الخطاب -بصفته عالما دينيًا،صاحب دعوة إصلاحيّة- بسلطة النّص الدِّيني،التي تجسّدت في توظيف الحديث النّبوي الشّريف،والقاعدة الفقهيّة "ما أبيح للضّرورة يُقَدَّرُ بِقَدْرِهَا".[*]

وأمّا النّداء الثاني،فقد تضمّن،إخباريّات ثانية،أكّدت الأولى،ثم أتبعها بمجموعة من الأمريّات والإرشادات،في قوله: "...فاشملوهم بالرّعاية حتى ينسى اليتيم مرارة اليُتم...،وامسحوا على أحزانهم بيد العطف والحنان فإنّهم أبناؤكم وإخوانكم وعشيرتكم".

بينما تضمّن النّداء الثالث،تأكيدات على ما ذكره من إخباريّات في النّداءين الأوّل والثاني،ثم حذّر المخاطَبين بقوله:"فاحذروا أن يركبكم الغرور ويستنزلّكم الشّيطان،فتشَوّهوا بسوء تدبيركم محاسن هذه الثّورة أو تَقضُوا على هذه السُّمعة العاطرة"،مع ما في هذا التّحذير من تلميحات،لأشخاص بعينهم.

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج05،ص.ص307-308.

[*] رُوِيَ الحديث في سيرة (ابن هشام)،بأنّ النّبي (ﷺ)،قال:«أمّا بَعْدُ أيُّهَا النّاس،فإنّ الشّيطان قد يَئِسَ من أن يُعبَدَ بأرضكم هذه أبدًا ولكنّه إنْ يُطَعْ فيما سِوَى ذلك فقد رَضَى به ممّا تحقِرون من أعمَالكُم فاحذَرُوه على دِينِكُم»،ابن هشام،السِّيرَة النّبويّة،مرجع سبق ذكره ،ج04،ص248.وينظر شرح القاعدة الفقهيّة:محمّد مصطفى الزحيلي،القواعد الفقهيّة وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة،ج01،دار الفكر ،دمشق-سورية؛ط03:1430هـ/2009م،ص.ص281-285.

واقتضت بعض السّياقات التّداوليّة،أن صرّح (الإبراهيمي)،بأنّ نداءه موجَّه إلى مرسل إليه مخصوص،ليمرّر بعد ذلك توجيهاته،وهذا ما عبّر عنه في نداءه الموجّه إلى الطّلبة الجزائريّين المهاجرين في سبيل العلم،بقوله:

«**وأوجّه** النّداء إلى جميع أبنائنا المهاجرين إلى الشّرق العربي،أو إلى أطراف المغرب العربي،أو إلى أوربا،ثمّ أخصّص المهاجرين إلى تونس لأنّهم كثرة،ولأنّ في أحوالهم لغيرهم عبرة[...].

لا تعتمدوا على حِلَقِ الدّروس وحدها،واعتمدوا معها على حِلَقِ المذاكرة،إنّ المذاكرة لقاح العلم،فاشغلوا أوقاتكم حين تخرجون من الدّرس بالمذاكرة في ذلك الدّرس،إنّكم إن تفعلوا تنفتح لكم أبواب من العلم[...]،لا تقنعوا بالكتاب المقرّر،واقرأوا غيره من الكتب السّهلة المبسوطة في ذلك العلم[...]،وسينتهي الإصلاح الذي تقوم إدارات جامعاتنا إلى اختيار كتب سهلة ممتعة في كلّ علم،تفرض عليكم قراءتها ومطالعتها[...]،فوطّنوا أنفسكم على ذلك من الآن وروّضوها على اختيار النّافع المفيد من الكتب[...]،لا تقطعوا الفاضل من أوقاتكم في ذرع الأزقّة إلا بمقدار ما تستعيدون به النّشاط البدني...».[1]

لم يقُل (الإبراهيمي) "أرسل النّداء،أو أبعث النّداء..."،وإنّما قال:"وأوجّه النّداء"؛ممّا يعني -في نظرنا-بأنّه كان على دراية بمسلك خطابي يُعرَفُ بالمسلك التّوجيهي،والذي يُعَدُّ مسلكًا خطابيًا قائمًا بذاته،والذي أسميناه في بحثنا بـ "الاستراتيجيّة التّوجيهيّة".

كما عملت صيغة النّداء الخاصّة،على توجيه ذهن المرسل إليه المخصوص،إلى ما سيذكر من توجيهات،تنوّعت بين النّواهي والأوامر،اعتمد (الإبراهيمي) في توجيهها،على ما يكتسبه من سلطة ذات بُعد دِيني وعلمي،بصفته عالما إصلاحيًا،وبما له من خبرة شخصيّة في ميدان طلب العلم،أكثر من اعتماده على سلطته المؤسّساتيّة.

وبما أنّ الأصل في النّداء:هو «طلب الإجابة لأمر ما بحرف من حروف النّداء ينُوب مناب "أدعو"»[2] ،إلّا أنّ (الإبراهيمي) يوظّف في بعض السّياقات التّداوليّة الخاصّة،كلمة "أدعو"مباشرة دونما استعمال حرف من حروف النّداء ينوب عنها.

وهذا ما عبّر عنه خطابه الذي وجّهه إلى الشّعب الجزائري،من أجل المشاركة في اقتناء مطبعة خاصّة بجريدة "البصائر" حيث قال فيه،ما يلي:

«أنا- على بُعدِ الدّار- أدعو الأمّة الجزائريّة إلى القيام بهذا الواجب المشرِّف،وهو أن تنشِئ لـ"البصائر" مطبعة كاملة تتلاءم مع منزلة الجريدة في الجهاد،ومنزلة الأمّة في التّعاون وعرفان الواجب والقيام بالعظائم.

أدعو إلى اكتتاب عام يشترك فيه كل جزائري وجزائريّة لقضاء دَينٍ طال أمده في عنق كل جزائري وجزائريّة،وأن يبذل كل واحد منهم ما تسعه طاقته في هذا المشروع العظيم».[3]

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج03،ص.ص201-203.

[2] عبد الرّحمان حسن حبنّكة الميداني،البلاغة العربيّة،مرجع سبق ذكره،ج01،ص240.

[3] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج04،ص326.

لا شكّ أنّ غياب،سلطة مؤسّساتيّة (للإبراهيمي) على الشّعب الجزائري،والاعتماد على سلطته في بُعدها العلمي والدِّيني،وكذا أهمّية القضيّة المراد طرحها وتوجيهها،كلّها عوامل أثّرت على إنتاج النّداء بصيغة "أدعو" وتكريرها،للدّلالة على الطّلب والالتماس.

وخاصّة أنّه عمل على إثارة العاطفة والحماس،بانتقائه لألفاظ تنتمي إلى حقل دلالي يدل على ذلك،في قوله: "الواجب المشرّف،الجهاد،التّعاون،عرفان الواجب،القيام بالعظائم...إلخ".

3-6- استعمال الترجّي:

يندرج "الترجّي" ضمن آليّات الخطاب التّوجيهي،لما له من صيغ تعبيريّة،تؤدّي إلى توجيه المرسل إليه،بغية تحقيق فعل معيّن ترجّاه المرسل مسبقًا،وهو يعلم إمكانيّة حدوث ذلك.

لذا يعرَّف الترجّي،بأنّه «طلب أمر محبوب أو مرغوب فيه،مما يرى طالبه أنّه مطموع فيه،وهو يترقّب الظّفر به أو الحصول عليه»[1] ،وقد يتحقّق بأحد أدواته اللغويّة:"عسى،ولعلّ...إلخ"،أو يأتي مصرَّحًا به من طرف المترجّي.

وينوّع الخطاب التّوجيهي الإبراهيمي،بين الاستعمالين،بحسب خصوصيّة السّياق التّداولي،ونوعيّة العلاقة الاجتماعيّة التي تربطه بالمرسل إليه.

ويوضّح المقال الذي تحدّث فيه (الإبراهيمي)،عن كتاب بعنوان "المسلمون في جزيرة صقليّة"،من تأليف صديقه (أحمد توفيق المدَني)،كيف وظّف الأداة "عسى"،من أجل أن يوجّه عموم الباحثين،إلى أهمّية المباحث التّاريخيّة التي ناقشها الكتاب،قائلًا:

«وعسَى أن يكون كتاب الأستاذ المدَني حافزًا لهِمَمِ الباحثين حتّى يَصِلُوا ما انقطع من هذه المباحث المتعلّقة بامتداد الفتح الإسلامي إلى جزائر البحر الأبيض وضفافه الشّماليّة،فإنّ هذه المباحث أصبحت-لبُعدِنا عن زمانها-كالخرائب الدّفينة تحتاج إلى رفع الأتربة والأحجار قبل استجلاء الحقائق والأسرار».[2]

باستعمال الأداة "عسى"،قدّم (الإبراهيمي) طلبًا،والتماسًا وجّهه إلى عموم الباحثين،بأن يهتمّوا بالمباحث التاريخيّة التي ناقشها كتاب زميله (أحمد توفيق المدني)،وعليه أكّد هذا الاستعمال،على عدم امتلاك (الإبراهيمي) لسلطة مؤسّساتية،يوجّه بها مقترحاته إلى المرسل إليه سوى امتلاكه لسلطة اجتماعيّة ذات بُعد علمي.

وكما وظّف الأداة "عسى" على سبيل الطّلب والالتماس،نجده يصرّح بلفظ "أرجو"،للدّلالة على القصد ذاته،مثلما يظهر في رسالته التي وجّهها إلى رئيس هيئة الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر بالمملكة العربيّة السّعودية،يطالبه فيها بدعم الثورة الجزائريّة ماديًا،قائلًا له:

«لهذا أرجو من فضيلتكم أن تقوموا **لله** قومة يرضى عنها،فتحثّوا الأغنياء الذين فاتتهم فريضة الجهاد بالنّفس أن يجاهدوا بأموالهم،فإنّ الجهاد بالمال قرين الجهاد بالنّفس،ومُقَدَّم عليه في كلام **الله**[...]،أيّها الأخ الكريم،هذه هي رسالتي يحملها إلى فضيلتكم وفدُ جبهة التّحرير الجزائريّة[...]،فالرّجاء أن تأخذوا بيدِ الوفد المذكور وأن تكونوا عونه

---

[1] عبد الرّحمان حسن حبنّكة الميداني،البلاغة العربيّة،مرجع سبق ذكره،ج01،ص251.

[2] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج02،ص166. [كَذَا في الأصل]،يقصِد "الأحجار".

لدى المراجع الحكوميّة العليا،حتّى يقضيَ حاجته ويؤدّي مهمّته على أكمل وجه».[1]

دلّ قول (الإبراهيمي):"لهذا أرجو من فضيلتكم...،فالرّجاء أن تأخذوا بيد الوفد...إلخ"،على مدى الاحترام الذي يوليه للمرسل إليه المخصوص،كما عكس نوعيّة العلاقة الأخويّة والحميميّة التي تجمع بينهما،وهذا ما يظهر في قوله:"أيّها الأخ الكريم"،وبهذا الاستعمال حوّل معاني الاستعلاء التي يمكن أن تأتي بها الأمريّات الموظّفة: "تقوموا،فتحثّوا،تأخذوا،تكونوا"،إلى معاني الطّلب والالتماس.

ويمكن أن يستخدم (الإبراهيمي)،المسلك الخطابي ذاته؛حتّى في الخطابات الموجَّهة إلى مرسل إليه مخصوص،يمتلك عليه سلطة مؤسّساتيّة.

وهذا ما يظهر،في الدّعوة الرسميّة،التي وجّهها إلى كل من له علاقة بجمعيّة العلماء،من أجل أن يحضر حفل افتتاح مدرسة دار الحديث بتلمسان،وممّا قاله في هذا السّياق:

«...وقد وجِّهت الدّعوة إلى كل من عرفنا عنوانه من وُجَهَاء وأعيان القُطر،ونرجو ممّن لم تصله الدّعوة أو لم نعرف عنوانه أن يعتبر هذه الدّعوة المنشورة في البصائر،دعوة خاصّة.

ونرجو من جميعهم بكل تأكيد أن لا يقصِّروا في الحضور».[2]

بالرّغم من امتلاك (الإبراهيمي)،للسّلطة المؤسّساتيّة،التي تخوّل له توجيه دعوته في صيغة أوامر مباشرة،إلّا أنّه عدل عنها،باستعمال الفعل "نرجو" مكرّرًا.

3-7- توظيف الاستفهام:

يعرَّف "الاستفهام"،بأنّه «طلب الإفهام والإعلام لتحصيل فائدة علميّة مجهولة لدى المستَفهِم،وقد يراد بالاستفهام غير هذا المعنى الأصلي له،ويستدَلُّ على المعنى المراد بالقرائن القوليّة أو الحاليّة».[3]

كأن يطرح المرسل،سؤالًا استفهاميًا،يعبّر في معانيه الظّاهرة عن وجود استشكال،ولكن قصده توجيهي بحت؛أي أنّ القصد منه،ليس «أن يجيبه المرسل إليه بنعم أو لا،بل القصد أن يبلور الإجابة في عمل فعلي».[4]

وبهذا يغدو "الاستفهام"،أحد أنواع الآليّات اللغويّة المهمّة،التي يمكن أن يستثمرها أيّ مرسل في خطابه التّوجيهي.

وتتعدّد صيغ توظيف هذه الآليّة،في الخطاب التّوجيهي لدى (الإبراهيمي)،بحسب تغيّر السّياقات التّداوليّة،ووفقَ تغيّر نوعيّة العلاقة مع المرسل إليه،بالإضافة إلى تغيّر الموضوع الذي يناقشه الخطاب.

وبما أنّ أدوات "الاستفهام"،كثيرة ومتعدّدة،وأيضًا سياقات توظيفها في الاستراتيجيّة التّوجيهيّة لدى (الإبراهيمي) كثيرة ومتعدّدة،هي الأخرى،سنكتفِ بنموذج خطابي واحد،نكتشف من خلاله،كيفيّة توظيف هذه الآليّة في هذا النّوع من الاستراتيجيّات الخطابيّة لدى (الإبراهيمي).

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج05،ص225.

[2] المصدر نفسه،ج01،ص305.

[3] عبد الرّحمان حسن حبنّكة الميداني،البلاغة العربيّة،مرجع سبق ذكره،ج01،ص258.

[4] عبد الهادي بن ظافر الشّهري،استراتيجيّات الخطاب،مصدر سبق ذكره،ج02،ص.ص115-116.

كما يظهر في خطابه المرتَجل،الذي ألقاه في حفلة،كُرِّمَ فيها زميله (ابن باديس) بمناسبة ختمه لتفسير القرآن الكريم؛حيث ركّز (الإبراهيمي) على ما يقدِّمه القرآن من خدمة للإنسانيّة جمعاء،بقوله:

«إنّ العالَمَ في عذاب،وعندكم كنز الرّحمة؛وإنّ العالَمَ في احتراب،وعندكم منبع السِّلم؛وإنّ العالَمَ في غمّة من الشَّك وعندكم مشرق اليقين،فهل يجمل بكم أن تعطّلوه فلا تنتفعوا به ولا تنفعوا؟.

طبّقوا على أنفسكم جزئيّة واحدة من إصلاحاته كالزّكاة،واظهروا بها للعالم على صورتها العمليّة الكاملة[...].

أحيوا قرآنكم تحيوا به،حقّقوه يتحقّق وجُودكم به،أفيضوا من أسراره على سرائركم ومن آدابه على نفوسكم ومن حكمه على عقولكم تكونوا به أطبّاء ويكن بكم دواء».[1]

نلاحظ،كيف ركّز (الإبراهيمي)،على القرآن الكريم،وجعله موضوع خطابه،تماشيًا مع سياق المناسبة،كما أنّه طرح عدّة إخباريّات في شكل مقابلات،كشف من خلالها عن أكبر مقوِّم لسيادة العالم يمتلكه المرسل إليه المخصوص -بالطّبع مِلكيّة معنويّة-،ألا وهو القرآن الكريم،ثم قدَّم استفهامًا أتبَعَه بأوامر متعلّقة بشروط،ليصل في الأخير إلى نتيجة حتميّة مغرية،وهذا ما يوضّحه المخطّط التالي:

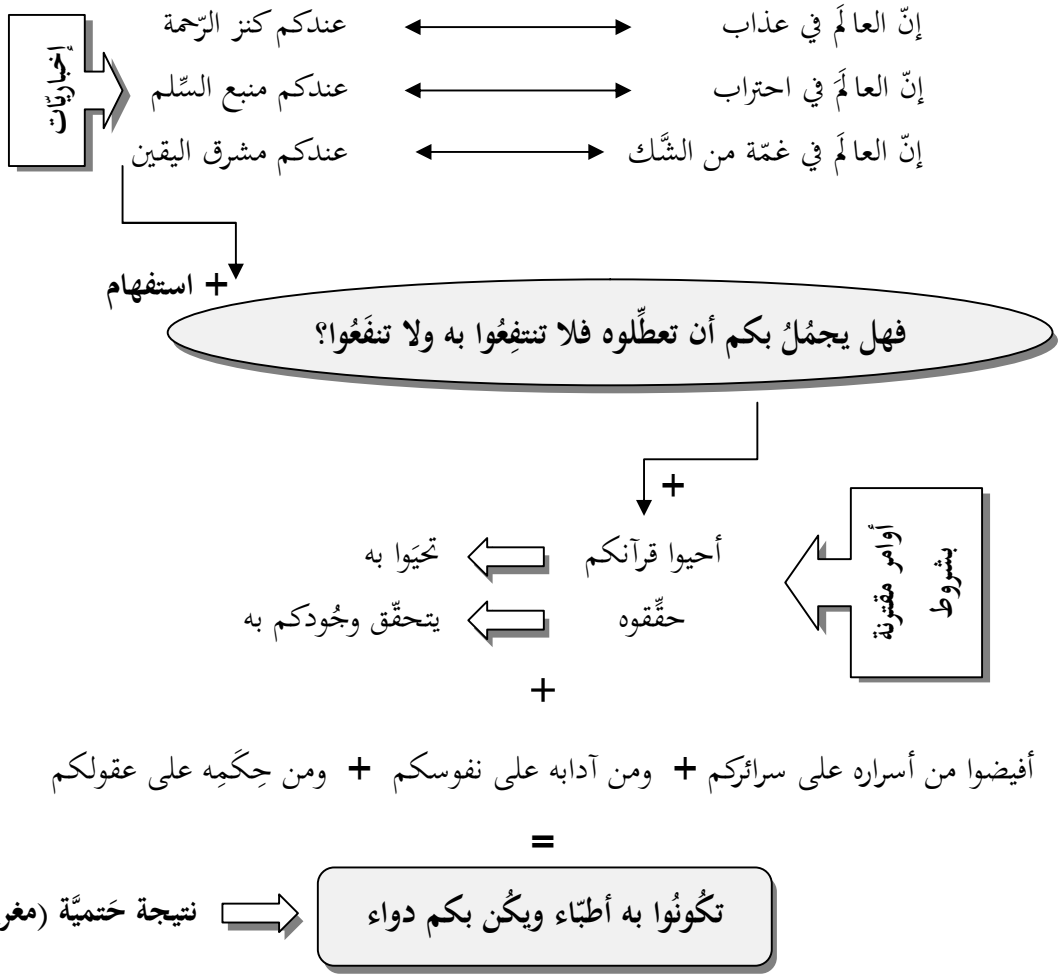

- مخطّط رقم16:يوضّح كيفيّة توظيف آليّة "الإستفهام01" في الخطاب التّوجيهي لدَى (الإبراهيمي)-

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج01،ص365.

وفي بعض السّياقات التّداوليّة الخاصّة،قد يطرح الاستفهام (الإبراهيمي) ثم يجيب عنه،مثلما دلّ عليه مقاله الموسوم بـ"الشّبّان والزّواج"؛حيث خاطب من خلاله،الشّباب الجزائري-في فترة الاحتلال الفرنسي- يحثّهم فيه على الزّواج،من أجل تحقيق عدّة منافع،حتّمتها ظروف الاحتلال التي تعيشها بلادهم،مناديًا إيّاهم،بقوله:

«أيّها الشبّان!إنّكم لا تخدمون وطنكم وأمّتكم بأشرف من أن تتزوّجوا،فيصبح لكم عِرضٌ تدافعون عنه؛وزوجات تُحامُون عنهن،وأولاد يوسعون الآمال،هنالك تتدرّبون على المسؤوليّات،وتشعرون بها،وتعظُم الحياة في أعينكم،وبذلك تزداد القوميّة قوّة في نفوسكم،إنّ الزوجة والأولاد حبال تربط الوطني بوطنه،وتزيد في إيمانه،وإنّ الإعراض عن الزّواج فرار من أعظم مسؤوليّة في الحياة،ولمن تُخدَمُ الأوطان؟ إذا لم يكن ذلك لحماية من على ظهرها من أولاد وحرم،ومن في بطنها من رفات ورمم،قد كان أجدادكم العرب يضعون نساءهم وذراريهم خلف ظهورهم في ساعة اللقاء لئلّا يفرّوا...،وهذا هو الحفاظ».[1]

بدأ الموجّه خطابه بنداء حصر من خلاله المعنيَّ بهذا الخطاب،وبلفت انتباهه لما سيقوله لاحقًا،وبإغرائه عن طريق طرح مجموعة من الإخباريّات،في صيغة نتائج أوّليّة،ليتبعها بعد ذلك،بعقد مقابلة بين من يُقبِل على الزّواج ومن يُعرِض عنه.

ثم طرح استفهامًا،جسّد بؤرة خطابه،كَكُل[*]،ولتكون إجابته وما تبعها من تذكير تمهيدًا لنتيجة نهائيّة (إغرائيّة) كلّ ذلك بالاعتماد على معجم لغوي خاص يحمل دلالات شاعت في تلك الفترة،ألا وهي:"الأوطان،الأمّة،الشّرف القوميّة...إلخ".

وهذا ما يوضّحه المخطّط التالي:

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج03،ص296.

[*] نقصد من توظيف مصطلح "بؤرة- Focus"،أهم كلمة أو جملة،تجسّد مقصديّة الخطاب،بوجه شامل.

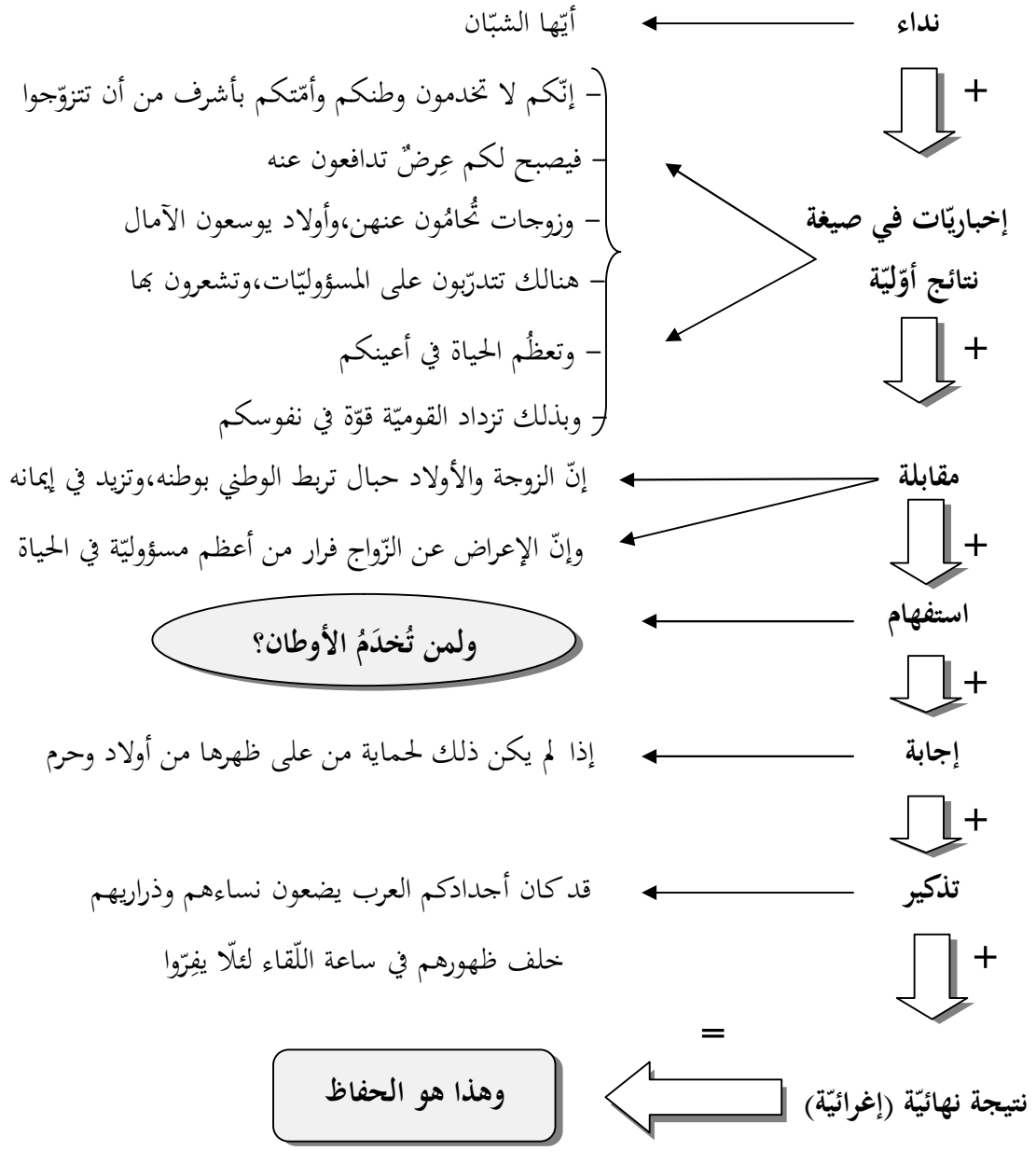

- مخطّط رقم17:يوضّح كيفيّة توظيف آليّة "الإستفهام02" في الخطاب التّوجيهي لدَى (الإبراهيمي)-

3-8- استعمال التّحضيض والعرض:

يمكن أن يستعمل المرسل،مجموعة من الحروف،ليدلّ بها على تحضيض المرسل إليه،ومن تلك الحروف: "هلّا،لولا،لوما،ألا...إلخ".

وكي تدلّ هذه الحروف "أو الأدوات" على التّحضيض،يُشتَرطُ فيها أن تدلّ على المستقبَل،وأمّا إذا عبّرت عن الماضي فإنّها تدلّ عندئذ،على التّلويم والتّوبيخ.

وهذا ما وضّحه (ابن يعيش)،في قوله:«ومعناها كلّها التّحضيض والحث وإذا وليهن المستقبَل كُنَّ تحضيضًا وإذا وليهن الماضي كُنَّ لومًا وتوبيخًا فيما تركه المخاطَب أو يقدر فيه التّرك».[1]

ولهذا يمكن لصاحب الخطاب التّوجيهي،أن يستعمل "التّحضيض"،باعتباره أحد آليّات الاستراتيجيّة التّوجيهيّة،لما يُحِيل عليه من توجيه للمرسل إليه،للعمل على فعل أو ترك أمر معيّن مستقبلًا،سواء قام به من قَبل أو لم يقُم به.

ولم يخلُ الخطاب التّوجيهي لدى (الإبراهيمي)،من استخدام هذه الآليّة،كما يتّضح،في رسالته التي وجّهها إلى مفتي المملكة العربيّة السّعودية،يعرِض عليه فيها،بأن يحُثَّ الشّعب السّعودي على دعم الثّورة الجزائرية بالمال،قائلًا: «أيّها الأخ الجليل،إنّ الثّورة الجزائرية تعدُّكم كفَّها الأحمى،وإنّ موقفًا منكم في سبيلها كالمدَد في وقت الحاجة إليه،فهلّا صيحة منكم تحرّك النّفوس الجامدة إلى البذل في سبيل **الله**،وتهزّ الهمم الخامدة فتتبارى في سوقٍ بضاعتها شرف الدّنيا وعزّ الآخرة[...]،أيّها الأخ،هذا عرض عرضته عليكم وأنتم تعلمون ما أكِنُّه لسماحتكم من التّقدير والاحترام والاعتراف بمكانتكم في الدّولة وفي الأمّة».[2]

يظهر من هذه الفقرة،أنّ (الإبراهيمي)،ضمّن رسالته الأداة "هلّا"،بناءً على علاقته الحميميّة بالمرسل إليه المخصوص،وبما يتمتّع به من سلطة مؤسّساتيّة واجتماعيّة معًا.

وبما أنّ العرض،هو «الطّلب برفق ولين،ويظهران-غالبًا- في صوت المتكلِّم،وفي اختيار كلمات رقيقة دالّة على الرّفق»[3]،نجد أنّ (الإبراهيمي)،قد حقّقه في هذه الفقرة،مناصفة مع التّحضيض،وهذا ما صرّح به،في قوله: "أيّها الأخ،هذا عرض عرضته عليكم...".

3-9- توظيف الوصيّة:

تتأسّس الوصيّة على «تنبيه الموصَى بمواجهة الآخر أو توقّع مواجهته،بمعنى أنّ المخاطَب قد يكون حاضرًا وقد يكون غائبًا،وهذا التّصوّر يستتبع نظامًا لغويًا قائمًا على خطابيّة إنشائيّة،تتوزّع بين نظام تقابلي:الأمر والنّهي (افعل لا تفعل)[...]،وبالتالي فإنّ من يقوم بالوصيّة هو من مارس العمل واحترفه حتّى استقام له واتّضحت له منافذه ومضايقه،إنّها نوع من نقل التّجربة إلى الآخر لاختصار الجهد والبلوغ إلى حالة التّمكّن والصّنعة».[4]

ومن خلال البُعد التّوجيهي،الذي تحقّقه "الوصيّة"،يمكن اعتبارها،كآليّة لغويّة مهمّة،من آليّات الاستراتيجيّة التّوجيهيّة.

وبما أنّ "الوصيّة"،«تتطلّب رد فعل عملي»[5] ،لذا يُشتَرطُ حضور السّلطة بمختلف أنواعها،لدى المرسل؛حتى يكون له الحقّ الكافي في توصية المرسل إليه.

---

[1] موفق الدّين بن علي بن يعيش،شرح المفصّل،ج08،الطّباعة المنيريّة،مصر؛د ط:د ت،ص144.

[2] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج05،ص223.

[3] عبّاس حسن،النّحو الوافي،مرجع سبق ذكره،ج04،ص369.

[4] عبد **الله** العشي،زحام الخطابات،مرجع سبق ذكره،ص149.

[5] المرجع نفسه،ص150.

ويتنوع توظيف آليّة "الوصيّة" في الخطاب التّوجيهي لدى (الإبراهيمي)،بحسب تنوّع سلطته المؤسّساتيّة أو الاجتماعيّة الحاضرة أثناء التلفّظ بالخطاب.

ومن أبرز خطابات الوصيّة التي وجّهها (الإبراهيمي) بصفته رئيسًا لجمعيّة العلماء،خطابه بمناسبة تجديد المجلس الإداري للجمعيّة؛حيث رأى أنّه لا بدَّ من توجيه بعض الوصايا والنّصائح والإرشادات التي هي من حقّ الموجَّه -أي المجلس الجديد- وليس من حقّه هو بصفته الرئيس،لتكون وصاياه جامعة شاملة تنير درب هذا المجلس من مُنطَلق علم وخبرة الموصِي؛حيث جاءت تلك الوصايا،وفقَ الأفعال الإعلانيّة التالية:

«...وحقيق عليَّ أن لا أختم كلامي حتى أتقدَّم بنصائح وإرشادات للمجلس الجديد،ولمن يأتي بعده،وأن عسى أن يجد فيها النّور والهداية،ويستفيد منها ما يستفيده الأواخر من تجاريب الأوائل.

أوصيه بتقوى **الله** فهي ملاك كل شيء،وأوصيه بالاعتماد عليه فهو ناصر المستضعَفين،وأوصيه بالصّبر فهو السّلاح الذي يفلُّ الأسلحة،وليقرِنه بالحقّ فقد قرَن **الله** بينهما-أوصيه بالصّبر على جفاء الإخوان وتجهّم الزّمان[...].

وأوصيه باستقبال الحوادث بالصّدر الرّحب والعزيمة الثّابتة المصمّمة،والحزم النّافذ الحاسم،فإنّ التردّد مزلّة قدم.

وأوصيه بالرويّة والرّأي والأنَاة في الحكم على الأشياء،فإنّ الارتجال مجلبة ندم.

وأوصيه بالمحافظة على هذه الجمعيّة فإنّها أمانة **الله** والأمّة عندنا فيجب أن تسلِّمها يدٌ قويّة وذمّة مؤتمنة إلى يدٍ أقوى وذمّة أكثر ائتمانًا.

وأوصيه بإتقان القديم وتصحيحه،قبل التّفكير في الجديد،فإنّ تشعّب الأعمال مضيَعَة لجميعها،وإنّ إصلاح الموجود خير وأجدى من السّعي للمفقود،وأوصيه بالانسجام فإن لا يكن طبيعيًا اكتسبه،وإن لا يكن موجودًا اجتلبه،وأوصيه بالتّضامن في السرّاء والضرّاء،والتّعاضد في الآراء والأعمال،فإنّ التّخاذل أوّل مراتب الخيبة.

وأوصيه بالصّدق في الحال وأن يكون ظاهره كباطنه فإنّ الأمّة تنظر إليه نظرة الإجلال،فليكن أهلًا لهذا الإجلال.

وأوصيه بأبنائنا المعلِّمين خيرًا فهم جند الجمعيّة وحرّاسها،وهم قوّة الجمعيّة وسلاحها[...].

وأوصيه بالشّباب فإنّهم ذخر الغد،وأمل الأبد،ورأس مال هذه الأمّة،فليُلابِسهم وليغرس فيهم حبّ دينهم ولغتهم ووطنهم وتاريخهم[...]،وأوصيه بالأمّة الجزائرية المسلِمة،فليكُن لها تكُن له».[1]

تدرّج (الإبراهيمي) بتوجيه وصاياه وفقَ أهميّة النّتيجة الحتميّة المتوخّاة من كل وصيّة،على شكل ثنائيّات متلازمة؛حينما بدأها بالتّوجيه إلى تقوى **الله** (ﷻ)،ليختتمها بتوصية خَير على الأمّة الجزائريّة المسلِمة.

وهذا ما يدلّ عليه المخطّط الآتي:

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج02،ص.ص444-445.

– مخطّط رقم18:يوضّح كيفيّة توظيف آليّة "الوصيّة" في الخطاب التّوجيهي لدَى (الإبراهيمي)–

ويكشف الخطاب التالي،كيفيّة توجيه (الإبراهيمي) لوصاياه،إلى مرسل إليه،له عليه سلطة اجتماعيّة،ذات بُعد علمي ومن منطلق تجاربه الشّخصيّة فقط.

وتُعَدُّ فئة الشّباب،من بين الأكثر الفئات التي يهتمّ بها (الإبراهيمي)،لهذا طالما وجّه إليها وصاياه،بدافع النّصيحة والتّحفيز وحبِّ المنفعة،مثلما تجسَّد في ندائه التالي:

«يا شباب الإسلام،وصيّتي إليكم أن تتّصلوا **بالله** تديّنا،وبنبيّكم اتباعًا،وبالإسلام عملًا وبتاريخ أجدادكم اطّلاعًا وبآداب دينكم تخلقًا،وبآداب لغتكم استعمالًا،وبإخوانكم في الإسلام ولداتكم في الشّبيبة اعتناءً واهتمامًا،فإن فعلتم حزتم من الحياة الحظّ الجليل،ومن ثواب **الله** الأجر الجزيل،وفاءت عليكم الدّنيا بظلّها الظّليل».[1]

دلّ هذا الخطاب على أنّ،وصايا (الإبراهيمي) مقرونة بالمحفّزات التي أوجبها حبّ المنفعة للشّباب المسلم.

ولا يقتصر توجيه الوصايا من (الإبراهيمي)،إلى مرسل إليه مخصوص،تمثّله مجموعة أشخاص؛بل يمكن أن يوجّه وصاياه إلى مرسل إليه مخصوص،يمثّله شخص واحد،تربطه به علاقة أستاذ بتلميذه،أو علاقة والد بولده.

ومن نماذج هذا التّوظيف في خطابات (الإبراهيمي)،خطاب الإجازة العلميّة،الذي أجاز من خلاله (محمّد الفاسي الفهري)،وممّا وصّاه به،قوله:

«وأوصي أخانَا الشّيخ محمّدًا الفاسي بما أوصي به نفسي،وبما أوصاني به مشائخي،بتقوى **الله** في السرّ والعلانية وبتقدير شرف العلم وتعظيم رجاله،مُدَرِّسًا أو رَاويًا،وبالدّعاء بالخير للعلماء الذين هم سبب ارتباط آخر هذه الأمّة بأوّلها».[2]

بعد أن قدّم (الإبراهيمي)،إجازته العلميّة،إلى من طلبها منه،وبناءً على العلاقة الحميميّة التي تربطه به،وبحسب الرّسالة الإصلاحيّة التي ورثها عن مشايخه،وجّه إليه مجموعة من الوصايا،بدأها بالفعل المضارع "أوصي"،ثم أعقب هذا الفعل،بالإحالة على شخصه للدّلالة على التّذكير والتّضامن،بقوله:"بما أوصي به نفسي"،وبعدها انتقل إلى دلالة الفعل الماضي "أوصاني" المتعلّق بالمشايخ،لتأكيد تذكيره وتضامنه.

وبنقل دلالة زمن فعل الوصاية،من تكرير المضارع إلى الماضي،أحال على علاقة الحاضر بالماضي،ثم بما يُنتَظَر من المرسل إليه المخصوص،من إنجاز في المستقبل.

3-10- التّوجيه بألفاظ وصيغ تعبيريّة خاصّة:

من الآليّات اللّغويّة التي يمكن أن يوظّفها المرسل في خطابه التّوجيهي،انتقاؤه لألفاظ وصيغ تعبيريّة خاصّة ويستعملها للتّدليل على التّوجيه:"كالنّصح،والاقتراح،الالتماس والمناشدة،والتّذكير،والحثّ،والإجازة...إلخ".

وإذا نظرنا في مدى توظيف هذه الآليّة اللّغويّة في الخطاب التّوجيهي لدى (الإبراهيمي)،نجدها تتباين في حضورها من خطاب لآخر،وفقَ عوامل عديدة تؤثّر على عمليّة الاختيار المعجمي،أوّلها نوعيّة سلطة طرفي الخطاب،وخصوصيّة العلاقة القائمة بينهما.

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج04،ص121.

[2] المصدر نفسه،ج05،ص312.

ولهذا تنوّعت الصّيغ اللغويّة،المعبّرة عن النّصائح في توجيهات (الإبراهيمي)،كما جاء في نصائحه الموجَّهَة إلى الأدباء والكتّاب النّاشئين الذين،يودّون نشر مقالاتهم في جريدة "البصائر"،وفي ذلك قال:

«ونصيحتنا إلى هؤلاء وإلى ناشئتنا الكاتبة أن ينظروا لأنفسهم وأن يعتمدوا عليها،وأن يُدمنوا القراءة لآثار فحول الكتّاب من قدماء ومحدَثين،وأن يحملوا أقلامهم على احتذائها بالتّدريج،وأن يتكثّروا بحفظ اللّغة الأدبيّة،ويتبصّروا في مواقع استعمالها في التّراكيب،وأن يكونوا عصاميّين في الأدب والكتابة».[1]

بعد أن رأى (الإبراهيمي)،بأنّ أولئك الكتّاب النّاشئة، لم يبلغوا بعدُ،المستوى المطلوب لتنشَرَ مقالاتهم في جريدة "البصائر"،وجّه إليهم عدّة نصائح،من منطلق تجربته الشّخصيّة وليس من منطلق سلطته،كرئيس تحرير الجريدة.

كما يمكن أن يوجّه (الإبراهيمي)،النّصيحة لمن هو أعلى منه سلطة اجتماعيّة،ورتبة وظيفيّة،مثلما تضمّنه تقريره الذي وجّهه إلى رئيس الحكومة الباكستانيّة،قائلًا فيه:

«يا صاحب الدّولة،

أرفع إليكم بيد الإخلاص،وبدافع النّصيحة التي أوجبها **الله** علينا لعامّة المسلمين ولأولياء أمورهم خاصّة،فقابلوه بما يجب له من الاهتمام والتّقدير».[2]

نلاحظ،كيف وظّف (الإبراهيمي) سلطته الاجتماعيّة،بصفته أحد علماء الدِّين الإسلامي،ليوجّه نصيحته إلى مرسل إليه مخصوص،أكثر منه سلطة اجتماعيّة ورتبة وظيفيّة.

وتعدُّ ألفاظ الاقتراح،من بين الألفاظ الخاصّة،المعبِّرة عن الخطاب التّوجيهي،عندما يوجّهها المرسل إلى من هو أعلى منه سلطة اجتماعيّة ورتبة وظيفيّة،كما يظهر جليًّا في البرقية التي وجّهها (الإبراهيمي) إلى ملك السّعودية،يناشده فيها دعم الثّورة التّحريريّة دبلوماسيًا،بقوله:

«نحن على يقين من أنّكم ما بدأتم إلا لتتمّوا،فاسمحوا لنا-يا صاحب الجلالة- أن نُلفِتَ نظر جلالتكم إلى أنّ من بين رجالات العرب رجُلَينِ متخصّصين في الإلمام التّام بشؤون الجزائر من جميع نواحيها مع الإخلاص والغَيرة والجراءة،ومع الصّدق في خدمة جلالتكم،وهما الأستاذ أحمد بك الشقيري والأستاذ عبد الرّحمان عزّام باشا،فإذا وافقَ نظركم السّامي على أن تكلّفوهما أو أحدهما بالاستعداد من الآن لمتابعة قضايا الجزائر والدّفاع عنها باسم جلالتكم كعَون وتعزيز لسفارتكم بواشنطن،إن رأيتم هذا ووافقتم عليه كنتم قد وضعتم القضيّة في يدِ مُحَامٍ بارع عالم بأدلّتها وبراهينها،محيط بجزئيّاتها وكليّاتها،ولكُم النّظر العالي في تفاصيل الموضوع وكيفيّاته».[3]

من خلال المعجم اللّغوي،الذي وظّفه (الإبراهيمي) في هذه الفقرة،من برقيته،يتّضح أنّه انتقى مجموعة من الألفاظ تدلّ على الاقتراح،أكثر من دلالتها على الالتماس والمناشدة،كقوله:"فاسمحوا لنا-يا صاحب الجلالة- أن نُلفِتَ نظر جلالتكم...إن رأيتم هذا ووافقتم عليه كنتم قد وضعتم القضيّة في يدِ مُحَامٍ بارع عالم بأدلّتها وبراهينها...إلخ".

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج02،ص295.

[2] المصدر نفسه،ج04،ص70.

[3] المصدر نفسه،ج05،ص.ص51-52.

وكما جاء الاقتراح موجَّها إلى سلطة أعلى من سلطة (الإبراهيمي)،يمكن أن يوجّه ألفاظ الالتماس والمناشدة،إلى مرسل إليه أقل منه سلطة مؤسّساتيّة.

وهذا ما عبّر عنه،خطابه الموجّه إلى المعلّمين الأحرار،في قوله:

«إنّ حاجتنا إليكم هي أن تنقذوا هذا الجيل النّاشئ من الأميّة التي ضربت بالشّلل على مواهب آبائهم،وكانت نقصًا لا يعوَّض في إنسانيّتهم،ثم كانت سببًا في كل ما يعانونه من بلاء وشقاء؛وأن تحبّبوا إليهم العربيّة،وتزيّنوها في قلوبهم وأن تطبعوهم على التّآخي والتّعاون على الخير...».[1]

خاطب (الإبراهيمي) المعلِّمين الأحرار،بمعجم لغوي يعبِّر عن الالتماس والمناشَدَة،بدل أن يكون خطابه سلطويًا بحتًا ليوحِي لنا عن مدى تواضعه لهم واحترام مهنتهم وما يقدِّمونه للأمّة الجزائرية،مع أنّه بإمكانه أن يخاطبهم بأوامر مباشرة دون استعمال عبارة "إنّ حاجتنا إليكم".

ومن بين الأساليب الدالّة على ألفاظ التّوجيه،استعمال صيغ التّذكير؛أي عندما يودّ المرسل أن يوجّه المرسل إليه إلى فعل شيء ما،فيخاطبه بتذكيره بما يجب عليه،سواء أعمِلَه من قبل،ويراه المرسل عملًا ناقصًا،أم لم يعمله قطّ.

ولهذا كثيرًا ما يعمَد (الإبراهيمي) إلى توظيف هذه الصّيغة التّعبيريّة في خطابه التّوجيهي،بناءً على علاقة مشتركة تجمعه بالمرسل إليه المخصوص.

كما دلّ عليه خطابه الذي وجَّهَه إلى الشّعوب العربيّة،يحثّهم فيه على دعم الثّورات التّحرّريّة في المغرب العربي قائلًا:

«يا أبناء العمومة:إنّ هذه الشّعوب الثّائرة في تونس والجزائر ومرّاكش،هم إخوانكم،وأجزاءٌ من جسمكم [...] فإذا ثاروا اليوم فإنّما يثورون لشرفٍ هو شرفكم،وكرامةٍ هي كرامتكم،فالآن وجَبَ حقّ الأخ على أخيه،من إسعافٍ يشدُّ العزيمة ونجدةٍ تقوّي الأمل،وإنّ عدوّهم هو عدوّكم، لم تجدوه دائمًا إلا في مواطن الخُذلَان لكُم،وجَلبِ الشّر إليكم وكفى بموقفه منكم في قضيّة فلسطين[...]،أنتم قادرون إن شاء **الله** على نجدة إخوانكم في موقفهم الفاصل،الذين هم فيه،وعارفون بوجوه النّجدة،ولا تحتاجون-بحمد **الله**- إلى من يعرِّفكم بواجب،أو يدلّكم على كيفيّة أدائه،وإنّما نحن مذكِّرون متألِّمون،وذكرى المتألِّم تنفع المؤمنين».[2]

ليذكِّر (الإبراهيمي)،الشّعوب العربيّة،بما يتوجّب عليها تجاه الثّورات التّحرّريّة المغاربيّة،وبأن لا تتّخذ الموقف ذاته كالذي اتّخذته مع القضيّة الفلسطينيّة،وظّف معجمًا دالًّا على التّضامن والعلاقة الحميميّة،في قوله:"يا أبناء العمومة إنّ هذه الشّعوب الثّائرة في تونس والجزائر ومرّاكش،هم إخوانكم،وأجزاءٌ من جسمكم...فالآن وجَبَ حقّ الأخ على أخيه...وإنّ عدوّهم هو عدوّكم...إلخ".

ثم وظّف معجمًا حماسيًا،دعّم به المعجم الأوّل،عند قوله:"الشّعوب الثّائرة...فإذا ثاروا اليوم فإنّما يثورون لشرف هو شرفكم،وكرامة هي كرامتكم...إسعاف يشدُّ العزيمة ونجدة تقوّي الأمل...إلخ".

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج03،ص268.

[2] المصدر نفسه،ج05،ص46.

إلى أن وصل،إلى التّصريح بأنّه تذكير،ينمُّ عن تألّم ومأساة،مستندًا في ذلك على الرّافد القرآني؛حينما استعمل أسلوب "التّناص"،في قوله:

"وإنّما نحن مذكِّرون متألِّمون،وذكرى المتألِّم تنفع المؤمنين" ⟵ تناص مع قوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾،[الذّاريات:55].

ليكون تذكيره،وفقَ هذا الاستعمال،توجيهيًا وإقناعيًا (حِجَاجِيًا) في الآن ذاته.

وتتعدّد السّياقات التّداوليّة الخاصّة،التي يوظّف فيها (الإبراهيمي)،صيغة التّذكير في بُعدها التّوجيهي،من أجل تحقيق مقاصد إقناعيّة (حِجَاجِيّة)،مع مرسل إليه مخصوص،يتمثّل في شخص واحد،وليس جماعة.

كما جاء في رسالته التي وجَّهها إلى صديقه (عمر بن حسن)،رئيس هيئة الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر بالمملكة العربيّة السّعودية،يذكّره فيها بما يتوجّب عليه،من دعم للثّورة الجزائريّة،قائلًا له:

«أذكّركم بإخوانكم المجاهدين في الجزائر الذين أحيوا في الزّمن الأخير فريضة عفا أثرها وانطمس رسمها في هذه العصور فنصرهم **الله** على ضعفهم وقلّة عَدَدِهم وعُدَدِهم وقوّة عدوّهم،وتأييد الطّواغيت له.

إنّ إخوانكم في **الله** وفي الإسلام والعروبة ما زالوا ثابتين كالجبال،ثبات رجال السّلف،وإنّهم إنّما يقاتلون قيامًا بواجب مفروض على جميع المسلمين،فبيِّنوا بما آتاكم **الله** وبما تملكون من وسائل لكل من يبلغه صوتكم،ما أوجبه **الله** على المسلم من عون أخيه المسلم بكل ما يملك».[1]

بناءً على المرجعيّة الدِّينيّة التي يمتلكها (الإبراهيمي)،وتأسيسًا على العلاقة المشتركة التي تجمع بين (الإبراهيمي) وصديقه،خاطبه بصيغة "أذكّركم" لتكون مقدّمة لمعجم لغوي خاص،يرتكز على إثارة العاطفة،وعلى مصطلحات شرعيّة يتقنها كل منهما،كما أنّها توحِي بالتّوجّه العقَدي الذي يتبنّاه كل منهما،ومن ذلك قوله:"فريضة الجهاد،رجال السّلف،واجب مفروض...إلخ.

وبهذا الاستعمال،حقّق بُعدًا توجيهيًّا ومقصديّة إقناعيّة (حِجَاجِيّة) معًا.

ويمكن لألفاظ الحثّ،أن تكون هي الأخرى،ضمن المعجم اللّغوي الدّال على التّوجيه،وبصفة خاصّة إذا استخدم الموجِّه الفعل"أحثّ"،فسيعطي بذلك قوّة توجيهيّة أكثر لخطابه.

وهذا ما نجده في الخطاب الذي وجّهه (الإبراهيمي)،إلى قرّاء كتاب **الله** (ﷻ)،قائلًا:

«إنّني أحثّ التّالين لكتاب **الله** من حفّاظه والمنصِتين له من المحافظين على سماعه منهم،على تدبّر الآيات الجامعة لقصص إبراهيم...».[2]

بتصريح المرسل،للفعل "أحثّ"،أعطى لخطابه بُعدًا توجيهيًا.

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج05،ص224.

[2] المصدر نفسه،ج01،ص397.

وتشمل أشكال التّعبير التي تنظِّم وتؤطّر علاقة المتكلّم بغيره،كلفظ الإجازة[1]،على توجيه المرسل إليه المخصوص بما يترتّب عنها من أفعال.

مثلما عبّر عنه خطاب الإجازة الذي قدّمه (الإبراهيمي) لـ (محمّد الفاسي)،بقوله:

«...وأجزته بكل ما حصّلته عن مشائخي في الشّرق والغرب رحمهم **الله** وجازاهم عنّي خيرًا،وقلت بعد حمد **الله** والاستعانة بحوله وقوّته:أجزتُ أخانَا الشّيخ محمّد الفاسي برواية كتب الحديث[...]،وكذلك أجزتُه بأن يرويَ عنّي جميع ما في الأثبات المعروفة من أمّهات الفقه والحديث...».[2]

دلّ تكرير الفعل الإعلاني "أجزت"،على بُعد توجيهي في هذا الخطاب.

3-11- استعمال ذكر العواقب:

للمرسل إمكانيّة استعمال أسلوب "ذكر العواقب"،باعتباره آليّة لغويّة من آليّات الاستراتيجيّة التّوجيهيّة،لما يقدِّمه من توجيه خطابي مباشر،يستند عليه المرسل لتمرير خطابه التّوجيهي.

ولهذا،نجد أنّ (الإبراهيمي)،يستثمر في هذه الآليّة،ويؤسّس عليها خطابه التّوجيهي؛حيث تختلف سياقات توظيفها بحسب القضيّة المتحدَّث عنها،ووفقَ نوعيّة سلطته وسلطة المرسل إليه،الحاضرة أثناء إنتاج الخطاب.

ولآليّة "ذكر العواقب"،صيغ تعبيريّة متعدّدة،كأن يطرح المرسل مجموعة من"الإخباريّات،والتّأكيدات،والأمريّات والتّنبيهات،والاستفهام...إلخ"؛كي يوجّه من خلالها ذهن المرسل إليه،إلى العواقب المحتلمة جرّاء التّقصير في واجب أو عمل ما،أو حتّى تبنّي فكرة ما،يرى المرسل بأنّ لها نتائج سلبية،تضر بمصلحتهما معًا.

كحالة بعض الجزائريّين الذين كانوا يرونَ في الاحتلال الفرنسي للجزائر،بأنّه كان يطبّق العدل،ولهذا وجب التّعاون معه حينها ردّ عليهم (الإبراهيمي) بخطابٍ توجيهي،مبيّنا لهم عواقب تبنّي هذه الفكرة،بقوله:

«ويحكم! إنّ هذا العارض الذي تُسَمُّونه الاستعمار ليس ذاتيًا في زمنكم،ولا هو من طبيعته،فإن تركتموه حتّى يُلبِس العصر الجديد لبُوسَه كان عونًا عليكم،إنّ الزّمان لا تُؤمَن غوائله وتقلّباته،أم أنتم في أمان من الزّمان؟!...

ويحكم! إنّ هذا الاستعمار الذي تؤيّدونه،وهذه الدّيمقراطيّة التي تنوُون إقرارها في العالَم،أو إقرار العالَم عليها،ضدّان لا يجتمعان؛فلماذا تغشُّون أنفسكم،وتغشُّون العالَم،وتكذبون على الحق؟.

ويحكم! أحيُوا العدل وانشروه،وأمِيتوا الاستعمار واقبروه،تكُن الأمَم كلّها معكم بقلوبها،وعقولها،وأبدانها،وأموالها وتأمنوا البوائق التي تخشون انفجارها،فإن لم تفعلوا فأيقِنوا أنّ كل ما تنفقونه من جهد ووقت ومال في تمكين الاستعمار ضائع،ولا الحمد مكسوبًا،ولا المال باقيًا،ثم ما يزال بكم هذا الغُول الذي تربّونه وتحتضنونه حتّى يُرديكم في هاوية».[3]

للوصول إلى عاقبة حتميّة نهائيّة،وهي أنّ "التّعاون مع الاستعمار يُردِي إلى الهاوية"،ناوَبَ المرسل بين مجموعة من

---

[1] ينظر:جورج إليا صرفاتي،عناصر لتحليل الخطاب؛تر:محمّد ساري،دار التّنوير-الجزائر؛ط01:2014م،ص44.

[2] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج05،ص.ص311-312.

[3] المصدر نفسه،ج03،ص373.

الصّيغ التّعبيريّة،على غِرار "التّنبيهات،والإخباريّات،والتّأكيدات،والأمريّات،وإدراج العاقبة الحتميّة...إلخ".

وهو ما يعبّر عنه المخطّط التالي:

– مخطّط رقم19:يوضّح كيفيّة توظيف آليّة "ذكر العواقب" في الخطاب التّوجيهي لدَى (الإبراهيمي)–

وبما أنّ آليّة "ذكر العواقب" «من الآليّات المباشرة،وبالتّالي الصّريحة»[1] ،فإنّها تحضُر في الخطاب التّوجيهي الإبراهيمي على هذا الأساس،مثلما دلّ عليه،خطابه الموجَّه إلى الشَّعب اللّيبي وحكومته،بسبب إقبالهم على توقيع معاهدة مع بريطانيا؛حيث ذكَّرهم بالعواقب التي سيحصدونها من وراء هذه المعاهدة،بقوله:

«أيّها الإخوان:قِفُوا كلّكُم صفًا واحدًا في طريق هذه المعاهدة المخسِرَة حتى تمزّقوها قبل أن تمزّقكم».[2]

يظهر من هذه الفقرة الخطابيّة،أنّ (الإبراهيمي) ذكر مباشرة،العاقبة الوخيمة،التي يمكن أن تلحق بالشّعب اللّيبي جرّاء تلك المعاهدة.

3-12- توظيف التّوجيه المركَّب:

يمكن للمرسل أن يجمع في خطابه التّوجيهي،بين آليّتين لغويتين أو أكثر،من آليّات الاستراتيجيّة التّوجيهيّة التي سبق لنا دراستها؛حيث تتكامل في ما بينها وتُقَدِّم كلّ آليّة منها لصاحبتها سندًا قويًا في البناء اللّغوي للخطاب التّوجيهي وفقَ ظروف سياقيّة معيّنة يُراعِيهَا صاحب التّوجيه؛حتى يكون اختياره لهذا التركيب محقِّقًا للمقاصد التي يرُومُها.

وكثيرًا ما يضمّن (الإبراهيمي) هذا المسلك التّوجيهي،الذي يجمع بين آليّات لغويّة توجيهيّة مختلفة،تحدّدها طبيعة القضيّة التي يريد مناقشتها مع الموجَّه إليه،ونوعيّة السّلطة التي يمتلكها كل منهما.

واقتضت الرّسالة الإصلاحيّة التي ناضل من أجلها (الإبراهيمي) في مراحل حياته العمليّة،أن يسلك هذا المسلك الخطابي التّوجيهي المعتمد على الجمع بين العديد من الآليّات اللغويّة التّوجيهيّة.

وهذا ما تجلّى في خطابه المعنوَن بـ"بلاغ إلى الأمّة العربيّة الجزائريّة"،والذي قال فيه:

«...يجب على الهيئات الدّاعية للانتخابات باسم الحزبيّة أن تجرّد دعايتها من السّب والقدح وجرح العواطف وإثارة الأحقاد[...]،وعلى القادة والمترشّحين أن لا يقولوا ولا يعملوا إلّا ما يُبقِي على الأخوَّة ويُعِين في المستقبل على جمع الكلمة،وعلى عقلاء الأمّة أن يلزموا أولئك الدّعاة عند حدود الاعتدال،ويفهموهم أنّ في مكافحة الاستعمار ما يستنفد أقوال القائلين وأعمال العاملين،وليعلموا جميعًا أنّ هذه النّقطة من أسس تربية الأمّة تربية رشيدة. يجب على الأحزاب التي تجعل رائدها مصلحة الوطن العليا أن تجري في الدّورة الثانية على قاعدة متبادلة وهي أن تسلّم الأقلّية منهم للأكثريّة وأن تعاونها على الفوز[...].

يجب على النّاخبين أن يقدّروا هذه الانتخابات حقّ قدرها،وأن لا يستخفوا بها،ولا يقاطعوها،وأن لا يتخلّف أحد عن الانتخاب،وأن لا يتأثّر بتهديد الإدارة وتخويفها وليعلم أنّ إعطاء ورقته شهادة للوطن أو عليه،فليعرف أين يضع ورقته ولمن يعطي شهادته،وأنّ المقاطعة وإعطاء الورقة لغير الرّجال العاملين هو تضييع لحقوق الوطن يعود عليه بأشأم العواقب.

يجب على الأمّة أن تميّز بين أصحاب المبادئ وأصحاب الأغراض والمنافع الشّخصيّة[...].

---

[1] عبد الهادي بن ظافر الشّهري،استراتيجيّات الخطاب،مصدر سبق ذكره،ج02،ص127.

[2] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج04،ص241.

يجب على الأمّة أن تحذر كلّ الحذر من المرشّحين المستقلّين[...].

عن المجلس الإداري

الرّئيس:محمد البشير الإبراهيمي».[1]

نوّع المرسل بين مختلف الآليّات اللغويّة،بحسب تناوب المعنيِّ بتوجيهاته؛حيث خصَّص لكل موجَّه آليّة لغويّة توجيهيّة معيَّنة بناءً على سلطته والمهام المنتظَرة منه،ليختتم حديثه بالكشف عن السّلطة التي خوّلت له توجيه هذا الخطاب.

وهذا ما يوضّحه المخطّط التالي:

أوامر بصيغة الوجوب،مع مقترحات موجَّهَة إلى المعني الأوّل

يجب على الهيئات الدّاعية للانتخابات باسم الحزبيّة،أن تجرّد دعايتها من السَّب والقدح وجرح العواطف وإثارة الأحقاد

\+

نواهي ومقترحات موجَّهَة إلى المعني الثاني

وعلى القادة والمترشِّحين أن لا يقولوا ولا يعملوا إلا ما يُبقي على الأخوّة ويُعِين في المستقبَل على جمع الكلمة

\+

أوامر ومقترحات موجَّهَة إلى المعني الثالث

وعلى عقلاء الأمّة أن يلزموا أولئك الدّعاة عند حدود الاعتدال ويفهموهم أنّ في مكافحة الاستعمار ما يستنفد أقوال القائلين وأعمال العاملين

\+

تأكيد موجَّه إلى جميع المعنيّين

وليعلموا جميعًا أنّ هذه النّقطة من أسس تربية الأمّة تربية رشيدة

(يُتبَع...)

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج02،ص.ص191-192.

+

أوامر بصيغة الوجوب،مع مقترحات موجَّهَة إلى المعني الرّابع

يجب على الأحزاب التي تجعل رائدها مصلحة الوطن العليا أن تجري في الدّورة الثانية على قاعدة متبادلة وهي أن تُسلِّم الأقلّية منهم للأكثريّة وأن تعاونها على الفوز

+

أوامر ونواهي بصيغة الوجوب،مع ذكر العواقب موجَّهَة إلى المعني الخامس

يجب على النّاخبين أن يقدّروا هذه الانتخابات حقّ قدرها وأن لا يستخفوا بها،ولا يقاطعوها وليعلَم أنّ إعطاء ورقته شهادة للوطن أو عليه،فليعرف أين يضع ورقته ولمن يعطي شهادته وأنّ المقاطعة وإعطاء الورقة لغير الرّجال العاملين هو تضييع لحقوق الوطن يعود عليه بأشأم العواقب

+

أوامر وتحذيرات بصيغة الوجوب،موجَّهَة إلى المعني السادس

يجب على الأمّة أن تميّز بين أصحاب المبادئ وأصحاب الأغراض والمنافع الشّخصيّة
يجب على الأمّة أن تحذَر كلّ الحذر من المرشّحين المستقلّين

=

تصريح بالسّلطة

عن المجلس الإداري،الرّئيس:محمّد البشير الإبراهيمي

– مخطّط رقم20:يوضّح كيفيّة توظيف آليّة "التّوجيه المركّب01" في الخطاب التّوجيهي لدَى (الإبراهيمي)–

وفي البيان الشّهير الذي وجّهه (الإبراهيمي) إلى الشّعب الجزائري،بمناسبة اندلا ع الثّورة التّحريريّة المباركة،ضمّنه مجموعة من الآليّات اللغويّة التّوجيهيّة،من أجل تحقيق مقصديّة إقناعيّة (حِجَاجِيّة)،تجسّدت في تحفيز الأمّة الجزائريّة كي تقوم قومَة رجل واحد،وتطرد الاحتلال الفرنسي.

وممّا قاله،في هذا البيان:

«أيّها الإخوة الجزائريّون:اذكروا غدر الاستعمار ومماطلته.

احتلّت فرنسا وطَنكُم منذ قرن وربع قرن،وشهِد لكُم التّاريخ،بأنّكم قاومتموها مقاومة الأبطال،وثُرتُم عليها مجتمعين ومتفرّقين،نصف هذه المدّة،فما رعَت في حربها لكم دينًا ولا عهدًا،ولا قانونًا ولا إنسانيةً [...]،ثم حاربتم معها وفي صفّها،وفي سبيل بقائها نصف هذه المدّة،ففتحت بأبنائكم الأوطان وقهرت بهم أعداءها،ورحمت بهم وطنها الأصلي،فما رعت لكم جميلاً [...].

أيّها الإخوة المسلمون:

إنّ التّراجع معناه الفناء[...]،أخلصوا العمل واخلصوا بصائركم في **الله** واذكروا دائمًا وفي جميع أعمالكم،ما دعاكم إليه القرآن،من الصّبر في سبيل الحق،ومن بذل المهج والأموال في سبيل الدِّين،واذكروا قبل ذلك كلّه قول **الله** ﴿**وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾،[التّوبة:41]وقول **الله**:﴿**كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾،[البقرة:249].

أيّها الإخوة الأحرار:

هلمّوا إلى الكفاح المسلَّح».[1]

بما أنّ البيان،يصدر عن منطق الثّورة،ممّا يدفع بمرسله إلى توظيف كل آليّات الخطاب المؤثّرة فكريًا وبيانيًا ووجدانيًا.[2]

وهذا ما عمل عليه (الإبراهيمي)،عند توجيه بيانه؛حيث جمع بين عدّة آليّات لغويّة:"كالنّداء،والتّذكير،والأوامر والتّذكير بالعواقب"،تناوبت وتباينت في قوّتها التّوجيهيّة عبر مراحل فقرات البيان،كما دعّمها بانتقاء بمعجم لغوي تضامني عاطفي من أجل التّأثير في المتلقّي العام،وبالتالي حمله على الإذعان والإنجاز فورًا؛لأنّ القضيّة لا تحتمل التّأجيل.

وإجمالًا،يمكن أن نلخّص المسلك التّوجيهي،وما جاء فيه من آليّات لغويّة،وفقَ المخطّط الآتي:

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج05،ص.ص33-36. ونشير بأنّ هذا النّداء،أُرسِلَ عن مكتب جمعيّة العلماء الجزائريّين بالقاهرة،بتاريخ"15نوفمبر1954م"؛ينظر:الفضيل الورتلاني،الجزائر الثّائرة،مرجع سبق ذكره،ص.ص174-178.

[2] ينظر:عبد **الله** العشي،زحام الخطابات،مرجع سبق ذكره،ص18.

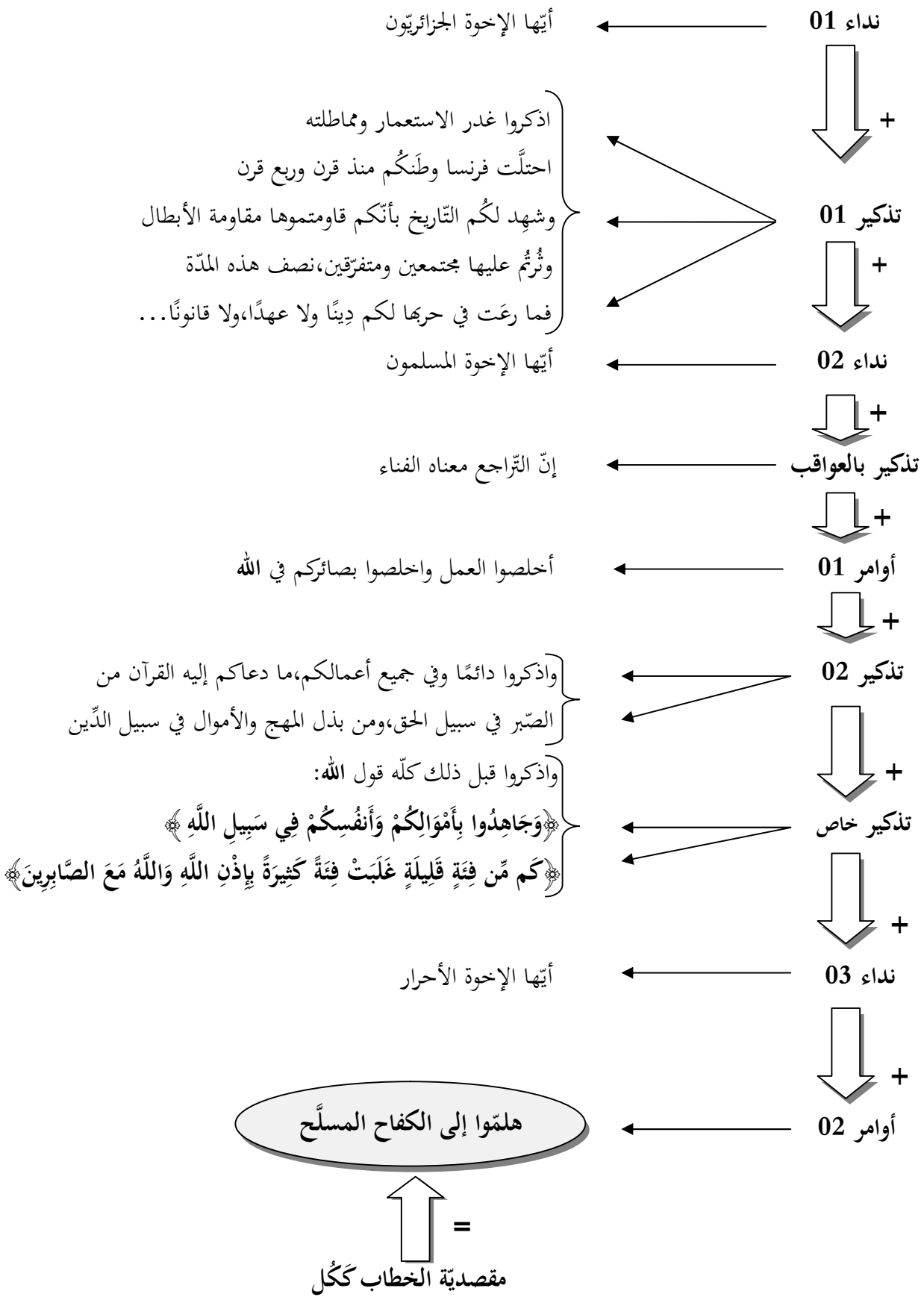

– مخطّط رقم21:يوضّح كيفيّة توظيف آليّة "التّوجيه المركّب02" في الخطاب التّوجيهي لدَى (الإبراهيمي)–

الفصل الرّابع

الإِستراتيجيّة التّلميحيّة في خطاب (الإبراهيمي)

– الفصل الرّابع: الإستراتيجيّة التّلميحيّة في خطاب (الإبراهيمي).

1– مفهوم "الاستراتيجيّة التّلميحيّة– The hint Strategy":

ينقسم أيُّ خطاب من حيث دلالته،إلى نوعين اثنين:إمّا أنّه خطاب مكشوف وواضح،وإمّا أنّه خطاب خَفِيّ مُلتَبِس يحتَمِل أكثر من قراءة وتأويل من المتلقّي،ويكمُن المعيار الفاصل بين هذين النّوعين في طبيعة المستوي الدّلالي الذي يتبنّاه أيّ منهما؛إذ ينقسم هو الآخر إلى دلالتين:دلالة صريحة ودلالة ضمنيّة.

فالدّلالة الصّريحة "أو دلالة المنطوق"،تُطلَقُ على المعنى المستَخلَص من صيغة العبارة وفقًا للعُرف اللّغوي؛أي أنّ الدّلالة الصّريحة هي معنى العبارة "الحرفي"،وأمّا الدّلالة الضمنيّة،فهي الدّلالة التي لا تُستَخلصُ من صيغة العبارة وفقًا للعُرف اللّغوي،وهي ثلاثة أنواع:"دلالة مفهوم"و"دلالة اقتضاء" و"دلالة إيماء":[1]

أ– دلالة المفهوم هي الدّلالة التي يمكن أن تُستَنتَجَ عن طريق الاستدلال من المعنى الحرفي للعبارة.

وهي نوعان:"دلالة موافقة" و"دلالة مخالفة".

1– يكون المفهوم "مفهوم موافقة"،حين لا يتعارض مع دلالة المنطوق.

2– ويكون "مفهوم مخالفة"،حين يتعارض المعنى المستنبَط مع دلالة المنطوق.

ب– "دلالة الاقتضاء" مفهوم منطقي مرتبط بمفهوم الصّدق/الكذب،تشكّل دلالة الاقتضاء أساس الحُكم على العبارة بالصّدق أو الكذب.

ج– تشترك دلالة المفهوم بشقّيها الموافِق والمخالِف ودلالة الاقتضاء في كونهما دلالتين مقصودتين بخلاف "دلالة الإيماء"،التي تُستَنتَج من معنى العبارة ذاتها دون أن يكون المتكلِّم يعنيها أو يُرومُ تمريرها.

ويفهَمُ من هذا الكلام؛أنّه للمرسل خيارات كثيرة تحتكم إلى السّياق،يعبّر من خلالها عن مقاصده بتوظيف ألفاظ أو تراكيب ذات معانٍ "حرفيّة"،أو"ضمنيّة"،ولكل خيار منها أدواته اللغويّة وشبه المنطقيّة ذات البُعد التّداولي.

وإذا تمعنّا في أنواع القوّة الإنجازيّة التي يمكن أن تواكِبَ العبارات اللغويّة عمومًا،نجد أنّها «قوّتان:

(أ) "قوّة إنجازيّة حَرفيَّة".

(ب) و"قوّة إنجازيّة مُستَلزَمَة".

ويميّز،عادة،بين هاتين القوّتين على أساس أنّ القوّة الأولى مدلول عليها بطريقة مباشرة بصيغة العبارة في حين أنّ القوّة الثانية تتولَّد عن الأولى طبقًا لمقتضيات مقامات معيَّنة».[2]

ونستنتج من ذلك،أنّه بإمكان اللغة الطّبيعيّة أن تُتِيحَ للمتكلِّم خيارين اثنين،يمكنه أن يتّبعهما لإنتاج خطابه؛أوّلهما مباشر،يعتمد الصّيغ اللغويّة الصّريحة،والثاني غير مباشر،يعتمد لغة التّلميح،كلّ ذلك وفقًا للظّروف المحيطة بذلك

---

[1] ينظر:أحمد المتوكّل،المنحى الوظيفي في الفكر اللّغوي العربي"الأصول والامتداد"،دار الأمان،الرّباط–المغرب؛ط1427:01هـ /2006م،ص.ص193–195.

[2] أحمد المتوكّل،آفاق جديدة في نظريّة النّحو الوظيفي،منشورات كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة،سلسلة بحوث ودراسات رقم05، جامعة محمّد الخامس،الرّباط–المغرب؛ط1993:01م،ص21.

الإنتاج وبحسب سلطة كل من المرسل والمرسل إليه،بالإضافة إلى موضوع الخطاب،ودون أن ننسَى العامل الأساس ألا وهو مقصديّة الخطاب بصفة عامّة.

وما يهمّنا في هذا المبحث،هو الحديث عن الخيار الثاني والذي يُعرَفُ في الدّرس التّداولي المعاصر بالاستراتيجيّة التّلميحيّة؛إذ تعرَّف بأنّها:«الاستراتيجيّة التي يعبِّر بها المرسل عن القصد بما يغاير معنى الخطاب الحرفي».[1]

2- دواعي استثمار الاستراتيجيّة التّلميحيّة:

إنّ اختيار المرسل للاستراتيجيّة التّلميحيّة،من أجل أن يبلّغ بها مقاصده الخطابيّة،هو في الأصل نابع من الاستجابة لدواعٍ معيَّنة،يمكن أن نصُوغهَا في النّقاط التّالية:

1- «عدم مواجهة المخاطَبِين بما يُرادُ إعلامهم به لدواعٍ تربويّة،أو لدواعٍ نفسيّة،كعدم المواجهة بالتّكليف،وعدم المواجهة بالنّقد،وعدم المواجهة بالعتاب،وعدم المواجهة بالتّلويم،وغير ذلك.

2- إرضاء نفس من يخاطَب به،إذ يشعُر بأنّه مُحترَم مقدَّر من قبل من يخاطِبه،فهو في نظره من مستوى الأذكياء وكبراء القوم الذين يخاطَبون بإشارات الكلام وكناياته،ولا يحتاجون إلى صريح القول.

3- إخفاء المراد على جمهور المستمعين،وإشعار المخاطَب وحده بالرّمز،لأغراض سياسيّة،أو عسكريّة أو تربويّة أو نحوها [...].

4- التّوصّل عن طريق اللّوازم العقليّة إلى معانٍ قد لا يكون لها ألفاظ تدلّ عليها دلالة مباشرة.

5- تزيين الكلام ليكون أكثر تأثيرًا في نفوس المخاطَبين.

6- وقد يكون الأسلوب غير المباشر مقربًّا للفكرة الغامضة،أو مقدِّمًا لها مقترنة بحُجَّتها المقنعة بها».[2]

بالإضافة إلى هذه الدّواعي،توجد مجموعة أخرى من الدّواعي التي تخوِّل للمرسل بأن يستعمل التّلميح:[3]

7- كالتأدّب في الخطاب.

8- إعلاء المرسل لذاته على حساب الآخرين وإضفاء التفوّق عليها؛بذكر معايبهم أو الانتقاص من أقدارهم مثلًا.

9- رغبة المرسل،أحيانًا في التّملّص والتّهرّب من مسؤوليّة الخطاب،وذلك بجعل الخطاب يحتمل أكثر من تأويل.

10- الاستغناء عن إنتاج عدد من الخطابات والاكتفاء بإنتاج خطاب واحد؛ليؤدّي معنَيَين هما المعنى الحرفي والمعنى المستلزَم في الآن نفسه.

---

[1] عبد الهادي بن ظافر الشّهري،استراتيجيّات الخطاب،مصدر سبق ذكره،ج02،ص136.

[2] عبد الرّحمان حسن حبنّكة الميداني،البلاغة العربيّة،مرجع سبق ذكره،ج01،ص.ص45-46.

[3] ينظر:عبد الهادي بن ظافر الشّهري،استراتيجيّات الخطاب،مصدر سبق ذكره،ج02،ص.ص137-139.

وبمراعاة هذه الدّواعي من المرسل،له أن يعبِّر عن المعنى المدلول بالتّلميح،وفقَ التّدرّج التالي:

(أ)– «إمّا أن يكون معنًى قريب التّناول لا يحتاج إلى متابعة لوازم عقليّة متعدّدة[...].

(ب)– وإمّا أن يكون معنًى متوسّط البُعد،يدركه الذّهن دون تأمّل عميق،وينتقل مع لوازم منطوق اللّفظ إليه بغير مشقّة فكريّة[...].

(ج)– وإمّا أن يكون معنًى بعيدًا،بسبب كثرة لوازمه العقليّة،أو بسبب أنّ هذه اللوازم تحتاج إلى تعمُّق في التّفكير حتى يدركها الذّهن،وغالبًا لا يدركها إلّا الأذكياء والعلماء[...].

(د)– وإمّا أن يكون معنًى يُلمَّحُ لمحًا[...]،ويتطلّب إدراكه حسًّا مُرهفًا،وممارسة لإدراك مشاعر النّفوس من وراء تعبيرات اللّسان».[1]

وبعدَ حضور إحدى هذه الدّواعي أو جلّها،لابدَّ أن يستعمل المرسل مجموعة من الآليّات اللغويّة وشبه المنطقيّة في استراتيجيَّته التّلميحيّة،لخّصناها في المخطّط التالي:

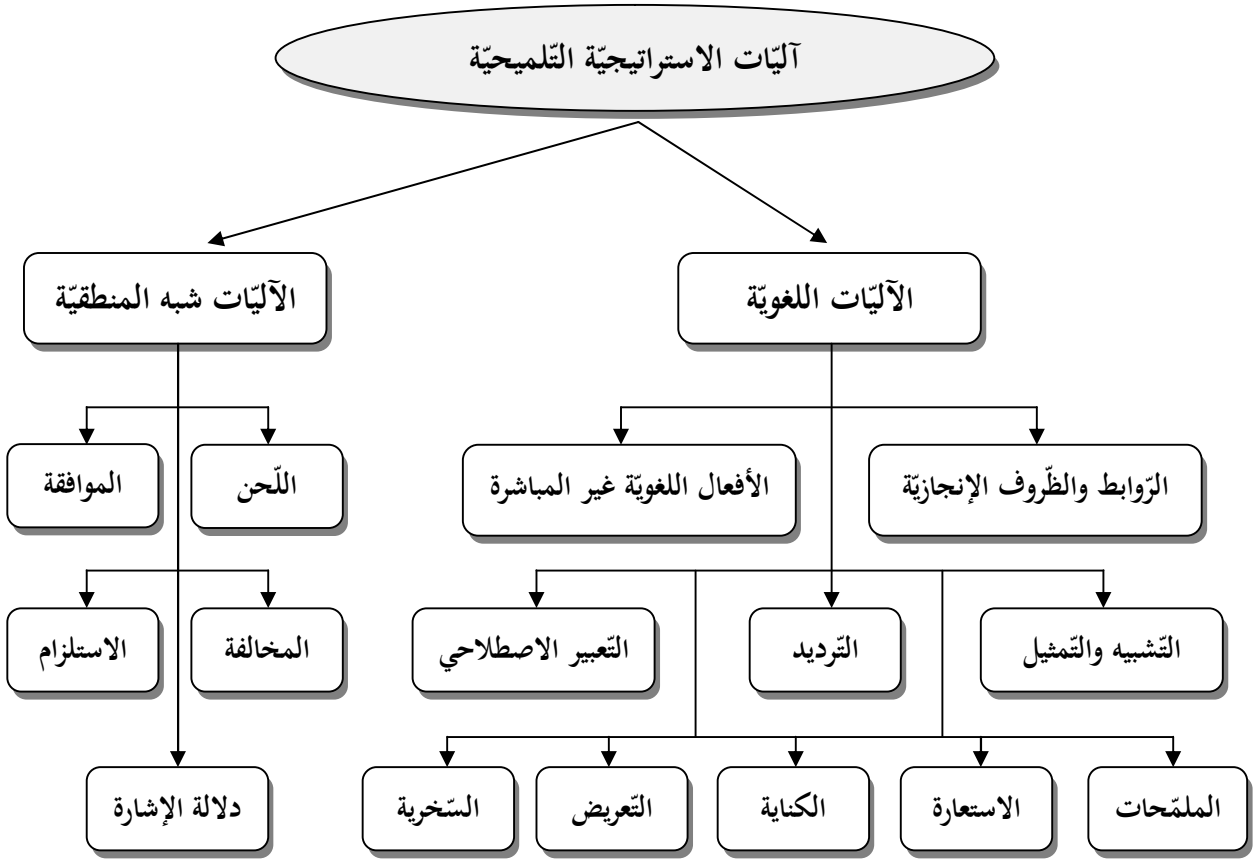

– مخطّط رقم22:يوضّح أهم الآليّات اللغويّة وشبه المنطقيّة المستَخدَمَة في الاستراتيجيّة التّلميحيّة –

وقبل اكتشاف مدى حضور هذه الآليّات في الخطاب التّلميحي لدى (الإبراهيمي)،نطرح التّساؤل التّالي:

ما هي أهم الآليّات اللغويّة وشبه المنطقيّة التي تمّ توظيفها في الخطاب التّلميحي الإبراهيمي؟.

---

[1] عبد الرّحمان حسن حبنّكة الميداني،البلاغة العربيّة،مرجع سبق ذكره،ج01،ص.ص47-49.

3- الآليّات اللّغويّة وشبه المنطقيّة في الخطاب التّلميحي لدَى (الإبراهيمي):

3-أ- الآليّات اللّغويّة:

3-أ-1- توظيف أسماء الكناية والرّوابط والظّروف الإنجازيّة:

لأسماء الكناية وظائف تلميحيّة متعدّدة،يمكن أن يستند إليها المرسل في إنتاج خطابه التّلميحي؛من حيث هي «ألفاظ مُبهَمَة يُكَنَّى بها عن مُبهَم من عدد أو حديث أو فعل:وهي"كَمْ وكَذَا وكَأيِّن وكَيتَ وذَيتَ"».[1]

فالأداة "كَم" هي من الأدوات التي استعملها الخطاب التّلميحي الإبراهيمي،على وجهين:الأوّل منهما في صيغتها الخبريّة،التي تدلّ على العدد الكثير وعلى سبيل الإخبار،مثلما ضمّنه (الإبراهيمي) من معانٍ في خِضَمِّ حديثه عن خصوم "جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين"،بعد مُضِيِّ خمسة أعوام من تأسيسها:

«مضَت على جمعيّة العلماء خمسة أعوام وهي تدعو إلى الحق والفضيلة[...]،وكم أقام خصومها حولها من ضجيج وكم نَصَبُوا في طريقها من عراقيل،وكم بثُّوا لها من مكائد،وما نقَمُوا منها إلا أنّها تدعو إلى الفضيلة».[2]

يُفهَمُ من هذا الخطاب؛أنّ المرسل أراد أن ينبّه المرسل إليه بما فعله خصمهما معًا،وبما يجب عليه أن يدركه مُستَقبَلًا وبأن يضاعِفَ من أعماله أكثر فأكثر.

وأمّا الوجه الثاني،فهو دلالتها على الاستفهام الذي يُكنَّى به عن عدد مُبهَم يُراد تحديده؛حيث يظهر هذا النّوع من الاستعمال في الخطاب التّلميحي لدى (الإبراهيمي)،في أرجوزته المعنوَنَة بـ"تساؤل نفس"،والتي أرسلها من منفاه إلى أحد تلامذته بعد أشهر قليلة من وفاة (ابن باديس)،لتأتي البنية اللغويّة للأرجوزة في صيغة سؤال وجواب،يخاطب من خلالهما المرسل نفسه،وكأنّها شخص أمامه ويبثّ له أحزانه وأشجانه:

«سُؤَال:أَيْنَ لَيْثٌ كَانَ بِالأَمْسِ هُنَا ... خَادِرًا قَدْ مَلأَ الدُّنيَا زَئِيرَ

أغلبًا في لبدَتَيْنِ ارتَهَنَا ... عَنْ عَرِين الدِّين يَرمِي ويُجِيرُ

مَا وَنَى عَنْ فُرصَةٍ أَوْ وَهَنَا ... هَلْ رأَيتَ المخذَمَ العضبَ الطَرِيرَ

جَواب:هَجَرَ الغِيلَ وَأَسْرَى مُوهِنًا ... وَالحِمَى أَصْبَحَ نَهبًا لِلمُغِيرِ

سُؤَال:أَيْنَ مِنَّا اليَومَ- يَا أُخْتَ- الرَّئِيسِ ... كَمْ بِهِ قَدْ رفَعَ القَومُ الرُّؤُوسَ».[3]

وتعدّ الأداة "كذا"،من بين أسماء الكناية التي يوظّفها (الإبراهيمي)،ليلمّح بها عن كلام يعرفه المخاطَب مسبقًا.

كما يظهر في النّموذج الخطابي التالي:

«فَهُم يقولون لو سكتَ لنا المصلحون في كذَا وكذَا لسلّمنا لهم الباقي أو- على الأقل- لم تكن منَّا هذه الطِيرة وهذا التألّب وهذه القضيّة،ونحن نعلم أنّنا لو تساهلنا معهم وجاريناهم على الظّاهر من قولهم فسكتنا لهم عن هذا (الكذَا)

---

[1] مصطفى الغلاييني،جامع الدّروس العربيّة،مرجع سبق ذكره،ج01،ص145.

[2] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج01،ص262.

[3] المصدر نفسه،ج02،ص38.

لقالوا أيضًا لو سكتوا لنا عن كذَا آخر حتّى نَسكُتَ لهم عن الجميع».[1]

ناب تكرير الأداة "كذَا"،عن كلام كثير يعرفه كلٌّ من طرفي الخطاب مسبقًا،بما أنّ الخطاب موجَّه إلى أعضاء جمعيّة العلماء،بناءً على اتّهامات كان قد أطلقها عليهم أقطاب بعض "الطّرق الصّوفيّة"،والذين يمثّلون خصومًا لجمعيّة العلماء في فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر،وبالإضافة إلى وظيفة الإيجاز التي قدّمتها الأداة "كذا" فقد عبّرت أيضًا على احتقار وتجاهل المرسل للمتحدَّث عنه.

ويمكن للأداة "حتّى" أن تتدخّل هي الأخرى،ليوظّفها المرسل في خطابه التّلميحي،نظرًا لما تقدّمه من وصف تدرجّي عن الشّخص المتحدَّث عنه؛أي أنّ ما بعدها «لابدّ أن يكون عظيمًا،أو حقيرًا،أو قويًا،أو ضعيفًا».[2]

وعليه نجد تنوّعًا في صيغ توظيف هذه الأداة في الخطاب التّلميحي الإبراهيمي،من بينها كلامه عن أعمال بعض شيوخ الطّرق الصّوفيّة؛إذ يُعتَبَر (الإبراهيمي) من أكثر رجال جمعيّة العلماء صراعًا معهم،مثلما جاء به خطابه الآتي: «الشَّعب الجزائري المسلِم بفطرته،الكريم في عنصره،الجاهل بحقائق دِينِه-في أكثريّته-واقع اليوم بين قوّتين تتجاذبانه:قوّة العلماء المصلِحِين الدَّاعين إلى **الله** وإلى الإسلام كما جاء به محمّد ﷺ وآله وسلّم لا يبغون على ذلك جزاءً ولا شكورًا،وقوّة الشّيوخ الطُّرقيّين الذين وقفوا-إلا أقلّهم- سدًّا حائلًا بين العلماء وبين أتباعهم من عامّة الأمّة،ثمّ هم والمدّعون للدّفاع عنهم لا يألون جهدًا في تنفير العامّة من العلماء بالتقوّل فيهم والتزيّد عليهم والتّشويه لسُمعَتِهم حتّى ليقول قائلهم في كلمة مشهورة عندهم:"العلماء مصابيح ونحن مراويح" يعنُونَ أنّهم يطفئونهم».[3]

دلّ استعمال (الإبراهيمي) للأداة "حتّى"،في صدد حديثه عن مقولة يشتهر بها أتباع بعض الطّرق الصّوفيّة في الجزائر،إبّان تلك الفترة،على درجة تحقير المرسل لهذه الجماعة.

وقد توظَّف الأداة "حتّى" لدَى (الإبراهيمي)،لتُصبِح أداةً فاعلة في خطابه التّلميحي الدّاعي إلى السّخريّة والتّهكّم بشخص مُحدَّد دون جماعته كَكُل،بناءً على عمل شنيع قام به هذا الأخير،وبالأخص إذا كان عمله فيه إساءة إلى ركن من أركان الدِّين الإسلامي.

ومن أمثلة هذا التّوظيف،مقاله الذي فضح من خلاله أحد خصومه،وهو مدرّس مُنتَسِب إلى المدارس الحكوميّة الفرنسيّة آن ذاك،بعد أن أقدَمَ على نشر كتاب نسَبَه إلى نفسه وإلى عالم صُوفي عاش في القرن السّادس للهجرة حينها قدَّم له (الإبراهيمي) نقدًا لاذعًا،بقوله:

«ومعناه أيضًا -زيادة في التّفهيم حتّى يفهَمَ البهيم- أنّك تستطيع الاقتداء بالشّيخ أبي مدين-رضي **الله** عنه-في صدق لهجته وفي وقوفه عند حدود **الله**،وفي برّه بالمساكين،وفي تواضعه ووفائه،وفي حسن عبادته **لله**،وفي معرفته بقدر

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج01،ص122.

[2] أبو حيّان الأندلسي،ارتشاف الضّرب من لسان العرب،مرجع سبق ذكره،ص1999.

[3] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج01،ص113.

نفسه أيضًا...ولكنّك لا تستطيع أن تقتدي به فيما يُحكَى عنه من الكرامات والخوارق-ولو صحّ وقوعها منه-لأنّها ليست من علمه الشّرعي الذي كُلِّف به،وليست من تقوى **الله** التي يتفاضل بها الصّالحون».[1]

تضمّنت الجملة الاعتراضيّة الأداة "حتّى" لتدلّ على مدى احتقار المرسل للمرسل إليه.

وتُعتَبَر "لو" الشّرطيّة الامتناعيّة،من بين الأدوات اللغويّة التي قد يستند إليها المرسل في خطابه التّلميحي،كما جاء في خطاب (الإبراهيمي)،الذي ألقاه بمناسبة افتتاح مسجد بسطيف في عام (1931م)،قائلًا فيه:

«أيّها السّادة:لقد كان في تاريخ هذا الجامع عبرة لأُولِي الألباب،فهو يحدّثكم بالصّدق أنّ التّعاون يأتي بالعجائب وهو يحدّثكم أنّ الفئة القليلة تستطيع مع الصّبر والثّبات ومع الحكمة والنّظام أن تأتي ما هو شبيه بخوارق العادات وهو يحدّثكم أنّ الباطل لا يغلب الحقّ وإن تظاهر بأعوانه وتكاثر بإخوانه،وهو يريكم رأي العين كيف يعمل الفرد للجماعة،وكيف تعمل الجماعة للأمّة،وهو يحدّثكم أنّ في هذه الأمّة المسلِمة المرزوءة في تربيتها وأخلاقها بقيّة خير لو أحسن أُولُو الرّأي منها استغلاله،ولو جَرَوا في التّصرّف فيه على السّداد لجاءوها بالخير العميم،ولمشَوا بها على الصّراط المستقيم».[2]

من أجل أن يمرّر المرسل مجموعة من التّوجيهات والنّصائح لعمُوم الحاضرين،تجنَّبَ الخطاب التّوجيهي المباشر وعدَلَ عنه باستعمال الأداة "لو" الشّرطيّة الامتناعيّة،لتدلّ إفادتها الشّرطيّة على «تعليق شيء على آخر،وهذا التّعليق يستلزم -حتمًا- أن يقع بعدها جملتان،بينهما نوع ترابط واتّصال معنوي؛يغلب أن يكون هو:"السّببيّة" في الجملة الأولى و"المسببيّة" في الجملة الثانية»[3] ،ولعلّ أبرز سببين أدّيَا (بالإبراهيمي) إلى اختيار هذا المنحى:

- أوّلًا،أنّ الكلام فيه نوع من العتاب على جميع الأمّة الجزائريّة،وكأنّه لمحَ للحاضرين بأن يعملوا بهذه المسبّبات.
- ثانيًا،أنّ سلطته على الحاضرين،هي سلطة نسبيّة تقتصر على كونه أحد علماء الجزائر عمومًا ومنطقة سطيف بشكل خاص،بحكم أنّه ابن المنطقة في تلك الفترة،وأيضًا لم يزل نائبًا لرئيس جمعيّة العلماء.

وكما تمّ توظيف هذه الأداة مع مرسل إليه تربطه (بالإبراهيمي) علاقة مودّة،يمكن أن يوظّفها أيضًا مع مرسل إليه تربطه به علاقة صدّ وخصومة،مثلما عبَّر عنه في سياق حديثه عن بعض الطّرقيّين وما ترتّب من نتائج جرّاء هذه الخصومة،التي عادت بالشّر على الأمّة الجزائريّة وبالخير على الاحتلال الفرنسي:

«ولو أنّ هذه الطائفة أوتِيَت قليلًا من الرّشد والإنصاف لكانت للجمعيّة مكان الأخ من أخيه،ولحمَدوا لها سعيها في خدمة الأمّة،ولعادُوا من نِحَلِهِم المفرّقة إلى دعوتها الجامعة التي هي دعوة **الله** لخلقه على لسان أنبيائه﴿**وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾،[البقرة:146]».[4]

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج01،ص216. والكتاب بعنوان "السّعادة الأبديّة"،وهو لمؤلِّف يُدعَى (عبد الحميد حميدو) يَنتَسِب لإحدى المدارس الدّوليّة الفرنسيّة،ونُشِرَ الكتاب في فترة الثّلاثينيّات من القرن الماضي؛ينظر:المصدر نفسه،ص212.

[2] المصدر نفسه،ص93.

[3] عبّاس حسن،النّحو الوافي،مرجع سبق ذكره،ج04،ص491.

[4] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج01،ص139.

ومن بين المواضع الخطابيّة التّلميحيّة الأخرى التي يمكن أن يستعمل فيها (الإبراهيمي) هذه الأداة،حينما يكون خطابه فيه نسبة كبيرة من السّخريّة والتّهكّم عن الجماعة أو الشّخص المتَحدَّث عنه،كما دلّ عليه مقاله المعنوَن بـ "أفي كل حي،عبد الحي؟ مؤتمر الزّوايا بعدَ مؤتمر الأئمّة"؛حيث سَخِرَ فيه من هذه الطّائفة بتوظيف الأداة "لو"،وفقَ الصّيغة اللغويّة التالية:

«لا تعجب إذا كان الاستعمار لا يجد مُبتَغاه إلا في طائفة مخصوصة هي المذكورة في العنوان،ولكن تأسف لهذه الطّائفة التي تمكّن للاستعمار أن يعبثَ بكرامة الدِّين،فيستخدمها باسمه،وأن تكون لها-مع هذا- دعوى في الدِّين ولو كدعوى آل حرب في زياد،أو نِسبةً إليه،ولو كنِسبَةِ عقبة ابن أبي معيط في أُمَيَّة».[1]

استعمل المرسل في خطابه التّلميحي،الأداة "لو" ليعبِّر عن مدى تسخّطه من الجماعة المتحدَّث عنها؛حيث دعّم توظيف هذه الأداة بضرب أمثال تاريخيّة مستوحاة من تاريخ العرب ومن السّيرة النّبويّة العطرة،فعندما قال: "ولو كدعوى آل حرب في زياد،أو نِسبةً إليه،ولو كَنِسبَةِ عقبة ابن أبي معيط في أُمَيَّة"؛أي أنّ أعمالكم وتصرّفاتكم مع الاستعمار وصلت إلى مستوى يسيء إلى كرامة الدِّين الإسلامي،ويا ليت دعواكم كانت على الأقل في مستوى الأشخاص الذين ضُرِبَ بهم المثَل.[*]

فبالقدر الذي يتّسم فيه النّص بالسّريّة «بقدر ما يتحمّس القارئ لاختراق هذه السّريّة،فالسّريّة الزّائدة للنّص تقابلها رغبة زائدة لدى القارئ،والعكس قائم أيضًا».[2]

ومن الأدوات التي تتّخذها الاستراتيجيّة التّلميحيّة كآليّة من آليّاتها اللغويّة،نجد الأداة "إنّما"؛إذ يستعملها المرسل في خطابه غير المباشر،لما يكنُّه من احترام للمرسل إليه حتّى ولو كان أقلّ منه سلطة وظيفيّة واجتماعيّة،لذا يلجأ إليها في بعض الأحيان؛لأنّها «وسيلة مؤدَّبة مؤثّرة معًا فضلًا عن إيجازها،أمّا إنّها مؤدَّبة فلأنّها تصل إلى الغرض من غير أن تذكر الطّرف المقابل،ومؤثّرة من ناحية أنّك تُوحِي بأنّ ترك التّصريح بما يُخالِف ما أثبته هو من الوضوح بمكان».[3]

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج03،ص392.

[*] قوله:"كدَعوَى آلِ حَربٍ في زيادٍ"إشارة إلى قول الشّاعر،من [الوافر]:«حِمَارٌ فِي الكِتَابَةِ يَدَّعِيهَا كَدَعْوَى آلِ حَرْبٍ فِي زِيادِ»، ابن عبد ربّه الأندلسي،العقد الفريد؛تح:عبد المجيد التّرحيني،ج04،دار الكتب العلميّة،بيروت-لبنان؛ط01:1404هـ/1983م، ص253.وج07،ص145.والمقصود (بآلِ حَربٍ) هنا،هو (أبو سفيان بن حَرْبْ) لما ادَّعَى ابنُهُ (مُعَاوِيَة)،أنّ (زياد بن أَبِيهِ) هو أَخٌ له؛ينظر:المرجع نفسه،ج05،ص266-267.وأمّا قوله:"كَنِسبَةِ عقبة ابن أبي مُعيط في أُمَيَّة"،في إشارة إلى قصّة (عقبة ابن أبي مُعيط) حيث «كان من أسارى بدر،ولما نزلَ رسول **الله** صلّى **الله** عليه وسلّم بعرق الظَّبية في رجوعه إلى المدينة أمَرَ فَقُتِلَ صَبرًا وخَلبًا ولما أيقَنَ أنّه مقتُول قال:أَأُقتَلُ من بين قريش صَبْرًا،فقال له رسول **الله**:إنّما أنت يهودي من أهل صَفُوريَا،لأنّ الأمَةَ التي ولَدَتْ أباه كانت ليَهُودِي من صَفُوريَا،وقال له عمر:(حَنَّ قِدْحٌ لَيسَ مِنهَا) يَعنِي أنّه ليس من قريش»،البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج03، ص392.وينظر:تقي الدِّين أحمد المقريزي،إمتاع الأسماع بما للنّبي ﷺ من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع؛تحقيق وتعليق:محمّد عبد الحميد النميسي،ج10،دار الكتب العلميّة،بيروت-لبنان؛ط01:1420هـ/1999م،ص.ص05-06.

[2] عبد **الله** العشي،زحام الخطابات،مرجع سبق ذكره،ص147.

[3] أحمد أحمد بدوي،من بلاغة القرآن،نهضة مصر للنّشر،الجيزة-مصر؛د ط:2005م،ص124.

ومن أمثلة تطبيق هذه الأداة في الخطاب التّلميحي عند (الإبراهيمي)،خطابه الموجَّه إلى زملائه أعضاء المجلس الإداري للجمعيّة في أوّل اجتماع لهم،بعد إطلاق سراحه من منفاه "سنة 1943م"؛حيث ضَمَّنَ خطابه الصِّيغ اللغويّة الآتية:

«أيّها الإخوان:لو كُنتُ غيرَ من أنا وكنتُم غيرَ من أنتم،لفاضَ لساني في هذه الجلسة بشُكر أيادٍ سلفت منكم لأخيكم العاجز،ولكنّكم في جلالة أقداركم أغنياء عن الإطراء،كما أنّني في بساطتي غنيٌّ عن المجاملة،وإنّما أجِدُني مضطرًا إلى الإشادة بالثّناء عليكم في موقفكم يوم مات الأستاذ الرّئيس وأرجفَ المرجفُون بالجمعيّة،فوقفتم موقفًا صارمًا أرغم الأعداء وسرّ الأوداء،وأبنتم للمفترِين أنّ من يتّهمونهم بالقصور رشداء».[1]

نلاحظ كيف وُظِّفَت الأداة "إنّما" في سياق التّعليل،لتدلّ على ما يُوليه المرسل من احترام للمرسل إليه.

3-أ-2- استعمال الأفعال اللغويّة غير المباشرة:

تتدخّل الأفعال اللغويّة المباشرة،لتكون هي الأخرى آليّة مهمّة من الآليّات اللغويّة التي تتبنّاها الاستراتيجيّة التّلميحيّة حيث تتأثّر عمليّة اختيار هذه الآليّة،بمجموعة من العناصر السّياقيّة التي يستحضرها المرسل في خطابه التّلميحي.

ولعلّه من أبرز الدّواعي التي تؤدّي إلى استخدام الأفعال غير المباشرة هو التّأدّب في الحديث،وهذا ما استنتجه (سيرل-J.R.Searle)،بعد أن طرح تساؤلًا،مفاده:كيف يقول المتكلّم شيئًا ويعني به شيئًا آخر؟،ثم كيف يكون ممكنا أن يسمع المخاطب شيئًا له معنى ويفهم منه معنى آخر؟،ولذا حاول أن يَحُلَّ هذا الإشكال بـ "مبدإ التّعاون الحواري- conversational cooperation" بين المتكلّم والسّامع وما عند المخاطَب من علم بجوانب الموضوع،بما سمّاه استراتيجيّة الاستنتاج عند السّامع "inference strategy"،والتّي تمكّنه من الوصول إلى المعنى غير المباشر.[2]

وعليه نجد تنوّعًا ملحوظًا في تطبيق هذه الآليّة في الخطاب التّلميحي لدى (الإبراهيمي)،بناءً على الخلفيّة التي يمتلكها عن المرسل إليه وطبيعة العلاقة التي تجمع بينهما،فعمليّة تأويل البنية اللغويّة التي تشغل آليّة الأفعال اللغويّة غير المباشرة تختلف من مرسل إليه إلى آخر،كُلٌّ بحسب مستواه العقلي والعلمي،الذي يستدعي بدَوره تأويلًا معيَّنًا.

ويجسّد النّموذج الخطابي الآتي،أحد تلك التنوّعات اللغويّة،عندما خاطَب (الإبراهيمي) رفاقه من علماء الجمعيّة بقوله:

«إخواني:

إنّ من كتَم داءه قتله،وما دُمنَا ونحن بمعزل عن الحقائق وفي صمَمٍ عن استماع النّصائح فنحن بُعَدَاء عن الحقّ،وما الحقّ إلا أن نتّحِدَ ونسعى بلا فتُور،ما الحقّ إلا أن نتعاون،ما الحقّ إلا أن ندَعَ التّخاذل جانبًا ونتصافح على الاستماتة في سبيل الحقّ،ما الحقّ إلا أن نزن الأشياء بموازينها فلا ندَع المجال للوهم ينقض ويبرم ويبرز لنا السّفاسف في صورة

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج02،ص121.

[2] ينظر:محمود نحلة،آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر،مرجع سبق ذكره،ص.ص81-82.

الجبال ويظهر لنا الجلائل بمظهر التّافه الحقير،فهذا نوع غريب من أمراض النّفوس ما فشَا في أمّة إلا وكان عاقبة أمرها خسرًا».[1]

بدأ المرسل خطابه،بمقولة تراثية:"إنّ من كتَم داءه قتله"[*]؛كي يحذّر المرسل إليه ويحثّه على وجوب التّعاون والعيش في كنف الحقائق،ووجوب التّناصح...إلخ؛ولهذا ربط كل تلك المسبّبات بسبب واحد هو الحق،وبما أنّ كل من طرفي الخطاب على درجة واحدة من السّلطة،ضُمِّنَت البنية اللغويّة للخطاب بهذه الأفعال اللغويّة غير المباشرة:

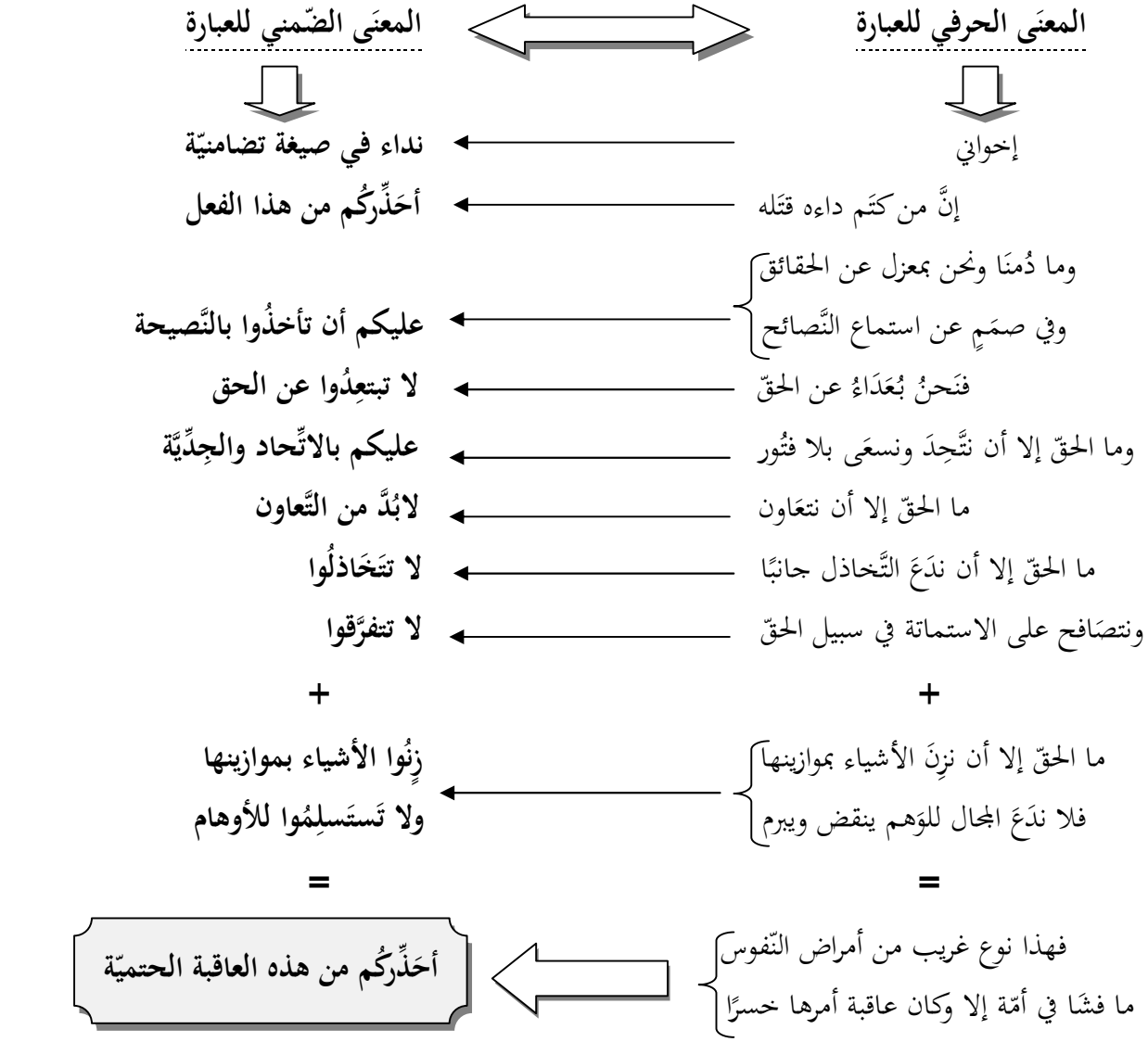

– مخطّط رقم23:يوضّح "الأفعال اللغويّة غير المباشرة01" في الخطاب التّلميحي لدَى (الإبراهيمي)–

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج01،ص56.

[*] في إشارة إلى بيت شعري لـ (أَبِي الفَرَجْ بن الجَوْزِي)،من [الرّمل]: «قَدْ كَتَمْتُ الحُبَّ حَتَّى شَفَّنِي وَإِذَا مَا كُتِمَ الدَّاءُ قَتَلْ» شمس الدِّين الذَّهبي،سِيَر أعلام النّبلاء؛تح:بشّار عوّاد معروف ومحيي هلال السّرحان،ج21،مؤسّسة الرّسالة،بيروت–لبنان؛ط11: 1417هـ/1996م،ص376.

وفي بعض المواضع الخطابيّة التّلميحيّة لدى (الإبراهيمي)،تجِدهُ يُخاطِبُ المرسل إليه بلسان غير العاقل،مثل خطابه الموجَّه إلى أبناء الجزائر بـ"لسان حالها"،ليقول لهم:

«أي أبنائي![...]،وَلَدتُ الغُرَّ الميامين،من آبائكم الأوّلين،فأوسِعُوني برًا وتكرُمَة،وكافِأوني وفاءً وإحسانًا،وفَدَ عليَّ الإسلام فكُنتُ له حِصنًا،ووفَدَتْ معه اللّغة العربيّة فقلتُ لها حسنًا،ثم اتخذتهما مَفخَرَتَيْ دَهرِي،ووضعتهما بين سَحري ونَحري،وأقسمتُ أن أتلقَّب بهما طول عمري،ألا لستم لي حتّى ترعَوا عهدي برعاية عهدهما،وتحقّقوا وعدي بالاستماتة في سبيلهما،أنا الأمّ،ومن حقّ الأمّ أن تسمّي ولدها،وقد سمّيتكم العرب المسلمين وأشهدتُ التّاريخ فسجّل،فلستم منّي إن عققتموني بتبديل الاسم أو تفريق المسمّى».[1]

خَاطَبَ (الإبراهيمي) الجزائريّن على لسان حال الجزائر،ليوجّه لهم مجموعة من الأفعال الإخباريّة والأمريّة بأسلوب غير مباشر،لعدم امتلاكه سلطةً على المرسل إليه؛حيث وجَّه هذا الخطاب قبل ترؤّسه لجمعيّة العلماء،كما أنّ هذا الأسلوب البياني له تأثير قوي على طبقة النّخبة بشكل خاص وهم المعوَّل عليهم في إنجاز تلك الأفعال،وهذا ما يعبِّر عنه المخطّط التّالي:

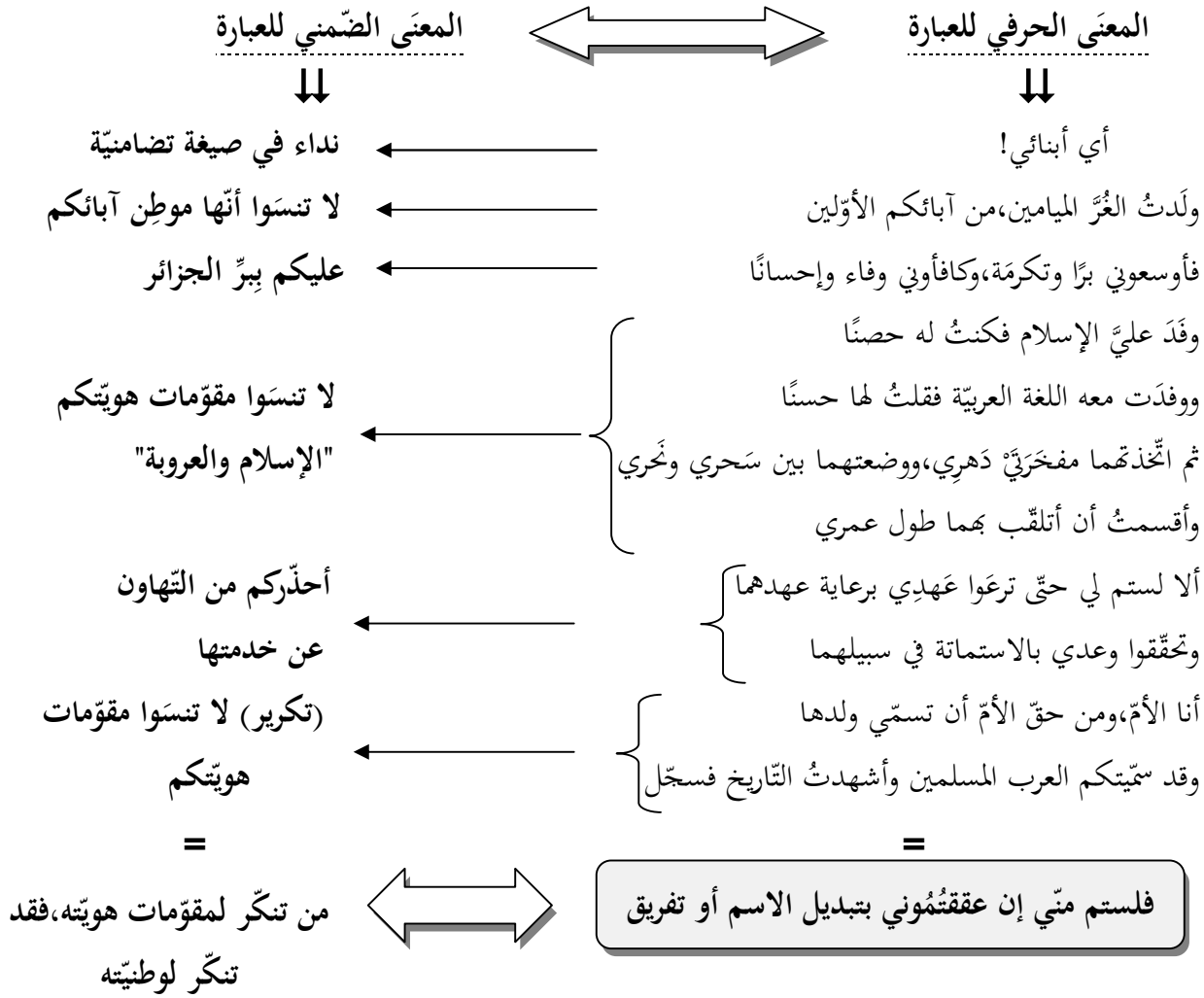

– مخطّط رقم24:يوضّح "الأفعال اللّغويّة غير المباشرة02" في الخطاب التّلميحي لدَى (الإبراهيمي)–

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج01،ص230.

ومن بين الصّيغ التي قد يتضمّنها الخطاب التّلميحي الإبراهيمي،عندما يخاطِبُ المرسل إليه بالخطاب التّخييلي،عن طريقة توظيف صيغة أتمثّله ليمرّر عبرها أفعالًا إنجازيةً غير مباشرة،مثلما جاء في خطابه الموجَّه إلى الشّباب الجزائري(*) والذي نُورِدُ منه الفقرة التالية:

«أتمثّله مترقرق البِشرِ إذا حُدِّث،مُتهلِّلَ الأسِرَّة إذا حُدِّث،مقصور اللسان عن اللّغو،قصير الخُطى عن المحارم،حتّى إذا امتدّت الأيدي إلى وطنه بالتخوّن،واستطالت الألسنة على دِينِه بالزّراية والتنقّص،وتهافتت الأفهام على تاريخه بالقلب والتّزوير،وتسابق الغرباء إلى كرائمه باللّصّ والتّدمير،ثار وفار،وجاء بالبرق والرّعد،والعاصفة والصّاعقة،وملأ الدّنيا فعالًا وكان منه ما يكون من اللّيث إذا دِيسَ عَرِينُه،أو وُسِمَ بالهون عِرْنينُه.

أتمثّله شديد الغَيرَة،حديد الطَيرَة،يغار لبنت جنسه أن تبُور وهو يملك القدرة على إحصانها،ويغارُ لماء شبابها أن يغُور وهو يستطيع وهو جعله فيّاضًا بالقوّة دافقًا بالحياة،ويغارُ على هواه وعواطفه أن تستأثر بها السِّلع الجليبة والسّحن السّليبة،ويغارُ لعَينَيهِ أن تسترقهما الوجوه المطرّاة والأجسام المعرّاة.

يا شباب الجزائر،هكذا كونوا !...أو لا تكونوا».(1)

بدأ (الإبراهيمي) خطابه التّخييلي في ظاهره،والذي اعتمد فيه على صيغة "أتمثّله"،ليوصل إلى المرسل إليه المخصوص (الشّاب الجزائري)،بعض التّوجيهات والوصايا،عبر المعاني الضّمنيّة التي جاءت بها المعاني الحرفيّة للخطاب،في شكل مقابلة،فكلّ عبارة من هذا الخطاب،تحمل في طيّاتها توجيها أو وصيّة ضمنيّة.

ولتوضيح هذه المقابلة،نمثّل لها في المخطّط التّالي:

(*) سبق لنا تحليل فقرة أخرى من هذا الخطاب،ضمن استعمال آليّة "الخطاب غير المباشر"،للتّدليل على التّضامن.

(1) البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج03،ص.ص514-515.

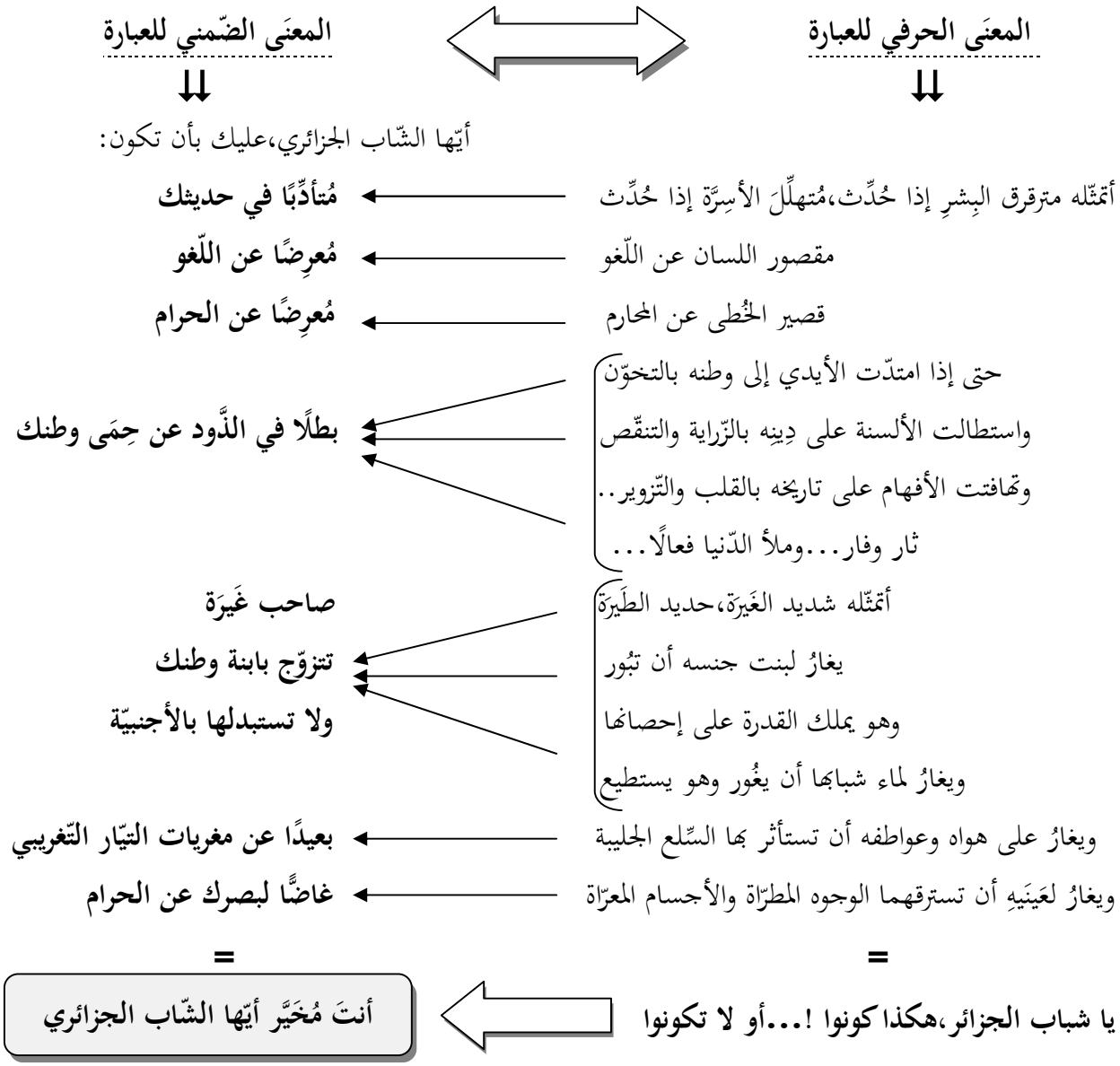

– مخطّط رقم25:يوضّح "الأفعال اللغويّة غير المباشرة03" في الخطاب التّلميحي لدَى (الإبراهيمي)–

وعلى هذا الأساس،يَغدُو فعل الحَثّ فعلًا غير مباشر في هذا الخطاب؛ليتَشكَّلَ من مجموعة أفعال مختلفة،والتي «تتواصل في أثناء تطوّره،وهو ما يُدعَى بالتّجانس التّداولي الذي يُعبِّرُ عن بنية تداوليّة،أي اجتماع مجموعة من الأفعال الكلاميّة في نصٍّ لتشكل فعلًا كلاميًا جامعًا».[1]

3–أ–3– توظيف التّرديد:

يمكن أن يتلفّظ المرسل بخطاب ما،ثم يؤوّله المتلقّي تأويلًا خاطئًا،لهذا يتحتّم على المرسل أن يكرّر خطابه مرّة أخرى بطريقة غير مباشرة،حتّى يحقّق قصده الذي أَنتَجَ من أجله خطابه،وبالتّالي يكون عندئذٍ قد استعمل آليّة "التّرديد".

[1] ذهبيّة حمّو الحاج،في قضايا الخطاب والتّداوليّة،مرجع سبق ذكره،ص.ص21–22.

وهناك بعض السّياقات التّداوليّة،التي يراعي فيها (الإبراهيمي) اختيار الاستراتيجيّة التّلميحيّة،عن طريق توظيف هذه الآليّة،عندما يخاطب بها متلقٍّ مخصوص،تربطه به علاقة مسبقة أو جرى بينهما افتراض مسبق.

مثلما تضمّنه خطابه الموجَّه إلى صديقه العالم الهندي (عبد العزيز الميمني)،والذي جاء وفقَ الصّيغة اللغويّة التّالية: «جرَى على لسَاني في أوّل اجتماع سَعِدتُ فيه بلقائكم إنشاد بيتٍ مشهور لِسُحَيْمٍ عَبْدِ بَنِي الحَسْحَاسِ وهو:

أَشْعَارُ عَبْدِ بَنِي الحَسْحَاسِ قُمْنَ لَهُ يَومَ الفَخَارِ مَقَامَ الأَصْلِ والوَرِقِ

ورَويتُ (الوَرَق) بفتح الرّاء،لا لأنّني أحفظه هكذا بل لأنّني أفهمه هكذا،وعادتي أنّني أُحَكِّمُ الفهم في الحفظ لا العكس،ولستُ أُنكِرُ كسر الرّاء ولا أجهل معناه،وقد سمعتُ مئات من الأدباء ينشدونه بالكسر وكنتُ أناقشهم فيه برأيي الذي سأبيّنه في هذه الكلمة فيرجعون إلى الحق.

بادرتم أيّها الأخ الفاضل إلى رواية البيت بكسر الرّاء،وفسّرتم الوَرِق بمعناه المعروف وهو الفضّة وزدتم عليه الرقّة،وكأنّكم توهّمتم أنّني لا أعرف الوَرِق بالكسر ولا أعرف معناه،فقرأتُ عليكم آية الكهف دفعًا لذلك التّوهّم ولكنّكم لم تسمعوني،كما أنشدتكم قسمًا من الرَّجز شاهدًا على المعنى الذي قصَدتُهُ...».[1]

بالرّغم من أنّ المرسل على يقين تام،بأنّ المرسل إليه تبادَرَ إلى ذهنه ذلك التّأويل حقيقةً،بناءً على افتراض مسبق جمع بينهما؛إلّا أنّه استعمل الأداة "كأنّ" بدل ذكره للحقيقة مباشرةً تجنّبا لإحراجه،وهذا فيه شيء من التأدّب والتّضامن مع صديقه العالِم،والدّليل على ذلك أنّه خاطبه بلفظ "الأخ"،وبضمير الجماعة بدل المفرد:"سَعِدتُ فيه بلقائكم،وكأنّكم توهّمتم...".

كما نستنتج من هذا الخطاب،أنّ (الإبراهيمي) استعمل آليّة "التّرديد" أثناء الحوار الذي جرى بينه وبين صديقه وهو ما عبَّر عنه عند قوله:"فقرأتُ عليكم آية الكهف دفعًا لذلك التّوهّم ولكنّكم لم تسمعوني،كما أنشدتكم قسمًا من الرَّجز شاهدًا على المعنى الذي قصَدتُهُ...".

في إشارة إلى قوله تعالى:﴿**قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا**﴾،[الكهف:19].

3-أ-4- استعمال الملمّحات:

توجد العديد من الأدوات اللغويّة التي يمكن أن يستثمرها المخاطِب عند اختياره لاستراتيجيّة التّلميح،كالأفعال الدّالّة على التّأكيد والظّن والشّك واليقين...إلخ؛إذ تمثّل "ظنَّ وأخواتها" إحدى تلك الأدوات اللغويّة ذات البُعد التّلميحي وهي تنقسم إلى قسمين:أفعال قلوب،وأفعال تحويل.

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج04،ص384.والبيت من [البسيط]،وينظر:شرح البيت ضمن:ديوان سُحَيْمْ عَبْدُ بَنِي الحَسْحَاسْ؛تح:عبد العزيز الميمني،دار الكتب المصريّة،القاهرة-مصر؛د ط:1369هـ/1950م،ص55.

وأمّا أفعال القلوب فتنقسم هي الأخرى إلى نوعين،الأوّل منهما:ما يدلّ على اليقين،وهي خمسة أفعال:رَأَى،وعَلِمَ ووَجَدَ،ودَرَى،وتَعَلَّمَ،وأمّا الثاني منهما:ما يدلّ على الرّجحان،وهي ثمانية أفعال:خَالَ،وظَنَّ،وحَسِبَ،وزَعَمَ،وعَدَّ،وحَجَا وجَعَلَ،وهَبْ.[1]

وما يهمّنا من هذه الأنواع،هو أفعال القلوب بنوعيها:أفعال اليقين وأفعال الرّجحان،ومن أمثلة توظيف النّوع الأوّل في الخطاب التّلميحي الإبراهيمي،استعماله للفعل "عَلِمَ" المعبِّر عن ضمير الجماعة،مثلما جاء في خطابه الذي سَخِرَ فيه من صاحب كتاب "السّعادة الأبديّة"،بقوله:

«وقد علمنا من تحرّياتنا المستعجَلَة حين كتابة هذا [التّقريظ] أنّ أحقّ النّاس بالتّرويج لهذا الكتاب وتقديم الإعانة المادّية له-وهو مقدِّم ضريح الشَّيخ وسَادِنُ قبره-رَجُلٌ عفريت لا يستنزل عن فلوس النُّذُور بمثل هذه الرّقية».[2]

لم يصرِّح المرسل بالمصدر الذي زوّده بهذه المعلومة،وإنّما اكتفى بذكر الفعل "علمنا"؛كي لا يُدخِلَ صاحب المعلومة هو الآخر في الخصومة مع الشّخص المتحدَّث عنه.

وفيما يخص توظيف النّوع الثاني من الأفعال؛أي ما يدخل ضمن أفعال الرّجحان،نجد الفعل "أَعْتَقِدُ"،ليكون ضمن الصّيغة التّعبيريّة للخطاب الموجَّه إلى أعضاء جمعيّة العلماء،قائلًا لهم:

«أنا أعتقد أنّه إن جرَت هذه المساعي بالحكمة والثِّقة المتبَادَلَة وجرى معها مَدَد آخر من أقلام الكُتَّاب وألسِنَة الخطباء والمعلِّمِين ببَثِّ رُوحِ التَّعاون والتَّوفير،فإنّ اليوم الذي تُلمَسُ فيه النّتيجة باليَد ليس ببَعِيد».[3]

دلّ استعمال الفعل "أعتقد"،على تواضع المرسل مع المرسل إليه وتجنّبه للخطاب المباشر الدّال على فرض اقتراحه لما بينهما من سلطة علميّة متكافئة،ما دَامَ الخطاب قد أُنتِجَ في مرحلة ما قبل تأسيس الجمعيّة،لهذا يمكن أن «يضع المرسل هذه الألفاظ في أيّ موقع داخل خطابه،مع الاحتفاظ بمدلولها التّداولي دون تغيير،بغَضِّ النّظر عن أثرها النّحوي بوصفها عاملًا في التّركيب».[4]

وقد يستعمل (الإبراهيمي) معجمًا تلميحيًّا يستند إلى أفعال تدلّ على الزّمن الماضي،لما لها من خاصّية إبهام القول وغموضه على المرسل إليه،كما يتّضح في النّموذج الخطابي التّالي:

«قرأنا منذ أيّام في الجرائد الإفرنسيّة بمدينة الجزائر إعلانًا من جامعة اتّحاد الزّوايا عن اجتماع لهم عقَدوه،وزعَمُوا في التّنويه به المزاعم-وهذا لا يهمّنا- وأنّهم دعَوا جمعيّة العلماء للحضور فيه بقصد المناظرة في مسائل الخلاف بينهم وبينها فأحجمت عن الحضور».[5]

---

[1] ينظر:ابن عقيل،شرح ابن عقيل على ألفيّة ابن مالك،مرجع سبق ذكره،ج02،ص.ص28-29.

[2] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج01،ص218.

[3] المصدر نفسه،ص.ص55-56.

[4] عبد الهادي بن ظافر الشّهري،استراتيجيّات الخطاب،مصدر سبق ذكره،ج02،ص165.

[5] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج01،ص299.

عبَّرت صيغة الفعل الماضي "قرأنا"،بأنّ المرسل لا يريد التّصريح بمتورّط مُحَدَّد في القضيّة،ففي الخطاب تلميح بمجموعة من الجرائد الفرنسيّة،مع أنّه يعلم أسماءها.

ومن بين صيغ الماضي التي لها خاصّية الإبهام،استعمال الفعل "قالوا"؛إذ يستعمله (الإبراهيمي) ليلمّح عن الشّخص أو الجماعة المتحدَّث عنها،مثلما جاء في صدد حديثه عن تهمة ألصقتها به بعض الجرائد،ليرُدَّ عليهم بقوله: «قالوا إنّ جريدة "المغرب العربي" كتبت في الوجه الفرنسي من أحد أعدادها الأخيرة،ما معناه:أنّ الإبراهيمي يتجوّل في عمالة قسنطينة ليجمع زكاة الحبوب لفلسطين،إلى آخر العبارة،فلم نستغرب من هذه الرّواية إلا شيئًا واحدًا،وهو أن يوجد في أخبار "المغرب العربي" كلام ثلثاه صدق...».[1]

بالرّغم من دفاع (الإبراهيمي) عن نفسه من خلال جريدته "البصائر"،جرّاء تهمة ألفقها عنه خصومه،إلّا أنّه لجأ إلى بعض من التّلميح دون التّصريح بمن كان وراء ذلك الاتّهام،ليعبِّر بالفعل الماضي "قالوا" بدل أن يقول:"قالت الجماعة الفلانيّة أو الشّخص الفلاني"،مدعّمًا تلميحه بعبارة "ما معناه"،والأمر عائد إلى مقصديّة خطابيّة اقتضتها مصلحة المرسل بدرجة أولى.

لتجسّد هذه العبارة أداة لغويّة بارزة في الخطاب التّلميحي عند (الإبراهيمي)،مدعّما بها صيغ الفعل الماضي مثلما وجدناه في صدد دفاعه عن قضيّة اتّهام زميله (الطيّب العقبي)،بقتل أحد رؤساء الطّرق الصّوفيّة: «ولقد قال لي ذكيٌّ ما معناه:إنّ محاكاة القدر لا تكون قدرًا من جميع جهاتها،فلأمرٍ ما كان القتيل كَحُولًا ولم يكن رَجُلًا سياسيًا،ولأمرٍ ما كان المتَّهَم العُقبي ولم يكن رَجُلًا آخر،إنّهم يقولون أنّهما رَجُلَا دِين،ولكنَّ الدِّين لا يَقتُلُ الدِّين (ونطق بهما بلفظ الاسم) وما قالوا ذلك إلا ليَبنُوا عليه أنّ رجال الإسلام يصطرعون ونحن لا نؤمن بالمقارنة ولا نؤمن بهذه المقدّمات[...]،وقال لي ظريف آخر:إنّ الجماعة كانوا يرموننا بأنّنا نتّخذ الدِّين آلةً لأغراضنا ويَعُدُّونَ ذلك بابًا من أبواب سفاهتنا،وهاهم اليوم يقلِّدوننا في اتّخاذ الدِّين آلةً للأغراض...».[2]

اتّخذ (الإبراهيمي) من العبارتين:"ولقد قال لي ذكيٌّ ما معناه"،"وقال لي ظريف آخر"،لتكونَا مدخلًا لما بعدهما من كلام؛وكي يُبقِيَ على سريّة الشّخص الذي أفاده بذلك الرّأي،ولا شكّ أنّ هذا النّوع من التّوظيف تقتضيه سياقات الخطابات ذات القضايا الكبيرة وأيّ لفظ غير مدروس مسبقًا تنتُجُ عنه مشكلة أخرى.

وقد يستثمر (الإبراهيمي) في الخطاب الواحد،مجموعة من الألفاظ تندرج ضمن معجم لغوي تلميحي متنوّع؛إذ يُعتَبر بيانه الشّهير الذي أصدره بتاريخ "16 أفريل1964م"،واحدًا من أبرز خطاباته التي اتّكَأ فيها على هذا النّوع من الأدوات التّلميحيّة،فبعد أن شَعرَ (الإبراهيمي) بأمَارَات أزمة عقائديّة وأخلاقيّة وسياسيّة بدأت تعصف بوطنه،حمّل بيانه،رموزًا وإشارات معيّنة،مُوجَّهًا إيّاها إلى السّلطة الحاكمة آن ذاك،أكثر منها إلى الأمّة الجزائرية،بقوله:

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج02،ص240.

[2] المصدر نفسه،ج01،ص279.

«كتَبَ **الله** لي أن أعيش حتّى استقلال الجزائر،ويومئذ كنت أستطيع أن أواجه المنيّة مرتاح الضّمير،إذ تراءى لي أنّي سلّمتُ مشعل الجهاد في سبيل الدّفاع عن الإسلام الحق،والنّهوض باللّغة العربيّة- ذلك الجهاد الذي كنتُ أعيش من أجله- إلى الذين أخذوا زمام الحُكمِ في الوطن،ولذلك قرّرتُ أن ألتزم الصّمت.

غير أنّي أشعر أمام خطورة السّاعة،وفي هذا اليوم الذي يصادف الذّكرى الرّابعة والعشرين لوفاة الشّيخ عبد الحميد بن باديس- رحمه **الله**-،أنّه يجب عَليَّ أن أقطع ذلك الصّمت،إنّ وطننا يتدحرج نحو حرب أهليّة طاحنة ويتخبَّط في أزمة روحيّة لا نظير لها،ويواجه مشاكل اقتصاديّة عسيرة الحَل.

ولكنّ المسؤولين-في ما يبدو- لا يدركون أنّ شَعبَنَا يطمح قبل كل شيء إلى الوحدة والسّلام والرّفاهية،وأنّ الأسس النّظريّة التي يقيمون عليها أعمالهم،يجب أن تنبعث من صميم جذورنا العربيّة الإسلاميّة،لا من مذاهب أجنبيّة.

لقد آنَ للمسؤولين أن يضربوا المثَل في النّزاهة وألّا يقيموا وزنًا إلا للتّضحية والكفاءة،وأن تكون المصلحة العامّة هي أساس الاعتبار عندهم،وقد آن أن يرجع لكلمة الأخوّة -التي ابتذلت- معناها الحق،وأن نعود إلى الشّورى التي حرص عليها النّبي (ﷺ)[...]،محمّد البشير الإبراهيمي».[1]

بعد أن صرَّح (الإبراهيمي) بالأسباب التي جعلته يوجّه هذا البيان،لمحَ بالمسؤولين المعنيّين بذلك،ولم يذكرهم لا بأسمائهم ولا بمناصبهم في الدّولة،درءًا للفتنة، كما أنّه ختم البيان باسمه الخاص وليس بصفته رئيسًا لجمعيّة العلماء ولهذا «تدلّ صيغة البيان اللغويّة على الطّبيعة التّبليغيّة لرسالته،فهو موجَّه إلى الآخر،بقصد إشعاره بأنّ وضعًا ما سيتغيّر،وأنّ وضعًا جديدًا هو بصدد الحدوث،إنّه المعادل اللّغوي للفعل الإنساني،الصّرخة الموازية للحركة».[2]

ولهذا كشفت لنا،اللّغة التي صيغ بها بيان (الإبراهيمي)،عن طبيعة مقصديّة مرسله،وعن نوعيّة السّلطة الحاضرة أثناء إنتاج الخطاب،بالإضافة إلى خصوصيّة المرجعيّات الخطابيّة التي تأسّس عليها.

ويمكن أن نعتبر،بأنّ الشّخص الأوّل المعني بهذا البيان،هو (أحمد بن بلّة) رئيس الجمهوريّة الجزائريّة في تلك الفترة فخروج (الإبراهيمي) من صمته جاء على خلفيّة تبنّي (بن بلّة) وأعوانه النّظام الاقتصادي الاشتراكي،المبني على المبادئ الشّيوعيّة،بالإضافة إلى ظهور بعض بوادر الانحلال الخُلقي في المجتمع الجزائري،ليؤدّي هذا البيان في الأخير بدخول (الإبراهيمي) في صراع خفي مع السّلطة،والتي فرضت عليه الإقامة الجبريّة إلى غاية وفاته بتاريخ "20مايو1965م".[*]

ويوضّح لنا،المخطّط التّالي،المعاني الضّمنيّة التي احتواها البيان:

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج05،ص317.

[2] عبد **الله** العشي،زحام الخطابات،مرجع سبق ذكره،ص12.

[*] ينظر:حوار مع (أحمد طالب الإبراهيمي)،برنامج شاهد على العصر،قناة الجزيرة،الحلقة05،بُثَّتْ بتاريخ:05يوليو2013م؛رابط الحلقة في موقع الجزيرة نت: https://www.aljazeera.net/programs/centurywitness/2013/7/5/%D شوهد بتاريخ:12شوّال1440هـ/15يونيو2019م،على السّاعة:13:58.

- مخطّط رقم26:يوضّح كيفيّة توظيف آليّة "الملمّحات" في الخطاب التّلميحي لدَى (الإبراهيمي)-

3-أ-5- توظيف التّعبير الاصطلاحي:

تحظى اللّغات الطّبيعيّة ضمن تراكيبها بنوع معيَّن من التّعبيرات،تتميّز بوحدات دلاليّة ذات شموليّة أوسع من دلالتها اللّفظيّة الضيّقة؛أي ما يُعرَفُ عند علماء الدّلالة بـ"التّعبير الاصطلاحي- Conventional expression"،والذي يَعنُونَ به كل «التّعبيرات المكوَّنَة من تجمّع من الكلمات يملك معاني حرفيّة ومعنى غير حرفي».[1]

ومثال هذه التّعبيرات الاصطلاحيّة،ما يضمّنه المرسل في بنية خطابه اللغويّة من آيات قرآنيّة أو أحاديث نبويّة ...إلخ؛أي كل ما يدخل ضمن "القوالب اللغويّة الجاهزة- Templates language ready"[*]؛حينما يُبقِي المرسل على لفظها كما هو مع الحفاظ على معناها أو تغييره بحسب ما يقتضيه سياق الخطاب ومقصديّته.

لذا يستعملها؛«لأنّه يدرك أنّها أدوات يستطيع تسخيرها للتّعبير بها عن قصده بالاستراتيجيّة التّلميحيّة،تعويلًا على معرفته بهذه النّتيجة التي امتلكها بكثرة معاشرته اللغويّة لأبناء لغته»[2]؛إذ يرتكز الخطاب هنا،حول القدرة التّواصليّة التي يمتلكها كل من طرفي العمليّة التّخاطبيّة التّواصليّة.

وإذا تمعّنّا في الطُّرق والأساليب المختلفة التي يمكن أن يستند إليها الخطاب التّلميحي الإبراهيمي،نجده يغرَف من مجموعة المنابع التي تمثّل روافد خطاب (الإبراهيمي)،كَكُل،والتي سبقَ وأن تحدثّنا عنها في الفصل الأوّل.

ويُعتَبَر القرآن الكريم أوّل تلك الرّوافد المتجلّية في توظيف آليّة التّعبير الاصطلاحي كآليّة مهمّة من آليّات الاستراتيجيّة التّلميحيّة عندما يختارها (الإبراهيمي)،لتكُونَ مسلَكه الخطابي الذي يمكن أن يحقّق مقاصده الخطابيّة.

لذا يتراوح استعمال الآيات القرآنيّة بين "التّناص" و"الاقتباس" لتصبح سِمَة خطابيّة يتميّز بها خطاب (الإبراهيمي) بمختلف مسالكه،وليس المسلَك التّلميحي فحسب.

ويعكس النّموذج الخطابي التالي،مدى توظيف آليّة التّعبير الاصطلاحي في رافدها القرآني،عند قول (الإبراهيمي): «كَبُرَ على الخرافيّين الضّالّين ما تدعو إليه هذه الجمعيَّة من حقّ دِيني واضح،ولو كان كعمود الصّبح،ورأوا في هذه الدَّعوة زعزعة لأركان سلطانهم،وكَبُرَ على المستَبِدِّين الظَّالمين ما تدعو إليه من تنقيح للأخلاق التي هي قوام الحياة ورأوا في هذه الدّعوة عنادًا لما بيّتوه من قتل مشاعر هذه الأمّة وسدِّ منافذ الحياة في وجهها،فأجمع هؤلاء وأولئك أمرهم على حربها وتدبير المكائد لها،واتّبعوا ما تتلوا الشَّياطين عليها،فشدَّد هؤلاء وضيَّقوا،وأعنتوا وأرهقوا،بعد أن صاح أولئك وأعوَلوا،وبالغوا وهوَّلوا».[3]

يظهر من البنية اللغويّة لهذا الخطاب التّلميحي،أنّ (الإبراهيمي) اعتمد أسلوب "التّناص" من القرآن الكريم ليجِسِّدَ

---

[1] أحمد مختار عمر،علم الدّلالة،ج01،عالم الكتب،القاهرة-مصر؛ط05:1998م،ص33.

[*] نقصد بها،الأقوال (أو الشّواهد) الجاهزة،التي يمكن أن يوظّفها أيُّ مرسل في خطابه؛كالآيات القرآنيّة والأحاديث النّبويّة الشّريفة والأبيات الشّعريّة،والأمثال،والحِكَم...إلخ.

[2] عبد الهادي بن ظافر الشّهري،استراتيجيّات الخطاب،مصدر سبق ذكره،ج02،ص173.

[3] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج01،ص262.

به،آليّة التّعبير الاصطلاحي،في سياق ردّه على بعض خصومه من أقطاب الطّرق الصّوفيّة،بقوله:

- "كَبُرَ على الخرافيّين الضّالّين"،"وكَبُرَ على المستَبِدّين الظّالمين" ⟵ تناص مع قوله تعالى: ﴿**كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا**﴾،[الكهف:05].

- "واتّبعوا ما تتلوا الشّياطين عليها" ⟵ تناص مع قوله تعالى: ﴿**وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ**﴾،[البقرة:102].

وعلى غرار الرّافد القرآني،قد يضيف (الإبراهيمي) إلى بنية خطابه التّلميحي روافدًا أخرى،في نفس الفقرة اعتمادًا على بعض أسلوب "التّناص"،ليستمرّ كلامه في الرّدّ على خصومه الذين سبق ذكرهم،بناءً على افتراض مسبق جمع بينهما،وهذا ما دلّ عليه قوله:«وادّعيتم أنّ بعض المصلحين نَدِمُوا على تشييع الجنازة بالسُّنّة وجاءوا إلى أغْواثِكُم وأقطابكم يعتذرون فطردوهم!ما هذا الكذب الأزرق،أَمَنْ ذاقَ حلاوة الإيمان يسلُوهَا؟ أَمَنْ هو على هُدَى من ربّه يرضى أن يقف على شفَا جُرُفٍ هَارٍ ينهار به في جهنّم؟ أَعِدْ نظرًا يا عبدَ قَيس إن كان لك إلمام بالأدب العربي».[1]

نوّع المرسل من صيغه التّعبيريّة،بالاعتماد على أسلوب "التّناص" من القرآن الكريم،عندما قال:

- "أَمَنْ ذاقَ حلاوة الإيمان يسلُوهَا؟ أَمَنْ هو على هُدَى من ربّه" ⟵ تناص مع قوله تعالى: ﴿**أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ**﴾،[الزّمر:09].

﴿**أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾،[البقرة:05/لقمان:05].

- "يرضى أن يقف على شفَا جُرُفٍ هَارٍ ينهار به في جهنّم؟" ⟵ تناص مع قوله تعالى: ﴿**أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾،[التّوبة:109].

- "أَعِدْ نظرًا يا عبدَ قَيس" ⟵ إشارة إلى قول (الفرزدق) في هجاء (جرير)،من [الطّويل]:

«أَعِدْ نَظَرًا يَا عَبْدَ قَيْسٍ فَرُبَّمَا أَضَاءَتْ لَكَ النَّارُ الحِمَارَ الْمُقَيَّدَا».[2]

ويستمر (الإبراهيمي) في تطبيق المسلك الخطابي ذاته؛أي تنويع الرّوافد التي يستقي منها تعبيراته الاصطلاحيّة لتجسّد سِمَة بارزة في خطابه ضدّ خصومه،مثلما نجده في هذا الخطاب:

«أمَا آنَ لعشّاق سَلمَى أن يقولوا:صَحَا القلب عن سَلمَى؟

أمَا آنَ للحالمين بالوحدة الفرنسيّة أن ينفضوا عنهم الأحلام؟

أمَا آنَ للمنتظرين أن يقطعوا حبل الانتظار؟

أمَا آن للمستَعصِمِين بالأمل أن يُرِيقُوا صبابَة الأمل؟».[3]

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج01،ص291.

[2] همّام بن غالب "الفرزدق"،ديوان الفرزدق؛شرح وضبط وتقديم:علي فاعور،دار الكتب العلميّة،بيروت-لبنان؛ط01:1407هـ/1987م،ص161.

[3] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج03،ص288.

نجد في قول المرسل:"أمَا آنَ لعشّاق سَلمَى أن يقولوا:صحَا القلب عن سَلمَى؟"،إشارة إلى قول (زهير بن أبي سلمى)،من [الطّويل]:

«صَحَا القَلْبُ عَنْ سَلْمَى وَقَدْ كَادَ لَا يَسْلُو وَأَقْفَرَ مِنْ سَلْمَى التَّعَانِيقُ فالثَّقْلُ».[1]

وأمّا قوله:"أمَا آن للمستَعصِمِين بالأمل أن يُرِيقُوا صبابَة الأمل؟"،فهو تناص مع بيت (المتنبّي)،من [البسيط]:

«ومَا صَبَابَةُ مُشْتَاقٍ عَلَى أَمَلٍ مِنَ اللِّقاءِ كَمُشتَاقٍ بِلَا أَمَلِ».[2]

وفي كثير من النّماذج الخطابيّة التّلميحيّة لدى (الإبراهيمي)،نجده يستثمر في آليّة التّعبيرات الاصطلاحيّة من خلال الأمثال وحدها،دونمَا رافد لغوي آخر،بما أنّها من «الأساليب البيانيّة غير المباشرة للتّعريف بما يُرَادُ التّعريف به».[3]

ويتنوّع وجودها من حيث شكلها اللّغوي بين النّثر والشّعر،وفي مواضع أخرى يستعمل المثَل نثرًا مع أنّه في الأصل بيت شعري صيَّره الزَّمن مثلًا،كما جاء في خطابه الذي لمح فيه عن مواصفات بعض القادة العرب،بقوله:

«...ولا نثق بزخرفة القادة الملحدين،فمُحَالٌ أن يقودنا إلى الجنَّة من هو من أهل النّار،وهيهات أن يقودنا إلى الحرّية من هو عبد شهواته،ومحالٌ على كرامتنا أن نبقى بعد اليوم كُمُونًا يسقِيه وعدٌ،وإبِلًا يُورِدُهَا سَعدُ».[4]

أشار المرسل من خلال توظيف عبارة "إبِلًا يُورِدُهَا سَعدٌ" على معنى قوي،هو أنّ هؤلاء القادة العرب،بالرّغم من زيغهم عن الشّريعة الإسلاميّة،إلّا أنّهم أيضًا لا يحسِنُون القيادة ولا يعرفون من أمورها شيئًا،مثَلهم في ذلك مثلما حمل لنا التّراث العربي من أخبار(مَالِكِ بنِ زَيدِ مَنَاةَ)،مع أنّه رجل أحمق إلّا أنّه كان آبَلَ أهل زمانه (أي صاحب معرفة بتربية الإبل)؛حيث إنّه «تزوّج وبنى بامرأته،فأَوْرَدَ الإبل أخُوهُ سعد ولم يحسِن القيام عليها والرّفق بها،فقال مالك:

أَوْرَدَهَا سَعْدٌ وَسَعْدٌ مُشتَمِلْ مَا هَكَذَا تُورَدُ يَا سَعْدُ الإِبِلْ».[5]

ويعكس الخطاب التّالي،مدى اهتمام (الإبراهيمي) بهذه الآليّات؛حينما يودّ تحقير المرسل إليه ومهاجمته بلغة تحمل معانٍ لاذعة،تتّخذ من الأمثال العربيّة الأصيلة مَعبَرًا لها:

«وإذا كان في العلم ما يفيد فإنَّ في بعضه ما يُنكِي ويغيظ وهو ما نعلم به أصحابنا شيوخ الطّرق من طبائع الجمعيّات وأمزجتها وما تفرغه على الدّاخلين فيها من ألوان،فهم يجهلون هذا كلّه،ولولا جهلهم به لما أقدموا على الدّخول في جمعيَّة علماء السُّنَّة،ولفَرُّوا منها فرار السَّليم من الأجرب،ولكان أهوَنَ الشَّرَّينِ عليهم شرّ الإصلاح ولكن لابُدَّ من مصداق لقول الشَّاعر:

---

[1] زُهَيْرْ بن أبي سُلْمَى،ديوان زُهَيْرْ بن أبي سُلْمَى؛شرح وتقديم:علي حسن فاعور،دار الكتب العلميّة،بيروت-لبنان؛ط01:1408هـ/1988م،ص83.

[2] أحمد بن الحسين أبو الطيّب المتنبّي،ديوان المتنبّي،دار بيروت للطّباعة والنّشر،بيروت-لبنان؛د ط:1403هـ/1983م،ص336.

[3] عبد الرّحمان حسن حبنّكة الميداني،أمثال القرآن وصُوَر من أدبه الرّفيع "تأمّلات وتدبّر"،دار القلم،دمشق-سوريا؛ط02:1416هـ/1996م،ص59.

[4] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج04،ص102.

[5] أحمد النيسابوري الميداني،مَجمَع الأمثال؛تح:محمّد محي الدِّين عبد الحميد،ج01،مطبعة السُّنَّة المحمّديّة؛د ط:1374هـ/1955م، ص86.والبيت من [الرَّجَزْ].

يُقْضَى عَلَى المرْءِ فِي أَيَّانِ مِحنَتِهِ حَتّى يَرَى حَسَنًا مَا لَيْسَ بِالحَسَنِ».[1]

دلّ استعمال المرسل،على عبارة "ولفَرُّوا منها فرار السَّليم من الأجرب"،المقتبسَة من بيت (حافظ إبراهيم):

«وشَعْبٌ يَفِرُّ مِنَ الصَّالحَاتِ فِرَارَ السَّلِيمِ مِنَ الأَجْرَبِ».[2]

على تشبيه الجماعة المتحدَّث عنها بالشّخص المشبَّه به،والذي كان سببًا في مَورِد المثَل،فالأصل في المثَل أنّه «قائم على تشبيه شيء بشيء لوجود عنصر تشابه أو تماثل بينهما،أو لوجود أكثر من عنصر تشابه».[3]

والدّليل على ذلك أنّه أتبعه بمثَل آخر،بقوله:"ولكانَ أهوَنَ الشَّرَّينِ" في إشارة إلى القاعدة الفقهيّة «يختار أهوَنَ الشَّرَّينِ»[4]،أو إلى المثَل العربي"بَعضُ الشَّرِّ أهوَنُ من بَعضٍ"؛حيث يُضرَبُ هذا المثَل،لدى ظهور أمرين أحدهما أقل شرًا من الآخر.[*]

وتتعدّد استعمالات المثَل على سبيل التّشبيه في الخطاب التّلميحي الإبراهيمي،بحسب تعدّد القضيّة الموضوعة للنقاش وأهمّية الأشخاص المتحدَّث عنهم،كما يظهر في حديثه عن أعمال نوّاب المجلس الجزائري في فترة الاحتلال الفرنسي:

«...ولكنّ صوت الحق في هذا المجلس تعلوه أصوات الباطل والجهل،فلا تدع قائل الحق يقول،ولا تسمعه إذا قال،لأنّ المجلس كان مأخوذًا بسحر الوحي ورهبته،فلم يُفِق من غشيته حتّى نزل الوحي الثاني بالمجلس[...]،لا نعني أعضاء المجلس بهذا السّؤال،فقد قرأنا في الأمثال أنّ الحائط قال للوتد لِمَ تَشُقُّنِي؟فقال له:سَلْ مَن يَدُقُّنِي...».[5]

دلّ تشبيه (الإبراهيمي) لأعضاء هذا المجلس بعلاقة الوتِد والحائط؛كي يرمز إليهم بكلام مُوحِي آخر،وكأنّه يقول لهم:"فرنسا هي الآمر النّاهي وليس أنتم،وهي التي تسيّركم كيفما تشاء وتضعكم أين ما تشاء".

وقد يقتضي سياق توظيف المثَل لدى (الإبراهيمي)،في حالة ما إذا كان خطابه موجَّهًا باسم مجهول وليس باسمه الخاص أو كرئيس للجمعيّة،مثلما دلَّ عليه مقاله عن صاحب كتاب "السّعادة الأبديّة"،ليفتتح خطابه بهذه الفقرة:

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج01،ص130. وهناك رواية أخرى للبيت،هي قول الشّاعر،من [البسيط]:

يُقْضَى عَلَى المرءِ فِي أَيَّامِ مِحْنَتِهِ بِأَنْ يَرَى حَسَنًا مَا لَيْسَ بِالحَسَنِ

كما أُختُلِفَ في نسبة قائله،مع إجماع الكثير من المراجع؛بأنّه للشّاعر (إبراهيم المنذر)،من قصيدة عنوانها "يا أذن ما تشتكين اليوم يا أذني"؛ينظر:رابط الموسوعة العالميّة للشّعر العربي"adab.com":

http://www.adab.com/modules.php?name=Sh3er&doWhat=shqas&qid=83707&r=&rc=3

شوهد بتاريخ:13رمضان1440هـ/18مايو2019م،على السّاعة:17:50.

[2] حافظ إبراهيم،ديوان حافظ إبراهيم؛ضبط وتصحيح:أحمد أمين وآخران،الهيئة المصريّة العامّة للكتاب،القاهرة-مصر؛ط03: 1987م،ص257.والبيت من [المتقارب].

[3] عبد الرّحمان حسن حبنّكة الميداني،أمثال القرآن،مرجع سبق ذكره،ص19.

[4] محمّد مصطفى الزحيلي،القواعد الفقهيّة وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة،مرجع سبق ذكره،ج01،ص219.

[*] المثَل أصله بيت لـ(طَرَفَة بنُ العَبْدْ)،من [الطّويل]:«أَبَا مُنذِرٍ!أَفنَيْتَ فَاسْتَبْقِ بَعْضَنَا حَنَانَيْكَ!بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ» طَرَفَة بن العَبْد،ديوان طَرَفَة بن العَبْد؛اعتنى به:حمدو طمّاس،دار المعرفة،بيروت-لبنان؛ط01:1424هـ/2003م،ص61.

[5] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج03،ص134.

«لسنا في هذا المقال ننقد كتابًا ولا كاتبًا وإنّما ننقد فكرة خبيثة تمدّها عقول وتغذّيها أسباب،ثم تبرز على الألسنة والأقلام بصور مختلفة،فلا يقولنَّ قائل قرأ الكتاب:ما أهوَنَ الصَّيد وما أعظم الصّائد؟! وليقرأ المقال إلى آخره فسيتبين ما نعني....."الكاتب"».[1]

استعان المرسل،بالمثَل القائل:"ما أهوَنَ الصَّيدَ وما أعظَمَ الصَّائِدَ" ليعزّز من القوّة التّلميحيّة لخطابه،بالرّغم من أنّه وقَّعَ على خطابه باسم يدلّ على شخص مجهول "الكاتب".

3-أ-6- استعمال التّشبيه والتّمثيل:

لصاحب الخطاب التّلميحي إمكانيّة توظيف بعض الأدوات البلاغيّة،ليجعل منها أدوات تلميحيّة بامتياز كاستثماره لآليَّتي التّشبيه والتّمثيل،لما يتمتّعان به من خصائص تلميحيّة.

حيث يُعرَفُ عن التّشبيه،أنّه يأتي «على ضربين:

أحدهما:أن يكون من جهة أمر بيِّن لا يحتاج إلى تأوّل.

والآخر:أن يكون الشّبه محصَّلا بضرب من التأوّل».[2]

وما يهمّنا في هذا المبحث،هو الضّرب الثاني الذي يستدعي عملًا ذهنيًا تأويليًا من المتلقّي،ولهذا طالما وُظِّفَ في الخطاب التّلميحي الإبراهيمي بصيغ مختلفة تخضع لظروف سياقيّة ومقاصديّة عديدة،لتصبح لكل صيغة أداتها التي تميّزها عن باقي الأدوات،فأحيانًا يكون التّشبيه باستعمال "كاف التّشبيه" وأحيانًا يصرّح بلفظ "الشّبه"...إلخ.

وتمثّل الصّيغ اللغويّة التي جاء بها الخطاب التّلميحي التالي،صورة من صور توظيف التّشبيه الذي استُعمِلَت فيه "كاف التّشبيه" المستمَدَّة من القالب اللغويّ الجاهز،عند استحضار (الإبراهيمي) لآية قرآنيّة وضمَّنها خطابه التّشبيهي،بقوله:

«فبعض النّاس يكونون عونًا للمصيبة على المصَاب،وبعض النّاس يكونون لبعض ﴿**كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ**﴾،[الحشر:16]».[3]

لم يصرّح المرسل بأسماء وصفات هؤلاء النّاس،بل اكتفى باستعمال عبارة "بعض النّاس"،وتكريرها على سبيل المقارنة والتّشبيه،ليدعّم تشبيهه وخطابه التّلميحي،كَكُل،بآية قرآنيّة.

ويمكن أن يتجاوز باعتماد الأسلوب ذاته،استعمال أكثر من قالب لغوي جاهز،مثلما عبَّر عنه في خطابه ضدَّ تصرّفات مُفْتٍ،كان قد عيّنه الاحتلال الفرنسي،ليقول عنه (الإبراهيمي):

«ومن هذا ولهذا رأى النّاس مفتيَ الجامع الحنفي متردّدًا دائمًا على مقر المجلس،متّصلًا بأعضائه مداخلًا لهم،متطارحًا عليهم،متملقًا إيّاهم،لا يفارق أحدهم إلا ليتّصل بآخر،كأنّه المعني بقول القائل:لا يرسل السَّاق إلا ممسكًا ساقًا،وكأنّه

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج01،ص212.

[2] عبد القاهر الجرجاني،أسرار البلاغة؛تح:محمود محمّد شاكر،دار المدني،القاهرة-مصر؛د ط:د ت،ص90.

[3] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج04،ص250.

آنس منهم صاغية،فهدَّد في بعض ما كَتَب بأنَّ (سَعيَهُ سَوفَ يُرَى)...».[1]

جعل المرسل من بعض القوالب اللغويّة الجاهزة،ركيزة لخطابه التّلميحي،ليأتي بها في صُوَر تشبيه الشَّخص المتحَدَّث عنه والأشخاص الذين تحدَّثَتْ عنهم تلك الأقوال،فعندما قال:"لا يرسل السَّاق إلا ممسكًا ساقًا "،فيه إشارة إلى المَثَل العربي "لا يُرسِلُ السَّاقَ إلّا مُمسِكًا سَاقًا"؛حيث «يُضرَبُ مثلًا للرَّجُلِ الحازِمِ،لا يترك شيئًا إلّا إذَا تعلَّقَ بآخَر،وهو من شِعرٍ لأبي دُوَادٍ الإيَاديِّ يقول فيه:[...]

أنَّ أُتِيحَ لَهُ حِربَاءُ تَنْضُبَةٍ لَا يُرسِلُ السَّاقَ إلّا مُمسِكًا سَاقَا».[2]

ثم تابع تصوير حال ذلك المفتِي،ليقول على لسانه:﴿**وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ**﴾،[النَّجم:40].

ومن مقتضيات استعمال التَّشبيه في الخطاب التّلميحي لدى (الإبراهيمي)،أنّه يستعمله في سياق التّهكّم والسّخرية من المتحدَّث عنه،ليستدعي (الإبراهيمي) من كفايته اللغويّة،قالبًا شاعريًا جاهزًا سبَق وأن سَخِرَ قائله بأقوام آخرين،ثم يسقطه على الجماعة الذين يَسخَرُ منهم ومن أعمالهم،كخطابه الذي هاجم فيه بعض الطّرقيّين الذين أسَّسُوا جمعيّة مناوئة لجمعيّة العلماء،سمَّوها بـ"جمعيّة السُّنَّة"،لهذا ردَّ عليهم بمقال،نسوق منه هذه الفقرة:

«وإنَّ هذه السُنَّة المطهَّرَة تأبى لنا إلا أن نسمِّيهم بأسمائهم وأن نفضح مخازيهم ونكشف سوآتهم وننزع عنهم هذا الثّوب المستعار،ونظهرهم للأمّة كما هم في الحقيقة والواقع لا كمَا هم في الزَّعم والدّعوى،ويومئذٍ يتبيّن للنّاس أنّ بين هؤلاء وبين السُنَّة بُعدَ المشرِقَين.

إنّ نسبة هؤلاء القوم إلى السُنَّة كنِسبَة عَمْرُو الذي قال فيه الشَّاعر:

ارْفَقْ بَعمْرُو إذَا حَرَّكْتَ نِسبَتَهُ فَإِنَّهُ عَرَبِيٌّ مِن قَوارِيرِ!».[3]

لجَأَ المرسل إلى تشبيه حال الجماعة المتحدَّث عنها،بحال القوم الذين عنَاهم الشَّاعر،ليزيد هذا التّشبيه أو المطابقة بين الحالين،من القوّة التّلميحيّة للمقال بصفة عامّة وليس هذه الفقرة فحسب.

ومن بين صيغ التّشبيه التي يمكن أن يوظِّفها (الإبراهيمي) في بناء خطابه التّلميحي،هو التّصريح بلفظ "الشّبه" ليعبِّر عن مدى احتقاره للشَّخص أو الجماعة التي يتحدَّث عنها،مثلما جاء في شأن حديثه عن الأعضاء المسلمين المنتمين إلى المجلس الجزائري إبَّان الاحتلال الفرنسي،ليقول عنهم:

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج03،ص110.

[2] أبو هلال العسكري،كتاب جمهرة الأمثال؛ضبط وتنسيق:أحمد عبد السّلام،وخرّج أحاديثه:محمّد سعيد زغلول،ج02،دار الكتب العلميّة،بيروت-لبنان؛ط01:1408هـ/1988م،ص303.والبيت من [البسيط]؛ينظر شرحه في:ديوان أبي دَوادِ الإيَادِي؛جمع وتحقيق:أنوار محمود الصّالحي وأحمد هاشم السّامرّائي،دار العصماء،دمشق-سورية؛ط01:1431هـ/2010م،ص133.

[3] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج01،ص115. والبيت من [البسيط]،وهو منسُوب إلى الشّاعر (بشَّار بن بُرْدْ)؛ ينظر:أبو العبّاس أحمد بن محمّد الجرجاني،المنتخَب من كنايات الأدباء وإشارات البلغاء؛تصحيح:محمّد بدر الدِّين النعساني،د د ن،مصر؛ط01:1326هـ /1908م،ص14.

«وبين تنازع الأحزاب ومعاكسة الحكومة وُلِدَ هذا الدّستور الأبتَر الذي أنتم ومجلسكم من ثمراته،ولم يوجد في الدّنيا شيء يجمع بين كونه مسخوطًا عليه كأنّه نقمة،ومحسودًا عليه كأنّه نعمة،إلا هذا الدّستور،فما أشبه هذه الأمّة بقول القائل:"حتّى على الموت لا أنجُو من الحسَد"».[1]

استعمل المرسل التّشبيه بلفظ صريح،ليُسقِط عجز بيت شعري[*]،على واقع أولئك الأعضاء احتقارًا لهم ولأعمالهم،والدّليل على ذلك أنّه استعمل في ذات الصّيغة التّعبيريّة،ألفاظًا تدلّ على البُعد من المرسل إليه،في قوله:"أنتم ومجلسكم".

وقد تتدخّل "كاف التّشبيه"،لتكون ضمن البنية اللغويّة للخطاب التّلميحي الإبراهيمي،في سياق نصح وتحفيز مرسل إليه معيَّن،تربطه بـ (الإبراهيمي) علاقة وُدٍّ وصداقة في محورها التّكافؤي،مثلما عبَّرت عنه لغته التي خاطب بها زملاؤه في الجمعيّة،بقوله:

«إخواني:

العاقل من جَارَىَ العقلاء في أعمالهم في دائرة دِينِه وقوميّته ووِجدَانِه،والحازم من لم يرضَ لنفسه أخَسَّ المنازل،وأخَسُّ المنازل للرَّجُل منزلة القول بلا عمل،وأخَسُّ منها أن يكون الرَّجُل كالدَّفتَر يحكي ما قال الرّجال وما فعَل الرِّجال دون أن يضرب معهم في الأعمال الصّالحة بنصيب،أو يرمي في معترك الآراء بالسَّهم المصيب».[2]

تدرَّج المرسل في خطابه التّلميحي الدَّاعي إلى تحفيز المرسل إليه،من أجل العمل أكثر فأكثر؛حتّى يكون له شأن في هذه الحياة،لذا لجَأَ (الإبراهيمي) في تلميحاته إلى توظيف المسلك غير المباشر المتَّسِم بالعموم دون اللّجوء إلى المسلك المباشر المتَّسِم بالتّخصيص،بناءً على العلاقة الحميميّة التي تجمعه بالمعني من هذا الكلام،بالإضافة إلى غياب السّلطة الوظيفيّة أو الاجتماعيّة التي تجمع بينهما،فهما متكافئين من حيث الدّرجة الوظيفيّة والرتبة العلميّة والاجتماعيّة معًا وبالتالي جاءت البنية اللغويّة محمّلة بمعجم لغوي خاص،يمكن أن نلخّص معانيه الضّمنيّة في المخطّط التالي:

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج03،ص186.

[*] في إشارة إلى بيتٍ لـ (الوَأوَاء الدِّمَشقِي)،عندما أنشدَ من [البسيط]:

«هُمْ يَحْسُدُونِي عَلَى مَوْتِي فَوَا أسَفِي حَتّى عَلَى الموتِ لا أَحْلُو مِنَ الحسَدِ»

ويُنسَب أيضًا لـ (يزيد بن مُعاويَة)،ينظر:الوَأوَاء الدِّمَشقِي،ديوان الوَأوَاء الدِّمَشقِي؛تح:سامي الدّهان،دار صادر،بيروت-لبنان؛ط02: 1414هـ/1993م،ص267.

[2] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج01،ص56.

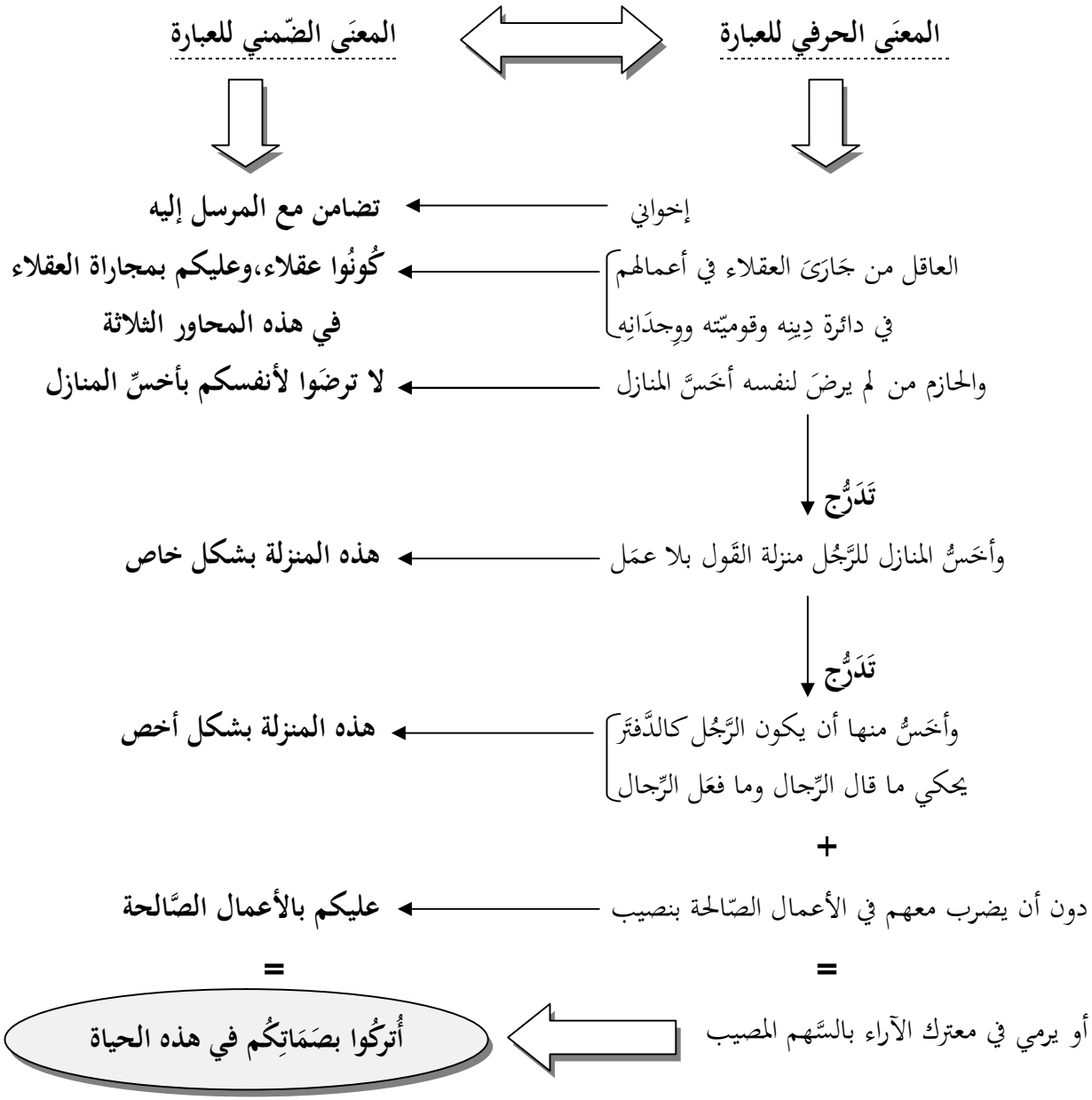

– مخطّط رقم27:يوضّح كيفيّة توظيف آليّة "التّشبيه" في الخطاب التّلميحي لدَى (الإبراهيمي)–

وهناك بعض المواضع الخطابيّة،التي يمكن أن يستعمل فيها (الإبراهيمي) آليّة التّمثيل بدل التّشبيه؛لأنّ الأوّل أخصّ من الثاني،فكل «تمثيل تشبيه وليس كلّ تشبيه تمثيلًا».[1]

ولهذا يلجأ إليه (الإبراهيمي) في المواقف الخطابيّة التي تكون فيها علاقته بالمرسل إليه مقسّمة إلى نوعين: الأولى،علاقة أخويّة وأمّا الثانية،فهي علاقة صَد ونفور،وكل من النّوعين حاضرين أثناء إنتاج الخطاب،فيكون التّلميح باستثمار آليّة التّمثيل المستندة على قوالب لغويّة جاهزة أحسن آليّة يمكن اختيارها لتفِيَ بالغرض المطلوب دون توريط المرسل في صراع مع النوّع الثاني من المرسل إليه،كما حدَث في خطبته بمناسبة افتتاح مسجد بـ"سطيف"،عند قوله:

[1] عبد القاهر الجرجاني،أسرار البلاغة،مرجع سبق ذكره،ص95.

«أيّها السّادة:إنّ **لله** في هذا الجامع حكمة،فقد كان مصداقًا للمثَل الذي ضربه نبيّنا (ﷺ) بحال الثلاثة الذين دخلوا عليه وهو جالس مع أصحابه،فيما روينا في صحيح البخاري فأقبل عليه اثنان منهم وأعرض الثالث،ووجَد أحد الرَّجُلَينِ فُرجَةً فجلس فيها،وجلس الآخر خلف الصّفّ استحياءً،فلمّا فرغ رسول **الله** (ﷺ) من حديثه قال:ألا أخبركم عن الثلاثة،أمّا أحدهم فأوى إلى **الله** فآواه **الله**،وأمّا الآخر فاستحيَا فاستحيَا **الله** منه،وأمّا الثّالث فأعرض فأعرض **الله** عنه.

وصدق رسول **الله** (ﷺ)،فقد بذل قومٌ في هذا الجامع أموالهم لا يرجون إلّا **الله** والدّار الآخرة،وتوقّف قوم ابتلاهم **الله** بأن لا يخالفوا إلّا فيما اتّفق عليه النّاس،فكانوا سببًا في إثارة مشاكل ومعاكسات في وجه هذا المشروع عَطَّلَتْ السَّير ولكنَّها لم تأت عليه من القواعد،ومكايد ومعارضات جَرحَتْ ولكنّها لم تُصِبْ المقتَل،ولو كان شرّ هؤلاء الكائدين قاصرًا على أنفسهم لهان الأمر،ولكنّهم أبَوْا إلا أن يَصُدُّوا عن سبيل **الله** مَن آمَنَ به،وإلّا أن يكُونُوا كَمَن انخزل بالنّاس يوم أُحُدْ».[1]

اعتمد المرسل على أسلوب التّمثيل الموجود في الحديث النّبوي الشّريف،ليسقطه بطريقة التّوازي على أحوال الأنواع الثّلاثة من الجماعات المعنيَّة بهذا الخطاب،فهو لا يستطيع أن يقول لكل أحد حضَر الخطبة أنتَ كُنتَ من الجماعة التي قامت بالفعل الصّحيح أو الفعل الخاطئ،مع أنّه ركّز في تلمحيه على الطّائفة التي كانت تعرقل سَيرَ إنجاز المسجد أكثر من غيرها،والدَّليل على ذلك أنّه استند إلى مرجعيّته التاريخيّة،وكفايته الموسوعيّة،ليوظَّف حادثة تاريخيّة معروفة في كتب السّيرَة النّبويّة،ومثَّلهم بالأشخاص المتورّطون فيها،عندما قال:"كَمَن انخزلَ بالنَّاس يوم أُحُدْ"،في إشارة إلى حادثة رِدَّة (عبد **الله** بن أُبَيْ بن سَلُول) ومن اتَّبَعه،يوم غزوة أُحُدْ.[2]

ويوضّح لنا،المخطّط الآتي،المعاني الضّمنيّة لبعض العبارات:

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج01،ص.ص92-93. وأمّا لفظ الحديث،في الصّحيحين،فقد وردَ،بأنّه قال (ﷺ): «ألا أخبركم عن النَّفر الثّلاثة؟ أمّا أحدهم فأوى إلى **الله** فآواه **الله**،وأمّا الآخر فاستحيَا فاستحيَا **الله** منه،وأمّا الآخر،فأعرض فأعرض **الله** عنه»،أبو عبد **الله** محمّد بن إسماعيل البخاري،صحيح البخاري،مرجع سبق ذكره،ص29.رقم الحديث [66].وص.ص126-127.رقم الحديث [474].وأبو الحسين مسلم بن الحَجَّاج،صحيح مسلم،مرجع سبق ذكره،ص967.رقم الحديث [2176].

[2] ينظر:شهاب الدِّين النويري،نهاية الأرَب في فنون الأدب؛تح:علي محمّد وعبد المجيد ترحيني،ج17،دار الكتب العلميّة،بيروت-لبنان؛ط01:1424هـ/2004م،ص64.

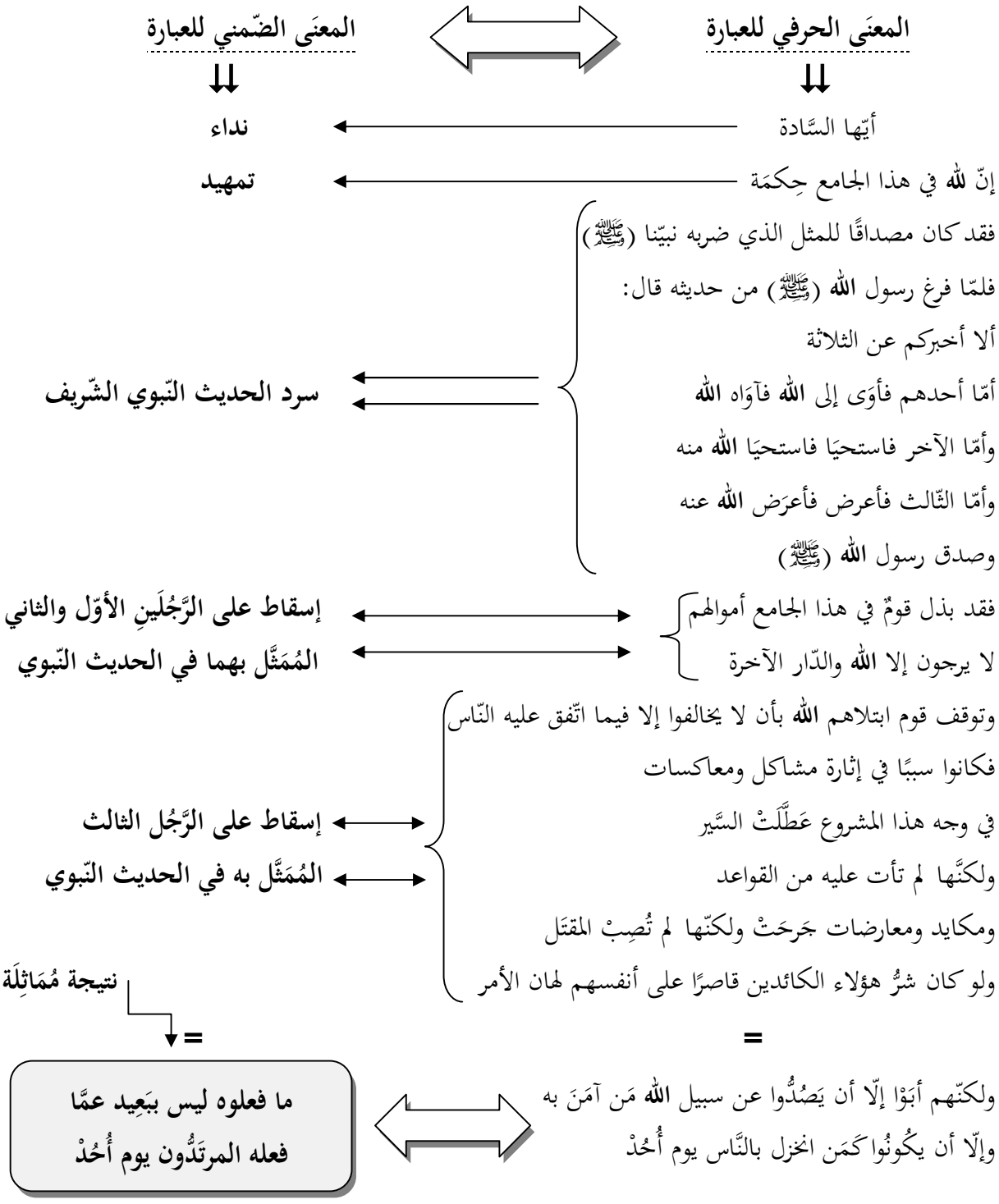

– مخطّط رقم28:يوضّح كيفيّة توظيف آليّة "التّمثيل" في الخطاب التّلميحي لدَى (الإبراهيمي)–

ويمكن أن يكون التَّمثيل عن طريق توظيف الأمثال العربيّة،باعتبارها قوالبًا لغويّة جاهزة تستمدّ قوّتها التّلميحيّة من حيث كونها تنتمي إلى التّعابير الاصطلاحيّة ذات الدِّلالة الاجتماعيّة؛أي ذات دلالة مشتركة بين طرفي الخطاب.

وكثيرة هي مقالات (الإبراهيمي)،التي ضمّنها استخدام مثل هذا المسلك الخطابي،ويُعَدُّ الجزء الثالث من آثاره "عيون البصائر"،صاحب الحظّ الأوفر من هذا الاستعمال(*)؛نظرًا لوجود عناصر سياقيّة تداوليّة خاصّة ساهمت في دفع (الإبراهيمي) إلى تبنّي هذا المسلك الخطابي.

كما وَرَدَ في مقاله المعنوَن بـ"عَادَتْ لعِتْرِهَا لمِيسْ"؛الذي هاجم فيه الإدارة الجزائريّة والاستعمار الفرنسي،وكذا أعمال بعض الطُّرق الصُّوفيّة من بعدهم؛حيث قال عنهم:

«ولميس هذه في مورد المثَل هي امرأة كانت لها عوائد شرّ تعتادها،وأخلاق سُوءٍ تفارقها ثم تقارفها،لغلبة الفسَاد فيها وصيرورته أصلًا في طباعها- والعِترُ هو الأصل- فَسَيَّرَت العرب فيها هذا المثَل.

أمّا في مضرب المثَل فهي الإدارة الجزائريّة،وعترهَا هو الاستعمار البغيض إلى كل نفس،وما يقتضيه من ظلم وعَنَت للمستَضعَفِين،وما يبنى عليه من انتهاك لحرماتهم،وما ينتهي إليه من وحشيّة في معاملتهم،وقتل لمعنويّاتهم،ومسخ لأخلاقهم».(1)

نلاحظ كيف أسقط المرسل،المثَل العربي ومَورِده معًا،على أعمال الجماعة المتحدَّث عنها،وسرده لمورِدِ المثَل وشرحه إيّاه،فيه من الأدلّة بأنّ (الإبراهيمي)،يريد توجيهَ مقاله إلى عموم قرّائه؛أي إلى مرسل إليه عام،ذو كفاية لغويّة محدودة ولو كان يريد توجيهه إلى مرسل إليه مخصوص،له إلمام بالأدب العربي،لما احتاج إلى هذا الشَّرح.

3-أ-7- توظيف الاستعارة:

تحتلّ الاستعارة في البيان العربي مرتبة أعلى من مرتبة التّشبيه لعدّة أسباب،من بينها؛«أنّها أكثر من التّشبيه توغّلًا في أساليب البيان غير المباشر»(2) ؛ولأنّها «لا توجد في ذاتها،بل في التّأويل».(3)

وبهذا تغدو آليّة مهمّة من الآليّات اللغويّة التي يمكن أن يعتمد عليها المرسل في تأسيس إستراتيجيّته التّلميحيّة؛فهي بحسب قول (السّكّاكي):«أن تذكُرَ أحد طرفي التّشبيه وتريد به الطَّرف الآخر مدّعيًا دخول المشبّه في جنس المشبّه به،دالًا على ذلك بإثباتك للمشبّه ما يخص المشبّه به».(4)

وكثيرًا ما يوظّفها (الإبراهيمي) في خطابه التّلميحي الذي يهاجم من خلاله الاحتلال الفرنسي أو بعض أقطاب الطُّرُق الصّوفيّة المرتمين في حضنه؛إذ تعتَبر الصّيغة الخطابيّة التالية،إحدى خطاباته التي عبَّرت عن هذه المقاصد،قائلًا:

(*) ينظر:على سبيل المثال،مقالاته التّالية:«...في كلّ نادٍ أثَرٌ من ثَعلبَة»،ص381،«أفي كلّ قرية حَاكم بأمره»،ص.ص338-340، «الإنكليز حَلقَة الشَّر المفرَغَة»،ص449.

(1) البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج03،ص341.

(2) عبد الرّحمان حسن حبنّكة الميداني،البلاغة العربيّة،مرجع سبق ذكره،ج02،ص263.

(3) بول ريكور،نظريّة التّأويل "الخطاب وفائض المعنى"؛تر:سعيد الغانمي،المركز الثّقافي العربي،الدّار البيضاء-المغرب؛ط02:2006م، ص90.

(4) أبو يعقوب السّكّاكي،مفتاح العلوم،مرجع سبق ذكره،ص369.

«يا هؤلاء!إنّ الاستعمار شيطان،وإنّ الشّيطان لكم عدوٌّ فاتّخذوه عدوًا،وإنّ الاستعمار شَرّ،ومُحَال أن يأتي الشَّرُّ بالخير،ومُحَال أن يُجنَى من الشُّوك العنب».[1]

يريد المرسل أن يُفهِمَ (الأمّة الجزائريّة) المعنيَّة بالخطاب؛أنّ أعمال الاستعمار الفرنسي في أرضكم،مثلها مثلَ أعمال الشّيطان –حتّى وإن لم يصرّح بها–؛بل اكتفى بالوصف مباشرة مع أنّه يريد الخصائص المشتركة بين المستعار منه والمستعار لأجله؛حينما قال:"يا هؤلاء!إنّ الاستعمار شيطان"،ليدعّم هذا القول مباشرة باقتباس من قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا**﴾،[فاطر:06]،على سبيل الإقناع (الحِجَاج)،ليمرَّ بعدها إلى الوصف الثاني بأنّ "الاستعمار شَرّ" ليتبعه بقوله:"ومُحَال أن يُجنَى من الشُّوك العنب"،إشارة إلى المثَل العربي الشَّهير«إنّك لا تجني من الشُّوك العنب أي لا تجد عند ذي المنبَت السُّوء جميلًا».[2]

وضمن سلسلة مقالاته التي عالج فيها بعض المشاكل الاجتماعيّة،نجد المسلك ذاته،في مقاله المعنوَن بـ"أعراس الشّيطان"؛حيث هاجم من خلاله،شيخ طريقة صّوفيّة في الغرب الجزائري،بعد أن أوحَى إلى جماعته بتنظيم "وُعْدَة أو زَرْدَة"[*]،تُقَام سنويًا أمام ضريح من الأضرحة المشهورة في تلك المناطق،لهذا سمّاها (الإبراهيمي) بأعراس الشّيطان وممّا قاله عن منظِّمها:

«ولكن يبدو لنا أنَّ الشَّيطان المكلَّف بالعمالة الوهرانيّة بَلِيد القريحة،جامد الفكر،خامد الذَّوق،جافي الطَّبع،كثيف الحسّ،خشن المسّ،بدوي النَّزعة،وحشي الغريزة،فكلّ ما يأمر به أولياءه وأتباعه فهو من جنس طبعه».[3]

إنّ استعمال المرسل للاستعارة في هذا السّياق التّداولي،وبهذه الصّياغة التّعبيريّة،دليل على ما يكنّه من احتقار وسخرية للشَّخص المتحدَّث عنه.

3-أ-8- استعمال الكناية:

تعدّ "الكناية" آليّة مهمّة،من آليّات «التَّعبير عن المراد بطريقة غير مباشرة،ولا يستطيع تصيُّدَ الجميل النّادر منها ووضعه في الموضع الملائم لمقتضى الحال إلّا أذكياء البلغاء وفطناؤهم،وممارسو التّعبير عمّا يريدون التّعبير عنه بطُرق جميلة بديعة غير مباشرة».[4]

ولهذا يمكن لصاحب الخطاب التّلميحي،أن يجعل منها أداةً مهمّة لتأسيس هذا النّوع من المسالك الخطابيّة،بما أنّها «ترك التّصريح بذكر الشّيء إلى ذكر ما يلزَمُه،لينتقل من المذكور إلى المتروك».[5]

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج03،ص288.

[2] أحمد النيسابوري الميداني،مَجمَع الأمثال،مرجع سبق ذكره،ج01،ص52.

[*] "الوُعْدَة" أو "الزَّرْدَة"،تجمّع سنوي يقيمه،بعض أتباع الطّرق الصّوفيّة،يقيمون فيه الذّبائح أمام ضريح مَا،يعتقدون أنّ صاحبه وَليٌّ من أولياء **الله** الصّالحين.

[3] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج03،ص320. وقد استَخدَمَ المسلك الخطابي ذاته،ضمن الجزء نفسه؛ينظر: «إبليس ينهى عن المنكر!...»،ص414،و«إبليس يأمر بالمعروف!...»،ص418.

[4] عبد الرّحمان حسن حبنّكة الميداني،البلاغة العربيّة،مرجع سبق ذكره،ج02،ص141.

[5] أبو يعقوب السّكّاكي،مفتاح العلوم،مرجع سبق ذكره،ص402.

ويمكن أن ينوّع (الإبراهيمي)،بين صيغ لغويّة عديدة عند استعماله لهذه الآليّة في خطابه التّلميحي،كما اتّضح لنا في صدد حديثه عن قضيّة اتّهام الاحتلال الفرنسي لزميله (الطّيب العقبي)،بأنّه قتل شيخ طريقة صوفيّة؛حيث اتّخذ عبّر (الإبراهيمي)،عن موقفه،وفقَ الصّيغ اللغويّة التالية:

«شممنَا رائحة الكَيد من تلك اللّحظة،ثم قرأنا في بعض الخُطَب والمقالات جُمَلًا فيها دَسٌّ وفيها تحريش،وفيها إشارات مُبهَمَة فوكَّلنا الأمر إلى **الله** الحق،وانتظرنا التّحقيق العَدلي وبدَأَتْ الألسنة تهرف،والأقلام ترجف،والتّحقيق يدور في طريق طامس إلى أن صدر الأمر بتفتيش نادي التَّرقّي وإدارة جمعيَّة العلماء وإدارة جريدة البصائر...».[1]

قد كنَّى المخاطِب عن علمه بالمكيدة المدبَّرَة مسبقًا بعبارة "شممنَا رائحة الكَيد"،لما للقضيّة من أبعاد سياسيّة خطيرة في تلك الفترة؛أي في مرحلة سادَهَا الهدوء الحذر من طرف جماعته،ومن طرف الاحتلال الفرنسي وأتباعه معًا،ولذلك دعَّم قوله التّلميحي بقوله:"وانتظرنا التّحقيق العَدلي وبدأَتْ الألسنة تهرف،والأقلام ترجف".

وقد يوظّف (الإبراهيمي) آليّة "الكناية"،للتّعبير عن عمل شنيع،كالأعمال الاستعماريّة ونحوها من طرق الظّلم ليقول:

«إنّ انكلترا وهي نبيَّة الاستعمار،الآتية بصُحُفِهِ الأولى،المدوِّنَة لشرائعه،المتلقيَّة لوَحيِهِ-من الشَّيطان-أحسَّت بخطر هذا المرض الوبيل،وأنّه قاضٍ عليها إن لم تقضِ عليه،فعالجته بعدَّة أشفيَة سطحيَّة...».[2]

عبَّرت الكناية في قول (الإبراهيمي):"إنّ انكلترا وهي نبيَّة الاستعمار الآتية بصُحُفِهِ الأولى"،بأنّ انكلترا هي من سَنَّ سُنَّة الاستعمار في العالم والمشرِّعَة لقوانينه،ومع ذلك راجعت حساباتها قبل أن يقتلها داؤها الذي ابتدعه،وكأنّه يقول لفرنسا:"ها هي أختك التي تقتدِينَ بها راجعت حساباتها،أمَا آنَ لَكِ أنتِ أيضًا أن تراجِعي حساباتك**!!**".

كما يمكن (للإبراهيمي) أن يستعمل آليّة "الكناية"،في صيغة القالب اللّغوي الجاهز،والذي طالما استمدَّه من كفايته اللغويّة،ليجسِّدها في ضرب الأمثال العربيّة العتيقة،كما تمّ في النّموذج الخطابي الآتي:

«فهل يحسُنُ بنا،وقد أنضينَا قرائحنا في تعلُّم هذه السُنَّة المطهَّرَة وبذلنا في العمل بها جهد المستطيع،وركبنا المخاطر في الدَّعوة إليها،هل يحسُنُ بنا بعدَ هذا كلّه أن نسكُتَ لهؤلاء عن هذه الدَّعوى الباطلة،ونُولِيهم منَّا ما تَولَّوا ونُبلِغَهُم ريقَهم،وهل يحسُنُ بنا أن لا يكون لنا في الدّفاع عنها ما كان منَّا في الدَّعوة إليها؟ إنّا إذن لمقصِّرُون!».[3]

استعمل المرسل مثَلًا عربيًا عندما قال:"ونُبلِغَهُم ريقَهم"[*]،كناية عن عدم ترك أيّة فرصة لهُم،وبالتّالي يكون قد أضاف بهذا الاستعمال قوّة تلميحيّة إلى البنية اللغويّة التي تضمّنها خطابه،كَكُل.

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج01،ص265.

[2] المصدر نفسه،ج05،ص96.

[3] المصدر نفسه،ج01،ص114.

[*] أصله "أبْلِغْنِي رِيقِي"؛أي «لا تكثر عليَّ السّؤال فيعجّلني جوابك عن بَلغِ رِيقِي»،أبو العبّاس أحمد الشريشي،شرح مقامات الحريري ؛تح:محمّد أبو الفضل إبراهيم،ج02،المكتبة العصريّة،بيروت-لبنان؛د ط:1413هـ/1992م،ص153.وأمّا عن مَورِدِه،يقال إنّ: (عليّ رضي **الله** عنه) أرسل (جرير بن عبد **الله** البَجلي) إلى (معاوية بن أبي سفيان) «ليأخذه بالبَيعَة،فاستعجل عليه،فقال معاوية:=

3-أ-9- توظيف التّعريض:

التّعريض أسلوب من «الكلام أخفَى من الكناية فلا يُشتَرطُ في التّعريض لزوم ذِهنِي،ولا مصاحبة،ولا ملابسة ما بين الكلام وما يرُاد الدّلالة به عليه،إنّما قد تكفي فيه قرائن الحال،وما يُفهَمُ ذهنًا بها من توجيه الكلام[...]،وقد يراد بالتّعريض المعنى الحقيقي للكلام،وقد لا يراد».[1]

ولهذا يمكن أن يُستثمَرَ "التَّعريض" كآليّة من آليّات الاستراتيجيّة التّلميحيّة،لما له من خصائص دلاليّة ترتبط مباشرة بمقاصد المرسل والظّروف المحيطة بإنتاج الخطاب،وتبقى قدرة المرسل التّواصليّة،هي الفيصل في مدى تفعيل القوّة التّلميحيّة المكتَسبَة من وراء تطبيق آليّة "التّعريض".

وإذا نظرنا إلى الصّيغ التي يمكن أن يدرجها (الإبراهيمي) في خطابه التّلميحي،نجدها تتنوّع بتنوّع مقصديّة كل خطاب والخلفيّة التي يمتلكها (الإبراهيمي) عن المعني بخطابه،بالإضافة إلى المعرفة المشتركة بينهما مسبقًا.

وتعدُّ طريقة السّؤال والجواب،من أبرز صيغ التّعريض التي يتحلَّى بها الخطاب التّلميحي الإبراهيمي،مثلما جاء به مقاله الموسوم بـ"أضعنا فلسطين"،عندما خاطَبَ به العرب أوّلًا،والمسلمين ثانيًا،قائلًا لهم:

«أمّا السّؤال الأوّل فهو:هل أضعنا فلسطين؟.

الجواب:نعم.

السّؤال الثاني:هل أعطيناها أم أخذوها منّا؟.

الجواب:أعطيناها نحن...

السّؤال الثالث:هل يمكن استرجاعها؟.

الجواب:يمكن استرجاعها...

ثم قال:بماذا أضعنا فلسطين؟.

الجواب:أضعناها بالكلام.

فقد كان الشّعراء يُنَظِّمُون القصائد الطّويلة العريضة في مَدِيح العرب وتسفِيل اليهود،والكُتَّاب يكتبُون والسَّاسَة يصرِّحُون،فبين النّظم والتّصريح والكتابة والخطاب ضاعَت فلسطين...

ثم قال:الرَّجُلُ البطل يعمل كثيرًا ولا يقول شيئًا...».[2]

تدرَّج المرسل في تقديم إجابة لكل سؤال يطرحه،إلى أن وصل إلى نتيجة حقيقيّة،هي أنّه من أسباب ضياع فلسطين اتّكال العرب على الأقوال فقط دون الأعمال،ليقول لهم في النّهاية:"أيّها العرب؛لكي تسترجعُوا فلسطين،لابدَّ أن تكونُوا أهلًا للفعل وليس للقول،وهذه هي السِّمَة الحقيقيّة للبطولة".

=إنّها ليست بخدعة الصَّبي عن اللَّبن،هو أمرٌ له ما بَعدَه،فأَبْلِغْنِي ريقِي،والهاء في "إنّها" للبَيعَة،والخدعَة:ما يُخدَعُ به،أي ليس هذا الأمر أمرًا سهلًا يُتَجَوَّزُ فيه»،أحمد النيسابوري الميداني،مَجمَع الأمثال،مرجع سبق ذكره،ج01،ص60.

[1] عبد الرّحمان حسن حبنَّكة الميداني،البلاغة العربيّة،مرجع سبق ذكره،ج02،ص152.

[2] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج04،ص.ص282-283.

ومن الصّيغ التّعبيريّة،التي تدُلُّ على توظيف آليّة "التّعريض" في الخطاب التّلميحي الإبراهيمي،هو استعمال صيغ الدّعاء؛حتّى يمرّر من لخالاها،بعض التّوجيهات والنّصائح لمرسل إليه محدَّد،فتكون عندئذٍ دلالة الخطاب في ظاهرها تضامن وفي عمقها أوامر وتوجيهات؛فمن مُوجِباتِ «احترام فكر المخاطَب وتقديره الإيجاز له في الأشياء التي يمكن أن يفهمها بنفسه،إذا كان أهلًا لذلك،ويَحسُنُ هذا الإيجاز جدًّا إلى حدِّ الرّمز في مواقف خاصّة».[1]

وهذا ما نجده في إحدى الفقرات من خطبته التي ألقاها بمسجد "كتشاوا"[*]،والأوضاع السّياسيّة في البلاد آنذاك تشهَدُ بعض الاضطراب والاختلاف؛لذا جاءت البنية اللغويّة لخطبته محمَّلةً بالتّعريضات التالية:

«وأسأله تعالى للقائمين بشؤون هذه الأمّة أُلفَة تجمع الشّمل،ووحدة تبعث القوّة،ورحمة تضمّد الجراح،وتعاونًا يثمر المنفعة،وإخلاصًا يهوّن العسير،وتوفيقًا ينير السّبيل،وتسديدًا يقوّم الرّأي ويثبّت الأقدام،وحكمة مستمدَّة من تعاليم الإسلام وروحانيّة الشّرق وأمجاد العرب،وعزيمة تقطع دابر الاستعمار من النّفوس،بعد أن قطعت دابره من الأرض. ونَعُوذُ **بالله** ونبرَأُ إليه من كلّ داعٍ يدعُو إلى الفُرقَة والخِلافِ،وكلّ سَاعٍ يسعى إلى التّفريق والتّمزيق وكلّ ناعقٍ ينعِقُ بالفتنة والفساد».[2]

استغلَّ (الإبراهيمي) سلطته العلميّة،التي عزّزت من قوّتها هذه الخطبة،ليمرِّر رسائله المشفَّرة إلى بعض المسؤولين الذين كان يرى بأنّهم حَادُوا عن مسَار التّوجُّه الإسلامي والانتماء إلى الهويّة العربيّة،ومبادئ أخرى كانت قد أقرّتها الثّورة التّحريريّة؛فالخطاب التّلميحي لدى (الإبراهيمي)،جاء مُتَدَرِجًا من حيث قوّته التّلميحيّة،وهو ما يعبّر عنه المخطّط التالي:

تضامن مع السُّلطة العليَا ⇦ وأسأله تعالى للقائمين بشؤون هذه الأمّة

↓

أُلفَة تجمع الشّمل ووحدة تبعث القوّة

المعنى الحرفي:دعاء — **المعنى الضّمني**:حَثٌّ على الوحدة ونَبذِ الفُرقَة

↓

ورحمةً تضمِّدُ الجِراحَ

المعنى الحرفي:دعاء — **المعنى الضّمني**:حَثٌّ على الصَّفح والصُّلح

↓

وتعاونًا يُثمِرُ المنفعَة

(يُتبَع...)

---

[1] عبد الرّحمان حسن حبنَّكَة الميداني،البلاغة العربيّة،مرجع سبق ذكره،ج01،ص96.

[*] سبق لنا تحليل فقرة أخرى من هذا الخطاب،ضمن استعمال آليّة "النّداء"،للدّلالة على التّوجيه.

[2] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج05،ص306.

المعنى الحرفي:دعاء **المعنى الضّمني**:حَثٌّ على التّعاون

↓

وإخلاصًا يهوّن العسير

المعنى الحرفي:دعاء **المعنى الضّمني**:حَثٌّ على الإخلاص ونَبذِ الخيانَة

↓

وتوفيقًا ينير السَّبيل،وتسدِيدًا يقوّمُ الرَّأيَ ويثبّتُ الأقدامَ

المعنى الحرفي:دعاء **المعنى الضّمني**:حَثٌّ على الثّبات بما جاءت به مبادئ الثّورة التّحريريّة

↓

وحِكمَةٌ مُستَمَدَّة من تعاليم الإسلام وروحانيّة الشّرق وأمجاد العرب

المعنى الحرفي:دعاء **المعنى الضّمني**:حَثٌّ على العمل بمبادئ الإسلام وتحقيق الهويّة العربيّة

↓

وعزيمة تقطع دابر الاستعمار من النّفوس،بعد أن قطعت دابره من الأرض

المعنى الحرفي:دعاء **المعنى الضّمني**:حَثٌّ على الاستقلال التّام من بقايا الاحتلال الفرنسي

↓

ونَعُوذُ **بالله** ونبرَأُ إليه من كل دَاعٍ يدعُو إلى الفُرقَة والخلاف

وكلّ ساعٍ يسعَى إلى التَّفريق والتَّمزيق وكلّ ناعقٍ ينعَقُ بالفِتنَة والفَسَاد

المعنى الحرفي:دعاء **المعنى الضّمني**:حَثٌّ على الوحدة ونَبذِ الفُرقَة والحَذَر من دُعَاة الفِتنَة

– مخطّط رقم29:يوضّح كيفيّة توظيف آليّة "التّعريض" في الخطاب التّلميحي لدَى (الإبراهيمي)–

كما يمكن أن يستعمل المرسل التّعريض في سياقات أخرى،تقتضي الهَمز واللّمز من الآخرين؛كأن يوظف ثنائية الأنا/ الآخر؛أي بتأسيس تقابل بين الذّات والآخر.[1]

وهذا الأسلوب يشهد أيضا،تنوعًا في صيغه اللغويّة عندما يوظّفه (الإبراهيمي) في خطابه التّلميحي،كأن يخاطب شخصًا ميّتًا،أو يخاطب ذاته،أو يتخيَّل مرسلًا إليه غير عاقل ليجعَلَ منه طرفا في العمليّة التّخاطبيّة التّواصليّة،بغية تحقيق مقاصده الخطابيّة،معتمدًا في ذلك على ما يمتلكه من كفاية تخيّليّة.

إذ يعكس النّموذج الخطابي التالي،كيفيّة محاورة (الإبراهيمي) لزميله (ابن باديس) بعد مماته،ليمرّر بعض المعاني إلى الأمَّة الجزائرية،في قوله:

«وعزاء فيك لأمّة أردتَ رشادَهَا،وأصلحتَ فسادهَا،ونفقتَ كسادهَا،وقوَّمتَ منآدهَا،وملكتَ بالاستحقاق قيادَهَا وأحسنتَ تهيئتهَا للخير وإعدادَهَا،وحملتهَا على المنهج الواضح،والعِلمَ اللائح،حتى أبلغتها سدادَها[...] ولقد حييتَ فما كانت لفضلك جاحِدَة،ومِتَّ فما خيَّبَت من آمالك إلّا واحدة».[2]

بعد أن سرَدَ المرسل كلامًا طويلًا عمَّا قدَّمه (ابن باديس) لأمّته،وما بقيت هي عليه من عهد له،عرَّض في الأخير بقوله:"ومِتَّ فما خيَّبَت من آمالك إلّا واحدة"،وهو يعني بذلك القيام بثورة تطردُ الاحتلال الفرنسي.[*]

وبالمسلك الخطابي ذاته،خاطَبَ (الإبراهيمي) "العيد"،وكأنّه شخص عاقل يبثُّ له أحزانه وهُمُومَه،من الأحوال التي آلَت إليها الأمَّة الإسلاميّة،كما سبقَ وأن رأينا في خطابه على لسان حال الجزائر،عند دراستنا لآليّة الأفعال اللغويّة غير المباشرة،وفي ذلك قال:

«بأيّة حال عدت يا عيد؟أبالجد العاثر،أم بالجد السّعيد؟[...]،ماذا حملت حقيبة العام الماضي من أعمال المسلمين وأحوالهم؟ويمينا لو أنطقك **الله** الذي أنطق كل شيء لأدّيت شهادة الحقّ فيهم بنصّها،ولدللت حقيقة أمرهم على فصلها،ولَقُلتَ غير كاذب إنّ العام الماضي أظلّهُم وهم ساهون،وفارقهم بالأمس وهم لاهون،فلا رأيًا نافعاً قرروا،ولا وطنًا مغصوبًا حرّروا،وكل ما قطعوا فيه أنّات أحاديث لم يُملها العقل،وأقوال لم يصحّحها النّقل،ونزاع بينهم وجدال وغلو وتقصير ليس بينهما اعتدال،شقاق مع القريب،ووفاق مع الغريب،وكفر بالاتّحاد،وإيمان بالإلحاد،لا يَنُوا الأجنبيّ أكثر ممّا كانوا،ودانوا بطاعته أعظم ممّا دانوا،وأضاعوا من مصالحهم وأوطانهم وحرمانهم أضعاف ما صانوا،ولولا أربع هنّ في أعمالهم لمع،وفي عامهم جمع،لكانت صحائفهم في هذا العام كصحائف الفجّار ليس فيها حسنة».[3]

---

[1] ينظر:عبد الهادي بن ظافر الشّهري،استراتيجيّات الخطاب،مصدر سبق ذكره،ج02،ص194.

[2] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج02،ص58.

[*] ذكر (الإبراهيمي)،أنّ قصده من العبارة الأخيرة،هو:«القيام بثورة جارفة تكتسح الاستعمار الفرنسي،وتنتزع بها منه حريّتها واستقلالها،فهذه هي الأُمْنِيَة التي كنّا نتنَاجَى بها ونعمل لتصحيح أصولها،وقد حقّقت الأمّة الجزائريّة الماجدة هذه الأُمْنِيَة»،المصدر نفسه،الصّفحة نفسها.

[3] المصدر نفسه،ج05،ص89.وينظر أيضًا:«عِيدُ بأيَّة حَال عُدتَ...»،و«من وَحيِ العِيد»،المصدر نفسه،ج03،ص467، وص480.

استفتَح المرسل خطابه،بصدر بيت شِعري شهير (للمتنبّي)[*]،ليشرح فيما بعد أحوال وآلام المسلمين وما فعلُوه بمرور سنَة مضَت،وما آلُوا إليه من تفريط وصِراعات أضرَّت بهم وقوَّت من شَوكَة أعدائهم،فالخطاب موجَّه إلى كل مُسلِم قادر على تحمُّل المسؤوليّة.

3-أ-10- استعمال السُّخرية والتَّهكُّم:

يتجسّد كل من السّخرية والتَّهكُّمَ في الخطاب،من خلال «المفارقة الدّلاليّة وما يترتَّب عنها من غمُوض والتِبَاس».[1]

وبهذا يتبوّآن مكانتهما المهمّة ضِمنَ الآليّات اللغويّة التي تُبنَى عليها الاستراتيجيّة التّلميحيّة،فالمرسل الذي يَعرِفُ كيف يُوظِّفُ قدرته التّواصليّة في إنتاج خطابه السّاخر والتَّهكُّمِي،هو الأقرب إلى تحقيق مقاصده الخطابيّة والأكثر تأثيرًا في المتلقّي.

ويُعَدُّ (الإبراهيمي)،واحدًا من أولئك الكُتَّاب والخطباء الذين يُشهَدُ لهم ببراعة توظيف هذه الآليّة؛حيث يتّخذ الخطاب السّاخر عنده صِيَغًا متنوّعة،مستندًا في ذلك على ما يمتلكه من قدرة تواصليّة؛إذ تجسّدها قدرته على اللّعب بالألفاظ والتّراكيب كيفما يريد،بما أنّ طبيعة العلاقة بين صاحب الخطاب السَّاخر و«الهدف وكفاءة المتلقّي الواقعِي أو المفتَرَض تلعبُ دَورًا أسَاسيًا في تحديد القَدْرِ الذي تأخذُهُ السّخرية».[2]

ولنوعيّة الشّخص أو الجماعة التي يتمركز حولها خطابه السّاخر،دورها هي الأخرى في تحديد درجة اللّغة السّاخرة فعندما يسخَرُ (الإبراهيمي) من الاحتلال الفرنسي،ويجعل من أعماله شبيهة بأعمال الشّيطان،قائلًا:

«أصبحَ الاستعمار كالشَّيطان ملعُونًا بكل لسان،ممجُوجًا اسمه في كل سمع،ممقُوتًا في كل نفس،مُستَنكَرًا من كل عقل ومن ذا يرضى عن الطَّاعون الذي يُبقِي من السَّبعين سبعة،أو على السُّل الذي يختزل الآجَال من التِّسعِين إلى تسعة؟ ولكنَّ الذي يُحزِنُ الاستعمار أنّه لم يضمن البقاء كالشَّيطان فيكونُ من المنظَرِين إلى يوم الوقت المعلوم،فقد أحَاطَتْ به خَطِيئَاتِه،وربِعَت بالصَّيحَة الكبرى حجراته،وأمسى في حالة احتضار وسيفارق هذه الدّنيا غير مأسُوفٍ عليه،فلا تبكِي عليه سماء ولا أرض».[3]

لجَأَ المرسل إلى الرّافد القرآني،عند تشبيهه للاستعمار بالشّيطان،ليصُوغَ من بنيته الحرفيّة بمعانيها الظّاهرة والضّمنيّة خطابه السّاخر،بأن جعلَ من أحوال الاستعمار كأحوال الشّيطان التي جاء بها الخطاب القرآني؛فحينما قال:

"أصبحَ الاستعمار كالشَّيطان ملعُونًا بكل لسان" ⟵ هو تناص مع قوله تعالى:

﴿**وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾،[الحِجر:35-36].

---

[*] في قوله:«عِيدٌ بِأَيَّةِ حَالٍ عُدْتَ يَا عِيدُ بِمَا مَضَى أَمْ لِأَمْرٍ فِيكَ تَجْدِيدُ»،أحمد بن الحسين أبو الطيّب المتنبّي،ديوان المتنبّي،مرجع سبق ذكره،ص506.

[1] محمّد العُمَري،البلاغة الجديدة بين التّخييل والتّداول،أفريقيا الشّرق،الدّار البيضاء-المغرب؛ط2012:02م،ص87.

[2] المرجع نفسه،ص91.

[3] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج05،ص95.

وأمّا قوله:

"ولكنَّ الذي يُحزِنُ الاستعمار أنّه لم يضمن البقاء كالشَّيطان فيكونُ من المنظَرِين إلى يوم الوقت المعلوم" هو تناص مع قوله تعالى:﴿**قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ**﴾،[الحِجر:37-38].

وهذا هو وجهُ السّخرية البارز في هذه الفقرة الخطابيّة؛أي أنّ الشّيطان أحسن حالًا من هذا الاستعمار،على الأقل في ضمان بقائه،بما أنّ الاستعمار قد جَنَت عليه أفعاله،ليستمدَّ هذا المعنى من قوله تعالى:

﴿**بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾،[البقرة:81].

ليزيد من قوّة سخريّته،بقوله:"وأمسى في حالة احتضار وسيفارق هذه الدّنيا غير مأسُوفٍ عليه،فلا تبكي عليه سماء ولا أرض"،وهو تناص مع قوله (ﷻ):

﴿**فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ**﴾،[الدّخان:29].

وقد يجعل (الإبراهيمي)،من بعض الأعمال السَّيّئة التي يراها تصدُرُ من أشخاص فرَّطُوا في مسؤوليّاتهم تُجَاهَ الأمَّة الجزائريّة،سببًا لاختيار آليّة "السّخرية"،بغية الإصلاح والتّقويم؛أي«اختار لها الأسلوب الذي يبعث على الضّحك والتّفكّه...عساه ينجح في هذا الإصلاح والتّقويم».[1]

كما عبَّر في خطابه السّاخر،تُجَاهَ رئيس لجنة الأهلّة في فترة الاحتلال الفرنسي،بقوله:

«ويقول أيضًا:إنّ أعضاء هيأته كُلُّهُم متضامنُون متَّحدون متَّفقون على ما فيه الخير والصَّلاح ودرء الخلاف والشّقاق بين إخوانهم المسلمين الخ...وبعض هذا صحيح،وهو التَّضامن،فقد تضامنُوا في ليلة الشَّك على النَّوم من السَّاعة التّاسعة ونصف-العاشرة،وتركُوا الأمَّة تنتظر».[2]

نلاحظ أنّ (الإبراهيمي)،قد أسَّس لخطابه السّاخر انطلاقًا من حادثة يعلم مجرياتها بالتّفصيل،وما تبعه من آثار سلبيّة جرّاء تهاون الشَّخص المسخُورِ منه ومن هيئته.

لهذا لا يمكن تجاهل القيمة التّلميحيّة للسّخرية،بما أنّها«وسيلة إضحاك وترفيه،تحتمل أبعادًا شتَّى كفضح الأمور التي تختفي وراء غياهب المجهول،وانتقاد الأشخاص والعالَم،والإدانة بالواقع المعيش».[3]

ويمكن أن تقتضي القضيّة المراد مناقشتها من طرف (الإبراهيمي)،بأن يستمرَّ في توظيف آليّة "السّخرية" في الخطاب نفسه،ولكن بصيغة أخرى،كالاستفهام الدَّال على التَّهكُّم مثَلًا،كقوله:

«وهكذا تقوم الشّواهد كل يوم على أنّه لا ثقة بهذه المصالح والهيئات التي لا تتحرّك ولا تسكن إلا بالوَحي والإيعاز ومنها مرصَد (بوزرِّيعة) الذي يعتَمِد عليه الشَّيخ القاضي ويقول عنه لسان حاله:إنّه حيث لا هلال في المرصد،فلا

---

[1] محمّد بن قاسم بوحجّام،**من أساليب السّخرية في أدب الإمام الإبراهيمي**،مجلّة الوعي،دار الوعي،الجزائر؛ع02:2010م، ص70.

[2] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج02،ص225.

[3] ذهبيّة حمّو الحاج،في قضايا الخطاب والتّداوليّة،مرجع سبق ذكره،ص366.

هلال في السّماء،ونحن لا نثق ببوزرّيعة ولا بمكبّراته،ومتى كان بوزرّيعة مصدَر شريعة؟ومتى كان مصدر وحي بالصَّوم والإفطار؟».[1]

استغلَّ المرسل مكان تواجد مرصَد هذه اللّجنة،المسَمَّى ببوزرّيعة (منطقة بأعالي العاصمة الجزائريّة)،ليجعل منه بؤرة خطابه السّاخر،موظِّفًا كفايته اللغويّة لينسج منها خطابًا مسجوعًا في قالب استفهامي تهكُّمِي،في مقولته:

"ومتى كان بوزرّيعة مصدَر شريعة؟"؛حيث يكمُنُ البُعدُ التّلميحي في «استدراج المخاطَب لإدراكها،وقد يصرّح في جوابه بما أدرك من معنى،أو يكتفي بإدراك المراد،ويعلم أنّ السّؤال قد طُرِح لمجرّد إفهامه الغرض من السّؤال».[2]

وللأمثال العربيّة،حظّها هي الأخرى،لتكون أداة مهمّة في تكوين خطاب السّخرية لدى (الإبراهيمي)،عندما يستدعي من خلالها،نباهة وفِطنَة المتلقِّي،بما يحمله المثَل المستَعمَل من أبعاد تلميحيّة،وبشكل خاص إذا أُدرِجَ في مقدّمة الخطاب.

كما جاء في خطابه المعبِّر فيه عن القضيّة ذاتها،ألا وهي الدِّفاع عن شَعِيرَة دينيَّة "الصَّوم"، كانت قد تَلاعَبَتْ بها لجنة الأهلّة المنفّذة لأوامر الاحتلال الفرنسي،ومما قاله (الإبراهيمي)،باتّخاذ هذا المسلك:

«يقول المثَل:(خَرقَاءُ وجَدَتْ صُوفًا) ونقول نحن:(لجنَة وجَدَتْ مذيَاعًا)...لجنَة ركِّبَت من الغِشّ وللغِشّ،وجَدَتْ مذياعًا تُذيعُ فيه غِشَّها،وتستهوي به الغافلين والمستهتِرين،ولو كان هذا المذياع حرًّا أو على شيء من الحريّة لما رضي بإذاعة الغشّ،بل لو كان يحترم شعور المسلمين لما سمح بنشر الغشّ لدِينِهم،وهو يعلم أنّه غش،ولكنّ الرّاديو واللّجنة سُلالَة رَحِم واحدة،أو صنعة يَدٍ واحدة،فلا عجب إذا كان كل واحد منهما مُكَمِّلًا لصاحبه».[3]

نُلاحِظ كيف طَابقَ (الإبراهيمي) حال هذه اللّجنة بحال الخرقاء التي أُرسِلَتْ مثَلًا؛كي يمهّد لخطابه التّهكُّمي أوّلا باللّجنة ثمّ المؤسّسة الإذاعيّة،ليصل في الأخير إلى التّهكُّم بحكومة الاحتلال الفرنسي،جرّاء ما عملته من إساءة للأمَّة الجزائريّة،بأن تلاعَبَتْ بأهمّ أركان دِينِها،وما اختار المرسل هذا المثَل إلّا؛لأنّه أصبح ضِمنَ التّعبيرات الاصطلاحيّة المستقِرَّة في الكفاية اللغويّة لكل من طرفي الخطاب،ممّا يُوحِي بأنّ «تأويلها لمعرفة المعنى المقصود لن يستنفذ وقتًا،فقد يجري التّأويل بالسّرعة نفسها التي يجري بها مع معنى الخطاب الحرفي»[4] ،وهذا ما يوضّحه لنا،المخطّط الموالي:

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج02،ص226.

[2] عبد الرّحمان حسن حبنّكة الميداني،البلاغة العربيّة،مرجع سبق ذكره،ج01،ص290.

[3] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج02،ص416.

[4] عبد الهادي بن ظافر الشّهري،استراتيجيّات الخطاب،مصدر سبق ذكره،ج02،ص190.

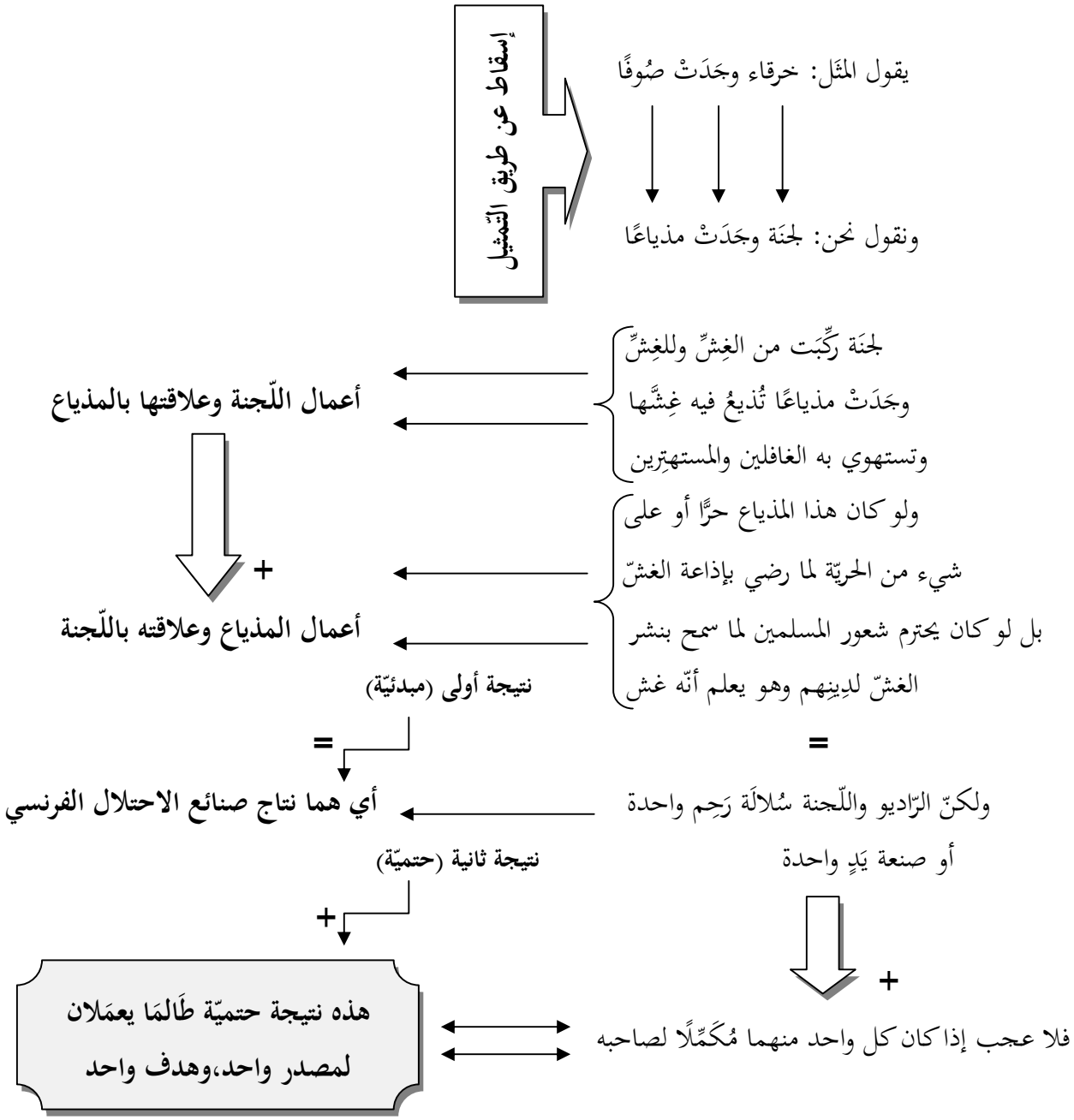

– مخطّط رقم30:يوضّح كيفيّة توظيف آليّة "السّخرية" في الخطاب التّلميحي لدَى (الإبراهيمي)–

وقد ينزل (الإبراهيمي) بخطابه السّاخر إلى لغة بسيطة،تستند إلى معجم لغوي يفهمه العام والخاص،خاليًا من الألفاظ الغريبة،ليصل به إلى أوسع طبقة من المجتمع مَادَامَتْ القضيّة المتحدَّث عنها تَهُمُّ الجزائريّين جميعًا.

حيث يمثّل مقاله الذي سَخِرَ من خلاله،على صياغة قانون يتعلَّق بتعيين مُفتِي حَنَفِي المذهَب،يكُونُ تحت وصاية الاحتلال الفرنسي،بقوله:

«في الإدارة الجزائريّة العُليَا مطبخَة–ليست كالمطابخ–تُطبَخُ فيها الآراء والأفكار في كل ما دَقَّ وجَلَّ من شؤون المسلمين،والقائمون على هذا المطبخ طُهَاةٌ يُحسِنُون الفَن،ودُهَاةٌ يَحكُمُون بأوّل الظَّن،وهم مُنتَخَبُون من طراز خاص

أوّل الشّروط فيهم أن يكُونُوا قد أفنَوا أعمارهم في حكم المسلمين[...]،في هذا المطبَخ طُبِخَ التّقرير العاصمي ملفُوفًا بتوابله،وفيه وُلِدَ محفُوفًا بقوابله،فجاء كما رأيناه وفيه طعم الإدارة ولونها وريحُهَا،ولو نطقَ لشَهِدَ بالمطبَخ والطَّابِخ».[1]

اعتمد المرسل على أسلوب التّخييل؛كي يؤسِّسَ خطابه السّاخر في صيغ لغويّة بسيطة يستطيع تأويلها أيّ نوع من أنواع المتلقّي،الخاص منه والعام معًا.

وإلى جانب «كَون السّخرية مجازًا،أوّلها وظيفة سجاليّة أساسيّة،فإنّ لها أيضًا وظيفة أساسيّة وهي الدّفاعيّة»[2] ؛أي أنّه من مقتضيات تأسيس الخطاب السّاخر،تحقيق الدّفاع عن المبادئ الشّخصيّة أو الجماعيّة المنتمي إليها المرسل،وهذا ما نجده في خطابه الذي سَخِرَ فيه من خصومه أقطاب بعض الطُّرُق الصُّوفيَّة،ليقول عنهم:

«وقد هدَّدتنا (لسان دِينِهم) باجتماع الطّرقيّن وعقد حِلفٍ بينهم ضدّ هجمات المصلِحِين وانتظرنا ما تقرّره دُوَلُ الخُلفَاء!وطال انتظارنا،وإلى هذه السّاعة ما اجتمع لهم شمل ولا تألّف لهم ما شتّته **الله**».[3]

استند (الإبراهيمي) على مرجعيّته التّاريخيّة،وكفايته الموسوعيّة،ليستعمل مصطلحًا تاريخيًا اشتهر في فترة الحرب العالميّة الثانية،عند قوله "دُوَلُ الحُلفَاء"،في قالب تهكُّمي على سبيل الدّفاع عن نفسه وعن مبادئ جماعته.

وفي بعض المواضع الخطابيّة السّاخرة،قد يستعمل (الإبراهيمي) "السّمات الدّلاليّة الخاصّة" في بُعدها التّلميحي؛أي أنّه يُعطِي لألفاظ خطابه دلالات تلميحيّة خاصّة بتأويله هُوَ،وليس بما تواضع على تأويله الضّمير الجَمعي،كَكُل.

وكأنّه يرى في تلك الألفاظ أنّها قاصرة على تحقيق المراد بما تحمله من معانٍ ظاهرة وعامّة يتداولها جميع النّاس،لهذا يعطيها دلالات تلميحيّة جديدة،بأن «تتكاتف ضروب من ثقافته اللغويّة والفقهيّة على صياغة بعض المواقف والتّعبير عن بعض الآراء».[4]

وهذا ما نجده،في مقاله الذي خصَّصه ضدَّ أحد أقطاب الطُّرُق الصُّوفيَّة في المغرب العربي،المعَنْوَن بـ"عبد الحي الكتَّاني ما هو؟ وما شأنه؟"،وممّا قاله عنه:

«وإذا أنصفنَا الرَّجُل قُلنَا:إنّه مجموعة من العناصر منها العِلم ومنها الظّلم،ومنها الحقّ ومنها الباطل،وأكثرها الشرّ والفساد في الأرض- أُطلِقَ عليها لكثرتها واجتماعها في ظرف- هذا الاسم المركَّب الذي لا يلتقي مع الكثير منها في اشتقاق ولا دلالة وَضعِيَّة،كما تُطلَقُ أسماء الأجناس المرتَجَلَة[...]،وإنَّ اسم صاحبنا لم يصدُق فيه إلا جزءه الأوّل فهو عبدٌ لعدَّة أشياء جاءت بها الآثار وجرت على ألسنة النّاس،ولكنّ أملكها به الاستعمار،أمّا جزءه الثاني فليس هو من أسماء **الله** الحسنى،ولا يخطر هذا ببال مُؤمِنٍ يعرفُ الرَّجُل،ويعرف صفات عباد الرّحمان،المذكورة في خواتيم سورة الفرقان،وإنّما هو بمعنَى القبيلة،كما يُقال كَاهِنُ الحَي وعَرَّافُ الحَي وعِيرُ الحَي،وقبَّحَ **الله** الاشتراك اللّفظي،فلو عَلِمَ العرب أنّه يأتي بمثْلِ هذا الالتباس لطَهَّرُوا منه لغتَهُم،وتحاموه فيما تحاموا من المستَهجَنَات،ولو أدرك نُفَاة الاشتراك

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج03،ص87.

[2] ذهبيّة حمّو الحاج،في قضايا الخطاب والتّداوليّة،مرجع سبق ذكره،ص.ص403-404.

[3] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج01،ص291.

[4] شكري فيصل،قضايا الفكر في آثار الإبراهيمي،مرجع سبق ذكره،ص204.

في الاستعمالات الشّرعيّة زَمَن عبد الحَي،أو أدرك هو زَمنَهُم وعرفوه كما عرفناه لكان من أقوى أدلّتهم على نَفيهِ ولارتفعَ الخلاف في المسألة وسجَّل التّاريخ منقبة واحدة لعبد الحيّ،وهي أنّ اسمه كان سببًا في رفع خلاف...».[1]

يظهر من هذا الخطاب،كيف أنّ (الإبراهيمي) سَخِرَ من خصمه عن طريق تحليل اسمه؛حينما أعطى لاسم (عبد الحي)،دلالة وِفقَ رؤيته الخاصّة،لا بحسب الدّلالة الاجتماعيّة العامّة والمشتركة،على أنّه اسم من أسماء عباد **الله**.

إذ استند على مجموعة من الرّوافد وغَذَّى بها البنية اللغويّة لخطابه وأعطاها بُعدًا تلميحيًّا تداوليًّا آخرًا،من أجل أن يصل إلى مُرادِه وهو التّقليل من شأن خصمه،فالخطاب مليء بالإشارات والألغاز المستوحاة من كفايته الموسوعيّة،والتي جسَّدها توظيف بعض المصطلحات الفقهيّة والنّحويّة والدّلاليّة.

ولعلّ أوّلها تَوقُّفَه عند معاني "الآية 63 من سورة الفرقان"،في قوله:"ولا يخطر هذا ببال مُؤمِنٍ يعرفُ الرَّجُل،ويعرف صفات عباد الرّحمان،المذكورة في خواتيم سورة الفرقان"،في إشارة إلى قوله تعالى:

﴿**وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا**﴾،إلى غاية نهاية السّورة.

إذن؛فخصوصيّة السّمات الدّلاليّة التي وَلَّاهَا (الإبراهيمي) لاسم (عبد الحي)،تكمن في أنّه قام بتفكيك اسم خصمه إلى قسمين،وأعطى لكل منهما دلالة تلميحيّة خاصّة في قالب تَهَكُّمِي.

وبهذا يصبح التّهكّم عند (الإبراهيمي)،«وسيلة من وسائل الهجوم الجاد يرمي من ورائه إلى إرباك الخصم وفضحه والنَّيل من مواقفه وأعماله وبذلك يحيله إلى مرمى لسهامه المصيبة،ويعرضه لكل صفات المقت والازدراء،ممّا يحوّل السّخرية أحيانًا إلى شتيمة وسباب».[2]

3-ب- الآليّات شبه المنطقيّة:

3-ب-1- توظيف اللّحن:

قد تفرض بعض السّياقات التّداوليّة الخاصّة،على طرفي العمليّة التّخاطبيّة التّواصليّة،استعمال لغة خاصّة،تواضعا عليها مسبقًا؛أي بما يعرف باللّحن،الذّي يُقصَدُ به «التّعريض بالشّيء من غير تصريح،أو الكناية عنه بغيره».[3]

ومن أمثلة توظيف هذه الآليّة في الخطاب التّلميحي لدى (الإبراهيمي)،ما دلّت عليه بعض الأبيات التي جاءت بها أرجوزته،المعنونة بـ"سَكَتُّ ...وقُلتُ..."،والتي داعب بها بعض أصدقائه المقرّبين،بقوله:

«رعَى **الله** مِنْ عُرْبِ المشَارق إِخْوَةً تَنَادَوْا فَدَوَّى صَوتُهُمْ في المغَارِبِ
تَوافَوا عَلَى دَاعٍ مِنَ الحَقِّ مسْمَـع وَوفَّوْا بنَذْرٍ في ذِمَامِ الأَعَـارِبِ
هُمُو رَأسُ مَـالِي،لَا نِضَـار وفِضَّة وهُمْ رِبْحُ أَعْمَـالِي وَنُجحُ مَآرِبِي

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج03،ص540.

[2] محمّد صالح ناصر،**الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي من خلال نثره الفنّي**،ضمن أعمال الملتقى الدّولي،للإمام محمّد البشير الإبراهيمي"بمناسبة الذّكرى الأربعين لوفاته"،مرجع سبق ذكره،ص300.

[3] إسحاق بن وهب،البرهان في وجوه البيان؛تقديم وتحقيق:حفني محمّد شرف،مكتبة الشّباب،مصر؛د ط:1969م،ص109.

وَهُمْ مَـوردِي الأَصْفَى المرَوِّي لغُلَّتِي إذَا كَدَّرَتْ "أُمُّ الخِيَارِ"مَشَارِبِي».[1]

إنّ المواضعة الدّلاليّة الخاصّة والمشتركة،بين (الإبراهيمي) والمرسل إليه المخصوص،هي التي خوّلت له استعمال تكنية "أم الخيار"؛إذ لا أحد غيرهما يمكنه أن يَعرفَ بأنّ فرسنا هي المقصودة في التّكنِيَة،إلّا بعد الاطّلاع على تصريح (الإبراهيمي)،الذي قال فيه،بأنّ:«"أم الخيار"كُنيَة اصطَلَحَ الأدباء في الجزائر من أبنائنا العاملين على تَكنِيَة فرنسا بها،أخذًا من قول (أبي النَّجم) الرَّاجز:

قَدْ أَصْبَحَتْ أُمُّ الخِيَارِ تَدَّعِي عَليَّ ذَنبًا كُلَّهُ لَمْ أَصْنَعِ

ووجه هذه التّكنيَة أنّها كانت تتجنّى علينا،وتخلق لنا من الذّنوب ما لم نصنعه،كلّما أرادت إلحاق الأذى بنا».[2]

3-ب-2- استعمال مفهوم المخالفة:

إنّ "مفهوم المخالفة- Divergent meaning"،هو«دلالة اللّفظ على ثبوت حُكم للمسكوت عنه،مخالف لما دلّ عليه المنطوق به،لانتقاء قيد من القيود المعتَد بها،في الحُكم المسكوت عنه،وسمّي هذا المفهوم مفهوم مخالفة،لما يرى من المخالفة بين حُكم المنطوق به،وحُكم المسكوت عنه».[3]

مثلما دلّ عليه،خطاب (الإبراهيمي) المعنون بـ"البصائر وأزمتها الماليّة"؛حيث أراد من خلاله إبلاغ الشّعب الجزائري بما يتوجّب عليه من دعم مالي تجاه جريدة "البصائر"،بقوله:

«جريدة "البصائر" هي لسان حال جمعيّة العلماء ولسان العروبة والإسلام بهاته الدّيار،وخادمة العلم والتّعليم وسائر الحركات الفكريّة والأدبيّة في ميدان الثّقافة الشّرقيّة،وحاملة راية الجهاد المستمر في ميدان الكفاح الوطني،وبهذه الاعتبارات فهي جريدة كل مسلم جزائري يحمل بين جنبيه الغَيرة على وطنه ولغته ودِينه».[4]

لا شكّ أنّ،طبيعة العلاقة القائمة بين طرفي العمليّة التّخاطبيّة التّواصليّة في محورها التّكافؤي،بالإضافة إلى خصوصيّة القضيّة المطروحة،كلّها عناصر سياقيّة تداوليّة،أدّت إلى إنتاج الخطاب بهذا الشّكل.

فالسّلطة المؤسّساتيّة التي يمتلكها (الإبراهيمي)،بصفته رئيس تحرير جريدة "البصائر"،خوّلت له نشر هذا النّداء ولكنّها تبقى سلطة جزئيّة مادام المرسل إليه،لا تربطه به أيّة سلطة وظيفيّة،سوى استحضار السّياق التّداولي بنوعيه: الاجتماعي والثّقافي،وكذا النّفسي والوجداني،المشترك بينهما،لهذا اكتفى المرسل بهذه الصّيغة الخطابيّة التّلميحيّة باعتماده على معجم لغوي عاطفي خاص،من قبيل توظيف:"لسان العروبة والإسلام،خادمة العلم والتّعليم،حاملة راية الجهاد،الكفاح الوطني،جريدة كل مسلم جزائري،الغَيرة،الوطن...إلخ".

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج03،ص427.

[2] المصدر نفسه،الصّفحة نفسها.وينظر شرح البيت في،ديوان أبي النَّجْمْ العِجْلِي؛جمع وشرح وتحقيق:محمّد أديب عبد الواحد حجران، مطبوعات مجمع اللّغة العربيّة بدمشق،سورية؛د ط:1427هـ/2006م،ص256.

[3] قطب مصطفى سانو،معجم مصطلحات أصول الفقه،مرجع سبق ذكره،ص428.

[4] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج02،ص201.

وبهذا استغنى (الإبراهيمي)،عن إنتاج خطابين اثنين في آنٍ واحد؛لأنّ المرسل إليه (كل جزائري) يفهم من الخطاب الأوّل ما يعبّر عن خلافه؛ممّا يستلزم خطابًا آخرًا،هو:"أيّها الجزائري كما أنّ لجريدة "البصائر" واجبات تجاهك،فلها أيضًا حقوق عليك،أقلّها الدَّعم المادّي في ظلّ أزمتها الآنيّة".

3-ب-3- توظيف مفهوم الموافقة:

يُعرَّفُ "مفهوم الموافقة- The harmonious meaning"،بأنّه «دلالة اللّفظ على ثبوت حُكم المنطوق به للمسكوت عنه،وموافقته له نفيًا أو إثباتًا لاشتراكهما في معنى،يدركه كل عارف باللّغة،دون الحاجة إلى بحث أو اجتهاد،وسمّي مفهوم موافقة،لأنّ المسكوت عنه موافق للمنطوق به في الحُكم».[1]

وهذا المفهوم،«نوعان:

1- فحوى الخطاب:ويراد به أن يكون المسكوت عنه أولى بالحُكم من المنطوق به[...].

2- لحن الخطاب:وهو أن يكون المسكوت عنه مساويًا لحُكم المنطوق به».[2]

ومثال النّوع الأوّل،في الخطاب التّلميحي الإبراهيمي،ما جاء به خطابه الموجَّه "إلى الطّرقيين بمناسبة رسالتهم إلى جمعيّة العلماء"[*]،وبعد اجتماعهم تحت تسمية "المؤتمر الدِّيني العام"،قائلًا عنهم:

«ولو كان لهؤلاء المدفوعين بقيّة عقل يوجَّه إليها الخطاب،وبصيرة تنفذ إلى عواقب الأمور،وصلة بالأمّة تحملهم على الشّفقة عنها-لما أقدموا على الظّهور بهذا المظهر الجديد».[3]

يظهر من هذه الفقرة الخطابيّة،أنّ المرسل قد عبَّر عن الحد الأدنى من الأعمال التي ترجى من الأشخاص المتحدَّث عنهم؛حيث تقوى الأعمال المرجوّة منهم بحسب قوّة النّتائج المتحصّل منها،وما تسفر عنه من نفع على الأمّة الجزائريّة لهذا يفهم المرسل إليه المخصوص،أنّه على الأقل لو التزم بهذه الأعمال لأثمرت خيرًا كثيرًا،فما باله بأعلاها منفعة،وهذا عبارة عن «سؤال ضمني سوف يطرحه على نفسه،أو أنّه سيتبادر إلى ذهنه حال قراءة ذلك الخطاب،وهذا هو ما يريد المرسل إيصاله،وهو ما يعرف بالتّنبيه بالأدنى على الأعلى».[4]

---

[1] قطب مصطفى سانو،معجم مصطلحات أصول الفقه،مرجع سبق ذكره،ص429.

[2] المرجع نفسه،ص429-430.

[*] لعلّ قائلًا يقول:"ما بال صاحب هذا البحث يُكثِرُ من النّماذج الخطابيّة التي هاجم فيها (الإبراهيمي) خصومه من بعض رؤساء الطّرق الصّوفيّة؟"؛فالإجابة تكمُنُ،في طبيعة تشكيل الخطاب (الإبراهيمي) وموضوعاته التي تضمّنتها آثاره،فالباحث لا يهمّه من الطَّرف المتَحدَّث عنه،بقدر ما تهمّه تجلّيات القدرة التّواصليّة التي يمتلكها المرسل،والمجسَّدَة طبعًا في الاستراتيجيّات الخطابيّة وآليّاتها اللغويّة المختلفة التي يختارها؛كي يعبِّر بها عن مقاصده بناءً على سُلطَتِه،ومرجعيّاته الخطابيّة،في ظل العناصر السّياقيّة التّداوليّة المتغيّرة والمؤثّرة على إنتاج كل خطاب تضمّنته آثار (الإبراهيمي).

[3] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج01،ص297.

[4] عبد الهادي بن ظافر الشّهري،استراتيجيّات الخطاب،مصدر سبق ذكره،ج02،ص201.

وأمّا مثال النّوع الثاني من مفهوم الموافقة،في الخطاب التّلميحي الإبراهيمي،ما دلّ عليه النّموذج الخطابي التالي: «إنّ أبعد النّاس عن الفلاح والنّجاح من يبني الأمور الشّريفة،على الاعتبارات السّخيفة،وحرام أن نبني تعليم السَّنَة الآتية على تلك النّقائص من التّنافر القلبي والتّشاكس الحزبي،بل نبنيه على تعاون وثيق بين المشائخ والجمعيّات».[1]

بدل أن يذكر (الإبراهيمي)،المعوّقات التي أسفر عنها انخراط العديد من المعلّمين المنتَسبين إلى مدارس جمعيّته،في الخلافات الحزبيّة مزامنة مع إجراء انتخابات معيّنة،اكتفى بذكر القليل منها،وسكت عن البقيّة،ما دامت متساوية في أصلها وتأثيراتها السّلبية على سير التّعليم.

3-ب-4- استعمال الاستلزام التّخاطبي:[*]

بعد أن وضع (غرايس- P.Grice)،مفهوم "الاستلزام التّخاطبي- Conversational implicature"،حاول أن «يضع نحوًا قائمًا على أسس تداوليّة للخطاب،تأخذ بعين الاعتبار كل الأبعاد المؤسّسة لعمليّة التّخاطب،فهو يؤكّد أنّ التّأويل الدّلالي للعبارات في اللّغات الطّبيعيّة أمر متعذّر إذا نُظِرَ فيه فقط إلى الشّكل الظّاهري لهذه العبارات».[2]

وعليه اقترح ما يلي:[3]

أ- معنى الجملة المتلفّظ بها من قبل متكلّم في علاقته بمستمع.

ب- المقام الذي تنجز فيه الجملة.

ج- مبدأ التّعاون.

ثم قسّم "الاستلزام التّخاطبي"،إلى نوعين أساسيين:

- "استلزام عرفي- Conventional implicature".
- و"استلزام حواري- Conversational implicature".

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج02،ص208.

[*] مصطلح اقترحه (أحمد المتوكّل)،مقابلًا لمصطلح "Conversational implicature"،الذي جاء به (غرايس- P.Grice) ينظر:أحمد المتوكّل،**اقتراحات من الفكر اللّغوي العربي القديم لوصف ظاهرة "الاستلزام التّخاطبي"**،ضمن أعمال ندوة،البحث اللّساني والسّيميائي،منشورات كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة،سلسلة ندوات ومناظرات رقم06،جامعة محمّد الخامس،الرّباط-المغرب؛ ط01:1401هـ/1981م،ص17.وأيضًا اصطلح عليه الباحث (عادل فاخوري)،بـ "الاقتضاء- implicature"؛ينظر:عادل فاخوري،الاقتضاء في التّداولي اللّساني،مرجع سبق ذكره،ص141 وما بعدها.

[2] العياشي أدراوي،الاستلزام الحواري في التّداول اللّساني "من الوعي بالخصوصيّات النّوعيّة للظّاهرة إلى وضع القوانين الضّابطة لها"،دار الأمان،الرّباط،المغرب؛ط01:1432هـ/2011م،ص.ص17-18.

[3] Paul Grice,logic and conversation,in Cole peter And Morgan Jerry.L:Speeche acts,in Syntax and Semantics,Vol03,New York:1975,pp23-31.

نقلًا عن،العياشي أدراوي،الاستلزام الحواري في التّداول اللّساني،مرجع سبق ذكره،ص18.

فالنّوع الأوّل،قائم على ما تعارف عليه أصحاب اللّغة من استلزام بعض دلالات ألفاظ بعينها،لا تنفكّ عنها مهما اختلفت بها السّياقات وتغيّرت التّراكيب،وأمّا الثاني،فهو متغيّر دائمًا بتغيّر السّياقات التي يرد فيها.[1]

حيث يُفهَمُ من هذا التّقسيم؛أنّ "الاستلزام العرفي" لا يعتمد على سياق خاص،لتحقيق القصد من الخطاب إفهامًا وتأويلًا بين طرفي العمليّة التّخاطبية التّواصليّة،بينما يعتمد "الاستلزام الحواري" على سياق خاص،بُغية إفهام القصد من طرف المرسل،وفهمه وتأويله من المرسل إليه.

ويجسّد الخطاب التّلميحي الإبراهيمي التّالي،كيفيّة توظيف النّوع الأوّل من "الاستلزام التّخاطبي"،عندما خاطب من خلاله،التّلامذة المبتعَثين إلى "جامع الزّيتونة"،بمناسبة إضراب قاموا به،قائلًا لهم:

«معذرة إليكم –يا أبناءنا– إذا لم نعمل لكم شيئًا فقُمتُم تعملون لأنفسكم».[2]

بالرّغم من تنازل (الإبراهيمي) عن سلطته الوظيفيّة،تجاه التّلامذة الزّيتونيين،واعتذاره لهم،إلّا أنّ خطابه فيه اعتراف ضمني بالتّقصير نحوهم،ممّا جعلهم يَصِلُون إلى الحالة التي استدعت القيام بالإضراب.

وتدلّ الفقرة الخطابيّة الموالية،على كيفيّة توظيف (الإبراهيمي) للنّوع الثاني من "الاستلزام التّخاطبي"،في مقاله الذي تحدّث فيه عن ظروف دخول مدرسي،يستعدّ لها "المعهد الباديسي"،بقوله:

«يدخل المعهد في سنته الثالثة من عمره الطّويل–إن شاء **الله**– في الوقت الذي عيّناه لافتتاحه في العدد الماضي،وهو يوم 15 أكتوبر وسيواجه هذه السّنة الجديدة وتكاليفها الثّقيلة،بعزم ثابت،وإيمان متين،مستعينًا **بالله**...».[3]

يستلزم من قول (الإبراهيمي):"...وسيواجه هذه السّنة الجديدة وتكاليفها الثّقيلة"؛أنّ هذا العبء منشؤه تزايد عدد التّلامذة الذين يستقبلهم المعهد في كل دخول مدرسي جديد،وهذا معناه،أنّ الشّعب الجزائري أصبح يثق في مستوى التّعليم الذي تقدّمه مدارس "جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين"،وبشكل أخص "المعهد الباديسي"،وما يزيد من مصداقيّة هذا التّأويل،أنّ الخطاب صادر عن مرسل يمتلك سلطة وظيفيّة عليا،هي رئاسته لجمعيّة العلماء.

3–ب–5– توظيف دلالة الإشارة:

تعرَّف "دلالة الإشارة– The alluded meaning"؛بأنّها:«دلالة اللّفظ على معنى لازم،دون أن يكون هذا اللّازم مقصودًا بالسّياق والعبارة،وسمّيت دلالة إشارة،لأنّ المعنى الملازم،الذي دلّ عليه اللّفظ،غير مباشر».[4]

أي أنّ مرسل الخطاب،قد يعبِّر عن مقصديته بشكل لغوي مباشر،ولكنّ معناه يستدعي أكثر من استلزام (أو تأويل) يمكن أن يخطر ببال المرسل إليه.

مثلما نجده في الخطاب الذي ترجّى من خلاله (الإبراهيمي)،بعض من حضر إحدى مناسبات تكريمه؛حينما حثّهم على عدم الرّجوع إلى عملٍ يراه غير صائب،وهو كثرة الإطراء والثّناء على شخصه،قائلًا لهم:

---

[1] ينظر:محمود أحمد نحلة،آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر،مرجع سبق ذكره،ص23.

[2] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج03،ص412.

[3] المصدر نفسه،ج02،ص322.

[4] قطب مصطفى سانو،معجم مصطلحات أصول الفقه،مرجع سبق ذكره،ص201.

«أرجوكم أن نتأدَّبَ بأدبٍ جديد وهو الاقتصاد في المجامَلات والألقاب وتقارُضِ الثَّناء».[1]

على الرّغم من تكلّم (الإبراهيمي) بصيغة الجمع،عندما أدخل حاله مع المرسل إليه -أي الجماعة الحاضرة في التّكريم-وترجّاهم بأنّهم جميعًا معنيّون بهذا السّلوك الجديد،بدءًا بنفسه،إلّا أنّ المعنى المستَلزَم من خطابه،هو قوله: "يجب عليكم أن تنتَهُوا من هذا الفعل حالًا"؛فغياب السّلطة لدى (الإبراهيمي)،هي التي جعلته يتجنّب الخطاب المباشر،ويسلك هذا المسلك الخطابي،المبني على التأدّب مع المرسل إليه.

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره، ج04،ص80.

الفصل الخامس

الإِســـــتراتيجيّة الإقناعيّة (الحِجَاجِيَّة) في خطاب (الإبراهيمي)

– الفصل الخامس: الاستراتيجيّة الإقناعيّة (الحِجَاجِيَّة) في خطاب (الإبراهيمي).

1– مفهوم "الاستراتيجيّة الإقناعيّة (الحِجَاجيَّة)– Argument strategy":

يسعى أيّ خطاب،إلى تحقيق مجموعة من الأهداف،تشملها مقصديّة كلّيّة[*]،بناءً على نوعيّة سلطة كل من طرفيه وطبيعة العلاقة الاجتماعيّة القائمة بينهما،بالإضافة إلى خصوصيّة السّياق التّداولي المحيط بإنتاجه،لتؤدّي هذه العوامل بمرسله،إلى اختيار مسالك خطابيّة محدَّدة،تعكسها أشكال خطابيّة معيّنة،لها آليّاتها الخاصّة بها.

فعندما يودّ المرسل إقناع المرسل إليه،بتبنّي اعتقادات ما،أو إقناعه بالعدول عن أخرى،فنقول عنه عندئذٍ بأنّه سلك مسلكًا إقناعيًّا،أو كما نسمّيه في المقاربة التّداوليّة بـ"الاستراتيجيّة الإقناعيّة"؛حيث تُبنَى هذه الإستراتيجيّة على نظامين خطابيين؛لغوي وغير لغوي،والأوّل منهما هو محل اهتمام بحثنا.

وبما أنّ الحِجَاج،عبارة عن نشاط إقناعي خطابي،يقوم على الاعتقادات والوقائع،وذو كفاية نصّية وسياقيّة،يشتغل كاستراتيجيّات توظّف العوامل الذّاتيّة والقدرات الخطابيّة ليحقّق النّجاح والفعاليّة.[1]

لهذا يعَدُّ من أبرز الآليّات التي «يستعمل المرسل اللّغة فيها،وتتجسَّد عبرها استراتيجيّة الإقناع»[2]؛ومنه يمكن تسميتها بـ"الاستراتيجيّة الإقناعيّة (الحِجَاجِيَّة)".

إذ تتباين تقنيّات تطبيقها،من خطاب لآخر،ومن مرسل لآخر،بحسب ما يمتلكه كلّ مرسل من قدرة تواصليّة،وقدرة على إعطاء أكبر قدر من القوّة الحِجَاجِيَّة للآليّات التي تمّ اختيارها،بُغية تجسيد القصد الحِجَاجِي،كما يؤدّي اختلاف الموضوعات والقضايا المحَاجَجِ من أجلها إلى هذا التّباين؛فالحِجَاجُ في المجال التّعليمي ليس كالحِجَاجِ في المجال الدِّيني أو السّياسي،أو العلمي،أو الاجتماعي...إلخ.

---

[*] أي أنّ المقصديّة الحِجَاجِيَّة،غير قابلة للتّجزئة؛ينظر:

Jacques MOESCHLER,ARGUMENTATION ET CONVERSATION,ELEMENTS POUR UNE ANALYSE PRAGMATIQUE DU DISCOURS,CREDIF:1985,p56.

[1] ينظر:محمّد طروس،النّظريّة الحِجَاجِيَّة من خلال الدّراسات البلاغيّة والمنطقيّة واللّسانيّة،دار الثّقافة،الدّار البيضاء–المغرب؛ط01: 1426هـ/2005م،ص170. وقد عُرِّفَ الحِجَاجُ أيضًا؛بأنّه «تقديم الحُجَجِ والأدلّة المؤدّية إلى نتيجة معيَّنة،وهو يتمثّل في إنجاز تسلسلات استنتاجيّة داخل الخطاب»،أبو بكر العزاوي،اللّغة والحِجَاج،الدّار البيضاء–المغرب؛ط01:1426هـ/2006م،ص16.

[2] عبد الهادي بن ظافر الشّهري،استراتيجيّات الخطاب،مصدر سبق ذكره،ج02،ص233. ولمعرفة "البنية المعجميّة للحِجَاج" والفرق بينه وبين مصطلحات أخرى،قد تتداخل معه كـ"الاستدلال والبرهان"؛ينظر:رضوان الرقبي،**الاستدلال الحِجَاجِي التّداولي وآليّات اشتغاله**،مجلة عالم الفكر،المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب،الكويت؛مج40، ع02:أكتوبر،ديسمبر2011م،ص.ص69–107.وللتّوسّع في "الخلفيّة النّظريّة للمصطلح"؛ينظر:حمادّي صمّود،مقدّمة في الخلفيّة النّظريّة للمصطلح،ضمن كتاب،أهم نظريّات الحِجَاج في التّقاليد الغربيّة من أرسطو إلى اليوم،إعداد مجموعة من الباحثين؛إشراف:حمادّي صمّود،كليّة الآداب،منّوبة–تونس؛د ط: د ت،ص.ص11–13.

2- دواعي استعمال الاستراتيجيّة الإقناعيّة (الحِجَاجِيَّة):

بما أنّ بناء القول الحِجَاجِي،قائم على استراتيجيّات وعمليّات تكتيكيّة،تتشكّل عن طريق تفاعل مكوّناته الدّاخليّة "استدلال وآليّات ومفاهيم"،والخارجيّة "وقائع إنسانيّة،تجربة،أسباب ومسبّبات..."[1] ،فهذا يقتضي وجود العديد من الدّواعي،أو واحدة منها - على الأقل- تؤدّي إلى توظيف استراتيجيّة الإقناع (الحِجَاج)،ومن بينها الدّواعي التالية:

1- «تأثيرها التّداوليّ في المرسل إليه أقوى،ونتائجها أثبت وديمومتها أبقى؛لأنّها تنبع من حصول الاقتناع عند المرسل إليه غالبًا،لا يشوبها فرض أو قوّة.

2- تمايزها من الاستراتيجيّات المتاحة الأخرى،مثل الاستراتيجيّات الإكراهيّة لفرض قبول القول أو ممارسة العمل على المرسل إليه دون حصول الاندفاع الدّاخليّ أو الاقتناع الذّاتي؛فاقتناع المرسل إليه هدف خطابي يسعى المرسل إلى تحقيقه في خطابه.

3- الأخذ بتنامي الخطاب بين طرفيه عن طريق استعمال الحِجَاج،فالحِجَاج شرط في ذلك،لأنّ من شروط التّداول اللّغوي شرط الإقناعيّة[...].

4- الرّغبة في تحصيل الإقناع،إذ يغدُو هو الهدف الأعلى لكثير من أنواع الخطاب،خصوصًا خطابات العصر الحاضر عندما يفضّل المرسل استعمال استراتيجيّة الإقناع،حتّى لو كان ذا سلطة تخوِّله استعمال بعض الاستراتيجيّات الأخرى [...].

5- إبداع السّلطة،فالإقناع سلطة عند المرسل في خطابه،ولكنّها سلطة مقبولة إذا استطاعت أن تقنع المرسل إليه،إذ لا تحقّق استراتيجيّة الإقناع نجاحها إلّا عند التّسليم بمقتضاها،إمّا قولًا أو فعلًا،وما جعل الإقناع سلطة مقبولة،هو كَون الحِجَاج،هو الأداة العامَّة من بين ما يتوسَّل به المرسل من أدوات وآليّات لغويّة[...].

6- شموليّة استراتيجيّة الإقناع،إذ تمارَس على جميع الأصعدة[...].

7- ما تحقّقه من نتائج تربويّة،إذ تستعمل كثيرًا في الدّعوة.

8- استباق عدم تسليم المرسل إليه بنتائج المرسل أو دعواه.

9- خشية سوء تأويل الخطاب.

10- عدم الاتّفاق حول قيمة معيَّنة،أو التّسليم من أحد طرفي الخطاب للآخر».[2]

وبعد حضور إحدى هذه الدّواعي أو جلّها،لابدَّ أن يستعمل المحَاجِج مجموعة من التّقنيّات الحِجَاجِيَّة،تنقسم في مجملها،إلى آليّات لغويّة وأخرى شبه منطقيّة،لخّصناها في المخطّط التالي:

---

[1] ينظر:عبد السّلام عشير،عندما نتواصل نغيِّر"مقاربة تداوليّة لآليّات التّواصل والحِجَاج"،إفريقيا الشّرق-المغرب؛ط2006:01م ،ص156. وللإطّلاع على"الخصائص العامّة للخطاب الحِجَاجِي"؛ينظر:المرجع نفسه،ص.ص125-147.

[2] عبد الهادي بن ظافر الشّهري،استراتيجيّات الخطاب،مصدر سبق ذكره،ج02،ص.ص220-222. وقد قسّم (طه عبد الرّحمان) الحِجَاج إلى ثلاثة أنماط:الحِجَاج"التّجريدي،والتّوجيهي،والتّقويمي"؛ينظر:طه عبد الرّحمان،اللّسان والميزان أو التّكوثر العقلي،مرجع سبق ذكره،ص.ص226-228.وسنكتشف كلّ نوع منها عند دراستنا للخطاب الحِجَاجِي الإبراهيمي.

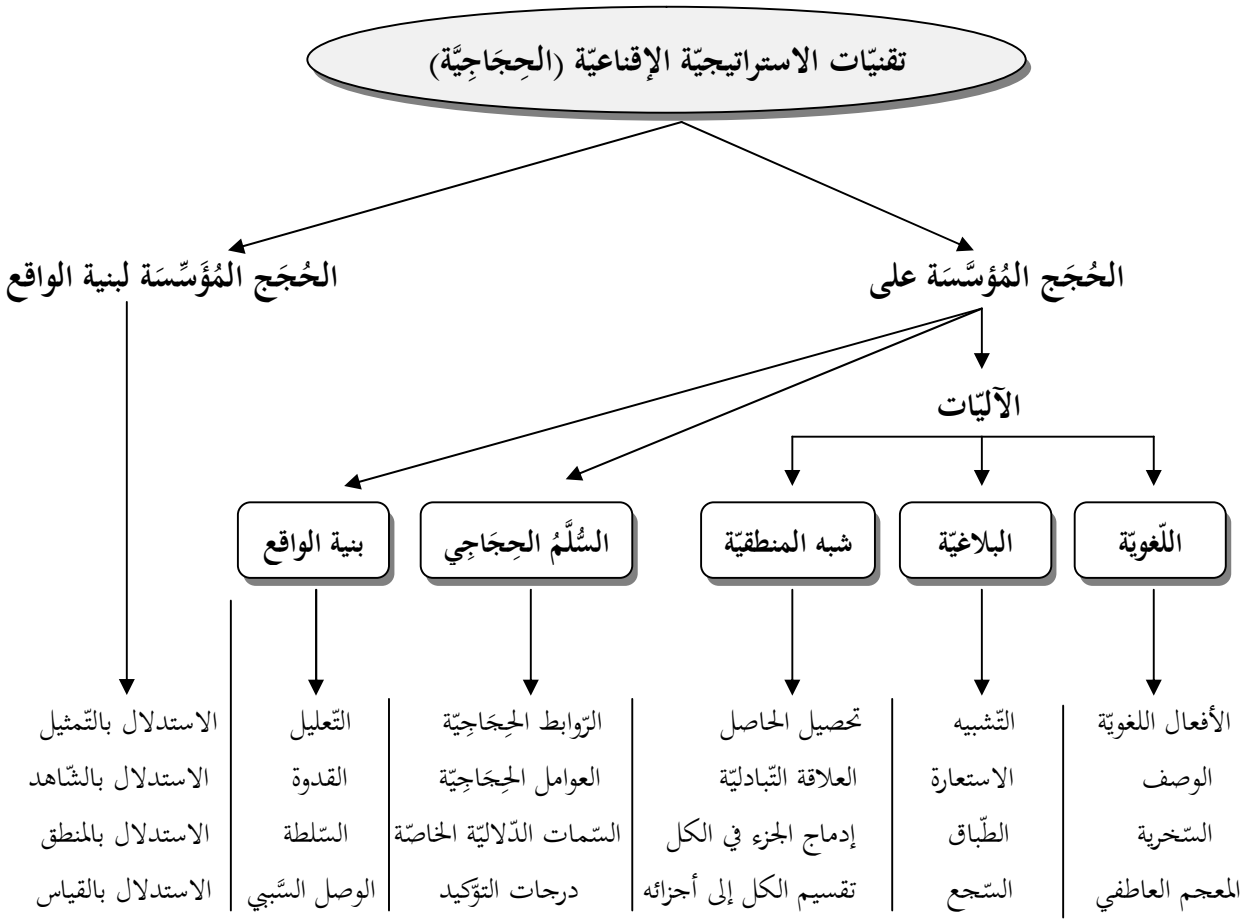

– مخطّط رقم31:يوضّح أهم تقنيّات الاستراتيجيّة الإقناعيّة (الحِجَاجِيَّة)–

وقبل معرفة مدى حضور هذه التّقنيّات في الخطاب الحِجَاجِي لدى (الإبراهيمي)،نطرح التّساؤل التّالي:

ما هي أهم التقنيّات الحِجَاجِيَّة،التي تمّ توظيفها في الخطاب الحِجَاجِي الإبراهيمي؟.

3– تقنيّات الخطاب الإقناعي (الحِجَاجِي) لدى (الإبراهيمي):

3–1– الحُجَجُ المؤَسَّسَة على الآليّات اللغويّة:

3–1–1– استعمال الأفعال اللغويّة:

قد يلجأ المحَاجِج،إلى توظيف مجموعة من الأفعال اللغويّة؛كي يحقّق مقصديّة حِجَاجِيَّة معيّنة،فرضتها عناصر سياقيّة تداوليّة خاصّة.

كأن يستعمل صيغ الأفعال الدّالّة على الالتزام والتعهّد،لما تمتلكه من قوّة حِجَاجِيَّة،فبالتزام وتعهّد المرسل أمام المرسل إليه،بما سيتحقّق من نتائج إيجابيّة ستفسر عنها القضيّة المطروحة للنّقاش،لا يدع الأوّل للثاني،مجالًا للشّك أو للتّأويل المفضي إلى رفض عرضه الذي عرضه عليه،وهذا ما يبعد احتمال تضعيف قوّة العمليّة الإقناعيّة فيما بعد.

وهو ما ركّزَ عليه (الإبراهيمي) في خطابه أمام الوفود العربيّة والإسلاميّة؛حينما اتّبع المسَار الحِجَاجِي التالي:

«...إنّ شبابنَا هم أحقُّ النّاس باستجلاء هذه العِبَر[...]،وأن لا يكونوا شبابًا-بالمعنى الذي يملأ هذه الكلمة- حتّى يؤدّوا امتحانًا في الحياة على منهج المتنبّي وطريقته،إذ يقول:

وَأَهْـــــوَى مِنَ الفِتْيَانِ كُلَّ سَمَيْدَعٍ نَجِيبٍ كَصَدْرِ السَّهمَرِيِّ المقَــوَّمِ

خَطَتْ تَحتَهُ العِيسُ الفَلَاةَ وخَالَطَتْ بِهِ الخَيْلُ كَبَّاتِ الخَمِيسِ العَرَمْرَمِ

فإن فعلوا ذلك فأنا كفيل لهم أن يدخلوا هذا البحر المتلاطم من حضارة عصرهم ولا يغرقوا،وأن يعبُّوا من هذه التّعاليم المتباينة في حياة عصرهم ثم لا يشرقوا...».[1]

يظهر لنا من هذه الفقرة،كيف اتّبع الخطيب مسَارًا حِجَاجِيًا،باستناده إلى مجموعة من الأدوات الحِجَاجِيَّة:كاسم التّفضيل،والرّابط الحِجَاجِي"حتّى"،والشّاهد الشِّعري،والشَّرط،والاشاريّات الشّخصيّة...إلخ؛ولكنّها بقيت حُجَجًا ضعيفة؛حتّى دعّمها في الأخير بحُجَّة عليا،وهي تعهّده بالنّتائج الإيجابيّة التي ستثمرها مقترحاته المطروحة مسبقًا،إن التزمَ بها الشّباب العربي،وهذا النّمط من الحِجَاج،هو الذّي سمّاه (طه عبد الرّحمان)،بـ"الحِجَاج التّوجيهي".[2]

ويمكن أن يقدّم (الإبراهيمي) حُجَجَهُ باستخدام أسلوب النَّفي،كما جاء في مقاله الموسوم بـ "جناية الحزبيّة على التّعليم والعلم"؛حيث قال فيه:

«لا نعرف نحن،ولا تعرف الأمّة،ولا يعرف المنجّم،لهؤلاء أثرًا صالحًا في تربية الأمّة،ولا عملًا إيجابيًا مثمرًا في فائدة الأمّة،بل لم نعرف جميعًا عنهم إلّا الضّد،ففي باب التّربية لم نرَ منهم إلا التّدريب على السَّب والكذب والاختلاق وقلب الحقائق والتَّمرين على التّزوير والدِّعايات المضَلِّلَة،والتّعويد على الشّقاق،والتّبعيد عن الاتّحاد،وفي باب الأعمال لم نرَ منهم إلّا عملًا واحدًا،هو الذي سمّيناه "جناية الحزبيّة على التّعليم والعلم"».[3]

قدّم كل قول من الأقوال النّافية،وظيفة حِجَاجِيَّة لإقناع المتلقّي بتقصير الأحزاب السّياسيّة تجاه واقع التّعليم في الجزائر غدَاة الاحتلال الفرنسي،ليضاعف (الإبراهيمي) فيما بعد،من القوّة الحِجَاجِيَّة لخطابه،بتقديم حُجَج أخرى مساندة،ليصل في الأخير إلى نتيجة تمثّل بؤرة العمليّة الحِجاجيَّة لخطابه،كَكُل،عند قوله:"هو الذي سمّيناه جناية الحزبيّة على التّعليم والعلم"،والدّليل على ذلك أنّ الجملة ذاتها اتّخذها عنوانًا لمقاله،وهذا ما نوضّحه في المخطّط التالي:

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج02،ص469. [كذَا في الأصل] ويوجد الخطأ في كتابة كلمَتَي "سَمَيْدَعْ،والسَّهمَرِي" فالصّيغة الصّحيحة للبيت،هي قول (المتنبّي)،من [الطّويل]: «وَأَهْوَى مِنَ الفِتْيَانِ كُلَّ سَمَيْذَعٍ نَجِيبٍ كَصَدْرِ السَّمْهَرِيِّ المقَوَّمِ»، أحمد بن الحسين أبو الطيّب المتنبّي،ديوان المتنبّي،مرجع سبق ذكره،ص460.

[2] ينظر:"تعريفه لهذا النّمط الحِجَاجِي"،طه عبد الرّحمان،اللّسان والميزان أو التّكوثر العقلي،مرجع سبق ذكره،ص227.

[3] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج02،ص236.

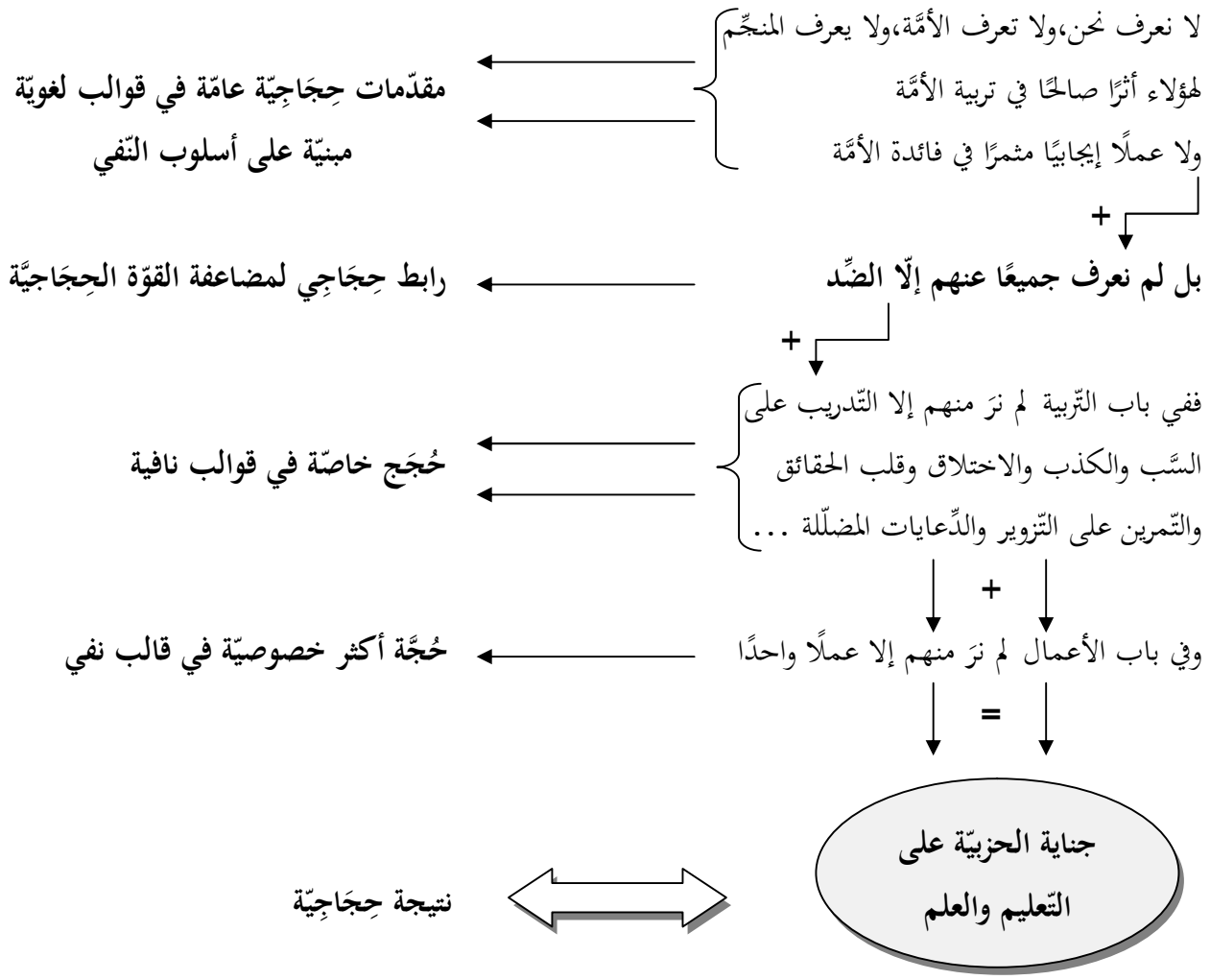

– مخطّط رقم32:يوضّح كيفيّة توظيف آليّة "النّفي" في الخطاب الحِجَاجِي لدَى (الإبراهيمي)–

3-1-2- توظيف الوصف:

يمكن للمُحَاجِج أن يستند إلى آليّة "الوصف"؛لأنّها تحوي أدوات لغويّة،لها دور حِجَاجِي مهم:"كالصّفة،واسم الفاعل،واسم المفعول"،وفي ما يلي تحليل لتواجدها في الخطاب الحِجَاجِي لدى (الإبراهيمي):

3-1-2-أ- استخدام الصّفة:

من مظاهر اختيار المعطيات وجعلها ملائمة للحِجَاج اختيار النّعوت أو الصّفات،فالصّفات تنهض بدور حِجَاجِي يتمثّل في كونها تُظهِر وجهات النّظر والمواقف من الموضوع المراد مناقشته،على أنّ المقصد الحِجَاجِي من إطلاق الصّفة ليس وضع الموصوف في خانة مَا مع سائر العناصر التي تشاركه تلك الصّفة وليس الكشف عن المواقف الخاصّة فحسب؛وإنّما المقصد الحِجَاجِي من إطلاق الصّفة تحديد نوع الموقف الذي ينبغي أن يحكم به عليه.[1]

[1] ينظر:عبد **الله** صولة،الحِجَاج:أُطُرُهُ ومنطلقاته وتقنيّاته من خلال "مصنَّف في الحِجَاج،الخطابة الجديدة"لبرلمان وتيتيكان،ضمن كتاب،أهم نظريّات الحِجَاج في التّقاليد الغربيّة،مرجع سبق ذكره،ص316.

ومثال ذلك في الخطاب الحِجَاجِي الإبراهيمي،ما أطلقه من تسميات على "الأعضاء المسلمين بالمجلس الجزائري" خلال فترة الاحتلال الفرنسي؛حينما ناداهم قائلًا:

«أيّها السّادة:

اسمحوا لنا حين سمّيناكم أعضاءً ولم نسمّكم نوّابًا فإنّنا ممّن لا يكذب على الحقيقة،وكل عاقل يعرف الوسيلة التي تذرّعتم بها إلى هذا المنصب،يستحي أن يسمّيكم نوّابًا بمعنى النيابة الذي يعرفه النّاس،وإنّما أنتم أعضاء تألّف منها هيكل غير متجانس الأجزاء لا يجمع بينها إلّا معنى بعيد،وعامل غريب،ومصلحة ليس لكم ولا للأمّة منها شيء: وإنّما أنتم موظّفون،لكم من النّيابة لفظها وحروفها،ولكم من الوظيفة معناها وحقيقتها».[1]

فالتّسميات التي أطلقها (الإبراهيمي)،عبارة عن حُجَج متتابعة كشفت حقيقة الوظائف التي يقوم بها أولئك النّوّاب وما زاد من القوّة الحِجَاجِيَّة لإطلاق تلك التّسميات،عندما أحال المحَاجِج ذهن المحَاجَج إلى دلالة الصّفة المعروفة عنده دون أن يصرّح بها،والممثّلة طبعًا في قوله:"وكل عاقل يعرف الوسيلة التي تذرّعتم بها إلى هذا المنصب".

ومن صيغ الصّفة أيضًا،إطلاق نعوت معيَّنَة من أجل إقناع المرسل إليه،كما جاء في صدد كلامه عن قضيّة فصل الدِّين الإسلامي عن الحكومة الجزائريّة إبّان الفترة الاستعماريّة:

«أمّا الحكومة الجزائريّة فإنّها تحلف برأس كل عزيز عليها أنّها قادرة على الجمع بين الفصل والوصل في آنٍ واحد،وأنّها زعيمة بالجمع بين المتناقضات،ولا عجب من حكومة كاثوليكيّة لائكيّة،أن تضيف لهما نقيضًا ثالثًا،هو (التّمسّك بالإسلام)...».[2]

إنّ إطلاق (الإبراهيمي) لوصف "كاثوليكيّة لائكيّة" على الحكومة الجزائريّة،هذا في حدِّ ذاته حِجَاج مادام الحديث عن الجمع بين متناقضات،وهو علاقة تلك الحكومة بالدِّين الإسلامي.

وكما رأينا في النَّموذجين الحِجَاجِيَين السَّابقين،أنّ (الإبراهيمي) لجأ إلى آليّة الوصف في صدد حديثه عن هيئات تربطه بها علاقة صدّ وتنافر،فقد يستعمل الآليّة ذاتها في خضمّ حديثه عن أشخاص أو هيئات تربطه بها علاقة وُدٍّ مثلما أطلقه من أوصاف وهو يتحدَّث عن مآثر (محمّد بن شنب)،ليقنع متلقيًّا حاضرًا حضورًا عينيًّا،بقوله:

«ذلك أنّ الرّجل محافظ والمحافظة ألزم ما يكون لنهضة كنهضتنا لم تزل في طور الاختمار،تتجاذبها العوامل الخارجيّة أكثر مما تكيّفها الضّرورات الدّاخليّة،فنحن أحوَج ما نكون في هذا الموقف إلى محافظة مهذَّبة تسايرنا في أطوار الانتقال وتكون لنا قنطرة نعبُرُ عليها من قديمنا إلى الصّالح الذي ننشده...».[3]

أطلق المرسل نعت "محافظ "،ليصنع منه مدخلًا حِجَاجيًّا،يقنع من خلاله المتلقّي بموجبات النّهضة الإصلاحيّة.

وقد يحدث أن يستثمر،الأداة ذاتها في وصف جماعة تربطه بهم علاقة اجتماعية ذات محور تراتبي سلَّمي،كما دلَّ عليه مقاله المعنوَن بـ "قادة الجيل الجديد في ميادين العلم"،معتمدًا فيه الحُجَج التالية:

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج03،ص185.

[2] المصدر نفسه،ص.ص85-86.

[3] المصدر نفسه،ج01،ص46.

«نعم هؤلاء هم جنود العلم،وإنّ من خصائص الجنديّة:المشقّة والنّصب،وذلك هو مناط الشّرف فيها،(ولولا المشقَّة سَادَ النّاس كلّهم)،فليعلم أبناؤنا المعلّمون هذه الحقيقة ليدركوا شرف ما كلّفوا به،ومشقّة ما حملوه،ليوطّنوا أنفسهم على تحمّل لَأْوائِه،وليعتبروا أنّهم مسؤولون عن جيل كامل...».[1]

وصف المرسل للمعلّمين بأنّهم "جنود العلم"،ثم إظهاره لخصائص الجنديّة،هو تحضيض جاء ليكون عتبة حِجَاجِيَّة لمقصديّة خطابه؛حيث إنّه ضاعف من قوّتها الحِجَاجِيَّة بالاستناد إلى صدر من بيت شعري شهير (للمتنبّي)[*]؛ليصل إلى هدف كلّي،وهو ما يتوجَّب على المعلّمين من تحمّل للمسؤوليّة تجاه جيل كامل،وهذا ما يوضّحه المخطّط الآتي:

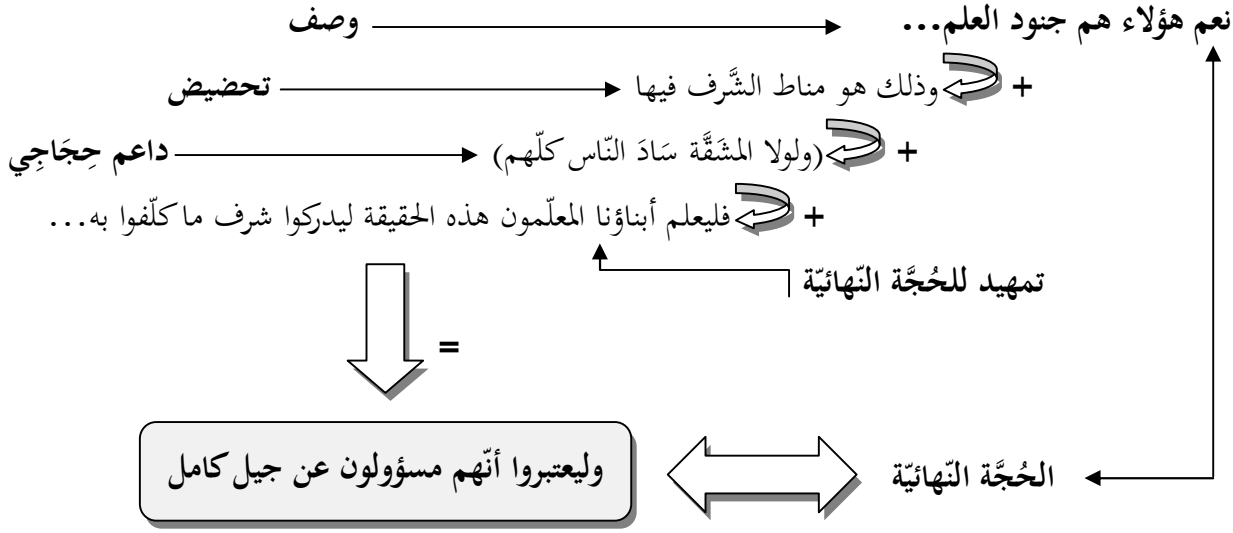

– مخطّط رقم33:يوضّح كيفيّة توظيف آليّة "الوصف" في الخطاب الحِجَاجِي لدَى (الإبراهيمي)–

وفي بعض السّياقات التّداوليّة،قد يستثمر (الإبراهيمي) في تقنية "النّعت"،ويصوغ منها عنوانًا لخطابه الحِجَاجِي ليقيم بذلك ملخّصًا جامعًا لما سيأتي من حُجَج لاحقة؛فالنّعت هو الذي يدلّ على طبيعة الحُجَج المساقة لاحقًا مثلما دلَّ عليه مقاله المعنوَن بـ«الشّباب المحمّدي»[2]؛حيث نسب الشّباب المسلم إلى نبيّه محمّد (ﷺ).

وإنّ القضيّة المراد إقناع المتلقّي الخاص بها، لم تخرج عن الخصال الإسلاميّة التي لابدَّ أن يتحلَّى بها الشّاب المسلم وكذا المسؤوليّات التي يجب عليه أن يتحمّلها؛وبالتالي لم تخرج أدلّة المحَاجِج عن إطار المرجعيّة الدِّينيّة.

كما تُعتَبَرُ الألفاظ الدّالّة على الألقاب،هي الأخرى من «الصّفات التي يمكن أن تجسَّد علامة على درجة الحِجَاج وتُعَدُّ ألقاب القرابة من هذه الصفات،بوصفها تنتمي إلى سُلَّمِيَّة ذات درجات،فيختار المرسل منها ما يرى أنّه يجسِّدُ

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج02،ص265.

[*] عند قوله،من [البسيط]:«لَوْلَا المشَقَّةُ سَادَ النَّاسُ كُلُّهُمُ الجُودُ يُفْقِرُ وَالإِقْدَامُ قَتَّالُ»،أحمد بن الحسين أبو الطيّب المتنبّي،ديوان المتنبّي،مرجع سبق ذكره،ص490.

[2] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج04،ص120.

درجة قرابته بغيره في الخطاب،ليُحَاجِجَ من خلالها،بالإضافة إلى دلالتها على التّضامن».[1]

فحينما يستعمل (الإبراهيمي) هذه الأدوات،من أجل أن يُحاجِجَ مفتي المملكة العربيّة السّعودية،حول القضيّة الجزائريّة،فإنّ البنية اللغويّة لخطابه الحِجَاجِي تكون كالآتي:

«حضرة الأخ الأستاذ الأكبر الشّيخ محمّد بن إبراهيم آل الشّيخ،مفتي المملكة العربيّة السّعودية،أطال **الله** بقاءه.

السّلام عليكم ورحمة **الله** وبركاته.

أمّا بعد،فإنّني أكتب إليكم (كتب **الله** لنا ولكم السّعادة والتّوفيق) وأدام علينا وعليكم نعمة الإيمان وأتمّها،أُذَكِّركم ما لستُم عنه غافلين من حال إخوانكم الجزائريّين المجاهدين،وما هم فيه من الشدَّة والحاجَة إلى العَون والإمداد،وما أصبحت عليه الأمَّة الجزائريّة كلّها من ورائهم من البؤس والضّيق.

أذكّركم أنّ لكم بالجانب الغربي من وطن العروبة ومنابت الإسلام الأولى ومجرى سوابق المجاهدين الأوّلين لإخوانًا في العروبة وهي رحم قويّة،وفي الإسلام وهو سبب مرعي،وفي ذلك المعنى الخاص من الإسلام وهو السّلفيّة التي جاهدتم وجاهد أسلافكم الأبرار في سبيل تثبيتها في أرض **الله**...».[2]

تجاوز (الإبراهيمي) استعمال لفظ "الأخ" ومشتقّاته،من القيمة التّضامنيّة إلى القيمة الحِجَاجِيَّة،فلم يكتف المحَاجِج بتذكير المحَاجَج بما يجمع بينهما من علاقة قائمة على الأخوّة؛بل تعدّاها لتشمل بلديهما معًا،وبالإضافة إلى توظيف بعض الألفاظ الدّالّة على مرجعيّة دينيّة وعرقيّة واحدة تجمع بينهما،من قبيل:"العروبة،الإسلام،السّلفيّة...إلخ"،وبهذا يكون قد زاد من القيمة الحِجَاجِيَّة للقضيّة التي يريد إقناعه بها،والتي راسله من أجلها.

3-1-2-ب- استخدام اسم الفاعل:

يدخل "اسم الفاعل" ضمن الصّيغ الوصفيّة،التي يمكن أن يستخدمها المحَاجِج في البنية اللغويّة لخطابه؛كي يمنح لنفسه إمكانيّة إصدار أحكام مُعيَّنة تخدم النّتيجة النّهائيّة التي يَودُّ تحقيقها من وراء خطابه الحِجَاجِي.

مثلما عبَّر عنه (الإبراهيمي) في خطابه الحِجَاجِي التالي:

«أنا لا أعتقد من هذه الأمَّة بملايينها السّتّة،وهي على الحالة التي نراها عليها من التّفكّك والتّخاذل وضعف البصائر في دِينها ودنياها،ولا أعتَدُّ من عناصر الحياة فيها إلّا بهذا العنصر الذي بدأ يتكوّن حول عقيدة واحدة ومبدإ واحد معتصمًا بالحق متسلحًّا بالصّبر والثّبات،متدرّعًا بالفضيلة،عالما أنّ الحياة في الدّنيا للعاملين وأنّ العاقبة في الآخرة للمتّقين،وأنّ سُنَّة **الله** كفيلة بذوبان العناصر الضّعيفة كلّها،وسغيتالها الجوع العقلي لأنّها لم تُعَلَّم،وسيغتالها الجوع البدَني لأنَّها لم تعمَل،فلا يبقى إلا هذا العنصر المستعدّ للبقاء».[3]

مهَّدَ المرسل بسرد بعض الحُجَج التّقديميّة،ثم ألحقها بأسماء أفعال تخبر عن أحوال معيَّنة،جَسَّدَت قوالبًا حِجَاجِيَّة قويّة سانَدَت الحُجَج الأولى كما أوصلت إلى نتيجة حِجَاجِيَّة،هي بقاء الأمّة مرهون بمدى تعلّمها وعملها معًا.

---

[1] عبد الهادي بن ظافر الشّهري،استراتيجيّات الخطاب،مصدر سبق ذكره،ج02،ص270.

[2] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج05،ص221.

[3] المصدر نفسه،ج01،ص142.

3-1-2-ج- استخدام اسم المفعول:

"لاسم المفعول" قيمة وصفيّة حِجَاجِيَّة،قد يستند إليها المحَاجِجُ حسب السّياق التّداولي الذي تقتضيه القضيّة المطروحة للنّقاش،مثل أن يعبِّرَ (الإبراهيمي) عن حالة الشَّعب الجزائري إبّان الفترة الاستعماريّة،بقوله:

«إنّ الشَّعب الأعزل محكوم عليه بالموت شَاهدًا وغائبًا،وإنّ الشَّعب الذي لا يشارك أبناؤه في الإدارات الحاكمة،ولا رأي له في تشريع ولا تنفيذ،لا ينتظر إلّا أمثال هذه الحالة...».[1]

أطلق المرسل وصف "محكوم" بصيغة اسم المفعول،ليكون حُكمًا مسبقًا لنتيجة حِجَاجِيَّة سيصل إليها فيما بعد.

3-1-3- الحجاج بالسّخرية:

تُقدِّم آليّة "السّخرية"،بُعدًا إقناعيًّا،تجسّده القيمة الحِجَاجِيَّة الكامنة في الخطاب السّاخر؛حيث تقوم العديد من العناصر السّياقيّة التّداوليّة،بدور مهم في تفعيل القوّة الحِجَاجِيَّة لهذه الآليّة،بالإضافة إلى أنواع الكفايات التّواصليّة التي يمتلكها السّاخر المحَاجِجُ،أوّلها الكفاية اللغويّة؛فالخطاب السّاخر يعتمد على اللّعب باللّغة بشكل أساس.

ويمثّل الخطاب السّاخر بكل أبعاده التّداوليّة "التّلميحيّة،الإقناعيّة،المداعبة الإخوانيّة...إلخ"،حيّزا لا بأس به في التّراكيب اللغويّة لخطابات (الإبراهيمي) بصفة عامّة،وليس الحِجَاجِي منها فقط؛ولهذا عدّة أسباب؛سياقيّة منها وأخرى ذاتيّة خاصّة بشخصيّة (الإبراهيمي) وتكوينه،جسّدتها مرجعيّاته الخطابيّة المتنوّعة.

وبعد هذا التّقديم،نلِجُ إلى دراسة نموذجين خطابيين،يجسّدان صيغتين فقط من الصّيغ الكثيرة لتوظيف آليّة "السّخرية"،في الخطاب الحِجَاجِي الإبراهيمي.

الأوّل منها:ما عبَّر عنه في سياق سخريّته من فعل معَّين،قامت به إحدى الطّرق الصّوفيّة بالجزائر،قائلًا عنها:

«وأغرَبُ من هذا أنّنا رأينا لأوّل مرّة في تاريخ الطّرقيّة شيخَ طريقة بالانتخاب عند الطّائفة العليويّة المجدِّدَة العصريّة (المودرن)».[2]

دلّ توظيف كلمة "المودرن" العامّية[*]،على سخرية المرسل من الجماعة المتحدَّث عنها،وتقزيمه لها بهذه الصّورة أمام المتلقّي العام،على أنّه هو القصد الحِجَاجِي الذي رامَ تحقيقه،والدّليل على ذلك أنّه ذكَرَ قبلها لفظتان من العربيّة تدلّان على التّجديد والعصرنة،فلِمَ أدخل هذه الكلمة إذن؟ هل هي على سبيل الحشو اللّفظي؟ أم على سبيل الإقناع؟.

وأمّا النّموذج الخطابي الثاني:ما وجدناه من خطاب ساخر،صَوَّرَ من خلاله (الإبراهيمي) حالة المستَعمِرِين بالاعتماد على أدائَي "الاستعارة" و"الاشتقاق اللّغوي"،ليكُون خطابه وفقَ الصّيغة التالية:

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج03،ص378.وقد يستعمل (الإبراهيمي)"اسم المفعول"،لِصَوغِ بعض عناوين مقالاته ليجعل منه أداة وصفيّة تجسّد عتبة حِجَاجِيَّة لما هو قادم من حُجَج تُسفِرُ عنها البنية اللّغويّة لخطابه فيما بَعد؛ينظر على سبيل المثال: مقاله الموسوم بـ"الدِّين المظلوم"،المصدر نفسه،ص137.

[2] المصدر نفسه،ج01،ص176.

[*] هي من الكلمات الأكثر تداولًا في العامّيّة الجزائريّة،وأصلها من اللّغة الأجنبيّة "moderne"،بمعنى:"عصري،حديث"؛ينظر:مجموعة من المؤلِّفين،القاموس(فرنسي- عربي)،مرجع سبق ذكره،ص544.

«فمن أوتِيَ الحكمة،واستغشى الإحسان والرّحمة،فليبدأ بعلاج صرعى الاستعمار،ليشفيهم من الصَّرَع فينقذ العالَمَ من الصّراع».[1]

يظهر لنا من هذا النّموذج الخطابي،كيف صَوَّرَ (الإبراهيمي) حالة دعاة الاستعمار في العالَم،بلجوئه إلى تقنية الاشتقاق اللّغوي ليولِّدَ منها ثلاث كلمات:"صَرعَى،الصَّرع،الصّراع"،ثم يضعها في قالب استعاري ساخر،بُغية تحقيق أهداف إقناعيّة واضحة.

3-1-4- الحِجَاج بالمعجم العاطفي:

قد يتحقّق القصد الحِجَاجِي،باستناد المحَاجِج على معجم عاطفي يمنحه ألفاظًا ذات شحنات دلاليّة معيَّنة يقتضيها السّياق النّفسي والوجداني،والخلفيّة التي يحملها المرسل عن المرسل إليه،فلكلّ سياق ألفاظه ولكل متلقٍّ خصوصيّته.

إذ «لا يكفي الخطيب أن يختار الحُجَج العقليّة الملائمة،وأن يجلب ثقة السّامعين،بل عليه أيضا أن يحرّك نوازعهم ويتلعّب بحساسيّاتهم،ويهيئهم على المستوى السّيوكولوجي لقبول الخطاب».[2]

والخطاب الحِجَاجِي (الإبراهيمي) بدوره، لم يستغن عن توظيف هذه الآليّة؛حيث يطغَى توظيفها على الخطابات التي تستدعي سياقاتها ألفاظًا حماسيّة وتحضيضيّة أكثر،كالخطابات الثّوريّة والدَّعويّة...إلخ.

فعلى سبيل المثال،نقف على هذا المقطع الخطابي ونرَى من خلاله كيف وظَّف (الإبراهيمي) معجمًا لغويًّا عاطفيًّا كي يُقنِعَ المرسل إليه بضرورة الإنفاق على طلّاب العلم،وتوفير كل السُّبل الموصلة إليه،قائلًا:

«نخاطب من الأمّة ضمائرها،ومواقع الإيمان منها،ومكامن النّخوة والغَيرة فيها،ونعمّم الخطاب إلى جميع الطّبقات من تجّار وفلّاحين وأصحاب مهن حرّة وصنائع،وعمّال،ونذكّرهم بأنّ **لله** عليهم حقًّا،وأنّ للوطن عليهم حقًّا،وأنّ للعروبة والإسلام عليهم حقوقًا،وأنّ لهذا الجيل النّاشئ المتطلّع إلى حياة العلم والعِز والسّعادة- عليهم حقوقًا،فليعدّوه لذلك كما تُعَدُّ الذّخائر للمستقبَل،وليحدُّوه بذلك كما تُحَدُّ السّيوف للنّزال،ولا تهولنّهم هذه الحقوق التي عددناها فهي -في غايتها-حقّ واحد».[3]

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج05،ص96.ولمعرفة الأبعاد التّداوليّة للسّخرية في خطاب (الإبراهيمي)-عيون البصائر تحديدًا-ينظر:عبد الحكيم خرشوش،**أسلوب التّهكّم في عيون البصائر للبشير الإبراهيمي"دراسة تداوليّة"**،رسالة ماجستير (غير منشورة)،جامعة محمّد خيضر؛بسكرة:1437هـ/2016م.

[2] محمّد مشبال،في بلاغة الحِجَاج "نحو مقاربة بلاغيّة حِجَاجِيَّة لتحليل الخطابات"،دار كنوز المعرفة،عمّان-الأردن؛ط1438:01هـ /2017م،ص76.وتسمّى هذه الآليّة،في الدّرس البلاغي الحِجَاجِي، بـ"استراتيجيّة الباطوس-Pathos strategy"؛باعتبار الباطوس لفظ عام يدل على مجموعة من الأهواء التي يثيرها الخطيب في السّامع لحمله على قبول دعواه أو وجهة نظره،وتُعَدُّ هذه الاستراتيجيّة إحدى الاستراتيجيّات الثّلاث التي تناولها (أرسطو-Aristote) في نظريّته البلاغيّة،على غرار استراتيجيّتي "اللّوجوس-strategy Logos"،و"الإيتوس-Ethos strategy"؛ينظر:المرجع نفسه،ص257.وينظر أيضًا:أرسطو،الخطابة،مرجع سبق ذكره،ص15 ومَا بعدهَا.

[3] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج02،ص448.

حملَ هذا المقطع الحِجَاجِي،معجمًا لغويًّا عاطفيًّا بامتياز،عندما استعمل المرسل ألفاظًا من قبيل: "مخاطبة الضّمير الإيمان،النّخوة،الغَيرة،حقّ **الله**،حقّ الوطن،حقّ العروبة،حقّ الإسلام،العلم،العزّ،السّعادة...إلخ"؛حيث تصُبُّ جميعها في خدمة مقصديّة حِجَاجيَّة واحدة،هي ضرورة الإنفاق على طلبة العلم.

ومن الطّبيعي أن يستخدم (الإبراهيمي) معجمًا عاطفيًا من أجل أن يُقنِعَ مرسلًا إليه،تربطه به علاقة حميميّة في محورها التّكافؤي،تعكسها الألفاظ المستعمَلة،والمبنيّة في أصلها على علاقة مشتركة،من دِين ولغة ووطن...إلخ.

ولكن ما يلفت الانتباه،أنّ (الإبراهيمي) قد يستعمل في بعض السّياقات الآليّة ذاتها،مع مرسل إليه تربطه به علاقة صَدٍّ ونفور أحيانًا أو حتّى خصومة أحيانًا أخرى،مثلما وجدناه في الفقرة الخطابيّة التالية:

«ولو أنّ هذه الطّائفة أُوتِيَتْ قليلًا من الرّشد والإنصاف لكانت للجمعيّة مكان الأخ من أخيه،ولحمدُوا لها سعيها في خدمة الأمّة،ولعادُوا من نِحَلِهم المفرّقة إلى دعوتها الجامعة التي هي دعوة **الله** لخلقه على لسان أنبيائه».[1]

بالرّغم من وجود علاقة مسبقة-سِمتها الاضطراب-بين المرسل والجماعة المتَحدَّث عنها،إلّا أنّه لجأَ إلى توظيف معجم عاطفي،في قوله:"لكانت للجمعيّة مكان الأخ من أخيه...إلخ"،مع أنّ الخطاب غير موجَّه لها بالأساس؛لكنّه كان على الأقل خطابًا غير مباشر،يقصدها بالدرجة الأولى،ويريد إقناعها بالمراد منها بغية تحقيق نتيجة يسعى لها الجميع.

3-2- الحُجَج المؤسَّسَة على الآليّات البلاغيّة:[*]

3-2-1- توظيف التّشبيه:

تُعَدُّ آليّة "التّشبيه"،من الآليّات البلاغيّة،التي لها إمكانيّة التّحكّم في القوّة الحِجَاجِيّة،لذا لا يخلو الخطاب الحِجَاجِي الإبراهيمي من استعمالها؛حيث ينوّع بين مختلف الصّيغ الدّالّة على التّشبيه،وفقَ أهمّية القضيّة المطروحة وخصوصيّة المتلقّي،بالإضافة إلى السّياق التّداولي المحيط بإنتاج الخطاب.

فعندما يجعل (الإبراهيمي) من التّشبيه آليّة مهمّة لتقديم حُجَجِهِ،وتكون جمعيّته هي القضيّة المحَاجَجِ من أجلها؛فإنّ البنية اللغويّة لخطابه،ستكون كالآتي:

«إنّ هذه الجمعيّة كالسّحاب ساقه **الله** إلى بلد ميّت فلا يقلع حتى يحييه،وإذا كان إحياء المطر للأرض معنى فوق التّحديد فكذلك معنى هذه الجمعيّة،وإن سائق المطر للبلد الميّت هو سائق هذه الجمعيّة لهذا الوطن المشرف على الموت».[2]

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج01،ص139.

[*] لقد تعمّدنا فصل الآليّات البلاغيّة في بُعدِهَا المجازي "التّخييلي"،وفي بُعدِهَا الجمالي"اللّفظي والمعنوي"،عن الآليّات اللّغويّة العاديّة -بالرّغم من أنّها جزء منها-،من منطلق القوّة الحِجَاجِيَّة المضاعفة التي تقدّمها مختلف الدّلالات الإيحائيّة للخطاب التّخييلي،وكذلك بما يقدّمه الخطاب الجمالي من دَعم حِجَاجِي للخطاب العادي.

[2] المصدر نفسه،ص138.

إنّ تشبيه المرسل لجمعيّته بالسّحاب الذي يسوقه **الله** (ﷻ) إلى بلد ميّت،عبارة عن تمهيد حِجَاجِي لما هو قادم من حُجَج،لهذا أتبعه مباشرة بتشبيه آخر وهو تشبيه الجمعيّة بالمطر الذي يُحيِي الأرض بعد موتها،وكأنّ بالمحَاجِجِ يقول: "قد أحيَت جمعيّتنا الجزائر بعد أن شارفت على الهلاك"،والدّليل على ذلك أنّه أردف هذا التّشبيه بقوله:"وإنّ سائق المطر للبلد الميّت هو سائق هذه الجمعيّة لهذا الوطن المشرف على الهلاك"،وبه حقّق مجموعة من الحُجَج في صيغ تعبيريّة تخييليّة وتلميحيّة؛فالمرسل في«خطاب التّخييل،إنّما ينجز عملًا متضمّنا في القول مخصوصًا».[1]

وهذا الذّي وصل به (الإبراهيمي) إلى نتيجة حِجَاجِيّة كبرى مفادها؛أنّ جمعيّته كانت سببًا في إحياء النّهضة الإصلاحيّة بالجزائر،وهذا ما يستدعي نتائجًا إيجابيّة أخرى،لها النّفع على البلاد والعباد معًا.

ومن الصّور الأخرى،التي يمكن أن يصوغ من خلالها (الإبراهيمي) آليّة "التّشبيه" من أجل المحَاجَجَة،هو استثماره لـ القوالب اللغويّة الجاهزة،كما أتت به الفقرة الخطابيّة الموالية:

«كذلك يجب أن لا نقضي أعمالنا في التّلاوم،وأن لا نكون كمن قال فيهم القرآن:﴿ **فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ**﴾،[القلم:30]،فإذا تلاومنا فليكن ذلك زجرًا عن الشّر،وردعًا عن الخلاف،ثم رجوعًا سريعًا إلى الحق».[2]

من أجل أن يقنع (الإبراهيمي) المعني بكلامه،ليخرج من دائرة التّلاوم ويتلهّى في أمور أخرى أكثر أهمّية،استند على مقولة لغويّة جاهزة،ليجعل منها ركيزة مهمّة لآليّة التّشبيه التي صاغها من أجل العمليّة الحِجَاجِيّة،وممّا زاد من قوّتها الحِجَاجِيّة أنّ القول الذي لجأ إليه مستمدّ من مرجعيّة دِينيّة،مثّلها الرّافد القرآني.

3-2-2- استعمال الاستعارة:

يمكن للمُحَاجِجِ،أن يستخدم الاستعارات «للإقناع بصياغة مفاهيميّة جديدة للواقع وتبريرها وتقييمها وشرحها والتّنظير لها وتقديم صياغة مفهوميّة جديدة لها»[3] ؛أي عند استعمالها كأداة لغويّة للدّفاع عن رأي أو اعتقاد ما.

فهي من الآليّات اللغويّة التي لها القدرة على توفير القوّة الحِجَاجِيّة للمرسل من أجل تحقيق مقاصده الحِجَاجِيّة مادامت «الأقوال الاستعاريّة أعلى حِجَاجِيًّا من الأقوال العاديّة».[4]

فحينما يدافع (الإبراهيمي) عن الإنسانيّة وما تُعانِيه من آلام،يكون خطابه عندئذٍ في صيغة استعارة حِجَاجِيَّة بامتياز:

---

[1] جاك موشلر وآن ريبول،القاموس الموسوعي للتّداوليّة؛تر:مجموعة من الباحثين،إشراف:عز الدّين المجدوب،المركز الوطني للتّرجمة، تونس؛ط02:2010م،ص464.

[2] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج02،ص469.وللتوّسع في "التّشبيه وخصائصه الحِجَاجِيَّة والاستدلاليّة في عيون البصائر"؛ينظر:زوبير بوزاغو،**التّلوينات الحِجَاجِيَّة في مقالات البشير الإبراهيمي"مقاربة لغويّة تداوليّة"**،أطروحة دكتوراه (غير منشورة)،جامعة الجيلالي اليابس؛سيدي بلعباس:2017-2018م،ص.ص139-154.

[3] إليلينا سيمينو،الاستعارة في الخطاب؛تر:عماد عبد اللّطيف وخالد توفيق،المركز القومي للتّرجمة،القاهرة-مصر؛ط01:2013م، ص78. ولهذا يصنّف (بيرلمان-Perelmen)،آليّة الاستعارة ضمن "الحُجَج المؤسِّسَة لبنية الواقع"؛ينظر:الحسين بنو هاشم،نظريّة الحِجَاج عند شاييم بيرلمان،دار الكتاب الجديد المتّحدة،بيروت-لبنان؛ط01:2014م،ص92.

[4] أبو بكر العزاوي،اللّغة والحِجَاج،مرجع سبق ذكره،ص103.

«الإنسانيّة تلك الأم الرّؤوم التي لا تحابي واحدًا من أبنائها دون آخر ولا تميّز بين بار منهم وفاجر،ولا تفرّق بين مؤمن منهم وكافر،تلك الأم المعذَّبَة بالويلات والمحن،من ويلات الحروب التي أتلفت الملايين إلى ويلات الأمراض والطّواعين إلى ويلات الزّلازل والبراكين...».[1]

استعارة المحَاجِج لصفات الأمومة،هي استعارات حِجَاجِيَّة؛فإطلاقه لأوصاف الأم الرّؤوم التي من خصالها العدل بين أبنائها،وبأنّها كالأم المعذَّبَة بالمحن...على الإنسانيّة،هو من الحِجَاج الذي يطابق بين حالين؛كي يقرّب الصّورة والمشهد أكثر فأكثر من ذهن المتلقّي،ويعمل على الإذعان لما هو قادم من حُجَج،وبذلك يحقّق المرسل أعلى درجات الحِجَاج،وليس من أجل تحقيق غاية جماليّة همّها الزّخرفة اللّفظيّة فقط.

3-2-3- توظيف الاستفهام:

يمكن أن يتدخَّل أسلوب الاستفهام ليكون هو الآخر،أحد الآليّات البلاغيّة التي تجسّد الحِجَاج،فطرح السّؤال قد «يضخِّم الاختلاف حول موضوع ما،إذا كان المخاطَب لا يشاطر المتكلِّم الإقرار بجواب ما،كما يمكن أن يلطّف السّؤال ما بين الطّرفين من اختلاف إذا كان المخَاطَب يميل إلى الإقرار بجواب غير جواب المتكلّم،وبإمكان المتكلّم كذلك تعميق نقاط الاتّفاق مع المخَاطَب إذا ما كان مقرًّا بما يطرحه عليه من أجوبة».[2]

ولهذا نجد تعدّدا في صيغ المساءلة التي يستعملها (الإبراهيمي) ضمن خطابه الحِجَاجِي،بين سؤال مباشر (مُصَرَّح به)،وسؤال مُفتَرَض (ضِمني).

ومن أمثلة توظيف النّوع الأوّل،ما عبّر عنه النّموذج الخطابي التالي:

«...أين خطباؤنا؟ لمَ لا يحملون على الأميَّة حملة شعواء؟ولمَ لا يعطونها من الاهتمام ما أعطوه لقرن الثّور وفضائل الشّهور؟وأين شعراؤنا؟ لمَ لا يشاركون في حملة منظَّمَة ويدعون إليها بقصائدهم المثيرة المحرِّكة؟ وأين علماؤنا الذين برَّأهم **الله** من داء الأميَّة؟ لماذا لا يسعَون في تطبيب غيرهم منها؟ أم هم يريدون أن تبقى الأمَّة أمّيَّة ليبقوا سادات ومشائخ؟ [...]،وأين أغنياؤنا؟ يُخرِجُون الأموال ويشيِّدُون المدارس ويقفون في مكافحة هذا الدَّاء الفتَّاك موقف الأبطال؟».[3]

تُعَدُّ مجموعة الأسئلة المتسلسلة التي طرحها (الإبراهيمي)،حُجَجًا مُوَجَّهَة إلى فئات مُعيَّنة،يرى أنّها مسؤولة عن مكافحة ظاهرة الأمّيَّة المتفشيّة داخل المجتمع الجزائري في الفترة الاستعماريّة،ونلاحظ من خلال تفاوت القوّة الحِجَاجيَّة في خطابه؛أنّه ركَّز على فئة العلماء أكثر من غيرها،بناءً على ما يحملونه من أمانة تجاه أمّتهم وبما يمتلكونه من مكانة عندها،مقارنة بالفئات الأخرى.

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج01،ص62.وقد يوظّف (الإبراهيمي) آليّة "الاستعارة" لصياغة بعض عناوين مقالاته لتكُون تقديمًا حِجَاجيًّا لما سيطرحه فيما بَعد؛حيث يَكثُرُ استعمالها في المقالات المتسلسلة التي يناقش من خلالها قضيّة ذات أهمّية كبيرة؛ينظر على سبيل المثال:سلسلة مقالاته المعنوَنة بـ "القضيّة ذات الذَّنَب...الطَّويل"،المصدر نفسه،ج03،ص.ص176-184.

[2] محمّد علي القارصي،البلاغة والحِجَاج من خلال نظريّة المساءلة لميشال ميار،ضمن كتاب،أهم نظريّات الحِجَاج في التّقاليد الغربيّة، مرجع سبق ذكره،ص399.

[3] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج01،ص204.

كما قد يوظِّف (الإبراهيمي) الاستفهام،في صياغة بعض عناوين خطاباته الحِجَاجِيَّة،ليكون عتبة حِجَاجِيَّة أولى لما سيقدّمه من حُجَج لاحقة،مثلما دلَّ عليه مقاله المعنوَن بـ «أَشَيخُ الإسلام هو أم شَيخُ المسلمين؟؟».[1]

وبالتالي يمكننا القول:إنّ صوغ الاستفهام في مثل هذه السّياقات،يصبح «هو الحُجَجُ ذاتها».[2]

وقد نجد في بعض المواضع الخطابيّة الحِجَاجِيَّة التي تضمّنتها آثار (الإبراهيمي)؛أنّه يطرح تساؤلًا ما،ثم يقدّم له مجموعة من الأجوبة لتكون حُجَجًا في حدِّ ذاتها،مثلما عبَّر عنه في صدد حديثه عن النّتائج الإيجابيّة التي حقّقها تلامذة "معهد ابن باديس"،محاولًا إقناعهم بالمزيد من العمل،بقوله:«إنّي أُشْهِدُ **الله** صادقًا أنّ النّتيجة كانت سارَّة جدًّا،لماذا؟ لأنّها مبنيّة على الحق والصّدق أولًا،ولأنّها ثانيا وليدة أمور ثلاثة هي:حزم الإدارة،ونشاط الأساتذة،واجتهاد الطّلبة،إنّ مجموع هذا وذاك هو الذي فاجأنا بهذه النّتيجة الباهرة!».[3]

وفي المقابل،إذا تأسّست الحُجَجُ في صيغة سؤال وجواب،هذا لا يعني أن يكون السّؤال دائمًا منطوقًا به؛بل يمكن أن يقدّم المحَاجِج أجوبةً لسؤال محتمَل من المحَاجَج،وهذا ما يظهر في الرّسالة التي وجَّهَهَا (الإبراهيمي) إلى صديقه (إبراهيم الكتّاني)،يصف له من خلالها قطعة أدبيّة من ملحمة رجزيّة مرفقة مع الرّسالة،إذ يقول:

«...وأنا لا أستعذب من الرّجز إلا ما سلس وسهلت أجزاؤه كرجز ابن الخطيب في "نظم الحلل"ورجز شوقي في "دول الإسلام"،ولم أسمع ولا قرأت رجزًا أعذب ولا أسلس من رجز الشّناقطة.

حاولت أن أنظم تاريخ الإسلام -وأنا في المنفى- وهَيَّأَتْ لي خواطري ملحمة تبلغ عشرات الألوف من الأبيات وقد رُضتُ القوافي في عدّة وقائع شهيرة كبدر واليرموك والقادسيّة في أوّل الإسلام والارك والعقاب بالأندلس[...] ولكنّ القريحة جَمَدَتْ من عيد الفطر فلم أصنع بيتًا واحدًا».[4]

وضَّح (الإبراهيمي) سبب إعجابه بهذا النّمط من الشِّعر دون سواه مُستندًا في ذلك إلى أمثلة معيَّنة،وبعد شرحه لمحتوى ملحمته،قدَّم المبرِّر الذي جعله ينقطع عن إتمام ما بدأه منها،وبهذه الصّيغ يكون قد أجاب على أسئلة متوقَّعة من طرف متلقّي رسالته،لتأخذ مكانتها في خطابه كصيغ حِجَاجِيّة بامتياز،كما كشفت لنا خصوصيّة العلاقة الحميميّة -في محورها التّكافؤي-التي تجمع بين طرفي العمليّة الحِجَاجِيَّة.

وهذا النّمط من الحِجَاج،هو الذّي يسمّيه (طه عبد الرّحمان)،بـ"الحِجَاج التّقويمي".[5]

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج01،ص221.وهناك العديد من عناوين المقالات التي صاغها (الإبراهيمي) في قالب استفهامي حِجَاجِي؛ينظر على سبيل المثال ما تضمّنه الجزء الثّالث من المصدر نفسه:"هل دولة فرنسا لائكيّة"،ص95."من مشاكلنا الاجتماعيّة،الصَّدَاق...وهل له حَدّ؟"،ص323."أفي كلّ قرية حاكم بأمره؟"،ص338...إلخ.

[2] عبد الهادي بن ظافر الشّهري،استراتيجيّات الخطاب،مصدر سبق ذكره،ج02،ص268.

[3] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج02،ص312.

[4] المصدر نفسه،ص150.

[5] ينظر:"تعريفه لهذا النّمط الحِجَاجِي"،طه عبد الرّحمان،اللّسان والميزان أو التّكوثر العقلي،مرجع سبق ذكره،ص228.

وعليه ندرك أهمّية طرح السّؤال في الخطاب الحِجَاجِي،في أنّه«وسيلة هامّة من وسائل الإثارة ودفع الغير إلى إعلان موقفه إزّاء مشكل مطروح،هذا الموقف يحدّده المتكلّم بقرائن ومواد اختباريّة تحضر في السّياق وتقود عمليّة الاستنتاج المتّصلة بالسّؤال المطروح».[1]

3-2-4- استعمال البديع:

لا شكّ أنّ "البديع"،عبارة عن أداة بلاغيّة تقدّم وظيفة حِجَاجِيَّة إلى جانب وظيفتها الجماليّة،فقد «تزدوج أساليب "الإقناع" بأساليب "الإمتاع"،فتكون،إذ ذاك،أقدر على التّأثير في اعتقاد المخاطَب،وتوجيه سلوكه لما يهبها هذا الإمتاع من قوّة في استحضار الأشياء،ونفوذ في إشهادها للمخاطَب،كأنّه يراها رأي العين».[2]

وتعتَبر أداة "السّجع"،من الأدوات البديعيّة المهمّة،التي يستعملها (الإبراهيمي) في خطابه الحِجَاجِي؛بما تقدّمه من قيمة حِجَاجِيَّة يستند إليها في دعواه،ومنها بشكل خاص رسائله التي اعتمد فيها على الخطاب الشّعري.[*]

ومن أمثلة تطبيق "السَّجع" في الخطاب النّثري لدى (الإبراهيمي)،ما وجدناه في خطابه الموجَّه إلى الشَّعب الجزائري بغية إقناعه بالمساهمة في مشروع "دار الطّلبة" التّابعة "لمعهد ابن باديس"،قائلًا:

«...فشارك أيّها الجزائري المسلم ببذل مالك في شرائها،تشارك في تصحيح أبدان،ستعطيك غدها،وتمدُّ إلى نصرتك يدها،وتكون سندك غدًا إذا كنت اليوم سندها،وأقرض الوطن في أبنائه قرضًا حسنًا يردده لك أضعافًا مضاعفة. المال الذي تنفقه في المحرّمات يسوقك إلى النّار،والمال الذي تبدّده في الشّهوات يجلب لك العار،والمال الذي تدّخره للورثة الجاهلين تهديه إلى الأشرار،وتبوء أنت بالتّبار والخسار،أمّا المال الذي تُحيِي به العلم وتُميتُ به الجهل فهو الذي يتوّجك في الدّنيا بتاج الفخار،وينزلك عند **الله** في منازل الأبرار».[3]

نلاحظ كيف تدرّج (الإبراهيمي)،في سرد حُجَجَهِ مُوَظِّفًا آليّة "السَّجع"؛حيث جعل من حرف "الهاء" فاصلة في سبيل تقديم حُجَجَهِ الأولى،كما جعل من حرف "الرّاء" فاصلة هو الأخر،عند سرده للحُجَج الثانية،مستندًا في ذلك على كفايته اللغويّة وقدرته على تطويع الصّوت،وجعله خادمًا لمقاصده الحِجَاجِيّة.

كما أنّ "للطّباق"،دوره الحِجَاجِي هو الآخر،فكثيرًا ما يختاره (الإبراهيمي) ليكون ضمن الآليّات البلاغيّة لخطاباته الحِجَاجِيَّة،مثلما وظَّفه (الإبراهيمي) في خطابه الحِجَاجِي التالي:

---

[1] سامية الدّريدي،الحِجَاج في الشّعر العربي،مرجع سبق ذكره،ص141.

[2] طه عبد الرّحمان،في أصول الحوار وتجديد علم الكلام،مرجع سبق ذكره،ص38.

[*] وجدنا نصًّا في آثار (الإبراهيمي)،أقرَّ فيه بأهميّة هذه الآليّة في العمليّة الإقناعيّة،بناءً على خصوصيّة متلقّي خطابه،بقوله:«وآثرنا هذا الأسلوب الشّعري لخفّته على أذواق القرّاء،وقربه من نفوس الأدباء،ولأنّ الطّريقة الأدبيّة في الكتابة هي أملَك الطّرائق لنفوس القرّاء بالجزائر،وعَسَى أن نكون وفّقنا إلى إصابة مواقع التّأثير من نفوسهم»،البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج01،ص200. ولقد تطرقّنا في بحث مستقل إلى دراسة إحدى الأراجيز التي زخرت بهذه الآليّة؛ينظر:سفيان مطروش وسليمان بن سمعون،إستراتيجيّة الخطاب الإقناعي في أرجُوزَة "تعليم البنت" لمحمّد البشير الإبراهيمي،مرجع سبق ذكره،ص.ص50-69.

[3] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج02،ص.ص453-454.وللتوّسع في "الوظائف الإقناعيّة للبديع في عيون البصائر"؛ ينظر:زوبير بوزاغو،التّلوينات الحِجَاجِيَّة في مقالات البشير الإبراهيمي،مرجع سبق ذكره،ص.ص154-162.

«ومقتضى هذه الأخوّة أن يشارك الإنسان الإنسان في جميع لوازم الحياة سرورًا وحزنًا لذّة وألما مشاركة معقولة تنتهي إلى حدود لا تتعدّاها،بحيث يعلم العالم الجاهل ويرشد النّبيه الغافل ويواسي الغني الفقير ويقع التّعاون المتبادل بين النّاس في كل جليل وحقير».[1]

ليدعم المرسل حُجَجَه وليثبت دعواه،المتمثّلة في أهم الجوانب المحقّقة للأخوّة الإنسانيّة،ركّز على توظيف آليّة "الطّباق" في شكل ثنائيّات ضديّة بين عدة ألفاظ:"السّرور/الحزن"،"اللذّة/الألم"،"العالم/الجاهل"،"النّبيه/الغافل" ...إلخ؛فعن طريق هذا القالب اللّغوي البديعي استطاع (الإبراهيمي) أن يقوّي من حُجَجِهِ.

ولأنّ آليّة "البديع"،لا تنطلق دائما من كونها زخرفة لفظيّة فحسب،بل «تنطلق من الفكرة وتكُون لونًا من ألوان التّعبير عنها..إنّها تأتي بنت الفكرة التي تتحدّث عنها أو الواقع الذي تصفه».[2]

لهذا قد يتجاوز (الإبراهيمي) استخدام المفردة الواحدة،ليستثمر في مجموعة من المفردات بانيًا بها خطابه الحِجَاجِي أي أنّها تكون في طابع مقابلة؛حيث يعمل على دمجها في قالب ثنائيّات ضديّة تكسب خطابه قوّة حِجَاجِيَّة تدريجيًا لوجود عدّة قضايا يُرومُ مناقشتها وليست قضيّة واحدة.

كما دلّ عليه خطابه الذي انطلق فيه من نتيجة حِجَاجِيَّة مسبقة ليصل إلى نتيجة أخيرة لها علاقة مباشرة بالأولى: «فالدّنيا أخت الآخرة أو ضرّتها وفي كليهما متقابلات يؤدّي بعضها إلى بعضها،أو يدلّ بعضها على بعضها،فالمدرسة هي جنّة الدّنيا والسّجن هو نارها...والأمّة التي لا تَبنِي المدارس تُبنَى لها السّجون،والأمّة التي لا تصنع الحياة يُصنَعُ لها الموت،والأمّة التي لا تعمل لنفسها ما ينفعها ويسعدها،يعمل لها غيرها ما يضرّها ويشقيها،والأمّة التي لا تحكّ جسمها بظفرها فترفق وتلتذ،تحكّها الأظفار الجاسية فتدمَى وتتألّم،والأمّة التي لا تغضب للعز الذّاهب ترضى بالذّل الجليب والأمّة التي تتّخذ الخلاف مركبًا يغرقها في اللجّة،والأمّة التي لا تُكرِمُ شبابها بالعلم والتّثقيف مُضَيِّعَة لرأس مالها،والأمّة التي لا تجعل الأخلاق ملاكها،أمّة تتعجّل هلاكها،والأمّة التي تلد لغيرها-أمّة تلد العبيد،لا أمّة تلد الأحرار الصّناديد والأمّة التي تعتمد في حياتها على غيرها طفيليّة على موائد الحياة حقيقة بالقهر والنّهر وقصم الظّهر،والحياة بلا علم متاع مُستَعار،والوطن بلا عِلم عورة مكشوفة،ونهب مُقَسَّم،سُنَّةٌ من سُنَنِ **الله** كسُنَّتِهِ في تكوير اللّيل على النّهار».[3]

نلاحظ من هذه الفقرة الخطابيّة-على طولها- أنّ (الإبراهيمي) انطلق من نتيجة حِجَاجِيَّة مسبقَة وضعها في قالب تقديمي؛كي يصل إلى نتيجة أخرى لها علاقة بها مباشرة،وبينهما مجموعة من الحُجَج كلّها في شكل ثنائيّات ضدّية على نمط المقابلة،مبنيّة على آليّات أخرى كالاستعارة والسَّجع...إلخ،وهذا ما نوضّحه في المخطّط الذي بنيناه،هو الآخر،على المقابلة بين المعنى وضدّه:

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج01،ص59.

[2] شكري فيصل،قضايا الفكر في آثار الإبراهيمي،مرجع سبق ذكره،ص194.

[3] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج02،ص430.

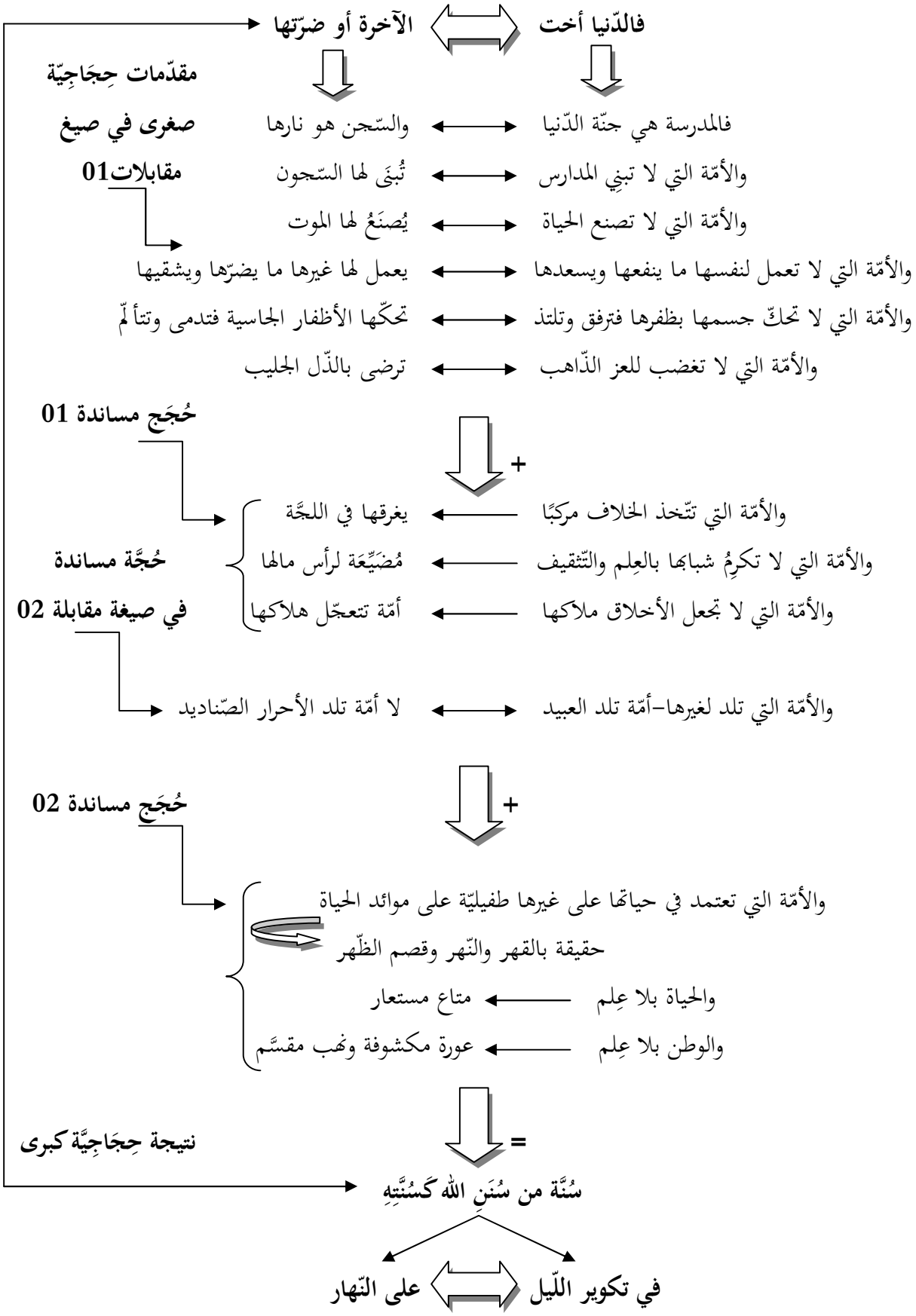

– مخطّط رقم34:يوضّح كيفيّة توظيف آليّة "المقابلة" في الخطاب الحِجَاجِي لدَى (الإبراهيمي)–

3-3- الحُجَجُ المؤسَّسَة على "السُّلَّم الحِجَاجِي- Argumentative scale":

3-3-1- تعريفه وقوانينه:

تختلف القوّة الحِجَاجِيَّة من خطاب لآخر،وفقَ تدرّج مُعَّين؛أي أنّ المحَاجِج يوظّف حُجَجَهُ في شكل سُلَّم تصاعدي أو تنازلي،يُعرَفُ باسم "السُّلَّم الحِجَاجِي"؛إذ يُبنَى على آليّات لغويّة وشبه منطقيّة معيّنة،وفقَ شروط وقوانين محدَّدة.

وقد عرَّفه (طه عبد الرّحمان)،بأنّه «مجموعة غير فارغة من الأقوال مزوّدة بعلاقة ترتيبيّة ومستوفية للشّرطين التاليين:

أ- كل قول يقع في مرتبة ما من السُّلَّم يلزم عنه ما يقع تحته،بحيث تلزم عن القول الموجود في الطّرف الأعلى جميع الأقوال الأخرى.

ب- كل قول في السُّلَّم كان دليلًا على مدلول معيَّن، كان ما يعلوه مرتبة دليلًا أقوى».[1]

كما اختزل أهم قوانين هذا السُّلَّم في ثلاثة قوانين رئيسة،هي:

1- «قانون الخفض:إذا صدق القول في مراتب معيّنة من السُّلَّم،فإنّ نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها.

2- قانون تبديل السُّلَّم:إذا كان القول دليلًا على مدلول معيّن،فإنّ نقيض هذا القول دليل على نقيض مدلوله.

3- قانون القلب:إذا كان أحد القولين أقوى من الآخر في التّدليل على مدلول معيّن،فإن نقيض الثاني أقوى من نقيض الأول في التّدليل على نقيض المدلول».[2]

وتمثّل الفقرة التالية،من الخطاب الحِجَاجِي الإبراهيمي،كيف تمّ توظيف "السُّلَم الحِجَاجِي"،وما ينطبق عليه من القوانين الثّلاثة السّالفة الذِّكر:

«العاقل من جارى العقلاء في أعمالهم في دائرة دِينه وقوميّته ووجدانه،والحازم من لم يرض لنفسه أخَسَّ المنازل،وأخَسُّ المنازل للرَّجُل منزلة القول بلا عمل،وأخَسُّ منها أن يكون الرَّجُل كالدَّفتر يحكي ما قال الرّجال وما فعل الرّجال دون أن يضرب معهم في الأعمال الصّالحة بنصيب،أو يرمي في معترك الآراء بالسّهم المصيب».[3]

رتّب (الإبراهيمي) حُجَجَهُ،حسب قوّتها الدّلاليّة لتحيل مباشرة إلى قوّة حِجَاجِيَّة؛حيث بدأ بالحُجَّة الأضعف وهي أنّه من البديهي أن يجاري الشّخص العقلاء في ثلاثة محاور مهمّة،هي "الدِّين والقوميّة والوجدان"،ثم تدرّج في تقديم الحُجَج تباعًا،لتصبح الحُجَّة الآخرة ذِكرًا هي الأقوى من سابقتها وشاملة لها،وهكذا دواليك؛حتّى وصل إلى الحُجَة

---

[1] طه عبد الرّحمان،في أصول الحوار وتجديد علم الكلام،مرجع سبق ذكره،ص105.واللّسان والميزان أو التّكوثر العقلي،مرجع سبق ذكره،ص277.وينظر أيضًا:

OSWALD DUCROT,LES ECHELLES ARGUMENTATIVES ,LES EDITIONS DE MINUIT ;FRANCE :1980,p.p15-46.

[2] طه عبد الرّحمان،في أصول الحوار وتجديد علم الكلام،مرجع سبق ذكره،ص.ص105-106.واللّسان والميزان أو التّكوثر العقلي، مرجع سبق ذكره،ص.ص277-278.

[3] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره، ج01،ص56.

النّهائيّة،عند قوله:"أو يرمي في معترك الآراء بالسّهم المصيب"؛أي أضعف الإيمان أن يشارك المرء بآرائه،وبهذه الجملة يكون قد حقّق أعلى درجة حِجَاجِيَّة في السُّلَّم الحِجَاجِي.

وهذا هو الذي يسمّيه (طه عبد الرّحمان) بقانون الخفض؛إذ يمكننا أن نوضحه في المخطّط التالي:

أقلّ عمل يُطلَبُ من المرء أن يرمي في معترك الآراء بالسّهم المصيب

دون أن يضرب معهم في الأعمال الصّالحة بنصيب

أخَسُّ منها أن يكون الرّجل كالدَّفتر

يحكي ما قال الرّجال وما فعل الرّجال

أخَسُّ المنازل للرّجل منزلة القول بلا عمل

الحازم من لم يرض لنفسه أخَسَّ المنازل

العاقل من جارى العقلاء في أعمالهم في دائرة دِينه وقوميّته ووجدانه

– مخطّط رقم35:يوضّح كيفيّة توظيف "قانون الخفض" في الخطاب الحِجَاجِي لدَى (الإبراهيمي)–

وفي حالة ما،إذا تم نفي أيّة حُجَّة من الحُجَج السّابقة؛فإنّه يؤدّي بالضّرورة إلى نفي مدلول الخطاب الحِجَاجِي كَكُل،وهذا هو القانون الثاني الذي يقصده (طه عبد الرّحمان)؛ما سمّاه بقانون تبديل السُّلَّم.

مع أنّ احتمال نفي أيّة حُجَّة من الحُجَج،ليس بالضّرورة أنّه يؤدّي إلى نفي الحُجَة التي تقع في درجة أدنى منها وهذا ما يطلق عليه (طه عبد الرّحمان) بقانون القلب،وهو القانون الثالث من القوانين التي ينبني عليها السُّلَّم الحِجَاجِي.

كما يرتبط بالسُّلَّم الحِجَاجِي مفهوم آخر هو «مفهوم الوجهة أو الاتّجاه الحِجَاجِي [...]،ويعني هذا المفهوم أنّه إذا كان قول ما يمكن من إنشاء فعل حِجَاجِي،فإنّ القيمة الحِجَاجِيَّة لهذا القول يتمّ تحديدها بواسطة الاتّجاه الحِجَاجِي،وهذا الأخير قد يكون صريحًا أو مضمرًا،فإن كان القول أو الخطاب معلمًا[...]،أي مشتملًا على بعض الرّوابط والعوامل الحِجَاجِيَّة،فإنّ هذه الأدوات والرّوابط تكون متضمّنة لمجموعة من الإشارات والتّعليمات [...]التي تتعلّق بالطّريقة التي يتم بها توجيه القول أو الخطاب،أمّا في حالة كون القول غير معلم،فإنّ التّعليمات المحدّدة للاتّجاه الحِجَاجِي تُستَنتَج إذاك من الألفاظ والمفردات بالإضافة إلى السّياق التّداولي والخطابي العام».[1]

[1] أبو بكر العزاوي،اللّغة والحِجَاج،مرجع سبق ذكره،ص25. ونشير إلى أنّه «تكمُنُ أهمّية نظريّة السّلالم الحِجَاجِيَّة أساسًا في إخراج قيمة القول الحِجَاجِي من حيِّز المحتوى للقول وهذا يعني أنّ القيمة الحِجَاجِيَّة لا يمكن الحكم عليها بالصّدق أو الكذب لأنّها لا تخضع لشروط الصّدق المنطقي[...]،فهي ليست قيمة مضافة إلى البنية اللّغويّة بل مسجَّلَة فيها يتكهّن بها التّنظيم الدّاخلي للّغة»،شكري المبخوت،نظريّة الحِجَاج في اللّغة،ضمن كتاب،أهم نظريّات الحِجَاج في التّقاليد الغربيّة،مرجع سبق ذكره،ص370.

وفيما يخص تحليلنا لطرق توظيف الاتّجاه الحِجَاجِي الصّريح المؤَسَّس على استثمار مجموعة من الرّوابط والعوامل الحِجَاجِيَّة في الخطاب الحِجَاجِي الإبراهيمي،سيأتي لاحقًا،عند حديثنا عن أهم الوسائل اللغويّة التي يعتمدها هذا الخطاب في تأسيسه للسُّلَم الحِجَاجِي.

وسنكتفي هنا بتحليل نموذج حِجَاجِي،يجسّد الاتّجاه الحِجَاجِي المضمر؛أي ذلك الاتّجاه الذي تنعدم فيه الرّوابط والعوامل الحِجَاجِيَّة الظّاهرة،وهو ما نستنتجه من البنية اللغويّة للخطاب التالي:

«الرّجل معتمد على نفسه،يظهر ذلك في جميع أطوار تعلّمه وإنّ الهمّة التي سَمَت به إلى تعلّم عدّة لغات حيّة أجنبيّة وإتقانها هي عنوان هذا الخُلُقِ العظيم،خُلُقُ الاعتماد على النّفس،والاعتماد على النّفس خير ما حمل الآباء عليه أبناءهم فهو الرّائد إلى السّعادة وهو أساس الحياة الاستقلاليّة».[1]

عند قراءة سطحيّة لظاهر الخطاب،يبدو أنّه لا علاقة له بسرد حُجَجٍ متتابعة،لخلوّه من أيّ رابط أو عامل حِجَاجِي،ولكنّ المتمعّن في معانيه الضّمنيّة،يجد أنّه خطاب حِجَاجِي بامتياز،فهو عبارة عن سُلَّم حِجَاجي مبني على مجموعة من الحُجَج مرتّبة ترتيبًا تصاعديًا،بحسب ما تمتلكه كل حُجَّة من قوّة دلاليّة تعطيها قوّة إقناعيّة،انطلق فيه (الإبراهيمي) من تقديم خصلة حميدة يُعرَفُ بها (ابن شنب)،وهي أنّه كان معتمدًا على نفسه،ليصل المرسل إلى نتيجة نهائيّة مضمرة مفادها:أن الاعتماد على النّفس هو عماد الحياة المستقلّة،وبهذه النّتيجة يكون قد حقّق ذروة الحُجَج المؤسِّسَة لسُلَّمِهِ الحِجَاجِي.

وهذا ما يعبّر عنه المخطّط التالي:

الاعتماد على النّفس هو الرّائد إلى السّعادة وأساس الحياة الاستقلاليّة

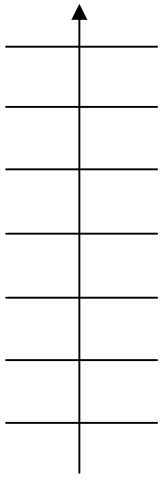

– مخطّط رقم36:يوضّح توظيف "الاتّجاه الحِجَاجِي المضمر" في الخطاب الحِجَاجِي لدَى (الإبراهيمي)–

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج01،ص46.

3-3-2- الآليّات اللّغويّة وشبه المنطقيّة للسُّلَّم الحِجَاجِي:

3-3-2-أ- الآليّات اللّغويّة:

3-3-2-أ- 1- توظيف الرّوابط والعوامل الحِجَاجِيَّة:

يمكن أن نحكم على أيّ خطاب كان،من حيث قوّته الحِجَاجِيَّة وضعفها،باكتشاف مدى براعة مرسله في توظيف الرّوابط والعوامل الحِجَاجِيَّة معًا.

لذا يجب التّمييز بينهما جيّدًا؛«فالرّوابط تربط بين قولين،أو بين حجّتين على الأصح (أو أكثر)،وتسند لكل قول دورًا محدّدًا داخل الاستراتيجيّة الحِجَاجِيَّة العامّة،ويمكن التّمثيل للرّوابط بالأدوات التالية:بل،لكن،حتّى،لاسيّما،إذن لأنّ،بما أنّ،إذ...إلخ.

أمّا العوامل الحِجَاجِيَّة،فهي لا تربط بين متغيّرات حِجَاجِيَّة (أي بين حُجَّة ونتيجة أو بين مجموعة حُجَج)،ولكنّها تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحِجَاجِيَّة التي تكون لقول ما،وتضمّ مقولة العوامل أدوات من قبيل:"ربما،تقريبًا،كاد قليلًا،كثيرًا،ما...».[1]

أ- توظيف "الرّوابط الحِجَاجِيَّة- Argumentative connectors":[*]

- توظيف الرّابط "لكن":

تعتبر الأداة اللغويّة "لكن"،من أهم الرّوابط الحِجَاجِيّة؛حيث يعمد من خلالها المحَاجِجُ إلى تأكيد حُجَجِه،بما أنّها تفيد معنى الاستدراك،وقيل «للتّوكيد،والاستدراك هو لخبر تُوُهِّمَ أنّه موافق لما قبله في الحكم،فأتي به لرفع ذلك التّوهّم ولتوكيد الأوّل».[2]

وتظهر الفقرة الخطابيّة التالية،كيف وظّف الخطاب الحِجَاجِي الإبراهيمي،هذا الرّابط؛حينما خاطب (الإبراهيمي) بعض الصّحفيين،إثر وصفهم لفلسطين بالشّهيدة،رادًّا عليهم هذا الوصف،بقوله:

«ما هذه التّفاهة في الذّوق أيّها الصّحفيّون!أمَاتَت فلسطين حتّى تصفوها بـ"الشّهيدة" وتجلّلوا صحفكم بالسّواد حِدادًا عليها.

إن لم يكن فعال فليكن حسن فال...إنّ فلسطين حيّة ولكنّها تجاهد ومأزومة ولكنّها تكابد ولفألكم الخيبة... أتدرون أنّ ذوقكم هذا لا يحلُو إلّا لخصوم فلسطين؟».[3]

---

[1] أبو بكر العزاوي،اللّغة والحِجَاج،مرجع سبق ذكره،ص27.

[*] في تحليلنا للرّوابط والعوامل الحِجَاجِيَّة الموظَّفة في الخطاب الحِجَاجِي الإبراهيمي،اخترنا الأهم منها فقط؛لسببين اثنين،هما:

- كثرة توظيفها في الخطاب الحِجَاجِي الإبراهيمي،وفقَ مسارات حِجَاجِيَّة جِدُّ متقاربة.

- تكمن خصوصيّة هذه الأنواع،في ما يقدّمه بعضها من نتائج حِجَاجِيَّة مضادّة ومضمرَة،من خلال «علاقتها الواضحة والقويّة مع المعنى الضِّمني والمضمَر»،أبو بكر العزاوي،اللّغة والحِجَاج،مرجع سبق ذكره،ص56.

[2] أبو حيّان الأندلسي،ارتشاف الضّرب من لسان العرب،مرجع سبق ذكره،ص1237.

[3] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج02،ص199.

استعمل المرسل،الرّابط "لكن" بمعنى الاستدراك،في سياق توكيده لمجموعة من الحُجَج،هي أنّ فلسطين لا تزال دولة قائمة بذاتها،بالرّغم ممّا تعانيه من أزمات،وأمّا قوله:"أتدرون أنّ ذوقكم هذا لا يحلُو إلا لخصوم فلسطين؟"،فهو عبارة عن استفهام تقريري دلّ على نتيجة حِجَاجِيّة مضمرة ومضادّة في الوقت ذاته،ثم جعلها في أعلى رتبة من السّلَّم الحِجَاجِي وكأنّه يقول:"أيّها الصّحفيّون،هذا ما يريده منكم خصوم فلسطين".

ويحاول المخطّط التّالي،أن يوضّح هذا المسار الحِجَاجِي:

أيّها الصّحفيّون،هذا ما يريده منكم خصوم فلسطين

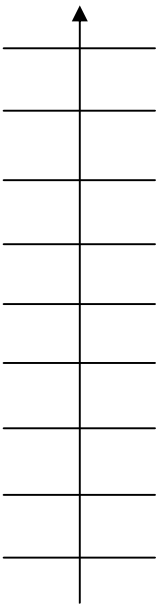

ولفألكم الخيبة

ولكنّها تكابد

ومأزومة

ولكنّها تجاهد

إنّ فلسطين حيّة

إن لم يكن فعال فليكن حسن فال

وتجلّلوا صحفكم بالسّواد حِدَادًا عليها

أمَاتَت فلسطين حتّى تصفوها بـ"الشّهيدة"

ما هذه التّفاهة في الذّوق أيّها الصّحفيّون!

– مخطّط رقم37:يوضّح كيفيّة توظيف الرّابط"لكن" في الخطاب الحِجَاجِي لدَى (الإبراهيمي)–

– توظيف الرّابط "بل":

تسهم الأداة اللغويّة "بل"،في «إنشاء السّلَّم الحِجَاجِي بذلك النّفي لما يسبقها وهو درجة أولى في السّلَّم،والإثبات لما يليها وهو أرقى درجة في الحِجَاج لما له من قيمة إقناعيّة»[1] ؛أي تربط بين الحُجَج الأولى والحُجَج النّهائيّة،ولهذا تعدّ من أهم الرّوابط الحِجَاجِيّة في اللّغة العربيّة.

بما أنّها تفيد معنى الإضراب و«العدول عن شيء إلى آخر،إن وقعت بعد كلام مُثبَّت،خبرًا كان أو أمرًا،وللاستدراك بمنزلة "لكن"،إن وقعت بعد نفي أو نهي».[2]

ومن أمثلة توظيف الرّابط "بل" في الخطاب الحِجَاجِي لدى (الإبراهيمي)،ما دلّت عليه الفقرة الخطابيّة التالية: «وتفيد البيانات التي أدلى بها وزير الدّاخلية الفرنسيّة أمام البرلمان الفرنسي عند تقديم مشروعه بأنّ الأمر لا ينحصر

---

[1] عز الدّين النّاجح،العوامل الحِجَاجِيَّة في اللّغة العربيّة،مكتبة علاء الدّين،صفاقس–تونس؛ط01:2011م،ص.ص141–142.

[2] مصطفى الغلاييني،جامع الدّروس العربيّة،مرجع سبق ذكره،ج03،ص247.

في تعزيز العمليّات العسكريّة ضدّ جيش التّحرير الوطني الجزائري فحسب،بل يرمي إلى جعل الاضطهاد المسلَّط على الشَّعب الأعزل أشدُّ وأنكَى،وإيجاد حالة استثنائيّة لإخماد صوت الشَّعب الجزائري بالقوّة العسكريّة».[1]

من خلال توظيف الرّابط "بل"،قدّم المرسل حُجَجَه الأولى،وربطها بحُجَجٍ أخرى؛حيث استثمر في معنى الإضراب الذي يمدّه هذا الرّابط،مع الحُجَج المثبّتة،ثم استثمر في معنى الاستدراك،مع الحُجَج النّافية،ليصل في الأخير إلى نتيجة حِجَاجِيَّة مضمرة ومضادّة في الآن ذاته،عند قوله:"بل يرمي إلى جعل الاضطهاد المسلَّط على الشَّعب الأعزل أشدُّ وأنكَى...".

وكأنّه يقول:"يسعى الاحتلال الفرنسي إلى إخماد صوت الشَّعب الجزائري بأيّة وسيلة،ولو بالقوّة العسكريّة"،وهذا ما يدلّ عليه المخطّط التالي:

يسعى الاحتلال الفرنسي إلى إخماد صوت الشَّعب الجزائري بأيّة وسيلة،ولو بالقوّة العسكريّة

بل يرمي إلى جعل الاضطهاد المسلَّط على الشَّعب الأعزل أشدُّ وأنكَى

بأنّ الأمر لا ينحصر في تعزيز العمليّات العسكريّة ضدّ جيش

التّحرير الوطني الجزائري فحسب

تفيد البيانات التي أدلى بها وزير الدّاخليّة الفرنسيّة...

– مخطّط رقم38:يوضّح كيفيّة توظيف الرّابط"بل" في الخطاب الحِجَاجِي لدَى (الإبراهيمي)–

– توظيف الرّابط "إنّما":

تجسّد الأداة اللغويّة "إنّما"،إحدى الرّوابط الحِجَاجِيَّة التي تقدّم حُجَّة مضمرة ومضادّة في الوقت ذاته،بناءً على المعنى النّحوي الذي تفيده،فقد قال عنها (عبد القاهر الجرجاني) في "دلائله":«اعلم أنّها تفيد في الكلام بعدها إيجاب الفعل لشيء،ونفيه عن غيره».[2]

وإذا نظرنا في كيفيّة استعمال هذا الرّابط،في الخطاب الحِجَاجِي الإبراهيمي،نجدها مستعملة وفقَ مسار حِجَاجِي بارز في الخطاب الذي وجّهه (الإبراهيمي) إلى الشّباب العربي،بمناسبة إلقائه محاضرة بأحد أندية الشّباب بالقاهرة وحتّى يقنعهم بالمفهوم الحقيقي للعروبة –وفقَ تصوّره الخاص–،قائلًا لهم:

«أهتف بشباب العرب أن يرعوا حقَّ العروبة وأن يكونوا أوفياء لها،وأن يعلموا أنّها ليست جنسيّة تميّز،ولا نسبة تعرف وأنّها ليست جلدة تسمر أو تحمر،ولا بلدة تعمر وتقفر[...]،وإنّما هي خلال وخصال،وهِمَم تتشقّق عن فعال وإنّما هي بناء مآثر،وتشييد أمجاد ومحامد،وإنّما هي مساعٍ من الكرام إلى المكارم،ودواعٍ من العظماء إلى العظائم،وإنّما هي

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج05،ص57.

[2] عبد القاهر الجرجاني،دلائل الإعجاز؛قرأه وعلّق عليه:أبو فهر محمود محمّد شاكر،مكتبة الخانجي،القاهرة–مصر؛ط05:2004م، ص335.

عزائم،لا تعرف الهزائم،وإنّما هي عزّة وكرامة،وشدّة في الحفاظ وصرامة،وإنّما هي طموح وجموح:طموح إلى منازل العزّ وجموح عن مواطن الذّل،وإنّما هي رجولة وبطولة،وأصالة وفحولة،وإنّما هي طبع أصيل ورأي جليل،ولسان بالبيان بليل وعقل على الحكمة دليل،فمجموع هؤلاء هو العروبة».[1]

من أجل أن يقنع المرسل المتلقّي المخصوص،برعاية حقّ العروبة،وأن يعي جيّدًا مفهومها الحقيقي،استند على المعنى الذي يقدّمه الرّابط الحِجَاجِي "إنّما"،والدّليل على ذلك أنّه كرّره مرارًا،عند طرحه لآرائه الخاصّة،في شكل سلسلة من الحُجَج المتعاقبة،ليصل في النّهاية إلى حُجَّة مضمرة ومضادّة؛حيث جعلها في أعلى مرتبة من السّلَّم الحِجَاجِي،عند قوله:"فمجموع هؤلاء هو العروبة"؛أي هذا هو المفهوم الحقيقي للعروبة،وليس كما تتصوّرونه،مبنيًّا على العرقيّات والجنسيّات الضّيّقة،التي تؤدّي إلى العصبيّة المقيتة،وبالتالي تؤدّي إلى الفرقة والاختلاف،وليس إلى الوحدة والائتلاف. وهذا ما جعل كلامه «ذا طابع حِجَاجِي واضح في حين أنّ غياب "إنّما" يجعله لمجرّد الإبلاغ والإعلام وتكتفي اللّغة بوظيفتها الإعلاميّة،ولا تتعدّاها إلى الحِجَاجِيّة».[2]

ويوضّح المخطط الآتي،المسار الحِجَاجِي الذي اتّبعه (الإبراهيمي)،عند توظيفه لهذا الرّابط:

المفهوم الحقيقي للعروبة

وإنّما هي طبع أصيل ورأي جليل ولسان بالبيان بليل...

وإنّما هي رجولة وبطولة وأصالة وفحولة

وإنّما هي طموح وجموح...

وإنّما هي عزّة وكرامة وشدّة في الحفاظ وصرامة

وإنّما هي عزائم لا تعرف الهزائم

وإنّما هي مساعٍ من الكرام إلى المكارم...

وإنّما هي بناء مآثر وتشييد أمجاد ومحامد

وإنّما هي خلال وخصال وهمم تتشقّق عن فعال

وأنّها ليست جلدة تسمر أو تحمر...

وأن يعلموا أنّها ليست جنسيّة تميّز ولا نسبة تعرف

أهتف بشباب العرب أن يرعوا حقَّ العروبة وأن يكونوا أوفياء لها

– مخطّط رقم39:يوضّح كيفيّة توظيف الرّابط"إنّما" في الخطاب الحِجَاجِي لدَى (الإبراهيمي)–

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج04،ص268.

[2] عز الدّين النّاجح،العوامل الحِجَاجِيَّة في اللّغة العربيّة،مرجع سبق ذكره،ص56.

– توظيف الرّابط "فضلًا عن":

يمكن أن يستعمل المحَاجِج،عبارة "فضلًا عن"،ويجعل منها رابطًا حِجَاجِيًا بامتياز؛حينما يربط من خلالها بين حُجَج مبدئيّة وحُجَّة عليا تكون مضمرة ومضادّة معًا.

كما دلّ عليه،الخطاب الذي حَاجَجَ به (الإبراهيمي)،مرسلًا إليه مخصوصًا،بمناسبة إلقائه لسلسلة محاضرات بـ"معهد الدّراسات العربيّة العليا"بالقاهرة،والموسومة بـ"الاستعمار الفرنسي في الجزائر"،وفي سياق حديثه عن ظروف إجراء الانتخابات في الجزائر،إبّان تلك الفترة،قال:

«...فإنّ الانتخابات اختيار للمصلحة العامّة،وشعوبنا ما زالت مُضَلَّلَة مُسَخَّرة،ومخدوعة مُسَخَّرة،لا تفقه للمصلحة العامّة معنًى،فضلًا عن اعتبارها،فضلًا عن حسن الاختيار لها».[1]

لا شكّ أنّ طبيعة القضيّة المطروحة للنّقاش،وخصوصيّة المتلقّي الذي وجّه إليه (الإبراهيمي) خطابه،هي التي جعلته يُنتِجُ خطابه الحِجَاجِي،وفقَ هذا المسار،باعتماده على عبارة "فضلًا عن".

فباستعمالها مكرّرة،تعمّد نفي الحد الأدنى،ليجعل منه حُجَّة أولى،هي:"أنّ الشّعوب العربيّة لا تعرف معنى المصلحة العامّة"،ليصل إلى حُجّة ثانية،صيغت في شكل حُجَّة "مضمرة ومضادّة" في الآن ذاته،جاءت في أعلى السّلَّم الحِجَاجِي،عند قوله: "فضلًا عن اعتبارها،فضلًا عن حسن الاختيار لها"،ولهذا قال (السّيوطي)،عن هذا الرّابط الحِجَاجِي:«ولا تستعمل "فضلًا عن" هذه إلّا في النّفي».[2]

وعليه قد يؤوّل المرسل إليه،الحُجّة النّهائيّة المضمرة،بأنّه:"كان على الشّعوب العربيّة أن تعرف معنى المصلحة العامّة أوّلًا؛حتّى تمتلك القدرة على اعتبارها،ثم القدرة على أن تختار لها منتَخَبِين أكفاء".

ويحاول المخطّط التالي،أن يوضّح المسار الحِجَاجِي المتّبع في هذه الفقرة الخطابيّة:

على الشّعوب العربيّة أن تعرف معنى المصلحة العامّة أوّلًا؛كي تعتبرها،وتستطيع أن تختار لها منتَخَبِين أكفاء

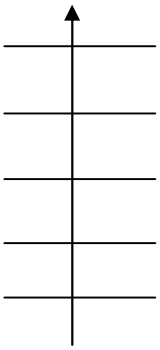

فضلًا عن

فضلًا عن اعتبارها

لا تفقه للمصلحة العامّة معنًى

وشعوبنا ما زالت مُضَلَّلَة مُسَخَّرَة...

الانتخابات اختيار للمصلحة العامّة

– مخطّط رقم40:يوضّح كيفيّة توظيف الرّابط"فضلًا عن" في الخطاب الحِجَاجِي لدَى (الإبراهيمي)–

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج05،ص136.

[2] جلال الدِّين السّيوطي،الأشباه والنّظائر في النّحو؛تح:إبراهيم محمّد عبد **الله**،ج03،مطبوعات مجمع اللّغة العربيّة بدمشق،سورية؛د ط:1407هـ/1987م،ص448.

- توظيف الرّابط "حتّى":

قد يوظّف المحَاجِجُ،الأداة "حتّى" ليرتّب بها حُجَجَه،من منطلق المعنى الذي تعبّر به عن مقاصد المرسل،ولهذا قال عنها (ابن يعيش):«ومعناها منتهى ابتداء الغاية بمنزلة إلى[...]،وإنّما وجب أن يكون ما بعدها جزءًا ممّا قبلها من قبل أنّ معناها أن تستعمل لاختصاص ما تقع عليه إمّا لرفعته أو دناءته».[1]

وعليه،تكون الحُجَجُ التي تأتي بعدها «أقوى حُجِّيَّة وأكثر توجيهًا نحو النتيجة وبعبارة أخرى يكون محلّه في أعلى السّلَّم»[2] الحِجَاجِي.

وهذا ما نجده في النّموذج الخطابي،الذي خاطَب من خلاله (الإبراهيمي)،زملاءه من أعضاء "جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين"،وهو يعرض عليهم تقريرًا عن الأمّيّة،قائلًا لهم:

«نحن نريد من الكمال هنا الكمال المكتَسَب الذي في مكنة الإنسان الوصول إليه بالتّعمّل والتّهمّم والمزاولة،ولسنا نعني الكمال الخَلقي التّكويني الذي لا يدَ للمخلوق فيه،ذلك الكمال الذي يتفاوت فيه العاملون حتّى يكُونُوا كما قال الشّاعر:

وَلَمْ أرَ أمثَالَ الرِّجَالِ تَفَاوُتًا إِلَى المجدِ حَتَّى عُدَّ أَلْفٌ بِوَاحِدِ».[3]

بعد أن استعمل (الإبراهيمي) الرّابط الحِجَاجِي "حتّى"،بغية تقديم نتيجة حِجَاجِيَّة مضمرة،هي ضرورة التّسابق نحو معالي الأمور؛بل الوصول إلى درجة المجد؛حينما وظّف بيتًا شعريًا[*]،استمدّه من كفايته اللغويّة،ليدعّم به هذه الحُجَّة.

فالوظيفة الحِجَاجِيَّة المضاعفة التي أدّاها هنا الرّابط الحِجَاجِي"حتّى"؛أنّه ربط بين الحُجَّتين،الأولى والثانية معًا؛حيث جعل منها حُجَجًا «متساوقة بمعنى أنّها تخدم نتيجة واحدة،والنّتيجة المقصودة مذكورة في البيت الشّعري».[4]

وهذا ما يعبّر عنه المخطّط الآتي:

---

[1] موفق الدّين بن يعيش،شرح المفصّل،مرجع سبق ذكره،ج08،ص.ص15-16.

[2] عز الدّين النّاجح،العوامل الحِجَاجِيَّة في اللّغة العربيّة،مرجع سبق ذكره،ص136.

[3] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج01،ص202. وللتوسّع في معرفة الوظيفة الحِجَاجِيَّة التي يؤدّيها الرّابط "حتّى"في الخطاب الحِجَاجِي الإبراهيمي؛ينظر:صفيّة مكناسي،**حتّى وعلاقاتها الحِجَاجيَّة عند البشير الإبراهيمي**،مجلّة فصل الخطاب،جامعة ابن خلدون،تيارت؛مج01، ع03،ص.ص239-248.

[*] قائل هذا البيت،هو (البُحتُرِي)،وقد رُوِيَ في ديوانه،من [الطّويل]،وفقَ الصّيغة التّالية:

«وَلَمْ أَرَ أَمْثَالَ الرِّجَالِ تَفَاوَتَتْ إِلَى الفَضْلِ حَتَّى عُدَّ أَلْفٌ بِوَاحِدِ»

الوليد بن عُبَيد أبو عبادة البُحتُرِي،ديوان البُحتُرِي،مرجع سبق ذكره،مج01،ص625.

[4] أبو بكر العزاوي،اللّغة والحِجَاج،مرجع سبق ذكره،ص72.

وَلَم أرَ أمثَالَ الرِّجَالِ تَفَاوُتًا إلَى المجدِ حَتَّى عُدَّ أَلْفٌ بِوَاحِدِ

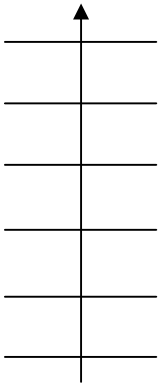

يكُونُوا كما قال الشّاعر

حتّى

ذلك الكمال الذي يتفاوت فيه العاملون

ولسنا نعني الكمال الخَلقي التّكويني الذي لا يدَ للمخلوق فيه

الذي في مكنة الإنسان الوصول إليه بالتعمّل...

نحن نريد من الكمال هنا الكمال المكتَسَب

– مخطّط رقم41:يوضّح كيفيّة توظيف الرّابط"حتّى" في الخطاب الحِجَاجِي لدَى (الإبراهيمي)–

وبناءً على ما سبق لنا دراسته،من روابط حِجَاجِيّة متنوّعة وكيفيّات توظيفها في الخطاب الحِجَاجِي الإبراهيمي نستنتج أنّ تنوّع المعاني النّحويّة التي تفيد بها هذه الرّوابط،أنتجَت معاني حِجَاجِيّة ذات بُعد تداولي محض:

– فالاستدراك والاضراب والنّفي،أنتجَت حُجَجًا مضمرة ومضادّة؛بالنّسبة للرّوابط:"لكن،وبل،وإنّما،وفضلًا عن".

– وأمّا الاختصاص،فقد أنتجَ حُجَجًا مساوقة؛بالنّسبة لتوظيف الرّابط "حتّى".

وبهذا نخلص إلى نتيجة مفادها:أنّ المعنى النّحوي له أثره في توجيه المسار الحِجَاجِي بوجه عام،وعلى مستوى توظيف الرّوابط الحِجَاجِيّة بوجه خاص.

ب– توظيف "العوامل الحِجَاجِيَّة – Argumentative Factors":

– توظيف العامل "تقريبًا":

لقد ذكرنا سابقًا،بأنّ وظيفة العوامل الحِجَاجِيَّة،تكمن في حصر وتقييد القوّة الحِجَاجِيَّة للقول الحِجَاجِي؛أي تستبعد إمكانيّة ورود حُجَج مضمرة أو مضادّة،ضمن هذا القول،وبالتالي غياب أيّ تأويل محتمَل من المتلقّي.

ويعدّ لفظ "تقريبًا" من أهم العوامل الحِجَاجِيّة،الأكثر حضورًا في الخطاب الحِجَاجِي الإبراهيمي؛إذ يعكس النّموذج الخطابي التالي،كيفيّة توظيف هذا العامل،عندما تحدّث (الإبراهيمي) عن مكانة الجزائر في الشّمال الإفريقي قائلًا: «كانت كلمة "إفريقية" تطلق لأوائل الفتح الإسلامي العربي على قطعة صغيرة من هذه القارّة العظيمة،هي موقع المملكة التونسيّة اليوم تقريبًا،أمّا إطلاقها على القارّة كلّها فهو استعمال حدث بعد ذلك،ولما شاع هذا الاستعمال الشّامل احتيج إلى تميّز الأجزاء بالنّسبة إلى الجهات فقيل شمال إفريقيا،كما قيل جنوب إفريقيا،فكانت الجزائر جزءًا من هذا الشّمال».[1]

دلّ استعمال المرسل للعامل الحِجَاجِي "تقريبًا" على قوّة حِجَاجِيَّة ثابتة؛فطرحه لحُجَجِهِ المتتابعة جاء وفقَ مسار حِجَاجِي واحد،دون نقص أو زيادة للقوّة الحِجَاجِيَّة،إلى أن وصل إلى نتيجة حِجَاجِيَّة نهائيّة،هي:أنّ الجزائر جزء هام من الشّمال الإفريقي:

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج05،ص.ص102–103.

– الحُجَّة الأولى:

كانت كلمة "إفريقية" تطلق لأوائل الفتح الإسلامي العربي على قطعة صغيرة من هذه القارّة العظيمة،هي موقع المملكة التونسيّة اليوم تقريبًا...

– الحُجَّة النّهائيّة:

الجزائر جزء هام من الشّمال الإفريقي.

– توظيف العامل "منذ":

يمكن أن يستثمر المرسل في العامل الحِجَاجِي "منذ"،بما يقدّمه من دلالة على الزّمن،مثلما نجده في المسار الحِجَاجِي الذي اتّبعه (الإبراهيمي)؛حينما استعمل هذا الرّابط لإقناع مرسل إليه مخصوص،بشأن مكانة (أحمد شوقي) وشعره لديه قائلًا عنه:

«ورأيي في شوقي معروف في المشرق والمغرب بين خلصائي من الأدباء وخلطائي من المتأدّبين،فلم أزل– منذ كان لي رأي في الأدب– أغالي بقيمة شوقي في الشّعراء السّابقين واللّاحقين...».[1]

عمل الرّابط الحِجَاجِي "منذ" على تثبيت القوّة الحِجَاجِيّة لهذه الحُجَج،دون نقص ولا زيادة لها؛و«لأنّها في الأزمنة لابتداء الغاية»[2]،حصر من خلالها (الإبراهيمي) حُجَّته؛بأنّه لا زال يغالي بقيمة (شوقي) بين الشّعراء،وبهذا لم يعط للمرسل إليه أيّة فرصة لتأويل حُجَّته،كأن يتوهّم مثلًا،بأنّ هذا الرّأي جديد ووليد تلك الفترة فقط.

وفي ختام دراستنا لطرائق توظيف الرّوابط والعوامل الحِجَاجِيّة،في الخطاب الحِجَاجِي لدى (الإبراهيمي)،خلصنا إلى نتيجة،كان قد أشار إليها الباحث (أبو بكر العزاوي) من قبل،عند قوله:«إنّ الرّوابط والعوامل الحِجَاجِيّة هي المؤشّر الأساسي والبارز،وهي الدّليل القاطع على أنّ الحِجَاج مؤشَّر له في بنية اللّغة نفسها».[3]

3–3–2–أ– 2– استعمال السّمات الدّلاليّة الخاصّة:

يمكن أن نعرِّفَ آليّة "السّمات الدّلاليّة الخاصّة"[*]؛بأنّها «إعادة بناء التّعبير عن المعنى وإعادة إنجازه في الخطاب بتجريد مفهومي ثانٍ لمفهوم أُدخِلَ سابقًا».[4]

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج05،ص227.

[2] أبو العبّاس محمّد بن يزيد المبرّد،المقتضب؛تح:محمّد عبد الخالق عضيمة،ج03،لجنة إحياء التّراث الإسلامي،وزارة الأوقاف،مصر؛ ط03:1415هـ/1994م،ص31.

[3] أبو بكر العزاوي،اللّغة والحِجَاج،مرجع سبق ذكره،ص55.

[*] سمّاها الباحث (محمّد يونس) بـ"الدّلالة الهامشيّة الفرديّة"،وقد عرّفها بأنّها «الإيحاءات المقترنة بالكلمة بسبب عوامل شخصيّة خاصّة بمستخدم الكلمة سواءٌ أكان مُرسِلًا أم مُتلَقِّيًا»،محمّد يونس،المعنى وظلال المعنى،مرجع سبق ذكره،ص217.

[4] مانويل سيليو كونسيساو،المفاهيم والمصطلحات وإعادة الصّياغة؛تر:محمّد أمطوش،عالم الكتب الحديث،إربد–الأردن؛ط01: 2012م،ص66.

أي أنّه؛بإمكان المرسل أن يتدخّل في توجيه دلالة بعض الألفاظ أو الجمل حسب رؤيته الخاصّة،وإعطائها توجيهًا حِجَاجيًا جديدًا،وفقَ ما يخدم إستراتيجيّته الحِجَاجِيَّة بشكل عام،خاصّة تلك القوالب اللغويّة الجاهزة،التي اشتهرت في عرف الجماعة اللّغويّة الواحدة بدلالة محدَّدة،في ظل خصوصيّة السّياق الاجتماعي والثّقافي.

فعندما يرى صاحب الخطاب الحِجَاجِي،أنّ مقولةً ما هي ذات دلالة ضعيفة من حيث قوّتها الحِجَاجِيّة،فإنّه يتصرّف في تلك الدّلالة من أجل أن يكسبها قوّة حِجَاجِيَّة تخدم مساره الحِجَاجِي،كأن يغيَّر في بعض ألفاظها أو ترتيبها وما إلى ذلك،بما يمتلكه من قدرة تواصليّة.

وبما أنّ آليّة "السّمات الدّلاليّة الخاصّة"،هي من أهم خصوصيّات السُّلَّم الحِجَاجِي،لذا نجد أنّ الخطاب الحِجَاجِي الإبراهيمي،يستثمر في هذه الآليّة،بغية إنتاج قوى حِجَاجِيَّة جديدة تخدم مسلكًا حِجَاجِيًّا معيَّنًا.

إذ تتنوّع صيغ توجيه الدّلالة في هذا الخطاب،من منطلق تنوّع القالب اللّغوي الجاهز الذي ينطلق منه (الإبراهيمي) فقد ينطلق من بيت شعري،أو مثَل من التّراث العربي،أو من مصطلح تاريخي...إلخ،بحسب مرجعيّته الفكريّة الخاصّة.

ويمثّل حديثه عن "آثار الطّرق السّيئة في المسلمين"،النّوع الأوّل من هذه الصّيغ؛حينما انطلق من مصراع بيت شعري ليقنع المتلقّي بجدوى تلك الآثار:

«خُذْ مَا تَرَاهُ وَدَعْ شَيئًا سَمِعْتَ بِهِ...،ليعذرنا الشّاعر الميّت أو أنصاره من الأحياء إذا استعملنا مصراع بيته في ضدّ قصده،فهو يريد أنّ المشهود،أكمل من المفقود،ونحن نريد العكس[...]،ولمَ كلّ هذا الصّراع على مصراع،وأمثال قومي في البلاد كثير؟...ومع ذلك فلم يحضرني منها الآن إلّا كل قبيح اللّفظ،فأنا متمسّك بحُجَّتي في المصراع برغم أنف الشّاعر ورغم أنوف أنصاره.

خُذْ مَا تَرَاهُ وَدَعْ شَيئًا سَمِعْتَ بِهِ

والمقصود واضح،فإنّ قارئ هذا العنوان[...]،نُحِيلُهُ على ما يراه مع مطلع كل شمس من هذه الآثار السَّيئة التي شتَّتت شمل المسلمين،وفرّقت كلمتهم وفكّكت روابطهم،وتركتهم أضحوكة الأمَم وسخرية الأجيال بعد أن أفسدت فطرتهم واقفرت نفوسهم من معاني الخير والرّجولة...».[1]

دلّت هذه الصّيغة الخطابيّة،على أنّ المخاطِبَ عكسَ مقصديّة شطر البيت الشّعري،ووجَّهه إلى قصده الشّخصي وهذا ما عبَّر عنه،بقوله:"ليعذرنا الشّاعر الميّت أو أنصاره من الأحياء إذا استعملنا مصراع بيته في ضد قصده،فهو يريد أنّ المشهود،أكمل من المفقود،ونحن نريد العكس".

ويكون بذلك قد أعطى لهذا النّص الشّعري،شحنة حِجَاجِيَّة أقوى ليجعل منه عتبة حِجَاجِيَّة عُليَا تنضوي تحتها حُجَج أدنى منها قوّة حِجَاجِيَّة،لتوصل في الأخير إلى نتيجة نهائيّة تجسّد بدورها غاية العمليّة الحِجَاجِيَّة،كَكُل،والتي هي في الأصل عنوان خطابه منذ البداية "آثار الطّرق السّيئة في المسلمين"،وهذا ما يعبّر عنه المخطّط التالي:

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج01،ص169.

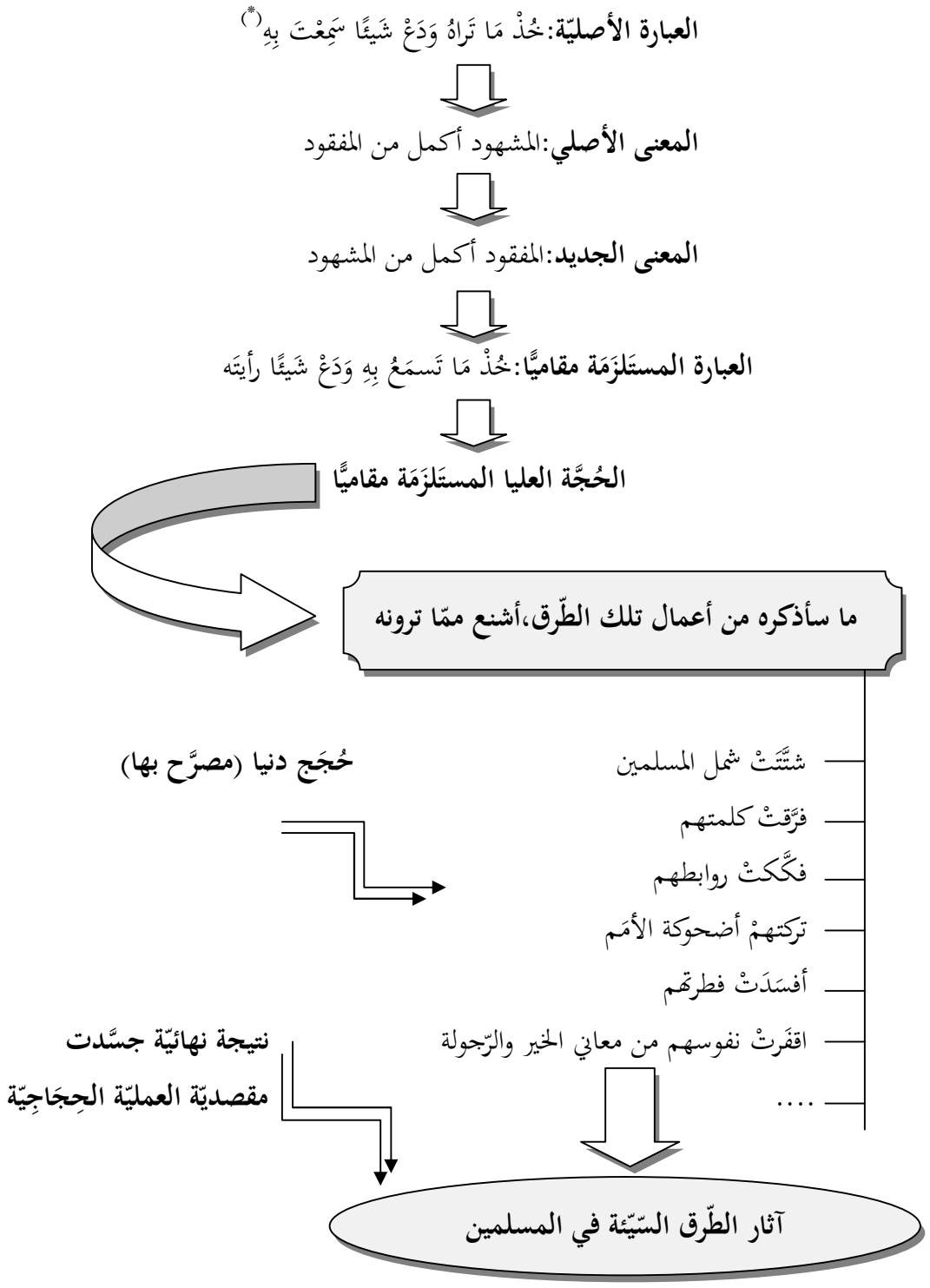

– مخطّط رقم42:يوضّح توظيف آليّة"السّمات الدّلاليّة الخاصّة" في الخطاب الحِجَاجِي لدَى (الإبراهيمي)–

(*) أصله من صدر بيت عُرِفَ عن (المتنبّي)،قال فيه:«خُذْ مَا تَراهُ وَدَعْ شَيْئًا سَمِعْتَ بِهِ فِي طَلْعَةِ البَدْرِ مَا يُغْنِيكَ عَنْ زُحَلِ» والبيت من [البسيط]،ولمعرفة معناه؛ينظر:أحمد بن الحسين أبو الطيّب المتنبّي،ديوان المتنبّي،مرجع سبق ذكره،ص338.

بينما نجد في النّموذج الخطابي التالي،كيفيّة استخدام الصّيغة الثانية من "السّمات الدّلاليّة الخاصّة" في الخطاب الحِجَاجِي لدى (الإبراهيمي)؛حيث انطلق من مثل عربي شهير ليجعل منه قوّة حِجَاجِيَّة عليا،عندما غيَّره بقوله:

«قال الأول:أذلَّ الحرص أعناق الرّجال.

ونحن نقول:أذلَّ "الخبز" أعناق أشباه الرّجال؛فلو أنّ هذه الحكومة -على عتوّها وإضمارها الشَّر للإسلام-رأت منّا زهدًا في هذه الوظائف،وعزوفا عنها؛ورأت مع ذلك إجماعًا منّا على كلمة الحق فيها،وتسليما من الخاملين للعاملين منّا- لو أنّها رأت ذلك منّا لكان موقفها من القضيّة غير موقفها،ولكنّها نثرت الحبّ،فتساقطت العصافير؛وطرحت الأب،فتهافتت اليعافير،وسقط عليها العاصمي فوجدت (الضالّة) في الضّال».[1]

نلاحظ كيف عدَّل المرسل في البنية اللغويّة للمثَل،ليعدّل من دلالته فيما يخدم مساره الحِجَاجِي:

القول العام:**أذلَّ الحرص أعناق الرّجال.**

القول الخاص:**أذلَّ "الخبز" أعناق أشباه الرّجال.**

فالصّيغة اللغويّة التي أرادها المحَاجِجُ،تجسّد عتبة حِجَاجِيَّة عُليَا لما هو آتٍ من حُجَج تراتبيّة؛حتّى يصل بها إلى بؤرة قصده الحِجَاجِي إجمالًا،ألا وهي تصوير علاقة المفتي الحنفي المعروف باسم (العاصمي) بإدارة الاحتلال الفرنسي.

وفيما يخص الصّيغة الثالثة من صيغ آليّة "السّمات الدّلاليّة الخاصّة" التي تضمّنها الخطاب الحِجَاجِي الإبراهيمي نجدها في الخطاب الذي وجهَّه إلى الشَّعب اللّيبي من إذاعة "صوت العرب" بالقاهرة،ليقنعهم بضرورة العدول عن معاهدة أبرمتها الحكومة اللّيبيّة مع بريطانيا[*]؛حيث انطلق من تغيير مفهوم هذه المعاهدة،بقوله:

«أيّها الإخوة اللّيبيّون:

إنّها ليست معاهدة...إنّها استعمار جديد أشنع من الاستعمار الإيطالي الذي بلوتم مرَّه وعانيتم شرّه،إنّها في مآلها تضييع للوطن واستعباد لبنيه...إنّها تمكين اختياري للعدو من رقابكم،إنّكم ستصبحون بسببها غرباء في أوطانكم مُستَعبَدِين لأعدائكم...إنّها مكيدة خفيت حتّى اتّضحت،واسترت حتّى افتضحت...».[2]

يظهر جليًّا،كيف أقدم المحَاجِجُ على تغيير دلالة المعاهدة إلى استعمار جديد،ليعبِّر بهذا التّعديل عن نتيجة نهائيّة مسبقة جسَّدت حُجَّة عُليَا،كما عملت على توجيه تركيز المحَاجَج نحو القوّة الدّلاليّة التي تحملها عبارة "استعمار جديد"،وبالتالي حمله على الإذعان،لما سيقال من حُجَج فرعيّة لاحقة.

لذا نجد أنّ المرسل أتبعَ حُجَّته العليا مباشرة بحُجَّة فرعيّة أوّليّة،عندما قارن بين هذه المعاهدة والاستعمار الإيطالي بقوله:"إنّها استعمار جديد أشنع من الاستعمار الإيطالي الذي بلوتم مرَّه وعانيتم شرَّه"،مستندًا في ذلك على إثارة

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج03،ص154.

[*] سبق لنا تحليل فقرتين من هذا الخطاب،الأولى منهما؛ضمن استعمال آليّة "الدّعاء"،للدّلالة على التّضامن،والثّانية؛ضمن توظيف آليّة "الفعل المضارع المسبوق بلام الأمر" للتّدليل على التّوجيه.

[2] المصدر نفسه،ج04،ص240.

الأهواء وبتذكير الشَّعب اللّيبي بما ناله من مستعمِره السّابق الذي ما لبثَ يستجمع أنفاسه من ويلاته؛حتّى وجد نفسه مجبرًا على الانصياع لمستعمِر آخر.

وبهذا يتّضح،أنّ تفعيل آليّة "السّمات الدّلاليّة الخاصّة"،من طرف المحَاجِج،يستلزم دخوله في علاقة «مع خطابه ومع محاوره،وهي نتيجة عمل حول المعلومة لتكييفها مع مرسل إليه محدّد وحسب عمل محدّد».[1]

ومن خلال قراءتنا لكيفيّات توظيف آليّة "السّمات الدّلاليّة الخاصّة" في الخطاب الحِجَاجِي لدى (الإبراهيمي) تبيّن لنا أنّها،تجسّد سِمَة بارزة من سِمات هذا النّوع من المسالك الخطابيّة عنده.

وهذا ما عبّر عنه أيضًا،الباحث (محمّد ناصر) عندما قال في هذا الشّأن:«إنّ أجلَّ ما يلفت النّظر في كتابات الشّيخ الإبراهيمي هو هذه الجرأة العجيبة على مناقشة كل ما يراه صالحًا للمناقشة،مبديًا رأيه في كل ما يمكن إبداء الرّأي فيه،لا يلويه عن ذلك رأي تقادم عليه العهد فأصبح مقبولًا من النّاس جميعًا،ولا يعجزه تفسير تواطأ العلماء السّابقون على التّسليم بصحّته،وهو قبل هذا وذاك لا يفعل ذلك عن تكلّف بغية الاستظهار بمظهر العالم المحقّق أو يسلك إلى ذلك مسلك الفخفخة رجاء إطراء أو مديح وإنّما هو هذا العالِم الذي يكون البحث عن الحقيقة أقصى مراده والوصول إلى الرّأي المقنع هدفه الأوّل والأخير».[2]

3-3-2-أ- 3- توظيف درجات التّوكيد:

من بين الآليّات التي يمكن أن يستثمرها المخاطِب لعرض خطابه الحِجَاجِي،استخدامه لآليّة "التّوكيد"؛إذ تتنوّع درجاته الحِجَاجِيّة بحسب تنوّع سياقات استعماله،واختلاف أدواته اللغويّة،بالإضافة إلى ما يمتلكه المحَاجِجُ من كفاية لغويّة،ومن أبرز الأدوات اللغويّة التي تحقّق درجات التّوكيد،هي اعتماد المرسل على "القسَم"و"لام التّوكيد".

وتوضّح الفقرة الخطابيّة التّالية،كيفيّة توظيف (الإبراهيمي)،لدرجة التّوكيد بالاعتماد على الأداتين السّالف ذكرهما: «هذه هي الطّريقة الواحدة التي اتّبعها المسلمون الأوّلون فسعدوا باتّباعها والاستقامة عليها،وهذا هو الإسلام متجليًّا في آيات القرآن،دِين واحد جاء به نبيٌّ واحد عن إله واحد،وما ظنّك بدِين تحفّه الوحدة من جميع جهاته؟أليس حقيقًا أن يسوق العالَمَ إلى عمل واحد وغاية واحدة واتجاه واحد على السّبيل الجامعة من عقائده وآدابه؟ أليس حقيقًا أن يجمع القلوب التي فرّقت بينها الأهواء،والنّفوس التي باعدت بينها النّزعات،والعقول التي فرّق بينها تفاوت الاستعداد؟ بلى **والله** إنّه لحقيق بكلّ ذلك».[3]

بعد أن طرح المخاطِب حُجَجَهُ في سُلَّم تَرَاتُبِي،أكّدها في الأخير باستثمار "القسَم"و"لام التوّكيد"؛حتّى يزيد من القدرة الحِجَاجِيَّة لحُجَجِهِ الأولى،وبالتّالي حملُ المعني بخطابه على التّصديق والإقتناع.

بيد أنّه يُشتَرط في لجوء المحَاجِجِ إلى توظيف مثل هذه الأدوات،وجود علاقة مسبقة تربطه بالمحَاجَجِ أساسها الثّقة بينهما حتّى يتمّ التّصديق والإقتناع،فإذا غاب هذا الشّرط،قد يحدث العكس؛أي أنّ المتلقّي يؤوّل الخطاب تأويلًا

---

[1] مانويل سيليو كونسيساو،المفاهيم والمصطلحات وإعادة الصّياغة،مرجع سبق ذكره،ص66.

[2] محمّد صالح ناصر،الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي من خلال نثره الفنّي،مرجع سبق ذكره،ص295.

[3] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره، ج01،ص161.

غير متطابق مع القصد الحِجَاجِي الذي يهدف إليه المرسل،فيتّسم الخطاب عندئذٍ بسمَة المغالطة والتّضليل،ومنه يؤدّي إلى نتائج عكسيّة،أوّلها أن يُكَذَّب مرسله.

3-3-2-أ-4- استعمال صيغ المبالغة:

توجد العديد من الأدوات اللغويّة المتاحة أمام المرسل،لبناء سُلَّمِه الحِجَاجِي،من بينها مختلف الصّيغ الصّرفيّة ذات الدّلالة التّراتبيّة كصيغ المبالغة،لما لها من قوّة دلاليّة تخوّل لها تجسيد قوّة حِجَاجِيَّة محدَّدَة،مع شرط امتلاك المرسل لكفاية لغويّة تؤهّله لتوظيفها حسب السّياق التّداولي الذي يستدعيه مثل هذا التّوظيف.

وقد تضمّنت الكثير من الخطابات الحِجَاجِيَّة لدى (الإبراهيمي)،صيغ المبالغة بمختلف أوزانها،من بينها وزن "فَعُولْ" والذي نتّخذه كنموذج تحليلي دون الخوض في بقيّة الأوزان؛لأنّ ما ينطبق عليه من خصائص توظيفيّة،ينطبق على بقيّة الأوزان -فيما نرى-.

وقد وردَ هذا الوزن في سياق الوصيّة التي وجَّهَهَا (الإبراهيمي) إلى الشّباب المتعلّم،بقوله:

«...إنّ شبابنا المتعلِّم كسول عن المطالعة،والمطالعة نصف العلم أو ثلثاه،فأوصيكم يا شباب الخير بإدمان المطالعة والإكباب عليها،ولتكن مطالعتكم بانتظام حرصًا على الوقت أن يضيع في غير طائل».[1]

ضَمَّنَ (الإبراهيمي) وصيّته،وصفًا في صيغة مبالغة "كَسُولْ"على وزن "فَعُولْ"،لينقل بهذا الوصف،خطابه من الحُكم على هذه الفئة من الشّباب،إلى محاجَتهم ومحاولة إقناعهم بمكانة المطالعة لدى طالب العلم.

3-3-2-ب- الآليّات شبه المنطقيّة:

إضافة إلى الآليّات اللغويّة،هناك آليّات أخرى،يمكن أن يستغلّها المحَاجِج من أجل تأسيس سُلَّمِهِ الحِجَاجِي،وهي الآليّات شبه المنطقيّة[*]:"كالتّعدية،وفحوى الخطاب،والإحصاء...إلخ".

3-3-2-ب-1- توظيف التّعدية:

تُعرَّفُ آليّة "التّعدية"،بأنّها «ترتيب الأشياء في سُلَّم،بعقد العلاقة بينها،رغم عدم وجود هذه العلاقة قبل التلفّظ بالخطاب»[2] ،ويمثّل "اسم التّفضيل" أداتها اللّغويّة،فيما يمثّل "القياس الضِّمني" أداتها شبه المنطقيّة.

3-3-2-ب- 1-أ- استخدام اسم التّفضيل:

من أمثلة استخدامه في الخطاب الحِجَاجِي (الإبراهيمي)،ما تظهره الفقرة التالية:

«إنّ الرّحلة في طلب العِلم كالرّحلة لأداء الحجّ،كلتاهما مشروطة بالاستطاعة،وإنّ شرط الاستطاعة في طلب العلم لأوكَد،لأنّ مناسك الحجّ تُقضَى في أيّام ومناسك العلم لا تُقضَى إلّا في أعوام».[3]

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج01،ص154. [كذَا في الأصل]،يقصِد "الإنكباب".

[*] تسمّى هذه الآليّات،في الدّرس البلاغي الحِجَاجِي،بـ"استراتيجيّة اللّوجوس-Logos strategy"؛إذ تَعنِي «استخدام الطرائق العقليّة أو الموضوعيّة في الحِجَاج»،محمّد مشبال،في بلاغة الحِجَاج،مرجع سبق ذكره،ص72.

[2] عبد الهادي بن ظافر الشّهري،استراتيجيّات الخطاب،مصدر سبق ذكره،ج02،ص315.

[3] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج04،ص253.

يظهر من هذه الفقرة،أنّ لجوء المرسل إلى توظيف "اسم التّفضيل"،جاء في سبيل تحقيق المفاضلة المبنيّة على القياس الظّاهر،عندما عقد مقارنة لشروط الاستطاعة بين الرّحلة في طلب العلم ورحلة أداء فريضة الحج،ليصل إلى نتيجة حِجَاجِيّة نهائيّة بمفاضلته للرّحلة الأولى،وبهذه النتيجة يكون قد حقّق مقصديته الحِجَاجِيَّة بشكل عام.

3-3-2-ب- 1-ب- استخدام القياس الضِّمني:

يعكس النّموذج الخطابي الآتي،كيف يحَاجِج (الإبراهيمي) بتفعيل تقنيّة "القياس الضِّمني"،عند قوله:

«إنّ من الدِّين،نشر علم الدِّين وتثبيته،وإنّ من صميم الوطنيّة تعليم أبناء الوطن،وإنّ من أصول القوميّة،إحياء اللّغة العربيّة،وإنّ المعهد الباديسي كفيل بهذه الثلاثة».[1]

استلزمَ القياس الذي صِيغَ به هذا الخطاب،حُجَّة مضمَرة،هي:

أنّ المعهد الباديسي يعمل على خدمة:**الدِّين الإسلامي،والوطنيّة،والقوميّة العربيّة.**

↓ ↓ ↓

بتعليم علومه ونشرها/بتعليم أبناء الوطن/بإحياء اللّغة العربيّة

وقد سبق،وأن قلنا،أنّ هذه المحاور الثلاثة،تمثّل الأقاليم الثّلاثة،التي سَخَّرَ (الإبراهيمي) حياته في سبيل خدمتها،كما ذكرنا بأنّها،تمثّل شعار "جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين".

3-3-2-ب-2- استعمال فحوى الخطاب:

من أبرز مظاهر الاستراتيجيّة الإقناعيّة (الحِجَاجِيّة)،تأسيس المخَاطِب لسُلَّم حِجَاجِي،ومن أبرز مظاهر هذا الأخير أن تتأسّس حُجَجُهُ على آليّة "فحوى الخطاب"،وهي «ما دلّ عليه اللّفظ من جهة التّنبيه».[2]

أي أنّ المحَاجِجَ يتلفّظ بحُجَّة واحدة وينبّه على الأخرى،كأن يتلفّظ بحُجَّته العليا،وينبّه على الدّنيا،أو العكس.

ومن نماذج استعمال الصّيغة الأولى في الخطاب الحِجَاجِي الإبراهيمي،خطابه الذي عنوَنه بـ«موالاة المستعمِر خروج عن الإسلام»[3] ؛حيث نجد في هذا العنوان تأطيرًا حِجَاجِيًا لما هو قادم من حُجَج؛أي أنّ الخطيب جمع كل حُجَجِهِ الفرعيّة التي ستتضمّنها البنية اللغويّة لخطابه في حكم واحد،جسَّد حُجَّة عُلْيَا،هي "موالاة المستعمر خروج عن الإسلام"،وما بقي من الحُجَج الفرعيّة صِيغَت ضمنيًا،عندما نبّه إليها.

وبهذا الحكم الأوّلي المغلق،صادَر المرسل آراء المرسل إليه-أيًّا كان-،فموالاة الاحتلال الفرنسي تؤدّي إلى الخروج من مِلَّة الإسلام،فالقضيّة هنا لم تعُد قابلة للنقاش.

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج02،ص448.ونُحيل إلى دراسة تناولت الحِجَاج الضِّمني،في نموذج خطابي آخر؛ ينظر:كمال حملاوي،**الحِجَاج الضِّمني في خطاب الإمام الإبراهيمي أمام الوفود العربيّة والإسلاميّة في الأمم المتّحدة**،حوليّات جامعة قالمة للّغات والآداب،قالمة؛ع21:ديسمبر2017م،ص.ص125-147.

[2] أبو الوليد الباجي،المنهَاج في ترتيب الحِجَاج؛تح:عبد المجيد تركي،دار الغرب الإسلامي،بيروت-لبنان؛ط03:2001م،ص146.

[3] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج05،ص68.ونشير إلى أنّه،سبق لنا تحليل فقرة من هذا الخطاب،ضمن استعمال آليّة "النّهي"،للدّلالة على التّوجيه.

وفيما يخصّ استخدام الصّيغة الثانية من "فحوى الخطاب" في الخطاب الحِجَاجِي لدى (الإبراهيمي)،عندما شرح مقولة "الإنسان أخو الإنسان"،وفقَ الرّؤية التالية:

«عندنا جملة وُجِدَتْ منذ وُجِدَ البشَر ولم يختلف العقلاء في فهم مؤدّاها وهي من أفذاذ الجمل الجامعة ومن القضايا المعقولة التي تطابق العقل والدِّين على تصديقها واعتبارها من البديهيّات المسلَّمَة من حيث الجملة وإن اختلفا في تفصيلها[...]،مؤدَّى هذه الجملة الصّريح عقد الأخوّة بين أفراد البشَر بموجب الإنسانيّة التي هي حقيقة سارية في كل فرد».[1]

في هذا الخطاب،احتجَّ (الإبراهيمي) بالدّرجة الأدنى،عند ذكره لأبسط مفهوم تدلّ عليه جملة "الإنسان أخو الإنسان"،ليُحيل انتباه المتلقّي إلى الدّرجة الأعلى،وهي الخصوصيّات الأكثر عمقًا في العلاقة بين بني البشر والمجسَّدَة في كل جوانب الإنسانيّة الممارسَة في الحياة اليوميّة لدى أيّ فرد كان.

ومن مظاهر الحِجَاج بفحوى الخطاب،أن يعمد المرسل إلى ذكر الحُجَّة الوسطى المنتمية إلى سُلَّم حِجَاجِي محدَّد وينفي الحُجَج التي هي أقل أو أعلى درجة منها.

مثلما دلّت عليه الصّيغة التي جاء بها الخطاب الحِجَاجِي الإبراهيمي،الموجَّه إلى الشّباب،والذي قال فيه:

«أوجّه طلائع الحديث في هذه اللّيلة إلى الشّباب الذين هم السّاف الجديد في بناء الأمّة،والدّم المجدِّد لحياتها والامتداد الطبيعي لتاريخها[...]،وأقول:الشّباب،ولستُ أعني بهذا اللّفظ معناه المصدري في عُرف اللّغة،ولا ذلك الطّور الثالث من عمر هذا الصّنف البشري في مقاييس الأعمار،وإنّما أعني بهذا اللّفظ طائفة من الأناسي انتهوا في الحياة إلى ذلك الطّور الثالث بعد الطفولة واليفاعة،فجَمَعَتهُمُ اللّغة على شبيبة وشبَّان...».[2]

بمجرّد أن تلفّظ المرسل بالجملة الأولى،وضَع حُجّته في درجة وسطى من السُّلَّم،وهذا بنفيه لحجّة أعلاها مرتبة،وهي فئة "الكهولة والشّيخوخة"،وحُجَّة أخرى أدناها مرتبة،وهي فئة "الطّفولة واليفاعة...إلخ".

و"للإشاريّات الزّمانيّة" دورها الحِجَاجِي هي الأخرى؛إذ تتيح للمرسل أن يستخدمها كأداة لغويّة ضمن فحوى خطابه الحِجَاجِي،وبالتّالي تأسيس سُلَّم حِجَاجِي معيَّن،فالاحتجاج بلحظة التلفّظ باستعمال ظروف زمانيّة يؤدّي إلى الاحتجاج بسُلَّميّة الزّمن،ليمثّل هذا الأخير بؤرة العمليّة الحِجَاجِيَّة بشكل شامل.

ومن نماذج هذا الاستعمال في الخطاب الحِجَاجِي الإبراهيمي،ما دلّت عليه الفقرة الخطابيّة التالية:

«وجمعيّة العلماء سكتَتْ طويلًا عن هذا الباطل لعلّه يبطل من نفسه،وعن هؤلاء المبطِلين لعلّهم يرعوون،فما زادهم سكوتها إلّا جرأة،حتّى أوشك السّكوت أن يكون إقرارًا للباطل،وقد قرّرتْ الآن،أن لا تسكُتْ بعد الآن وستدمغ الباطل بالحقّ،والكذب بالصّدق،وستدافع عن نفسها كما دافعَتْ عن الإسلام والعروبة...».[3]

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج01،ص59.

[2] المصدر نفسه،ج04،ص267.

[3] المصدر نفسه،ج02،ص248.

دلّت الصّيغة الخطابيّة التي وردت في هذه الفقرة،أنّ المرسل جعل من ظرف الزّمن"الآن" وتكريره،حدًّا فاصلًا لفعلٍ ما ينبغي إنجازه مستقبلًا،وبهذا التّوظيف حقّق بؤرة العمليّة الحِجَاجِيَّة لخطابه الذي يهدف في الأساس إلى حمل المرسل إليه المخصوص على الإذعان وبدإِ العمل المراد منه فورًا.

3-3-2-ب- 3- توظيف الإحصاء:

للغة الأرقام والإحصاءات سلطتها داخل الخطاب الحِجَاجِي؛حيث تستدعيها سياقات تداوليّة معيَّنة عند طرح قضايا محدَّدة كالحديث عن واقع التّعليم أو الأمّية مثلًا،عندئذٍ تصبح "آليّة الإحصاء"،من الآليّات الأنسب للدّفاع عن آراء معيَّنة لها علاقة مباشرة بمثل هذه الميادين؛نظرًا لما تقدّمه من دعم للعمليّة الحِجَاجِيَّة التي يصاغ بها أيّ خطاب حِجَاجِي يَرُومُ مناقشة قضايا من هذا النّوع.

ومثال ذلك في الخطاب الحِجَاجِي لدى (الإبراهيمي)،عندما خاطَبَ زملاءه أعضاء الجمعيّة،بجدوى تكثيف الجهود من أجل محاربة ظاهرة الأمّيّة في الجزائر خلال الفترة الاستعماريّة،قائلًا لهم:

«وإنّ الإحصاءات الرسميّة المدقّقة تدلّ دلالة قاطعة على أنّ القوم جادُّون في هذه الحرب وأنّ عدد الأميّين كل يوم في تناقص،وأنّ نسبتهم كل عام في هبوط بحيث يقولون إنّ الأمّة الفلانيّة لم يبقَ فيها من الأميّين إلّا عشرة في المائة والباقون كلّهم قرّاء،وقد أصبحت هذه النّسب محفوظة في تاريخ الأمم الحديثة ومعدودة من أحاديث فخرها ومجدها إذ لا معنى لقلّة الأميّين إلا كثرة المتعلّمين وسعة انتشار العلم.

فأين نسبتنا من هؤلاء؟وأين مساعينا من مساعيهم؟...».[1]

على الرّغم من اعتماد المرسل على "آليّة الإحصاء"،وجعلها كتقديم حِجَاجِي ليوصله فيما بعد إلى طرح عدّة تساؤلات تكون أقوى منه حُجَّة،إلّا أنّ حُجَّته بهذه الكيفيّة كانت ضعيفة؛لأنّه لم يذكر المصدر الذي استمدّ منه إحصاءاته.

فعندما نقارن توظيفه للآليّة ذاتها في موضع خطابي آخر،تحدّث فيه عن واقع التّعليم في الجزائر وعن إسهامات جمعيّته في هذا الميدان،بقوله:

«بلغ عدد المدارس الابتدائيّة،مائة وخمسا وعشرين مدرسة،(بإسقاط المعطَّل منها إداريًا)،وتشتمل هذه المدارس على أكثر من ثلاثمائة فصل،وبلغ عدد التلاميذ النّهاريّين:

الملازمين.....16286

الذكور منهم 10590

والإناث 5696

وبلغ عدد التّلامذة الليليّين الذين تشغلهم المكاتب الفرنسية:بالنّهار.....20000

(وهذا الإحصاء خاص بمن شارك في امتحانات هذه السّنة)،فمجموع التّلامذة الذين تضمّهم مدارسنا قريب من سبعة وثلاثين ألف تلميذ وقد يجاوزون الأربعين ألفًا في بعض الأوقات.

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج01،ص204.

ولكنّ الانقطاع في أثناء السّنة كثير،لأنّ أسبابه كثيرة في أمّتنا،فإذا أسقطنا هذا العدد القليل من ذلك الرّقم الهائل المحروم من التّعليم بجميع أنواعه،وهو مليونان من شباب الأمّة وأطفالها-وجدنا أنفسنا لم نزل في مبتدإ المرحلة،وسمعنا الواجب ينادينا ويحثّنا على مضاعفة الجهد لإنقاذ هذا الجيل البائس من الأمّية والجهل،فإذا لم نفعل أضعنا جيلًا كاملًا،وحقّقنا أمنية الاستعمار فيه».[1]

قد فرض السّياق المحيط بإنتاج الخطاب،على (الإبراهيمي)،بأن يستثمر في آليّة "الإحصاء"،ويقنع بها المرسل إليه المخصوص،الذي تربطه به علاقة وظيفيّة،ذات محور تراتبي سلّمي؛حتّى وإن لم يذكر المصدر الذي استند إليه في عرض إحصاءاته إلّا أنّها مقبولة حِجَاجِيًا؛بما أنّه رئيس الجمعيّة،فسلطته الوظيفيّة المكتَسَبَة خارج الخطاب هي التي أعطت سلطةً لإحصاءاته وعوّضت غياب المصدر.

وبالتّالي زادت من قوّتها الحِجَاجِيَّة إلى درجة أنّه لم يستعمل حُجَجًا غيرها؛حتّى وصل إلى النّتيجة الحِجَاجِيّة النّهائيّة وهي في حالة ما لم تضاعف الجهود لإنقاذ جيل كامل من مخاطر الأمّية،فإنّ الاستعمار الفرنسي هو الرّابح الأكبر.

وكأنّه يحاول إقناع المعنيّين بخطابه،أنّ هذا التّزايد في عدد التّلامذة،دليل قوي على وعي الشّعب الجزائري بمخاطر الأمّيّة ويقابله وعي آخر،حول ضرورة التّعليم وما يحقّقه من حريّة للأمّة الجزائريّة،وهذا ما جعله يثق في مدارس "جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين.

وبهذا تغدو النّتيجة الحِجَاجِيّة المستلزَمَة مقاميًّا،هي قول (الإبراهيمي):

"علينا أن نضاعف الجهود،ونغتنم هذه الفرصة،قبل أن يغتنمها الاحتلال الفرنسي".

3-4- الحُجَجُ المؤسَّسَة على الآليّات شبه المنطقيّة:

3-4-1- الحُجَج شبه المنطقيّة التي تعتمد البُنَى المنطقيّة:

3-4-1-1- الحِجَاج باستعمال تحصيل الحاصل:

في سياقات تداوليّة كثيرة،قد يوظّف المحَاجِجُ بعض الصّيغ اللغويّة التي تكون في ظاهرها حشوًا،ولكنّها في حقيقة أمرها تقدّم دَعمًا حِجَاجِيًّا لا يستهان به،وهذا ما يُعرَفُ تداوليًّا بآليّة "تحصيل الحاصل"؛إذ تتمايز صيغه بحسب قوّتها الحِجَاجِيَّة من أداة إلى أخرى،فالتّعريف المباشر ليس كالأقوال الشّارحة المطوّلة،وليس كتكرير العبارة ذاتها...إلخ.

وبطبيعة الحال،فالأمر متروك إلى الكفاية المنطقيّة التي يمتلكها المحَاجِجُ ومدى معرفته بالدَّور الحِجَاجِي الذي تقوم به هذه الأدوات،مراعيًا في ذلك ظروف إنتاج خطابه وما يجمعه بالمتلقّي من علاقة مسبقة.

فأداة التّعريف،عبارة عن «تعريف الشّيء بأجزائه أو بلوازمه أو بما يتركّب منهما،تعريفًا جامعًا مانعًا».[2]

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج02،ص.ص432-433.

[2] أبو يعقوب السّكّاكي،مفتاح العلوم،مرجع سبق ذكره،ص436.

وإذا راعينا كيفيّة توظيف هذه الأداة في الخطاب الحِجَاجِي لدى (الإبراهيمي)،نجد أنّها في الأصل جواب عن سؤال مثلما جاء في محاضرته الموسومة بـ "واجب المثقّفين نحو الأمّة"؛حيث انطلق من سؤال مفاده:"كيف يؤدّي المثقّفون واجبهم نحوَ الأمّة؟"،ليقدّم أجوبته الحِجَاجِيَّة في قالب تعريفي لغوي واصطلاحي معًا،حينما قال:

«كلمة المثقَّف آتية من تثقيف الرّمح وهو تقويم قناته بغمزها وتشذيب زوائدها النّاتئة وإزالة الاعوجاج من كعوبها ويقولون للغلام المتدرّب على اللّعب بالسّلاح وعلى الرّمي بالحراب والتّلاعب بالرّماح،غلام مثاقف وهو وصف قريب الصّلة بكلمة التّثقيف،ولم تكن العرب تستعمل كلمة مثقّف بالمعنى الذي نعرفه الآن[...]،فالمثقّف هو الرّجل المهذّب المستنير الفكر المجوهر العقل المستقل الفكر في الحكم على الأشياء،الجاري في تفكيره على قواعد المنطق لا على أسس التّخريف،المطّلع على ما يمكن من شؤون العالم وتاريخه،الملم بجانب من معارف عصره».[1]

قدَّم (الإبراهيمي) الأصل اللّغوي لكلمة "مثقّف"في اللّغة العربيّة؛أي أنّه بدأ بالتّعريف اللّغوي ليصل إلى التّعريف الاصطلاحي،وهو جوهر العمليّة الحِجَاجِيَّة في هذا الخطاب،كَكُل،لما سيبنى عنه فيما بعد من حُجَج،وبشكل خاص أنّه قدَّم التّعريف الاصطلاحي وفقَ رؤيته الشّخصيّة دون الاتّكاء على مصدر معيَّن؛وحتّى التّعريف اللغوي اعتمد في صياغته على كفايته اللغويّة دون الإيعاز إلى معجم لغوي؛لكونه ملمًّا بالمعاني وخاصّة التّداوليّة منها.

وثمّة صيغة أخرى للتّعريف،يمكن أن يستعملها (الإبراهيمي) في خطابه الحِجَاجِي،وهي تعريف الشّيء بوظيفته ليبيّن مكانته،كتعريفه للامتحان،بقوله:«ما الامتحان إلّا استعراض للمواهب،ووزن للجهود،فبواسطته نعرف مكانة التّلميذ من الذّكاء ومقداره من التّحصيل...».[2]

دلّت الصّيغة التي قدّم بها هذا التّعريف،أنّ المرسل يريد التّركيز على الوظيفة التي يقدّمها المعرَّف لا غير،ممّا يعني أنّه مَهَّدَ لحُجَج قادمة هي بؤرة خطابه بصفة كلّية.

ومن الصّور الأخرى للتّعريف،ما يُعرَفُ بـ"القول الشّارح"،فهو «قول يشرح به مفرد من المفردات التّصوّريّة الكليّة أو الجزئيّة لإفادة المخاطَب تصوّر هذا المفرد بكنهه وحقيقته أو لإفادته تمييزه عمّا عداه تمييزًا كاملًا».[3]

ولذا نجد أنّ الخطاب الحِجَاجِي الإبراهيمي،لا يغفل القيمة الحِجَاجِيَّة لهذا الضّرب من ضروب آليّة "تحصيل الحاصل" مثلما تجسّد في الموضع الخطابي الآتي:

«إنّ زمانكم بطل فقاتلوه بالبطولة لا بالبطالة،وإنّ البطل هو الذي يتعب ليستريح غيره».[4]

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج02،ص125.

[2] المصدر نفسه،ص312.

[3] عبد الرّحمان حسن حبنّكة الميداني،ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة،دار القلم،دمشق-سورية؛ط04:1414هـ/1993م،ص62.

[4] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج02،ص110.

شرح (الإبراهيمي) مفهوم البطولة وفقَ تصوّره الخاص،بتكييفه حِجَاجِيًّا مع متلقٍّ خاص،وهو كل معلِّم ينتسب إلى جمعيّته،لهذا نجده في موضع خطابي آخر،أعطى شرحًا مغايرًا لمفهوم البطولة،كيّفه هو الآخر مع متلقٍّ ليس كالأوّل؛إذ قال في الشَّرح الثاني:«إنّ البطل من يقرع الحديد بالحديد،لا من يقرع الحديد باللّحم والدّم».[1]

نلاحظ فرقًا جليًّا بين المفهومين الأوّل والثاني لمعنى "البطولة"؛فالأوّل كان على سبيل التّحفيز مادام (الإبراهيمي) يمتلك سلطةً وظيفيّةً على المتلقّي الذي تجمعه به علاقة ذات محور تراتبي سُلَّمي،بينما شرحه الثاني؛فهو موجَّه إلى "المعمِّرين الفرنسيّين"؛حيث لا تربطه بهم لا سلطة وظيفيّة ولا علاقة اجتماعيّة،لهذا أعطى لشرحه دلالة مخالفة عن الأولى،مع أنّ القصد في الموقفين هو مُحَاجَجَة مرسل إليه معيَّن.

ومن بين ضروب تحصيل الحاصل؛أن يحيل المرسل فكر المرسل إليه المخصوص،إلى افتراضات مسبقة ومشتركة بينهما،بتوظيف صيغ تعبيريّة معيّنة،كأن يقول:"من المعلوم...،أو من البديهيّات المسلَّمَة...إلخ"؛إذ يمكن معاملة المعلومة الافتراضية المسبقة التي تلي هذه الصّيغ،على أنّها حقيقة،وهذا النّوع من الافتراض المسبق،هو الذي يسمّيه (جورج يول- G.Yule)،بـ"الافتراض المسبق الواقعي-factive presupposition".[2]

ويزخر الخطاب الحِجَاجِي الإبراهيمي،بهذا الضّرب من آليّة "تحصيل الحاصل"؛حيث تتنوّع صيغه التّعبيريّة من خطاب لآخر،مع أنّها تؤدّي القصد الحِجَاجِي ذاته.

وتظهر لنا الفقرة الخطابيّة الموالية،إحدى الصّيغ التّعبيريّة التي تحقّقت بها آليّة "تحصيل الحاصل"،عند قول (الإبراهيمي):

«تعلمون أنّه وُجِدَ في هذا القُطر في عهده الأخير جماعة من أبنائه البررة حاولوا التّعليم بأسلوب قريب وطريقة منظّمة كُلٌّ في دائرة اختصاصه،وجعلوا أعمالهم وأوقاتهم تضحية وطنيّة...».[3]

أحال قول (الإبراهيمي):"تعلمون أنّه وُجِدَ في هذا القطر...إلخ "،إلى معلومات مشتركة بينه وبين المرسل إليه المخصوص،ولا شكّ أنّ لجوءه إلى مثل هذا التّوظيف،وبهذه الصّياغة التّعبيريّة،مبنيّ في الأساس على افتراضات مسبقة يعلم أنّ متلقّي خطابه له عِلمٌ بها هو الآخر.

وممّا ينبغي أن نشير له؛أنّه يُشتَرط في استثمار هذا النّوع من الصّيغ التّعبيريّة،التي تجسّد طريقة من طرائق توظيف آليّة "تحصيل الحاصل"،أن يكون المتلقّي حاضرًا أثناء التّلفّظ بالخطاب،وبشكل أخص إذا كانت تحيل إلى معلومات هي في الأصل مشتركة بين طرفي العمليّة التّخاطبيّة التّواصليّة دون سواهما،وإلّا كانت نوعًا من المغالطة سواء تعمّدها المرسل أم لم يتعمّدها.

ومن الصّيغ الأخرى،التي تجسّد استعمال (الإبراهيمي) لآليّة "تحصيل الحاصل"،عندما يوظّف الاسم الموصول "ما" من أجل الإحالة إلى ما هو مبهم،مثلما يكشفه خطابه التالي:

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج03،ص380.

[2] ينظر:جورج يول،التّداوليّة،مرجع سبق ذكره،ص54.

[3] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج01،ص53.

«ما زلنا نتتبّع أعمال هذا الرَّجُل منذ سنين،ونتوسّم من حركاته أنّه عامل نصب وخفض معًا،وأنّه مُهيَّأ من الحكومة لأن يكون "حلقة مفقودة" لقضيّة ما في يوم ما...».[1]

أحال قول (الإبراهيمي) على قضيّة مجهولة،فالتّعبير بهذا الأسلوب يشكّل في حدّ ذاته قيمة حِجَاجِيَّة،فالحِجَاج في هذا الموضع يكمن في ما يتمركز عليه الخطاب من أهمّية أراد المرسل أن لا يصرّح بها ليحقّق ذروة القوّة الحِجَاجِيَّة.

ومن أبرز الأدوات اللّغويّة التي هي من قبيل "تحصيل الحاصل"،اعتماد المرسل على "التّكرير"؛كي يوجّه تركيز المتلقّي صوب الفكرة التي يودّ إقناعه بها أو العدول عنها؛أي أنّه لفت انتباهه إلى أهمّية القضيّة التي هو بصدد طرحها وبالتالي تحصيل النّتيجة المتوخّاة من العمليّة الحِجَاجِيّة بشكل شامل،وهي حمل المتلقّي على الإذعان بالأخذ أو التّرك.

ولهذا يعدّ "التّكرير"،من «أفانين القول الرّافد للحِجَاج المدعِّمة للطّاقة الحِجَاجِيَّة في الدّليل أو البرهان لما له من وقع في القلوب لاسيّما في سياقات خاصّة».[2]

مثل الخطاب الذي ناقش من خلاله (الإبراهيمي)،أسباب ازدراء بعض الحزبيّين بالإسلام واللغة العربيّة،بقوله: «إنّ الاستعمار ليطير فرحًا بالكلمة يقولها المسلم في تهوين الإسلام،وباللّفظة يلفظها العربي في تهوين الأمّة العربيّة،لأنّه يعلم منشأ ذلك في نفس القائل،ويعلم أثره في نفس السّامع،وهو التّدرّج إلى التّحلّل من الدِّين،والهجران للعربيّة،فكيف به إذا سمع التّزهيد فيهما يخطب به في المحافل؟ وكيف به إذا علم أنّ هذه الفكرة أصبحت مذهبًا يدعو إليه الدّعاة ويجتهد في نشره المجتهدون؟ إنّها لجريمة،إنّها لجريمة».[3]

تكرير (الإبراهيمي) لعبارة "إنّها لجريمة"، لم يكن اعتباطًا أو من قبيل التّرف اللّفظي،أو أنّ مرسله قَصُرَت كفايته اللغويّة وإنّما القصد الحِجَاجِي هو الذي فرض هذا الاختيار المعجمي،ليوصل إلى نتيجة حِجَاجِيَّة أخيرة تكون معبّرة عن أهمّية الأطروحة التي دافع عنها.

ولهذا نجده في مواطن حِجَاجِيَّة أخرى،يكرّر اللّفظة نفسها تباعًا دونما فاصل بينها،ليدلّ على أهمّية القضيّة المراد مناقشتها مع المرسل إليه،كما جاء في صدد إقناعه للوعّاظ المنتسِبين إلى جمعيّته،بأن يحرصوا على تحضيض عامّة المصَّلين بأن يحافظوا على الصّلاة وأن يسعوا إلى طلب العلم،بقوله:

«والصّلاة الصّلاة فإنّها عماد الدِّين،والعِلم العِلم فإنّه عماد الدِّين والدّنيا فعليهما حضّوا وإليهما فادعوا».[4]

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج03،ص86.

[2] سامية الدّريدي،الحِجَاج في الشّعر العربي،مرجع سبق ذكره،ص168.

[3] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج02،ص247. وللتوسّع في معرفة وظيفة التّكرار في"عيون البصائر"؛ينظر:أمال مشري ،**التّكرار في عيِّنات من مقالات عيون البصائر لمحمّد البشير الإبراهيمي**،مجلّة Ex professo؛ع03:نوفمبر2018م، ص.ص118-139.

[4] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج02،ص294.

لنخلص إلى نتيجة مفادها؛أنّ التكرير «قلّما يكون مفردًا،إنّه يصلح غالبًا للرّبط بين حُجَج أخرى تسهم،مجتمعة في حزمة،في اختلاق رؤية شاملة».[1]

3-4-1-2- الحِجَاج القائم على العلاقة التّبادليّة وقاعدة العدل:

تتجسَّد الحُجَج القائمة على العلاقة التّبادليّة،في معالجة وضعيّتين إحداهما متعلقة بالأخرى،كما تعالجان معالجة واحدة،وهو ما يعني أنّ تلك الوضعيتين متماثلتان،وإن بطريقة غير مباشرة،وتماثلها ضروري لتطبيق قاعدة العدل التي تقتضي معاملة واحدة لكائنات أو وضعيات داخلة في مقولة واحدة.[2]

ومثال توظيف هذا النّوع من الحُجَج لدى (الإبراهيمي)،ما وجدناه في خطابه الذي حَاجَجَ من خلاله فئة معيَّنة من المواطنين المصريِّين،وبشكل أخص المثقّفين منهم،معاتبًا إيّاهم على تقليدهم المطلَق للغربيّين في الاحتفاء بليلة الميلاد المسيحي وعيد رأس السّنة المسيحيّة،وفي المقابل لا يأبهون لعيدي الفطر والأضحى،وفي ذلك قال: «ولعَمري إنَّ هذا لهو الاستعمار الرُّوحِي الذي لا يُعَدُّ الاستعمار المادّي معه شيئًا مذكورًا![...]،ويا ليت إخواننا هؤلاء استبدلوا غربًا بغرب فقلَّدونا نحن-مادَام التّقليد مَبلَغَ جهدهم- في كثير من هذه المعاني التي يقلّدون فيها الغربيّين،ألَسْنَا مغاربة؟ ألَسْنَا أحق باسم الغرب بالنّسبة إلى مصر؟ وإنّما أوروبا شمالي مصر،وقد شرع لهم حافظ هذه التّسمية في قوله:وَدَعُونَا نَشُمُّ رِيحَ الشِّمَالِ».[3]

نلاحظ كيف استثمر (الإبراهيمي) تسمية المغرب العربي،ليجعل منها حِجَاجًا قائمًا على العلاقة التّبادليّة،وهي بدورها قائمة على قاعدة العدل؛إذ انطلق من حُجَّة أولئك المحتَفِين بأعياد النَّصارى باستنادها إلى تقليد كل ما ينضوي تحت العالم الغربي،وقابلها بآليّات حِجَاجِيّة كالاستفهام التّقريري المبني على التّفضيل والمجسَّد في قالب تهكّمي عند قوله: "ألَسْنَا مغاربة؟ ألَسْنَا أحق باسم الغرب بالنّسبة إلى مصر؟"،ليتبَع استفهامه برابط حِجَاجِي قائم على استدلال منطقي،عند قوله:"وإنّما أوروبا شمالي مصر"،ثم استدعى بعد ذلك شاهدًا شعريًّا دعَّمَ به حُجَجَهُ السّابقة.[4]

وهذا ما يوضّحه لنا،المخطّط التّالي:

---

[1] فيليب بروطون،الحِجَاج في التَّواصل؛تر:محمّد مشبال وعبد الواحد التّهامي العلمي،المركز القومي للتّرجمة،القاهرة-مصر؛ط01: 2013م،ص108.

[2] ينظر:عبد **الله** صولة،في نظريّة الحِجَاج دراسات وتطبيقات،مسكيلياني للنّشر،تونس؛ط01:1432هـ/2011م،ص45.

[3] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج01،ص.ص332-333.

[4] تتمّة البيت،من [الخفيف]:«فَارْفَعُوا هَذِهِ الكَمَائِمَ عَنَّا وَدَعُونَا نَشُمُّ رِيحَ الشِّمَالِ»،حافظ إبراهيم،ديوان حافظ إبراهيم،مرجع سبق ذكره،ص238.

ولعمري إنّ هذا لهو الاستعمار الروحي
الذي لا يُعَدُّ الاستعمار المادّي معه شيئًا مذكورًا! ← **مقدّمة حِجَاجيَّة قائمة على المفاضَلَة**

ويا ليتَ إخواننا هؤلاء استبدلوا غربًا بغرب
فقلّدونا نحن- مادَام التّقليد مَبلَغَ جهدهم- ← **حِجَاج قائم على علاقة تبادليّة**
في كثير من هذه المعاني التي يقلّدون فيها الغربيّين

ألَسْنَا مغاربة؟ ألسْنَا أحق باسم الغرب بالنّسبة إلى مصر؟ ← **حِجاَج قائم على قاعدة العدل**

وإنّما أوروبا شمالي مصر ← **حِجَاج قائم على استدلال منطقي**

وقد شرع لهم حافظ هذه التّسمية في قوله:
وَدَعُونَا نَشُمُّ رِيحَ الشِّمَالِ ← **حِجَاج قائم على شاهد شِعرِي**

- مخطّط رقم43:يوضّح كيفيّة توظيف "العلاقة التّبادليّة" في الخطاب الحِجَاجِي لدَى (الإبراهيمي)-

3-4-2- الحُجَج شبه المنطقيّة التي تعتمد العلاقات الرّياضيّة:

3-4-2-1- الحِجَاج بإدماج الجزء في الكل:

يعتمد المحَاجِجُ على هذه الآليّة شبه المنطقيّة،وفقَ النّموذج التالي:«ما ينطبق على الكل ينطبق على الجزء».[1]
مثلما استعملها (الإبراهيمي)،في قوله:
«إنّ علماء الدِّين أئمّة،فإذا لم يخدموا الأمُم الإسلاميّة في جميع الميادين النّافعة،ولم يقودوها بقوّة في المقاصد الصّالحة ولم يصرفوها في نواحي الخير والمصلحة،ولم يوجّهوها إلى شرف الحياتين وسعادة الدّارين،وإذا لم تتوجّه الأمّة إلى حيث وجّهوها،ولم تستقبل الوجهة التي استقبلوها،فلا معنى لهذه الإمامة».[2]

بدأ الخطاب الحِجَاجِي،بتعداد حُجَج جزئيّة،عند طرحه لأهم واجبات الأئمّة تجاه أمّتهم،ليصل إلى حُجَّة كلّية هي أنّه لا معنى للإمامة إذا لم تحقّق تلك الواجبات،وبهذا التّوظيف يكون المحَاجِج قد أدمج الجزء في الكل.

3-4-2-2- الحِجَاج بتقسيم الكل إلى أجزائه المكوّنة له:

إنّ تصوّر الكل على أنّه مجمل أجزائه تبنى عليه طائفة من الحُجَج يمكن تسميتها حُجَج التّقسيم أو التّوزيع،وشرط استخدام الحُجَّة القائمة على التّقسيم،استخدامًا ناجحًا،هو أن يكون تعداد الأجزاء شاملًا؛[3] أي لا يجوز أن يسقط جزء حِجَاجِي واحد من تلك الأجزاء،وإلّا لن تنجح العمليّة الإقناعيّة بوجه عام.

ومن نماذج اعتماد هذه الآليّة في الخطاب الحِجَاجِي عند (الإبراهيمي)،هذا المقطع الذي أخذناه من خطابه الموجّه "إلى النّائرين الأبطال من أبناء الجزائر والمغرب العربي"،قائلًا لهم:

---

[1] عبد **الله** صولة،في نظريّة الحِجَاج،مرجع سبق ذكره،ص47.
[2] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج02،ص308.
[3] ينظر:عبد **الله** صولة،في نظريّة الحِجَاج،مرجع سبق ذكره،ص48.

«أيّها المجاهدون الأحرار:

إنّ فرنسا لم تترك لكم دِينًا ولا دنيا:فأوقافكم مصادَرَة لم يبق منها أثر ولا عين،ومساجدكم حُوِّلَت إلى كنائس ومرافق عامّة،وأرضكم الغنيّة مغصوبة،وأعراضكم مستباحَة،وكرامتكم مهدورة،وقد أراقَت فرنسا من دماء أبنائكم أنهرًا في الحروب الاستعماريّة والإجراميّة،ولا تزال حتّى الآن تطمع في تسخير الملايين منكم لإذلال الأحرار من أمثالكم كما فعلت في مدغشقر والهند الصّينية،ولا تزال تساوم بكم وبخيرات أرضكم الدّول الكبرى لمصالحها،كأنّكم ضرب من البضاعة؛ولقد عرفنا من خُبث فرنسا ما يحملنا على الاعتقاد بأنّ ما تنويه من غدر وما تخفيه من حقد أعظم من أن يوصف فانتبهوا أشدَّ الانتباه».[1]

انطلق المرسل،من حُجّة كلّية،ثم قسّمها إلى حُجَج جزئيّة شبه منطقيّة،اتّبع من خلالها ترتيبه الأوّل؛حيث طرح الحُجَجَ الجزئيّة الخاصّة بالدِّين،ثم ألحق بعدها الحُجَجَ الخاصّة بالدّنيا وفقَ تسلسل منطقي واضح،فمجرّد المسَاس بترتيب واحدة من تلك الحُجَج يُضعِفُ من قوّتها الحِجَاجِيَّة،ما بالك بحذفها؟،وهذا ما يدلّ عليه المخطّط التالي:

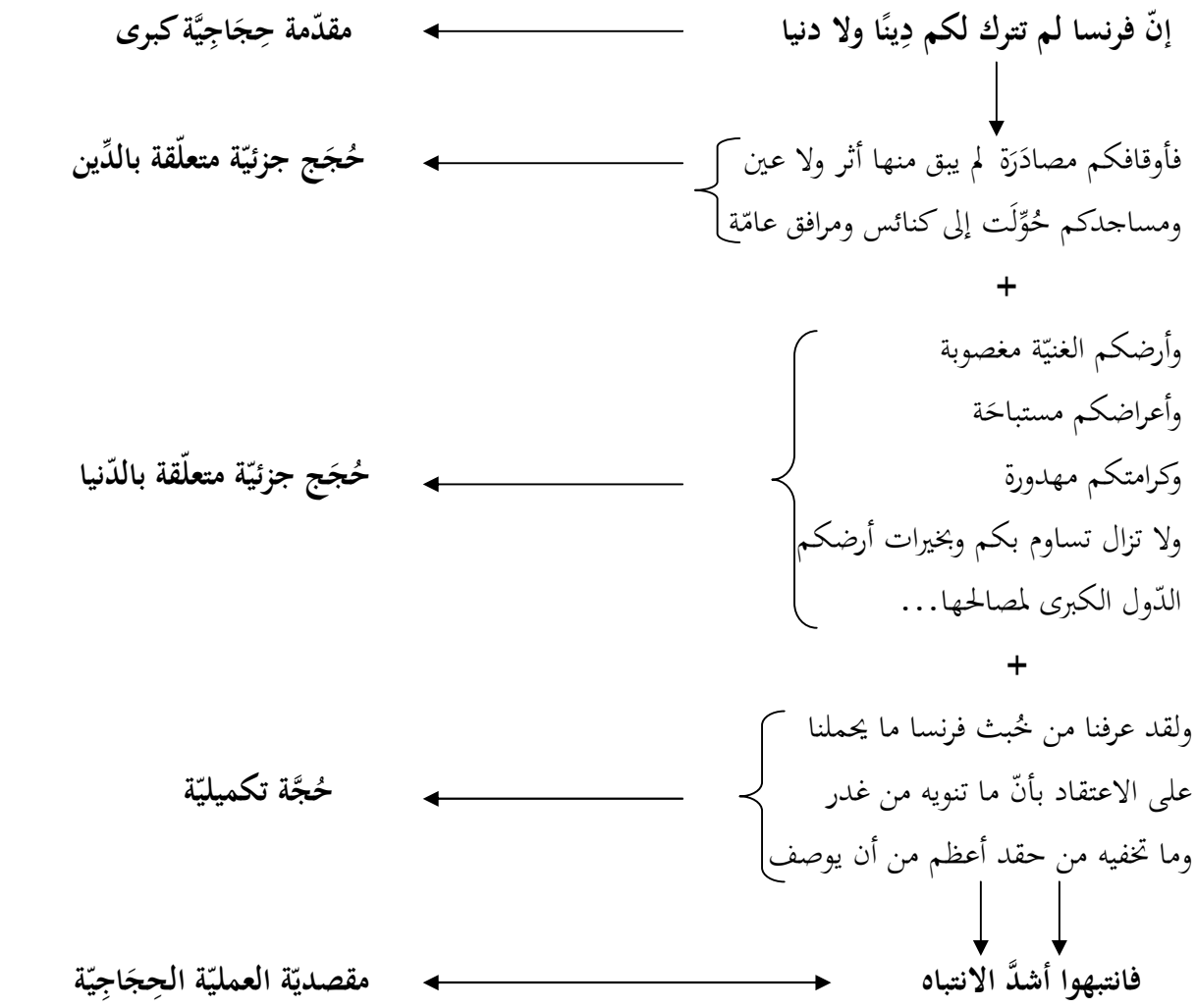

– مخطّط رقم44:يوضّح توظيف آليّة "تقسيم الكل إلى أجزاء" في الخطاب الحِجَاجِي لدَى (الإبراهيمي)–

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج05،ص.ص47-48.ونشير بأنّ هذا الخطاب،أُرسِلَ عن مكتب جمعيّة العلماء الجزائريّين بالقاهرة؛ينظر:الفضيل الورتلاني،الجزائر الثّائرة،مرجع سبق ذكره،ص171.

3-5- الحُجَجُ المؤسَّسَة على بينة الواقع:

3-5-1- الحِجَاج بالتّعليل والوصل السَّببي:

تعتبر ألفاظ التّعليل من بين الأدوات اللغويّة المهمّة،التي يمكن للمُحَاجِج أن يستثمرها في خطابه الحِجَاجِي،بما أنّ الأصل في التّعليل:«زيادة في الكلام عن أصل المعنى الذي يقصد التّعبير عنه لبيان علّته،أو سببه،أو الدّليل على صحّته أو نفعه وفائدته».[1]

إذ توظَّف ألفاظه حِجَاجيًا في سياق تعليل أمر مَا،بناءً على علاقة مشتركة ومسبقة حدثت بين طرفي العمليّة الحِجَاجِيّة في ظل خطابات حِجَاجِيَّة سابقة أو بناءً على ما ذُكِرَ في مواضع لغويّة سابقة من الخطاب نفسه؛حيث تتنوّع صيغ التّعليل من خطاب لآخر أو من موضع لغوي لآخر،بما يمليه السّياق التّداولي،وما يمتلكه المحَاجِج من كفايات تواصليّة في بُعدها الإقناعي (الحِجَاجِي).

لهذا نجد توظيف هذه الآليّة في الخطاب الحِجَاجِي الإبراهيمي،يتباين في قوّته الحِجَاجِيَّة من خطاب لآخر؛كأن يوظّف الأداة "لأنّ"،بغية تبرير فعل ما،قد اقترحه على المرسل إليه المراد إقناعه،مثلما جاء به خطابه التالي:

«فالواجب على اجتماعنا الذي ننشد تكوينه أن يبذل مجهودات قويّة لرفع درجة الأخلاق عندنا،ومن فكري الخاص أنّ هذه النّاحية من أمراضنا هي أيسر معالجة من جميع النّواحي إذا أحسنَّا تسيير الجهود الفرديّة في التّربية المنزليّة لأنّ لنا أسَاسًا نبني عليه ولا يعسر جد العسر إحياؤه وهو الأخلاق الإسلاميّة المتوارثَة في الجملة والتي نجد معظمها في القرآن في أوضح عبارة وأوضح بيان،ثمّ الأخلاق العربيّة المأخوذة من آدابهم التي هي أنفس ما خَلَّفُوه لنا من التّراث».[2]

استعمل (الإبراهيمي) الأداة "لأنّ" في سياق حديثه عن سُبُل رفع درجات الأخلاق في الأمّة الجزائريّة؛وكي يقنع المرسل إليه المخصوص (أعضاء الجمعيّة)،بأنّه لابدَّ من البدء بالتّربية المنزليّة،ليجعل من هذه الأداة رابطًا تعليليًا بين النّتيجة المراد تحقيقها وما يوجد من مكاسب قويّة تمكّن من تحقيق ذلك،وبالطّبع الممثّلة في الأخلاق الإسلاميّة بمختلف منابعها،وهذا ما يوضّحه المخطّط التالي:

هذه النّاحية من أمراضنا هي أيسر معالجة من جميع النّواحي إذا أحسنَّا تسيير الجهود الفرديّة في التّربية المنزليّة	**تحفيز مقترن بالشّرط**
لأنّ لنا أسَاسًا نبني عليه ولا يعسر جد العسر إحياؤه	**التّعليل بالأداة "لأنّ"**
وهو الأخلاق الإسلاميّة المتوارثَة في الجملة	**ذكر السَّند الحِجَاجِي**
والتي نجد معظمها في القرآن في أوضح عبارة وأوضح بيان	**ذكر الرّافد الأوّل للسَّنَد**
ثم الأخلاق العربيّة المأخوذة من آدابهم	**ذكر الرّافد الثاني للسَّنَد**

- مخطّط رقم45:يوضّح كيفيّة توظيف "التّعليل" في الخطاب الحِجَاجِي لدَى (الإبراهيمي)-

---

[1] عبد الرّحمان حسن حبنّكة الميداني،البلاغة العربيّة،مرجع سبق ذكره،ج02،ص93.

[2] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج01،ص.ص52-53.

ومثل هذا الاستعمال،توظيف لام التّعليل بمختلف أنواعها،كاللاّم المقترنة بـ "كي"،ومثالها في الخطاب الحِجَاجِي لدى (الإبراهيمي)،في قوله:

«إنّنا نريد عليكم-بعد الاشتراك في حمل الأمانة العامّة -باستحكام التّجربة،وعرك الأيّام،وعجم الحوادث[...]،وبأنّنا الغرض المنصوب للسّهام،لأنّنا -دائمًا-في مكان القيادة في الصّفوف،فلا تصل الرّمية إلى أحدكم إلا بعد أن نثخن ولا يبقى فينا موضع لسهم!فإذا رأيتمونا نمسّكم بالشّدّة أحيانًا،ونقسُو عليكم في التّثقيف،فذلك لكي يخلص لنا من عشراتكم آحاد يخلفُوننا في هذه الخلال،إذا خَلَت أمكنتنا في المراكز الأماميّة،بعد أن يقطعوا من مراحل العمر ومقامات التّدريب ما يؤهّلهم لذلك».[1]

بعد أن قدَّم المرسل مجموعة من الحُجَج القائمة على التّجربة،أعطى مبرّرًا أوّليًّا باستعمال الأداة "لأنّ" ليتبعه مباشرة بتبرير ثانٍ عند توظيفه للاّم المقرونة بالأداة "كي" في سياق حديثه عن الأسباب التي جعلت منه يقسُو على المعلّمين المنتسِبين إلى جمعيّته،وبهذا الأسلوب يكون قد أضفى نوعًا من القوّة الحِجَاجِيَّة إلى خطابه الحِجَاجِي.

وتوظَّف لام التّعليل النّاصبة للفعل المضارع،لتكون كسابقتها أداة يتّخذها المحَاجِج ليبرّر من خلالها فعلًا مَا،ولهذا وظّفها (الإبراهيمي) في صدد حديثه عن أعمال جريدة "البصائر" لسَنة خَلَت وما ستقوم به من سَنة مقبلة:

«ولكن "البصائر" تفطّنت لكيدهم وما يضمرون،فأعرضت عنهم فلجوا،فاحتقرتهم،ثم وزنتهم فوجدت الغش والتّزوير والتّضليل والتّدجيل وإنكار الحقائق الملموسة،ووزنت جمعيّة العلماء التي يحاربونها فوجدت العلم،والأعمال المفيدة والمدارس المشيّدة،فتركت البصائر الكلمة لهذه الأعمال،لتدمغ بنفسها تلك الأقوال،ولو شاءت البصائر لأوقفت كلّ سَفِيه عند حدّه،ولسقته من الرّد حميمًا وغساقًا».[2]

نصَّبَ (الإبراهيمي) نفسه ناطقًا رسميًا باسم الجريدة بناءً على سلطته كرئيس تحرير لها وكرئيس لجمعيّة العلماء معًا ليؤَسِّسَ بعد ذلك سلطة داخليّة في خطابه،وفقَ سرد مجموعة من الحُجَج المتتَابعة،ثم دعّمها بأداة تعليليّة دعّمت من القوّة الحِجَاجِيَّة لخطابه الحِجَاجِي،كَكُل.

وهناك صيغة أخرى يمكن أن يجعل منها (الإبراهيمي) أداة تعليليّة لخطابه الحِجَاجِي،وهو تلفّظه بكلمة "السّبب" مثلما تضمّنته محاضرته عن "المرأة المسلمة في الجزائر"؛حيث قدّم مجموعة من الحُجَج دعَّم من خلالها تشخيصه لواقع تعليمها عبر فترات زمنيّة متباعدة من تاريخ الجزائر،فعندما ذكر بأنّ:

«هذه هي الحالة السّائدة في الجزائر منذ قرون وتشاركها فيها جميع الأقطار الإسلاميّة على تفاوت بسيط بينها والسّبب في هذه الحالة نزعة قديمة خاطئة راجت بين المسلمين وهي أنّ تعليم البنت مفسدة لها».[3]

فتلفّظه بكلمة "السّبب" جعل منه تمهيدًا لما سيقوله فيما بعد،من تشخيص لهذا الواقع.

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج03،ص266.

[2] المصدر نفسه،ج02،ص229.

[3] المصدر نفسه،ج04،ص264.

ومن بين أدوات التّعليل ذات الأهمّية البالغة في بناء الخطاب الحِجَاجِي،ما يُعرَفُ في الدّرس الحِجَاجِي التّداولي بـ "الوصل السَّببي"،بما أنّه عبارة عن «علاقات حِجَاجِيَّة،تربط بين الأحداث وتفسّر العلاقة بينها،وغاية هذه الحُجَّة تقويم الأحداث والأشياء».[1]

وللوصل السَّببي «ثلاثة ضروب من الحِجَاج:

- حِجَاج يرمي إلى الرّبط بين حدثين متتابعين بواسطة رابط سببي[...].
- حِجَاج يرمي إلى أن يستخلص من حدث ما وقع سبب أحدثه وأدّى إليه[...].
- حِجَاج يرمي إلى التكهّن بما سَينجَرُّ عن حدث ما من نتائج».[2]

ومثال الضّرب الأوّل من الوصل السَّببي في الخطاب الحِجَاجِي الإبراهيمي،ما أتَت به البنية اللغويّة لهذه الفقرة: «ولا يخفى أنّ هذه البلدة-ولا نكران للحق- تنقصها فضيلة من أمّهات الفضائل وهي الاجتماع المثمر للتّعارف،وقد فاتتها بفوات هذه الفضيلة مجموعة من مجاميع الأدب الغالية وهي آداب الاجتماع،وفاتها بفوات ذلك كلّه خير عظيم وهو ما يتمتّع به المجتمعون من ثمرات الاجتماع».[3]

يتّضح أنّ (الإبراهيمي) انطلق من مقدّمة حِجَاجِيَّة هي:

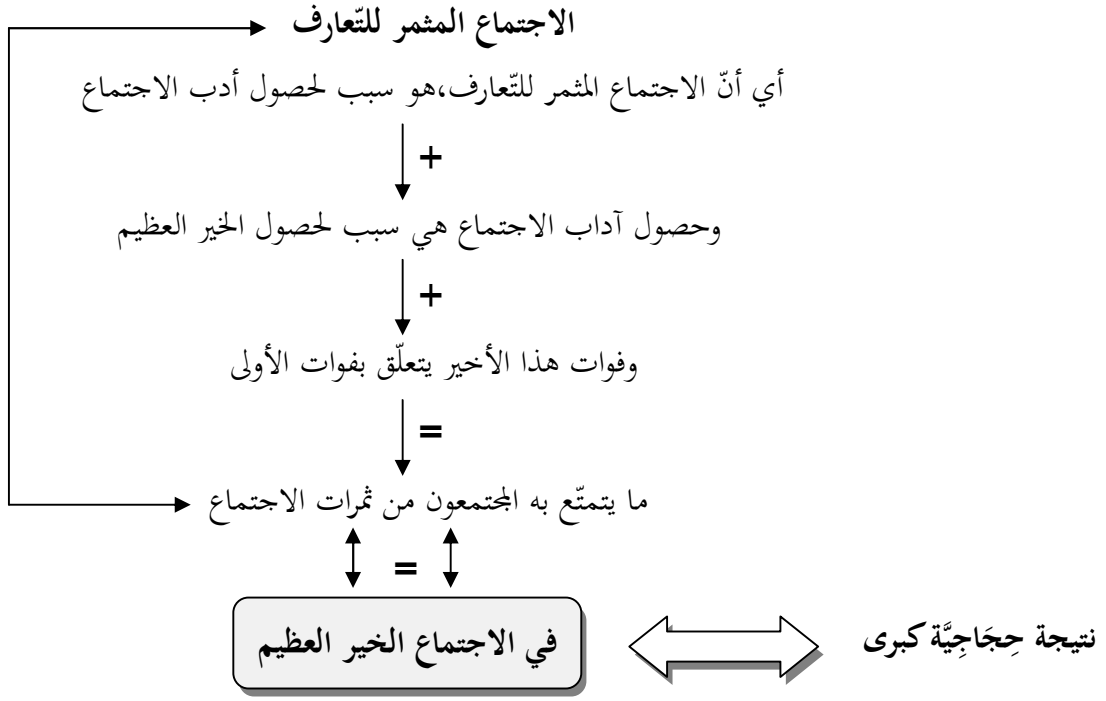

- مخطّط رقم46:يوضّح توظيف أداة "الوصل السَّببي01" في الخطاب الحِجَاجِي لدَى (الإبراهيمي)-

---

[1] عبد اللّطيف عادل،بلاغة الإقناع في المناظرة،دار الأمان،الرّباط-المغرب؛ط1434:01هـ/2013م،ص94.

[2] عبد الله صولة،في نظريّة الحِجَاج،مرجع سبق ذكره،ص.ص49-50.

[3] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج01،ص92.

نلاحظ أنّه حِجَاج يرمي إلى الرّبط بين حدثين متتابعين بواسطة رابط سببي،وهذا معناه؛أنّه في «الرّبط السَّببي يكون المرور في الاتّجاهين:من السَّبب إلى النتيجة ومن النتيجة إلى السَّبب».[1]

وفيما يخصّ كيفيّة ورود الضَّرب الثاني من الوصل السَّببي في الخطاب الحِجَاجِي لدى (الإبراهيمي)،نكتشفه من خلال قوله التالي:

«إذا كانت الأشجار تُسقَى بالماء وتؤتي الثّمار المختلفة فإنّ الثّورة شجرة تسقى بالدّماء فتثمر الحريّة».[2]

يظهر من هذه الفقرة،أنّ المحَاجِجَ استعمل أسلوب التّمثيل من أجل صوغ بعض التّراكيب الشّرطيّة الظّاهرة،لتكون في الأخير وصلًا سببيًا ذي قوّة حِجَاجِيَّة بارزة،كما زاد من قوته الحِجَاجِيّة،المعنى التّلميحي الذي قدّمته الاستعارة في قوله:"فتثمر الحريّة"،وهذا ما يعبِّر عنه المخطّط الآتي:

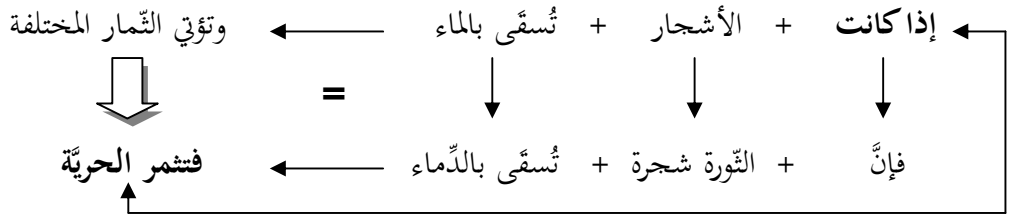

– مخطّط رقم47:يوضّح توظيف أداة "الوصل السَّببي02" في الخطاب الحِجَاجِي لدَى (الإبراهيمي)–

ومن أمثلة تطبيق الضَّرب الثالث من الوصل السَّببي،ما حَاجَجَ به (الإبراهيمي) عامّة المسلمين بشأن القضيّة الفلسطينيّة،لينادِيهم بقوله:

«أيّها المسلمون:إنّ اليهود طامحون إلى أكثر من فلسطين،وإنّهم يستعدّون بعد أن غمسوا أرجلهم في ماء البحر الأحمر لاحتلال مكّة والمدينة،فماذا أنتم صانعون؟ إن كنتم تعتمدون على أنّ للبيت ربًّا يحميه فهذا إرهاص لا يتكرّر مرتين وهو عذر لا يقوم بعد أن أخذ عليكم العهد بحماية البيت،إنّه لا حُجَّة لنا على **الله** بل الحُجَّة علينا وإنّنا لسنا من العزّة على **الله** بحيث يخرق سُنَنَهُ الكونيّة لأجلنا وقد رفع يده عنَّا فلا يبالي في أيّ وادٍ نهلك،وحكَّم سُنَّته فينَا فحكمت بأن نُمْلَك ولا نَمْلِك،فعُودُوا يَعُد وغيَّرُوا يُغيِّر وحقَّقُوا الشّرط يُحقِّق الجزاء».[3]

بعد أن قدَّم المحَاجِج مجموعة من الحُجَج التي تصاعدت قوّتها الحِجَاجِيَّة بحضور العديد من الرّوابط،لتشكّل تمهيدًا لحِجَاج يرمي إلى التّكهّن بما سينجرُّ من نتائج،عن طريق التّعليل بالتّراكيب الشّرطيّة الظّاهرة.

كما هو موضَّح في هذا المخطّط:

---

[1] عبد **الله** صولة،في نظريّة الحِجَاج،مرجع سبق ذكره،ص50.

[2] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج05،ص242.

[3] المصدر نفسه،ج04،ص141.

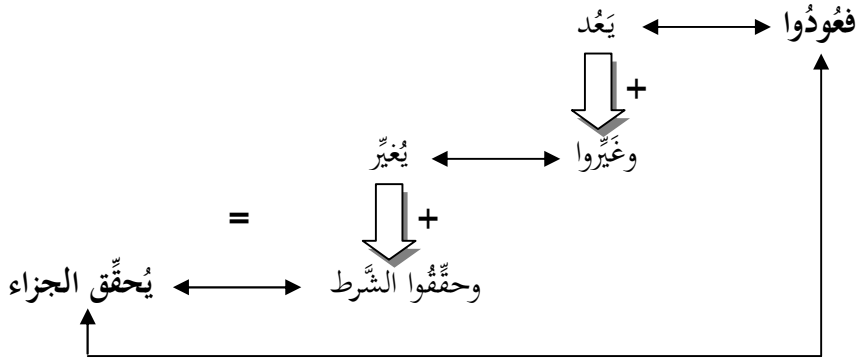

– مخطّط رقم48:يوضّح توظيف أداة "الوصل السَّببي03" في الخطاب الحِجَاجِي لدَى (الإبراهيمي)–

وقد يرد الوصل السَّببي عن طريق توظيف التَّراكيب الشّرطيّة الظّاهرة،لتأتي الحُجَج في قالب تسلسلي،كما يظهر في النّموذج الحِجَاجِي الآتي:

«ولو كنّا نعبدُ **الله** حقَّ عبادته ونبني العبادة الخالصة على عقيدة خالصة،لكان من آثار تلك العبادة في نفوسنا ما يقيها من شرور هذه العوائد العاديّة».[1]

نلاحظ أنّ (الإبراهيمي)،قد جعل من الشّرط وصلًا سببيًّا ربط من خلاله النّتيجة الحتميّة بالمقدّمة الشّرطيّة:

ولو كنّا نعبدُ **الله** حقَّ عبادته ونبني العبادة الخالصة على عقيدة خالصة ⟹ **مقدّمة شرطيّة**

تُضفي إلى

لكان من آثار تلك العبادة في نفوسنا ما يقيها من شرور هذه العوائد العاديّة ⟹ **نتيجة حتميّة**

كما يمكن أن يصاغ الحِجَاج في «التّراكيب الشّرطيّة المضمَرَة،والتي تتّضح من خلال العلاقة المنطقيّة المتلازمة بين طرفين»[2]،مثلما ضمّنه (الإبراهيمي) في خطابه الذي حَاجَجَ فيه مجموعة من العرب من أجل أن تدعم الثّورة: «إنّ إخوانكم يستنصروكم فعليكم النّصر،وإنّهم يقاتلون لأجلكم فاعرفوا لهم حقّهم في هذا القتال،وإنّ مواقفهم المجيدة في هذه الثّورة شرّفتكم جميعًا،وإنّ نصرهم نصر لكم،وإنّ فشلهم محسوب عليكم،وإنّ الاستعمار عدوّ لكم جميعًا،وإنّه إن انتصر فسيذيقكم عذاب الهُون جميعًا».[3]

بعد أن قدّم المحَاجِجُ مراده من المحَاجَجِ،عن طريق الأسلوب الإغرائي وبجمع العلاقة المشتركة بين الطّرفين،ضمّن خطابه الحِجَاجِي،بمجموعة من التّراكيب الشّرطيّة المضمَرة صِيغَت في قالب تلازمي بين طرفين،ليصل إلى نتيجة حِجَاجِيَّة نهائيّة باستخدام تركيب شرطي ظاهر،دعَّم به القوّة الحِجَاجِيَّة التي جاءت بها البنية اللغويّة لخطابه.

كما هو موضَّح في المخطّط الآتي:

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج01،ص134.

[2] عبد الهادي بن ظافر الشّهري،استراتيجيّات الخطاب،مصدر سبق ذكره،ج02،ص262.

[3] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج05،ص254.

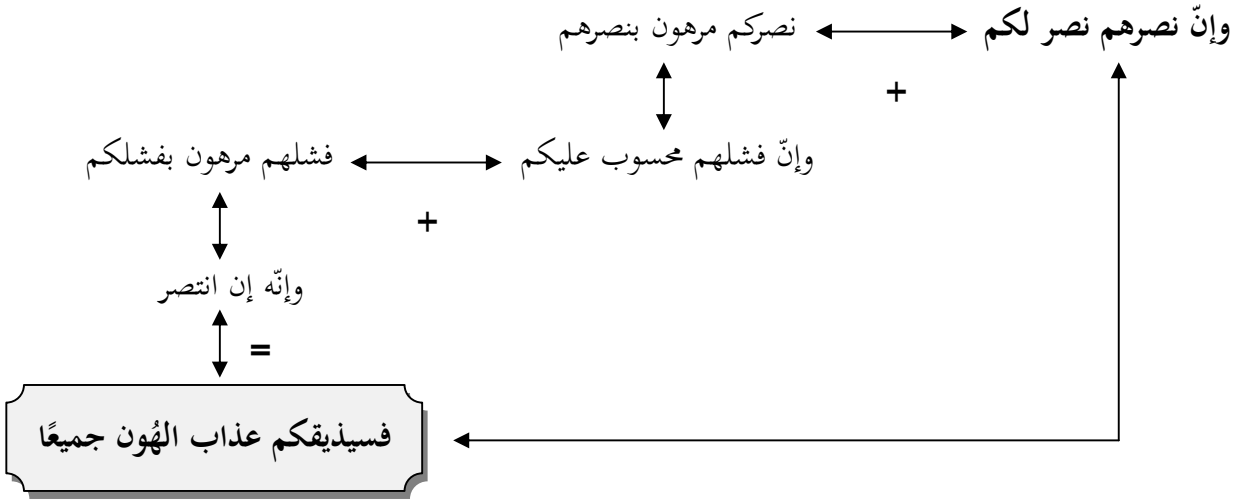

– مخطّط رقم49:يوضّح توظيف "التّراكيب الشّرطيّة المضمَرة" في الخطاب الحِجَاجِي لدَى (الإبراهيمي)–

ومن الصّيغ الأخرى التي يمكن أن يراعيها المحاجِجُ لتكون ضمن البنية اللغويّة التّعليليّة لخطابه الحِجَاجِي،استثماره لـ "الفاء السّببيّة"،لما لها من دور تعليلي مهم يضاعف من القوّة الحجَاجِيَّة.

وهذا ما جعل (الإبراهيمي) يوظّفها كأداة حِجَاجِيَّة مهمّة لبعض عناوين خطاباته،مثل خطابه الذي تحدَّث فيه عن "دار الطّلبة بقسنطينة"،ليقول في العنوان:«فيها لكل تلميذ جزائري حق،فلها على كل مسلم جزائري حق».[1]

نلاحظ أنّ توظيف "الفاء السّببيّة"،قد جاء في سياق شَرطِي مُضمَر،وكأنّ بالمحَاجِج يقول:

"بما أنّكم تطالبون بحقوق أبنائكم في الانتساب لهذه الدّار،لا تنسوا بأنّه عليكم أنتم أيضًا واجبات تجاه هذه الدّار".

3-5-2- الحِجَاج بالسّلطة:

يمكن أن تشكّل السّلطة،أو «الحظوة أحد الأسس التي يُبنَى عليها الحِجَاج»[2] ؛إذ تنقسم إلى عدّة أصناف،منها: السّلطة الوظيفيّة،والعلميّة،والاجتماعيّة...إلخ،ولكل صنف منها سياقه التّداولي الخاص به،وبحسب طبيعة العلاقة التي تربط طرفي العمليّة الحِجَاجِيَّة،فعلى سبيل المثال،إذا كانت العلاقة قائمة على السُّلَّم الوظيفي،فالسّلطة هنا،هي سلطة وظيفيّة بالطّبع،وحتمًا لهذه السّلطة حُجَجُها وتركيبها اللّغوي الخاص؛إلّا إذا تنازل صاحب السّلطة عن سلطته فهنا يكون حديث آخر،مثلما وقفنا عليه في دراستنا للاستراتيجيّة التّضامنيّة.

وقد لا يمتلك المحَاجِجُ أيّ نوع من السّلطة في الأصل،قبل تلفّظه بالخطاب؛وإنّما له مصدران يمكن لهما أن يمدّانه بالسّلطة الآنيّة –أي لحظة تلفّظه بحُجَجِهِ–وهما:

– سلطة النّص المستَدَلِّ به.

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج02،ص453.

[2] محمّد مشبال،في بلاغة الحِجَاج،مرجع سبق ذكره،ص133.

- أو يتعلّق الأمر «بسلطة مكتسبة ظرفيًّا مثل السّلطة التي تخوّلها للشّخص شهادته على الحدث المنقول».[1]

وقد أجمل (الإبراهيمي) في إحدى مقالاته،جميع أنواع السّلطة التي يمتلكها خارج النّص؛حينما قدَّم حُجَجَهُ التي جعلته يتدخّل في عمليّة الإصلاح السّياسي والتّعليمي والدِّيني في الجزائر،في فترة الإدارة الجزائريّة الاستعماريّة،بقوله: «وأنا بصفتي جزائريًّا من حقّه الطّبيعي أن يفكّر في الحالة التي عليها وطنه وأبناء وطنه،ومن حقّه أن يُبدي رأيه بكل صراحة في ما يجب أن يناله من الإصلاحات،وبصِفَتِي عالما مسلمًا من واجبه أن يدافع عن الإسلام وأحكامه ولغة دِينه،وأن يغضب لحظّهما المغبون مع الإدارة الجزائريّة الاستعماريّة،وبصِفَتي رئيس جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين من واجبه أن يعبّر عن رأيها في المشكلات الإسلاميّة الجزائريّة الخطيرة،ويشارك برأيه في ما يجب من الإصلاح السّياسي والتّعليمي إذ هما أخوان للإصلاح الدِّيني...».[2]

وضع المحَاجِجُ،لكل سلطة حُجَجًا خاصّة بها ابتداءً من سلطته الطّبيعيّة كمواطن جزائري بسيط،إلى سلطته كرئيس لأهم جمعيّة دينيّة وإصلاحيّة تأثيرًا في الشَّعب الجزائري،فالتّدرّج في طرح السّلطة دلَّ على التّدرُّج في الحُجَّة من الأضعف إلى الأقوى في سُلَّم حِجَاجِي تراتُبي.

وفيما يخص كيفيّة توظيفه لحُجَّة السّلطة الدّاخليّة،في نوعها المبني على نقل الواقع أو الشّاهد العَيني،ما عبّر عنه الخطاب التالي:

«إنّ هذه الأمّة الجزائريّة أمّة واحدة ولا كلام،ربّها **الله** وإمامها القرآن ونبيّها محمّد ولغتها العربيّة ودِينها الإسلام،وإنّها تحمل ما تحمله الأمُم من المقوّمات الكلّية،وإن كانت لا تحمل ما تحمله الأمَم من المؤهّلات للحياة،وقد أخذت تشعر بنقائصها الاجتماعيّة وأخذَت تتلمّس سُبُلَ الهداية لسدِّ تلك النّقائص،وتجلّى هذا الشّعور في رغبتها الصّادقة في العلم،ورغبتها الصّادقة في التّعارف والاجتماع،ومن الشّواهد التي لا تُنكَر والبيّنات التي لا يُكابر فيها على هاتين الرّغبتين ما رأيتموه بأعينكم في هذا النّادي من اجتماع علماء الأمّة ومتعلِّميها ومؤيِّدي العلم فيها،وما سمعتموه بآذانكم من الصّرخات الدّاوية في رحاب هذا النّادي».[3]

حَاجَجَ (الإبراهيمي) زملاءه في الجمعيّة،بما رأوه من أحداث سابقة،والحُجَّة هنا مضاعفة بتضاعف السّلطة التي نتجت عن نقل الشّاهد العَيني؛إذ تجاوز نقل شهادته كشاهد على الحدث (تحصيل حاصل)،إلى إقرار المتلقّي بأنّه كان حاضرًا وشهد ما وقع،هو أيضا،وبهذا حقّق المرسل حُجَّة عليا توصل إلى الإقناع لا محالة.

---

[1] فيليب بروطون،الحِجَاج في التّواصل،مرجع سبق ذكره،ص82.

[2] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج02،ص134.وقد وجدنا نصًّا (للإبراهيمي)،ذكر فيه أهمّية السّلطة في تحصيل التّأثير والإقناع،بقوله:«للقوّة والسّلطان أثر في الأبدان،وأثر في الأرواح؛وأقوى الأثرين تأثيرًا وأظهرهما وَسمًا،وأبقاهما على المدَى،ما كان في الأرواح؛لأنّ التّسلّط على الأبدان يأتي من طريق الرَّهبة،والرَّهبة عارض سريع الزّوال؛أمّا التّسلّط على الأرواح فَبَابُهُ الرّغبة،والدّافع إليه الاقتناع والاختيار»،المصدر نفسه،ج03،ص308.

[3] المصدر نفسه،ج01،ص141.

3-5-3- الحِجَاج بالقُدوَة:

تعمل حُجَّة القدوة،بأن يشير المرسل إلى عمل يخصّه شخصيًّا أو يخصُّ أشخاصًا آخرين،مع شرط امتلاك المقتدَى به الكفاية والتّجربة اللّازمتان لذلك العمل،وأن يكون محلَّ ثقة المتلقّي،بناءً على علاقة مشتركة ومعارف مسبقة تجمع بين طرفي العمليّة الحِجَاجِيَّة.

لهذا يمكننا القول؛بأنّ آليّة "حُجَّة القدوة"[*]،هي بمثابة نوع آخر من حُجَّة السّلطة؛لكنّها «تتميّز بأنّها ترى في هذه السّلطة قدوة ونموذجًا يُحتذَى؛أي إنّ الحِجَاج بالقدوة يقوم أساسًا على الحضّ على إتّباع سلوك وتصرّف هذا النّموذج متجاوزًا تأسيس قاعدة عامّة أو توضيحها».[1]

فحُجَّة القدوة «تشير إلى السّلوك الذي ينبغي محاكاته،كما أنّها تصلح أن تمثّل ضامنًا للسّلوك المتَّبَع[...] فاستدعاؤنا لسلطة مَا بوصفها حُجَّة قدوة،يعني دعوة المخاطَب إلى اتّباع سلوكها،وفي الوقت نفسه تمثّل حُجَّة على قيمة هذا السّلوك[...]،ومثلما يقوم الحِجَاجُ على استدعاء نماذج للاقتداء بها وتثمين أفعالها،فإنّه يقوم أيضًا على استدعاء نماذج معكوسة للانفصال عنها وتبخيس أفعالها».[2]

وتعكس لنا الفقرة الخطابيّة الآتية،كيف وظَّف (الإبراهيمي) قدوة الغَير،من أجل أن يقنع المتلقّي المخصوص بضرورة الاحتذاء بتجارب الآخرين،وحملها محمَل الجِد لما لها من نتائج وثمرات إيجابيّة:

«أي أبنائي المعلِّمين:

هناك أمَم تقدّمتكم في العلم والمعرفة والنّظام،فخذوا من مباديها العبرة،وخذوا من مصايرها العظة،وإنّ عبرة العِبَر لكم فيها أنّ العلم وإن تشعّبت عندها أغصانه،وتفرّعت أفنانه،وأسلَسَ لها عَصِيُّهُ حتّى فتحت به مغلقات الكون، لم يغن عنها فتيلًا ممّا تغني الأخلاق والفضائل».[3]

بالرّغم ممّا قدّمته حُجَّة القدوة في هذا الموضع الخطابي،إلّا أنّها تبقى حُجَّة ضعيفة؛لأنّ المرسل لم يصرّح بأمّة محدَّدة حتّى يجعل منها المتلقّي نموذجًا يُحتَذَى به؛بل اكتفى بالتّعميم فقط،عند قوله:"هناك أمَمٌ تقدَّمتكم في العلم والمعرفة والنّظام "،وهذا هو مصدر ضعفها.

وقد يجعل (الإبراهيمي)،من أعماله الشّخصيّة حُجَّةً من حُجَجِ القدوة،بما يُعرَفُ بحُجَّة "الشّخص وأعماله"؛حيث نجد ذلك في خطابه الموجَّه إلى الأمّة الجزائريّة بضرورة المساهمة في بناء وترميم دار طلبة "معهد ابن باديس"،أوّل ما خاطبها به،قوله:

---

[*] تسمّى هذه الآليّة،في الدّرس البلاغي الحِجَاجِي،بـ"استراتيجيّة الإيتوس-Ethos strategy"،ويُقصَدُ بها «الصّورة التي يبنيها الخطيب لذاته حتّى يُسهِمَ في نجاعة قوله»،محمّد مشبال،في بلاغة الحِجَاج،مرجع سبق ذكره،ص176.

[1] Chaim Perelman et Lucie Olbrechts-Tyteca,Traite de largumentation;editions de l'université de Bruxelles:2000,p488.

نقلًا عن:محمّد مشبال،في بلاغة الحِجَاج،مرجع سبق ذكره،ص147.

[2] المرجع نفسه،ص.ص147-148.

[3] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج02،ص111.

«ها هو ذا قائد الحركة،ومرسل الصَّيحة،يضرب لكم المثَل مع ضعفه وإقلاله،فيقتطع من مرتّبه الذي يَقُوتُ منه عِياله خمسة آلاف من كل شهر لمدّة سنة،ثم يجمعها فتصير ستّين ألف فرنك،فيحتّم عليه الواجب أن يقدّمها دفعة واحدة فيستقرضها من المخلوق،ويُقرضها الخالق،ويضعها باسمه في (شيك) المعهد».[1]

بنَى المرسل،حُجَّة القدوة بإطلاق وصف على شخصه "قائد الحركة"،ليُكسِبَ المتلقّي ثقة أكبر،ومنه إعطاء حُجَجَهِ مصداقيّة أكثر،وأمّا عن كشفه للطّريقة التي جمع بها المال،حاول من خلالها إقناع المتلقّي العام بنجاعتها،مادامت حُجَّة "الشّخص وأعماله"تستَخدَم في «تقييم "الأعمال" في ضوء علاقة التّعاضد والتّجانس بينها وبين الشّخص؛فالأعمال تستَمدّ قيمتها من سلطة الشّخص الذي انبثقت عنه».[2]

3-6- الحُجَجُ المؤسِّسَة لبنية الواقع:

3-6-1- الاستدلال بالتّمثيل:

إنّ آليّة "التّمثيل"،عبارة عن «عمليّة فكريّة تقوم على تشبيه أمر بآخر في العلّة التي كانت هي السّبب في حدوث ظاهرة من ظواهره واعتبار هذا الشَّبه كافيا لقياس الأمر على الآخر في أنّ له مثل ظاهرته»[3] ؛حيث ترتكز حُجَّته على «إقامة تماثل ببين منطقتين متباعدتين من الواقع يسمح بنقل خصائص إحداهما المعروفة إلى الأخرى».[4]

وقد وقعنا على نصّ في آثار (الإبراهيمي)،كشف لنا بأنّه يدرك تمامًا أهمّية التّمثيل في العمليّة الإقناعيّة؛ففي مقاله المعنوَن بـ"الخطابة والتّمثيل" وضَّحَ من خلاله تلك العلاقة القائمة بين الخطيب والممثّل وما يحدثه التّمثيل من تأثير في المتلقّي وحمله على الإذعان؛إذ يقول:

«فإنّما الخطيب والممثِّل شيء واحد –الممثِّل خطيب إذا أحسن تصوير المغزَى وشَخَّصَ الحقائق الغائبة للمشاهدِين كالحاضر المشاهِد،وألبَسَ الخيالات لباس الواقع المحسوس،والخطيب ممثِّل إذا عرف كيف يقُصُّ الخبر وكيف يستخرج العبر،وكيف يسوق المؤثّرات فيترك في نفوس سامعيه أعمق الأثر».[5]

وتتنوّع صيغ توظيف التّمثيل كآليّة مهمّة في الخطاب الحِجَاجِي الإبراهيمي،بحسب تنوّع سياق إنتاج كل خطاب ومقصديّته،بالإضافة إلى طبيعة العلاقة التي تجمع بين طرفي العمليّة الحِجَاجِيَّة.

فمن بين الصّيغ التي وظّف من خلالها (الإبراهيمي) آليّة "التّمثيل"،ما عبَّر عنه في خطابه الموجَّه إلى زملائه أعضاء الجمعيّة،ليحدّثهم عن "جمعيّة العلماء:دعوتها وغايتها":

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج02،ص448.

[2] محمّد مشبال،في بلاغة الحِجَاج،مرجع سبق ذكره،ص134.

[3] عبد الرّحمان حسن حبنّكة الميداني،ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة،مرجع سبق ذكره،ص288.

[4] فيليب بروطون،الحِجَاج في التّواصل،مرجع سبق ذكره،ص119.

[5] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج01،ص67.

«أيّها الإخوة الكرام،

إنّي لم أَرَ مثلًا أضربه لجمعيّتكم هذه،وهي لم تزل في المهد،إلّا شيئًا نسمّيه تباشير الصّبح،هو تلك اللّمع المتفرّقة من النّور في الشَّرق قبل أن ينشقَّ عمود الفجر،يرتاح لها السّاري في ظلمات اللّيل؛لأنّه يرى فيها العنوان الصّادق على قرب الخروج من المعاسف والخبط في مضلّات السّبل.

ويرتاح لها المهموم السّاهر الذي يبيت يراعي النّجوم لأنّه يرى فيها متنفَّسًا لهمّه وسببًا لسلواه وإن لم تكن حدًّا لبلواه.

يرتاح لها المقرور الشّاتي لأنّه يرى فيها مخايل من آية النّهار.

ويرتاح لها النّاسك لأنّه يسمع فيها الدّاعي المثوب بعبادة ربّه.

ويرتاح لها الشّاعر لأنّه يرى فيها مسرحًا لخياله وأفقًا لروحانيّته.

ويرتاح لها العامل الملتذ بعمله لأنّه يرى فيها الأمَارة المؤذنة بقرب وقت العمل.

ولكن هل يدرك النّائمون شيئًا من تلك اللذّة؟ نعم إنّ جمعيّة العلماء هي تباشير الصّبح وسترونها تتصدَّع عن فجر صادق،ثم عن شمس مشرقة».[1]

يظهر من هذا النّموذج الخطابي،أنّ المرسل استند على آليّة التّمثيل ليمرّر بها حُجَجَهُ،ثم دعّمها بعد ذلك بآليّة الاستعارة المبنيّة في ألفاظها على معجم تضامني عاطفي مَهَّدَ له منذ البداية،عند قوله:"أيّها الإخوة الكرام"،وهذا كلّه من باب إقناع المتلقّي بقيمة الجمعيّة التي ينتمي إليها،وبالتالي حمله على تحمّل مسؤوليّة الأعمال الموكلة إليه تجاهها.

وبما أنّه،بإمكان التّمثيل أن يجسّد بؤرة العمليّة الحِجَاجِيَّة[2] ،لذا يمكن (للإبراهيمي) أن يوظّفه في خطابه الحِجَاجِي دون أن يصرّح به؛أي يوظّفه في قالب ضِمني (أو مضمَر) يُستَنتَجُ من ظاهر البنية اللغويّة للخطاب،مثلما دلّت عليه الفقرة الآتية:

«ألا فليعلم كل من لا يريد أن يعلم أنّ سوق المال اليوم معترك أبطال وأنّ في جوانبه رماة ونحن الهدف،وأنّ مكان المال من الحياة مكان الوريد من البَدَن،وأنّ الزّمان قد دار دورته وقضى **الله** أن يصبح المال والعلم سلاحين لا يطمع طامع في الحياة بدونهما فلننظر مكاننا منهما ومكانهما منّا».[3]

لكي يقنع (الإبراهيمي) المعني بخطابه،حول أهمّية المال في الحياة وبشكل خاص إذا اقترن بالعلم وما ينتج عنهما من مكانة في معترك الحياة،لجأ إلى المجاز في قوله:"...وأنّ مكان المال من الحياة مكان الوريد من البَدَن...وقضى **الله** أن يصبح المال والعلم سلاحين..."،وهذا بدوره تمثيل خفي ومضمر له دوره الحِجَاجِي الذي لا يستهان به.

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج01،ص136.

[2] ينظر:بناصر البُعزّاتي،الصّلة بين التّمثيل والاستنباط،ضمن كتاب،التَّحَاجُج"طبيعته،مجالاته،وظائفه وضوابطه،إعداد مجموعة من الباحثين،كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة،الرّباط-المغرب؛ط01:1427هـ/2006م،ص34.

[3] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج01،ص55.

3-6-2- الاستدلال بالشّاهد النّصّي:

تستهدف آليّة "الشّاهد"،جميع من «يتوجَّه إليهم النّص الجديد،كنص ممتع بإيهامه المتنامي،حيث لا أحد يتكلَّم ولكن وحدها الأحداث تحكي نفسها بنفسها،وتكمن محاولة الإقناع كطرف في استراتيجيّة الشّاهد في محاولة البحث عمّن يتقاسم معنا فكرة أو حكمًا أو ذوقًا».[1]

وعلى هذا الأساس،تقدّم الشّواهد أو القوالب اللغويّة الجاهزة،سلطَةً للنّص الحِجَاجِي،عندما تضاعف من القوّة الحِجَاجِيّة للصّيغة اللغويّة التي يتأسّس منها السُّلَّم الحِجَاجِي؛إذا أحسن المخاطِب استثمارها بوضعها في سياقها الصّحيح،بما يمتلكه من كفايات تواصليّة ومرجعيّات خطابيّة،تعكسها دراية بقيمة الرّوافد التي يستقي منها شواهده ومحلّ إجماع بينه وبين المتلقّي المراد إقناعه،وبشكل خاص إذا كانت تلك المصادر مقدّسة كالقرآن الكريم والحديث النّبوي الشّريف،وهي بذلك تحتلّ أعلى درجة في السُّلَّم الحِجَاجِي بما تمتلكه من سلطة على المرسل إليه.

كما لا يقتصر توظيفه للقوالب اللغويّة الجاهزة،على تركيبتها اللغويّة الأصليّة فقط؛بل يمكن للمرسل أن يستعملها في صيغة تداخل النّصوص بعضها ببعض؛حيث يُدمِجُ نصَّه مع النّص الأصلي؛وهو ما يعرف بـ"التّناص".

الذي يقصد به،تعالق النّصوص بعضها ببعض،وفقَ «طريقتين:

1- طريقة ظاهرة:يعرض فيها "المحاور" شواهد من أقوال الغير مثل"النّقل"و"التّضمين"و"الحكاية" و"العنعنة"و"الشّرح" و"الاقتباس"و"التّعليق"[...].

2- طريقة باطنة:ينشِئ بها "المحاور" نصَّه عبر نصوص سابقة مماثلة أو مباينة،ويفتح بها آفاق نصوص أخرى مكمّلة أو مبدّلة،فيصطبغ عندها النّص بصبغة "المغايرة" الصّميميّة».[2]

وإذا جئنا نتتبّع كيفيّة توظيف الطّريقة الأولى في الاستراتيجيّة الإقناعيّة (الحِجَاجِيَّة) لدى (الإبراهيمي)،نجدها متنوّعة في صياغاتها اللغويّة وفي روافدها المستقاة منها.

ويعدّ الشّاهد القرآني والشّاهد من الحديث النّبوي الشّريف أكثرها حضورًا في الخطاب الحِجَاجِي الإبراهيمي؛مثلما عبّر عنه كلامه الذي حاول من خلاله،أن يقنع الأمّة الجزائريّة على الإنفاق تضامنًا مع إخوان لهم،حلَّت بهم كارثة طبيعيّة ليصوغ حُجَجَهُ مركّزًا على أولويّة رافد الشّاهد،عند قوله:

«أيّتها الأمّة الكريمة،إنّ إسعاف هؤلاء المنكوبين أمر أكيد يقتضيه منّا الدِّين وحقوق المواطن على مواطنه فلا يليق بأمّة تحترم نفسها وتحرص على أن يحترمها غيرها أن تغضَّ الطّرف عن قيامها بالواجب في مثل هذه المآسي التي يلِين لها الجماد.

وما دمتِ،أيّتها الأمّة مؤمنة بالقرآن الكريم فتذكّري قول **الله** تعالى:﴿**وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا**﴾،[المزّمل:20] و﴿**وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا**﴾،[المزّمل:20].

---

[1] سعيد علوش،**وظيفة الشّاهد الأدبي**،ضمن أعمال ندوة،البحث اللّساني والسّيميائي،مرجع سبق ذكره،ص213.

[2] طه عبد الرّحمان،في أصول الحوار وتجديد علم الكلام،مرجع سبق ذكره،ص47.

ومادمتِ تؤمنين بمحمّد ﷺ فتذكّري قوله ﷺ:"مثَلُ المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثلَ الجسَد إذا اشتكَى منه عضو تداعَى له سائر الجسد بالسّهر والحمّى"،وقوله:"من فرَّجَ عن مسلمٍ كُربَة فرَّجَ **الله** عنه كُربَةً من كُرَب يوم القيامة"،وقوله:من لا يَرحَم لا يُرحَم"».[1]

عدم امتلاك (الإبراهيمي) سلطة على الأمّة الجزائريّة،ومن منطلق سلطته الاجتماعيّة بصفته عالم دِيني وبما يمتلكه من مرجعيّة دينيّة،لجأ إلى نصوص قرآنيّة وأحاديث نبويّة تحثُّ على ما يجنيه المؤمن من أجر،بالصّدقة والتّعاون في الخير والتّراحم وتفريج كربات أخيه المسلم،وهذا في حدِّ ذاته،بحث من المرسل عن سلطة خارجيّة تُغنِي عن عدم امتلاكه سلطةً على المتلقّي.

لأنّ«المخاطَب أحيانًا لا يدرك ما في ذات الموضوع من خصائص،ومزايا،وثمرات؛فيصعب عليه أن يقتنع بأدلّة تستمدّ قوّتها من تلك الخصائص،فيُستعان على إقناعه بأمور خارجيّة؛هي عنده صادقة وهو لها مذعن فيبيّن له الخطيب أنّ تلك الأمور تؤيّده،وتحثّ على ما يدعو إليه؛فيُسَلِّم بما يقدَّم له من غير جدل ويذعن من غير نقاش؛لأنّ الأمر أحيلَ على ما هو عنده في مرتبة التّقديس».[2]

كما دمج (الإبراهيمي) في الفقرة الخطابيّة السّابقة،بين رافدين استقَى منهما قوالبه اللغويّة الجاهزة؛هما القرآن الكريم والحديث النّبوي الشّريف،نجده في موضع خطابي آخر يعتمد على رافدين آخرين؛هما النّص الشّعري والتّاريخ.

أي أنّه يدمج الشّاهد الشّعري بالشّاهد التّاريخي في الفقرة الحِجَاجِيَّة الواحدة؛كي يؤسّس بهما سُلَّمَه الحِجَاجِي ومنه الوصول إلى نتيجة حِجَاجِيّة يقنع بها المرسل إليه،مثلما أوردَه في صدد حديثه عن العِبَر التي لابدَّ للمسلم أن يستجليها من ذكرى غزوة بدر،بقوله:

«نعم كانت بدر موقعة حاسمة في تاريخ المسلمين كما كانت الوقائع الآنفة الذّكر في غالبها نصرًا مبينًا،وما كان الدِّين الإسلامي ليُبيحَ الحرب،وما كان ليحبّبها إلى النّفوس،بل يبشع بها وبمثيرها ولكنّه يحب السّلام،ويدعو إلى السّلام،إلا إذا اضطرّ إليها اضطرارًا ليدفع الشّر بالشّر،وهناك يخوضها المسلمون في غير هوادة حتّى إذا وضعتْ الحرب أوزارها رجعوا إلى البناء والتّعمير،ونشر العلم والعدالة والإخاء بين النّاس،وراحوا يصافون حتّى المحاربين المعتدين،وما أكثر هؤلاء وما أصدق قول الشّاعر الأوّل في هذا المعنى:

تَعْدُو الذِّئَابُ عَلَى مَنْ لَا كِلَابَ لَهُ وَتَتَّقِي صَوْلَةَ المسْتَأْسِدِ الحَامِي

وما أصدقَ قول حكيم العصر شوقي في نفس المعنى:

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج02،ص188.وقد رُوِيَ الحديث الأوّل،وفقَ اللّفظ ذاته؛ينظر:أبو الحسين مسلم بن الحَجَّاج،صحيح مسلم،مرجع سبق ذكره،ص1131.رقم الحديث [2586].وأمّا الحديث الثّاني،فقد رُوِيَ،بأنّ النَّبي (ﷺ)،قال: «من نفَّسَ عن مُؤمِنٍ كُربَةً من كُرَبِ الدُّنيَا نفَّسَ **الله** عنه كُربَةً من كُرَبِ يوم القيامة»،المرجع نفسه،ص1173.رقم الحديث [2698]. وبالنّسبة للحديث الثّالث،فهو قوله (ﷺ):«إنَّه مَن لا يَرحَمْ لَا يُرحَمْ»،المرجع نفسه،ص1023.رقم الحديث [2318].

[2] محمّد أبو زهرة،الخطابة "أصولها.تاريخها في أزهر عصورها عند العرب"،دار الفكر العربي،د ب؛ط02:1980م،ص41.

أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ صَلِفُوا وَتَاهُوا وَسَدُّوا البَابَ عَنَّا مُوصِدِينَا
وَلَوْ كُنَّا هُنَاكَ نَخُرُّ سَيفًا وَجَدْنَا عِنْدَهُمْ عَطْفًا وَلِينَا

هذه حقيقة الإسلام،وهذا هو التّاريخ الإسلامي فليقتدِ المسلمون،وليؤُوبُوا إلى **الله**،وليذكُروا بأيّامهم وليُقبلُوا على العلم».[1]

لاشكَّ أنّ (الإبراهيمي) استغلّ ذكرى غزوة بدر،من أجل أن يمرّر مجموعة من الرّسائل الإقناعيّة إلى مرسل إليه مخصوص؛فرمزيّة الشّاهد التّاريخي لها قوّة حِجَاجِيَّة متوسّطة،ولكنّها تضاعفت بتعزيز الشّاهد الشّعري،بوصفه «"قفلًا" يغلق الاستدلال في المداخلة ويعبّر عن رجحان الرّأي و"تمامه"».[2]

وقد استمد الشّاهد التّاريخي قوّته الإقناعيّة،من عدّة سِمات أو مواضع،من حيث:[3]

أ- إنّه واقعة تاريخيّة حدَثَت في الماضي؛وللواقعة قيمة حِجَاجِيَّة متَّفق عليها.

ب- إنّه واقعة سابقة،وهذه الأسبقيّة قيمة حِجَاجِيَّة وسِمَة تجعله مفضَّلًا عند السّامع بأن يملك سلطة عليه؛فقيمة الشّاهد التّاريخي ليست ذاتيّة ماثلة فيه؛بل هو مرتبط بالسّياق التّداولي الذي يخضع له؛فشاهد تاريخي واحد يمكن أن يحدث استجابات متباينة وتأويلات مختلفة من المتلقّي،بحسب ما يرُوم تحقيقه المحَاجِج من مقاصد حِجَاجِيَّة.

ج- ينطوي الشّاهد التّاريخي على قيمة حِجَاجِيَّة أخرى تتمثّل في سِمَة الاستباق وإمكانيّة الحدوث مرّة أخرى،فمبدأ التّكرير يمنحه القوّة الإقناعيّة.

وهذا ما يلخّصه المخطّط التالي:

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج02،ص300. وقد رُوِيَ البيتان في ديوان (أحمد شوقي)،بالصّيغة التّالية:

«أَتَعْلَمُ أَنَّهُمْ صَلِفُوا وَتَاهُوا وَصَدُّوا البَابَ عَنَّا مُوصِدِينَا؟
وَلَوْ كُنَّا نَخُرُّ هُنَاكَ سَيْفًا وَجَدْنَا عِنْدَهُمْ عَطْفًا وَلِينَا»

أحمد شوقي،ديوان شوقي؛شرح:أحمد محمّد الحوفي،ج01،نهضة مصر،الفجالة-القاهرة؛د ط:د ت)،ص262.

[2] عبد اللّطيف عادل،بلاغة الإقناع في المناظرة،مرجع سبق ذكره،ص241.

[3] ينظر:محمّد مشبال،في بلاغة الحِجَاج،مرجع سبق ذكره،ص87.

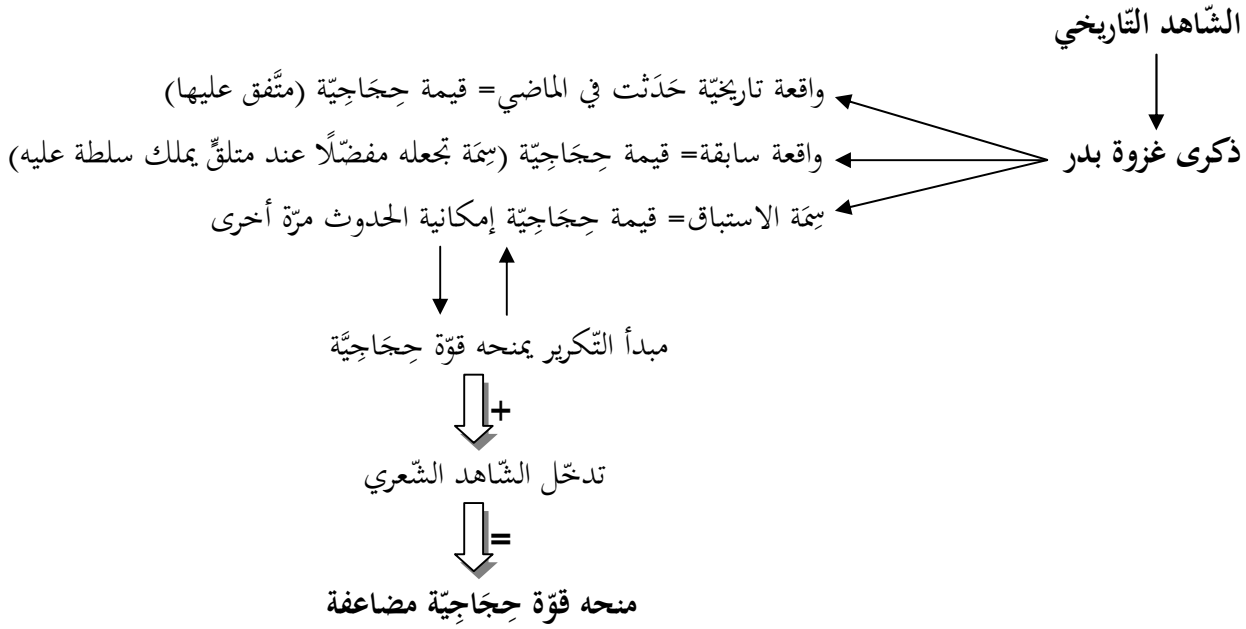

– مخطّط رقم50:يوضّح توظيف "الاستدلال بالشّاهد التّاريخي" في الخطاب الحِجَاجِي لدَى (الإبراهيمي)–

ليس في جميع المواضع الخطابيّة الحِجَاجِيّة،يمكن أن يستعمل فيها (الإبراهيمي) شاهدًا من رافدين أو أكثر؛بل قد يوظّف شَاهدًا واحدًا من رافد واحد فقط،يجعل منه الحُجَّة العليا في سُلَّم حِجَاجِي،كما ظهر لنا عند استخدامه لقالب لغوي كشاهد،هو في الأصل قول من الأثر،يُنسَبُ إلى (علي رضي **الله** عنه)،ليقنع المتلقّي بضرورة معرفة قيمته في هذه الحياة،ثم تجسيدها ميدانيًّا بالعمل،وهي النّتيجة الحِجَاجِيّة النّهائيّة التي يرومُها خطابه بشكل عام:
«عبادَ **الله** لو كانت كلمة الحكمة توازن بالذّهب،أو تقدّر بالمال والنّشب،لكانت كلمة علي بن أبي طالب هي تلك الكلمة،وفوقها قدرًا وقيمة تلك الحكمة التي ثقفتها الفكرة العالية،ومحّضتها الخبرة الرّاقية،وهي قوله–رضي **الله** تعالى عنه–:قيمة كل إنسان ما يحسنه"،بيّن لنا –رضي **الله** عنه– وهو مصدر البيان،وينبوع التّبيان،أنّ الأعمار هي الأعمال وبالإحسان فيها تتفاوت قيمة الرّجال،وأنّ ذلك لا يرجع إلى وزن بميزان،ولا كيل بقفزان،وإنّما هو عقل مفكّر ولسان متذكّر،ومن لا عمل له،فلا عمر له...».[1]

و"للمثَل" دور مهم في بناء السُّلَّم الحِجَاجِي،باعتباره مكوّنًا مهمّا من مكوّنات مصادر التّراث العربي،وبصفته أداة تعكس تجارب طويلة تشترك فيها الجماعة اللغويّة الواحدة،وهذا هو سرّ سلطته داخل الخطاب الحِجَاجِي،لهذا قال عنه (ابن وهب):«والمثل مقرون بالحُجَّة».[2]

دون أن ننسى؛بأنّه يظلّ رافدًا مهمّا من روافد الخطاب (الإبراهيمي) إجمالًا،وليس الخطاب الحَجَاجِي منه فحسب

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج01،ص64-65.

[2] إسحاق بن وهب،البرهان في وجوه البيان،مرجع سبق ذكره،ص118.

والدّليل على ذلك؛أنّ العديد من الآليّات التي سبق لنا دراستها عبر الاستراتيجيّات السّابقة،تعدّه أداة لغويّة فاعلة من بين الأدوات التي تنبني عليها،ولذا «فمن العبث الجزم بأنّ للإبراهيمي لغة واحدة،وأسلوبًا واحدًا،وسبيلًا متكرّرًا أو حتّى متقاربًا»[1] في جميع خطاباته.

ونقدّم في المقطع الخطابي التالي،كيفيّة توظيف "المثَل" في الخطاب الحِجَاجِي الإبراهيمي،في سياق حديثه عن حالة المرأة الجزائريّة إبّان الاحتلال الفرنسي،وما تطالبها به الحكومة الجزائريّة آنذاك،مصوّرًا تلك الحالة وفقَ الصّيغة الموالية: «المرأة الجزائريّة تَنتَحِب،والحكومة الجزائريّة تريد لها أن تَنتَخِب...والفرق بسيط،ما دام الفارق نقطة...وقَاتَلَ **الله** هذه الخاء،فما أعسرها في المخرج،وما أسعد من لا ينطق بالخاء...وصدق المثَل:عَسَى الغُويرُ أيؤسَا...».[2]

حمل هذا المقطع الخطابي،حُجَّة عليا جسّدها المثَل العربي الشّهير،في قالب تهكّمي.

وفيما يخص كيفيّة استعمال الطّريقة الثانية –أي الباطنة– من "التّناص"،في الخطاب الحِجَاجِي الإبراهيمي،نمثّل لها بنوعين فقط من "التّناص"؛الأوّل بما يعرف "بالتّناص الدِّيني"؛حيث تداخلت نصوصه بالنّص القرآني،ليعطي لنصّه سلطة داخليّة ومن ثم قوّة حِجَاجِيَّة،وهذا ما نجده في قوله:

«أيّها السّادة:لقد كان في تاريخ هذا الجامع عبرة لأولي الألباب،فهو يحدّثكم بالصّدق أنّ التّعاون يأتي بالعجائب وهو يحدّثكم أنّ الفئة القليلة تستطيع مع الصّبر والثّبات ومع الحكمة والنّظام أن تأتي ما هو شبيه بخوارق العادات وهو يحدّثكم أنّ الباطل لا يغلب الحقّ وإنْ تظاهر بأعوانه وتكاثر بإخوانه،وهو يريكم رأي العين كيف يعمل الفرد للجماعة،وكيف تعمل الجماعة للأمّة،وهو يحدّثكم أنّ في هذه الأمّة المسلمة المرزوءة في تربيتها وأخلاقها بقيّة خير لو أحسن أولُو الرّأي منها استغلاله،ولو جرَوا في التّصرّف فيه على السّداد لجاءوها بالخير العميم،ولمشَوا بها على الصّراط المستقيم».[3]

يظهر جليًّا كيف تداخلت نصوص الخطيب،مع نصوص قرآنيّة،بقوله:

- "لقد كان في تاريخ هذا الجامع عبرة لأولي الألباب" ← تناص مع قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ**﴾،[يوسف:111].
- "وهو يريكم رأي العين كيف يعمل الفرد للجماعة" ← تناص مع قوله تعالى: ﴿**...فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ**﴾،[آل عمران:13].
- "في هذه الأمّة المسلمة المرزوءة في تربيتها وأخلاقها بقيّة خير" ← تناص مع قوله تعالى: ﴿**بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ**﴾،[هود:86].

---

[1] عبد الجليل مرتاض،البنية اللّسانيّة في رسالة الضَّب،مرجع سبق ذكره،ص116.

[2] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج03،ص131. [كذَا في الأصل] والمثَل أصله،من قول (الزَبَّاء)؛حين قالت لقومها عند رجوع (قَصِير) من العراق ومعه الرّجال وبَاتَ بالغُوَير على طريقه:"عَسَى الغُوَيْرُ أَبْؤُسًا"؛أي لعلّ الشرَّ يأتيكم من قِبَلِ الغَار "الغُوَيْرُ:تصغير غَارْ،والأبؤُسْ:جمع بؤس،وهو الشّدّة"؛ينظر:أحمد النيسابوري الميداني،مَجمَع الأمثال،مرجع سبق ذكره،ج02،ص17.

[3] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج01،ص93.

- "ولمشوا بها على الصّراط المستقيم" ← تناص مع قوله تعالى:
﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾،[الفاتحة:06].﴿**وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾،[الصّافّات:118].

وفيما يخص كيفيّة توظيف،النوّع الثاني من"التّناص"،والذي يُعرَفُ بـ"التّناص التّاريخي"،نمثّل له بالخطاب التالي:
«وهي الآن تستغيث من داهيتين وتستجير من غائلتين،ولا ندري متى تُغاث،ولا في أيّ وقت تُجاب،هي تستغيث من داهية الحرب وتحكيم السَّيف في مواقع الخلاف،فمتى يقف عقلاء الأمُم بين الصَّفّين موقف دعاة التَّحكيم يوم صفّين ؟لا ندري،ولا ندري لماذا لا ندري».[1]

في سياق دفاع المرسل عن "الإنسانيّة"،دعّم حُجَجَهُ باستثمار تقنية "التّناص التّاريخي"،عند قوله:"فمتى يقف عقلاء الأمُم بين الصَّفّين موقف دعاة التَّحكيم يوم صفّين"،تناص مع أحداث"وقعة صِفِّيْن".[2]

وعليه يتّضح أنّه،مهما كان نوع التّناص الموظَّف في العمليّة الحِجَاجِيَّة؛فإنّه «ليس مجرّد عمليّة لغويّة مجّانيّة وإنّما له وظائف متعدّدة تختلف أهمّيةً وتأثيرًا بحسب مواقف المتناص ومقاصده».[3]

وممّا سبق تبيّن لنا؛أنّ الخطاب الحِجَاجِي الإبراهيمي يستقي نصوصه الاستدلاليّة،من ثراء الشّواهد اللغويّة[*]،والثَّريّة طبعًا بتنوّع روافدها،وذلك كلّه راجع إلى خصوصيّة المرجعيّات الخطابيّة التي تُنتَجُ منها لغة (الإبراهيمي):

تنوّع المرجعيّة الخطابيّة ← (يُنتِجُ) تنوّع الرّافد ← (يُنتِجُ) تنوّع الشّاهد **= تنوّع الحُجَج**.

وهناك صيغة أخرى للاستدلال النّصي،وهي استشهاد المخاطِب بنص لشاهد عيني،كما فعل ذلك (الإبراهيمي) حينما استشهد بكلام لمسؤول فرنسي مكلَّف بشؤون المسلمين في الجزائر،في صدد حديثه عن تدخّل فرنسا الاستعماريّة في تسيير المساجد،وتسخير بعض الأئمّة الجزائريّين يعملون لمصالحها،بقوله:
«ولكنّ هذه الحكومة الاستعماريّة الظّالمة المحاربة للإسلام مُصِرَّة على استخدام مساجدنا لإيواء الجواسيس الذين يخدمون الحكومة (كما شَهِدَ بذلك الأستاذ بيرك مدير الشّؤون الأهليّة سابقًا في مقال له منشور في مجلّة "البحر المتوسّط") لا لتخريج العلماء الذين ينفعون الأمّة».[4]

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج01،ص63.

[2] واقعة تاريخيّة اشتهرت في التّاريخ الإسلامي؛ينظر:ابن الأثير،الكامل في التّاريخ؛تح:أبي الفداء عبد **الله** القاضي،مج03،دار الكتب العلميّة،بيروت-لبنان؛ط01:1407هـ/1987م،ص161 وما بعدهَا.

[3] محمّد مفتاح،تحليل الخطاب الشّعري (استراتيجيّة التّناص)،المركز الثّقافي العربي،الدّار البيضاء-المغرب؛ط03:1992م،ص132.

[*] لا يمكننا أن ندرس جميع المصادر التي يستقي منها (الإبراهيمي) قوالبه اللّغويّة الجاهزة،ونُحيل إلى بحث تناول هذه القضايا بشيء من التّوسّع؛ينظر:محمّد بغالية،**حِجَاجيَّة الشّاهد والمثَل في أعمال الإبراهيمي**،رسالة ماجستير(غير منشورة)،جامعة أحمد بن بلة01؛ وهران:2014-2015م.

[4] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج02،ص446.وينظر في ذلك مقاله الآخر،الموسوم بـ:"وشَهِدَ شاهد،شهادة الشّيخ بيرك على"رجال الدِّين"،المصدر نفسه،ج03،ص.ص193-198.

استدلال المحَاجِج بنص الشّاهد العيني،قدّم دعمًا قويًّا لحُجَجِه،وخاصّة أنّه أشار إلى المصدر (المجلّة) الذي استقى منه النّص المستشهَد به.

3-6-3- الاستدلال المنطقي:

عندما يوجّه المرسل مجموعة من المطالب إلى المرسل إليه،كأن يشاركه أطروحته واعتقاده،أو أن يتبنَّى معه عملًا مَا فإنّ تلك المطالب لا تكتسي بالضّرورة «صبغة الإكراه،ولا تَدرُجُ على منهج القمع،وإنّما تتبّع في تحصيل غرضها سُبُلًا استدلاليّة متنوّعة»[1] ،مبنيّة على مبدإ المفاضلة والتّراتبيّة السُّلَّميّة؛كي تحمل المستهدَفَ من العمليّة الحِجَاجِيّة على الإذعان والإقتناع.

ولهذا نجد في الخطاب الحِجَاجِي الإبراهيمي،تنوّعًا في اختيار مسالك الاستدلال المنطقي بين مباشرة وغير مباشرة ليعرض آراءه وقناعاته الشّخصيّة،مثلما جاء به عرضه حول الفائدة المرجوّة من تأسيس الجمعيّات ونتائجها على المجتمعات والنّهضة العلميّة؛فالطرّح الذي تقدّم به كان خلال سنة "1929م"،بعدها بسنتين تأسّست جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين،ممّا يضعنا في السّياق؛أنّ خطابه هذا يندرج ضمن محاولاته التّمهيديّة المتكرّرة لترويج فكرة تأسيس جمعيّة إصلاحيّة في الجزائر تعمل على إحياء النّهضة العلميّة بها.

وبما أنّ القضيّة ذات أهميّة بمكان،والمتلقّي ذو خصوصيّة،صاغ (الإبراهيمي) حُجَجَه وفقَ الاستدلال المنطقي التالي: «...من اليوم الذي وُلِدَتْ فيه النّهضة العلميّة الجديدة،فهي مصاحبة للعلم في سَيره وتابعة له في أطواره،لكنّها بقيت مدّة من الزّمن وهي نظريّة في أذهان المفكّرين حتّى تقوّت الدّواعي على إبرازها لميدان العمل،وهي أوّل خطوة خطتها للأمام وأوّل بِشارة للقائمين على هذه المسألة والمتتبّعين لحركتها-بحياتها ووصولها يومًا ما إلى الدّرجة المطلوبة من الكمال،ومن رأيي الخاص أنّ الوصول إلى هذه الغاية ممكن ولكنّه بعيد.

من الدّلائل على نمو هذه الحركة وحياتها تأسيس الجمعيّات من عهد غير بعيد لمساعدة المنكوبين في هذه الحياة بلا ميز بين الجنسيّات والأديان[...].

هذه الجمعيّات التي ذكرتها لكم وهي قليل من كثير،كانت من أكبر العوامل في تآخي البشَر وتقرّب الشّعوب من بعضها ومن أقوى الأسباب في غلبة الاتّصال على الانفصال،والتّعارف على التّناكر والوفاق على الخلاف والاجتماع على الافتراق...».[2]

وتُعَدُّ تقنيّة "الاستنتاج"من أهم تقنيّات الاستدلال،بما أنّها «استنتاج قضيّة مجهولة من قضيّة أو عدّة قضايا معلومة».[3]

وإذا تتبّعنا المسالك التي يتّخذها الخطاب الحِجَاجِي الإبراهيمي،عند توظيفه لهذه التقنيّة،نجدها تنقسم إلى مسلكين:الأوّل مباشر (مصرَّح به)،والثاني غير مباشر (ضِمني).

---

[1] طه عبد الرّحمان،في أصول الحوار وتجديد علم الكلام،مرجع سبق ذكره،ص38.

[2] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج01،ص61.

[3] عبد الرّحمان حسن حبنّكة الميداني،ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة،مرجع سبق ذكره،ص149.

وتجسّد الفقرة الخطابيّة الموالية،النّوع الأوّل؛حينما قال (الإبراهيمي):

«يُستَنتَجُ من هذا الاضطراب المتدلِّي أنّه لو حبس رمضان ركائبه يومين آخرين واتّسع الوقت لبلاغ آخر لكان نصّه قريبًا من هذه الصّورة:(تعلن لجنة الأهلّة أنّها لا تعتمد إلّا على الرّؤية التي تثبَتُ في العاصمة وأحوازها...».[1]

بعد أن استقرَأَ المخاطِب،أسباب حدوث اضطراب في توحيد تاريخ أوّل يوم من شهر رمضان،خَلُصَ إلى استنتاج أخير سببه لجنة الأهلّة التّابعة للحكومة الجزائريّة في الفترة الاستعماريّة،وبهذا الاستنتاج وصل المرسل إلى استدلال منطقي حقّق به حُجَّةً كلّيّة،تحمل المتلقّي على الإذعان والإقتناع.

بينما تُظهِرُ لنا الفقرة التالية،كيفيّة توظيفه للنّوع الثاني في مقاله الموسوم بـ"أدعاية أم سعاية؟أم هما معًا؟"،والذي رافع من خلاله عن نفسه جرّاء تهمة ألصقتها به إحدى الجرائد؛بأنّه جمع زكاة الحبوب لفلسطين،بينما جمعها لفائدة الفقراء والمساكين والمشاريع العلميّة في الجزائر-بحسب ما ذكره في مقاله-:

«إنّ هذا الصّنيع من أصحاب "المغرب العربي" وباعته في حديثهم عن زكاة الحبوب وفلسطين- يلزمهم بواحد من اثنين ولا ثالث لهما،إمّا أنّهم يعتقدون حقًّا أنّ الحبوب تُجمَعُ لفلسطين،وعليه فَهُم أعداءٌ لفلسطين يصُدُّون النّاس عن إعانتها،وإمّا أنّهم يعلمون أنّها تُجمَعُ للعلم،وعليه فَهُم أعداءٌ للعلم يصُدُّون النّاس عن إعانته وإمداده،وأحد الأمرين لازم لهم لا يستطيعون عنه انفكاكًا».[2]

بعد أن استقرَأَ المرسل القضيّة من جميع جوانبها،وصل في الأخير إلى نتيجة حِجَاجِيَّة حتميّة تقوم على اختيارين لا ثالث لهما وكلاهما يرفع التّهمة عنه،ويجعل من خصمه المتّهم الوحيد،في نظر المتلقّي(الرّأي العام الجزائري)،وتبدو هذه المقصديّة الحِجَاجِيَّة التي يرومُ (الإبراهيمي) تحقيقها،من وراء هذا الخطاب.

3-6-4- الاستدلال القياسي:

مهما تنوّعت الصّيغة التّعبيريّة التي يمكن أن «يَرِدَ بها "القياس"-إن مقارنة أو تشبيهًا أو استعارة أو غيرها- فإنّه يقوم في الرّبط بين شيئين على أساس جملة من الخصائص المشتركة بينهما».[3]

فمن نماذجه في الخطاب الحِجَاجِي عند (الإبراهيمي)،ما دلَّت عليه الفقرة الخطابيّة التالية:

«أمّا البحث في أنواع العلوم التي تصلح لنهضتنا فهو معدود من لَغْوِ الحديث واحتياج الحي إلى العلم في هذا الزّمن أصبح قرين احتياجه إلى الطّعام».[4]

استندت حُجَجُ المخاطِب،على الاستدلال القياسي في صيغة تشبيه ضِمني،استدعته الخصائص المشتركة بين الحاجة إلى العلم والحاجة إلى الطّعام،وكأنّ بالمرسل يقول:"الحاجة إلى العلم كالحاجة إلى الطّعام".

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج02،ص410.

[2] المصدر نفسه،ص241.

[3] طه عبد الرّحمان،في أصول الحوار وتجديد علم الكلام،مرجع سبق ذكره،ص98.

[4] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج01،ص54.

ومن أمثلة الاستدلال القائم على المقارنة على سبيل المفاضلة؛حتّى يتم إقناع متلقٍّ مخصوص،هو ما خاطَب به (الإبراهيمي) المعلّمين المنتسِبين إلى جمعيّته،بقوله:

«أي أبنائي المعلِّمين:إنّكم في زمن،كراسي المعلِّمين فيه أجدَى على الأمُم من عروش الملوك،وأَعْوَدُ عليها بالخير والمنفعة،وكراسي المعلِّمين فيه أمنَعُ جانبًا وأعزُّ قبيلًا من عروش الملوك:فكَم عصَفت العواصف الفكريّة بالعروش،ولكنّها لم تعصف يومًا بكرسي المعلّم».[1]

فالاستدلال القائم على المقارنة المؤدّية إلى المفاضلة والتّحضيض،والمبنيّة في أساسها على أفعل التّفضيل،يُعَدُّ الآليّة الأنسَب التي لجأَ إليها المخاطِب في هذا السّياق،ليصل إلى نتيجة حِجَاجِيَّة نهائيّة وحتميّة،هي أنّ:

عروش الملوك مآلها الزّوال،وأمّا كراسي المعلِّمين فمآلها الدّيمومة والاستمراريّة.

وقد يتعمّق (الإبراهيمي) في طرح آرائه من مرسل إليه مخصوص إلى أخص منه،ففي الخطاب السّابق تعدّ نوعيّة العلاقة بين طرفي العمليّة الحِجَاجِيَّة،قائمة على المحور التّراتبي السّلَّمي.

بينما الخطاب التالي الذي أرسله (الإبراهيمي) إلى صديقه (إبراهيم الكتّاني)،نجد فيه علاقة أخرى غير الأولى،وهي علاقة قائمة على المحور التّكافؤي،في بُعده الحميمي؛لهذا نجده يستند في قياسه على نص شعري مادام المتلقّي من المنتسِبين إلى زمرة متذوّقي الأدب على الأقل،وفي ذلك قال:

«وكثيرًا ما أفكّر في قومي ويذهب بي التّفكير إلى أقصاه،فأجدهم كما قال ذو الزمة في وصف قبيلة تُعرَفُ بامرئ القيس: فَأَمْثَالُ أَخْلَاقِ امْرِئِ القَيْسِ أَنَّهَا صِلَابٌ عَلَى طُولِ الهَوَانِ جُلُودُهَا

فهذا من ذلك،وإذا طردنا القياس فما زال النّاس كالنّاس».[2]

نلاحظ كيف قاس المرسل حال القبيلة التي وصفها الشّاعر،بحال قومه في تلك الفترة.

فأهمّية القضيّة التي يريد (الإبراهيمي) مناقشتها،تقتضي منه في بعض الأحيان،إلى الجمع بين أكثر من آليّتين في مساحة لغويّة صغيرة،وهو ما نجده في ندائه الذي وجَّهَه إلى الشَّعب الجزائري إثرَ كارثة فياضانات ضربت إحدى مناطق الشّرق الجزائري،ليرتِّب حُجَجَهُ وفقَ التّسلسل الآتي:

«إذا أصُيبت الأمّة بكارثة من كوارث الزّمان وَوُجِدَ فيها من يتألّم لتلك الكارثة ويهتزُّ لها فذلك دليل قوي على حيويّة الأمّة ورشدها ومقياس صحيح لتقدّمها ونهوضها.

وهي بذلك تقيم،لأصدقائها وخصومها،البراهين القاطعة على أنّها خليقة بحرّيتها،جديرة بأن تتبوَّأَ مكانتها بين الأمم الحرّة».[3]

---

[1] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج02،ص112.

[2] المصدر نفسه،ص149.[كذَا في الأصل] يقصد "ذُو الرُّمَّة"،وقد رُوِيَ البيت،من [الطّويل]،وفقَ الصّيغة التّالية:

«وَأَمْثَالُ أَخْلَاقِ امْرِئِ القَيْسِ أَنَّهَا صِلَابٌ عَلَى طُولِ الهَوَانِ جُلُودُهَا»

غيلان بن عقبة ذُو الرُّمَّة،ديوان ذي الرُّمَّة؛اعتنى به وشرح غريبه:عبد الرّحمان المصطاوي،دار المعرفة،بيروت-لبنان؛ط01:1427هـ/2006م،ص83.

[3] البشير الإبراهيمي،الآثار،مصدر سبق ذكره،ج02،ص187.

حمل هذا الخطاب الحِجَاجِي،ثلاث آليّات شبه منطقيّة مرتّبة حسب قوّتها الحِجَاجِيَّة؛حيث بدأ مرسله بالاستدلال المنطقي ثم أتبَعه بالقياس الذي أردفه بالبرهان في الأخير،وهذا النّمط من الحِجَاج،هو الذّي سمّاه (طه عبد الرّحمان) بـ"الحِجَاج التّجريدي"[1] ؛إذ يبسّط المخطّط التّالي،الكيفيّة التي تمّ بها هذا التّوظيف:

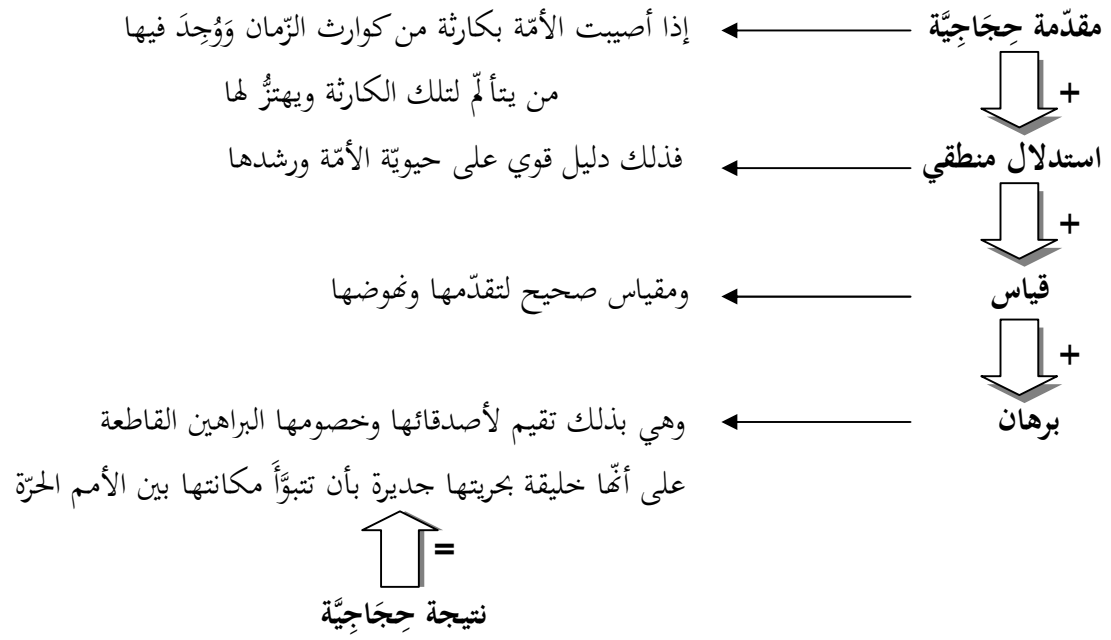

– مخطّط رقم51:يوضّح كيفيّة توظيف آليّة "الاستدلال" في الخطاب الحِجَاجِي لدَى (الإبراهيمي)–

[1] ينظر:"تعريفه لهذا النّمط الحِجَاجِي"،طه عبد الرّحمان،اللّسان والميزان أو التّكوثر العقلي،مرجع سبق ذكره،ص226.

خـــــاتمة

– خاتمة:

بعد الخوض في بعض المفاهيم والمصطلحات،التي لها علاقة مباشرة بالمقاربة التّداوليّة ومكانتها في تحليل الخطاب ثمّ البحث في مفهوم الاستراتيجيّة بوجه عام،والاستراتيجيّة الخطابيّة بوجه خاص،من خلال اكتشاف أهم أنواعها ومعايير تصنيفها،وكذا أهم العوامل المتدخّلة في انتقائها.

وبعد دراسة وتحليل مختلف الآليّات المستعمَلَة في خطاب (الإبراهيمي)،جسّدتها أربع استراتيجيّات خطابيّة،عمل على انتقائها والاستثمار فيها،بغية تحقيق مقاصد خطابيّة معيّنة.

وعليه،توصّل بحثنا إلى مجموعة من النّتائج،شكّلت في مجملها أجوبة على الإشكالات،التي طُرِحَتْ في المقدّمة لخّصناها في النّقاط الآتية:

1– إنّ مرسل أيَّ خطاب (مكتوب/شفهي)،لابدَّ وأنّه استحضر مجموعة من التّصوّرات الذّهنيّة،أدَّت إلى تفعيل إجراءات معيَّنة،وهي بدورها شكَّلَت في مجملها عمليّة تخطيط–سواء وعيها المرسل أم لا– خاضعة لعناصر سياقيّة تداوليّة،لها تأثيرها المباشر على لحظة إنتاج الخطاب،كما تتفاوت درجات توظيفها من مرسل لآخر،حسب قدرته التّواصليّة،والمقصديّة التي يودّ تحقيقها كل مرسل،زيادة على ذلك طبيعة السّلطة الحاضرة أثناء عمليّة التّلفّظ،وعليه تجتمع هذه العوامل كلّها؛كي تؤسِّس خطّة خطابيّة،يتَّكِئ عليها المرسل في مراحل تكوين خطابه،يُطلَقُ عليها عندئذٍ تسمية "الاستراتيجيّة الخطابيّة".

2– الاستراتيجيّة الخطابيّة،هي:عمليّة إنتاج خطاب،يعتمد فيها المرسل على تخطيط ذهني مسبق،ينعكس في اختيار المسلك الخطابي الأنسب،ويتجسّد في استثمار آليّات لغويّة وغير لغويّة معيّنة،بغية تحقيق أهداف ومقاصد معيّنة في ظلّ سياق تداولي معيَّن.

3– إنّ الاحتمالات المتعدّدة لاستثمار استراتيجيّة واحدة أو أكثر،تتحكّم فيها عناصر سياقيّة تداوليّة محدّدة؛إذ يمكن للمرسل،أن يستعمل مجموعة من الاستراتيجيّات المختلفة في خطاب واحد،أو ينتقي منها استراتيجيّة واحدة ويعمد إلى توظيفها في خطاب واحد أو أكثر.

4– بما أنّ المرسل،لا يستطيع أن يوظِّف كل الاستراتيجيّات الخطابيّة المتاحة،وجب عليه انتقاء استراتيجيّات معيّنة تَكُون هي الأعمّ والأشمل؛أي تُعَدُّ هي الاستراتيجيّات الرّئيسة،والأخرى تُعتَبَرُ إحدى آليّاتها وأدواتها اللّغويّة وغير اللّغويّة.

5– تصنّف الاستراتيجيّات الخطابيّة،تصنيفًا شاملًا،يحتكم إلى ثلاثة معايير واضحة المعالم:أوّلها،المعيار الاجتماعي: القائم على نوعيّة العلاقة بين طرفي الخطاب،والثّاني:معيار لغوي:قائم على شكل الخطاب من حيث لغته،وأمّا المعيار الثّالث؛فهو المعيار القائم على الهدف الذي يسعى الخطاب إلى تحقيقه.

6– يمكن القول؛إنّه وفقَ معيار الشّكل اللّغوي للخطاب،قد يتوفّر للمرسل استراتيجيّتان؛هما:

الاستراتيجيّة المباشرة،والاستراتيجيّة التّلميحيّة (غير المباشرة).

7- تبيّن لنا وجود الكثير من الأهداف الخطابيّة،التي يمكن أن يتوخّاها المرسل في خطابه،ومن أشهرها هدف الإقناع الذي يستلزم استراتيجيّة معيَّنة،يمكن أن نسمّيها بـ"استراتيجيّة الإقناع (الحِجَاج)"،والتي تختصّ ببعض آليّات اللّغة وأدواتها،وكذا بعض الآليّات المنطقيّة؛حيث تعوّل عليها كثير من الخطابات لتحقيق أهدافها النّفعيّة.

8- تتدخّل عوامل كثيرة في توجيه العمليّة التّخاطبيّة التّواصليّة إنتاجًا وتأويلًا،ولهذا ينتقي المرسل استراتيجيّة خطابيّة محدَّدة قبل وأثناء إنتاج خطابه،وتُعَدُّ مقصديّة الخطاب وسلطته،من أهم تلك العوامل تأثيرًا في عمليّة الانتقاء،وتليهما مرجعيّاته بأقل درجة منهما تأثيرًا.

9- يؤدّي دور السّلطة في تأطير طبيعة العلاقة الاجتماعيّة التي تربط بين طرفي الخطاب،إلى اختيار الاستراتيجيّة الخطابيّة الملائمة التي تجسّد تلك العلاقة،وبما أنّه يتفرّع عن اعتبار هذا العامل من النّاحية الاجتماعيّة استراتيجيّتان هما:الاستراتيجيّة التّضامنيّة،والاستراتيجيّة التّوجيهيّة،فإنّه يربط كثير من الباحثين بين استعمال إحداهما من جهة وبين توفّر السّلطة عند المرسل من جهة أخرى.

10- وظّف خطاب (الإبراهيمي)،أربعة أنواع من الاستراتيجيّات الخطابيّة،هي:الاستراتيجيّة التّضامنيّة،والاستراتيجيّة التّوجيهيّة،والاستراتيجيّة الإقناعيّة (الحِجَاجِيَّة)،والاستراتيجيّة التّلميحيّة،ولكل واحدة منها آليّاتها الخاصّة بها.

11- في بعض السّياقات التّداوليّة،قد يستمدّ خطاب (الإبراهيمي)،سلطته من شخصيّة مرسله،بصفته عالما دينيًّا صاحب دعوة إصلاحيّة،وفي سياقات أخرى،يمكن أن يستمدّ سلطته،بصفته رئيس"جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين" ورئيس تحرير جريدة "البصائر".

12- قد ينتقي (الإبراهيمي) – في بعض السّياقات التّداوليّة الخاصّة- استراتيجيّات خطابيّة محدَّدة،تحت مسمّى "المسالك"،ويوظّفها في خطاباته،بناءً على عناصر سّياقيّة تّداوليّة متغيّرة،وعليه يمكننا القول:إنّه كان يَعِي مفهوم الاستراتيجيّة الخطابيّة،بصفتها خطّة يعتمد عليها في تأسيس خطاباته؟.

13- تنوّعت العوامل المتدخّلة في انتقاء الاستراتيجيّة الخطابيّة لدى (الإبراهيمي)،بين المقصديّة والسّلطة والمرجعيّة،وقد تباينت في تأثيرها على عمليّة الانتقاء عنده،وفقَ خصوصيّة العناصر السّياقيّة التّداوليّة التي يستدعيها كل خطاب لوحده؛لهذا قد نجد في الخطاب الواحد توظيف استراتيجيّة خطابيّة واحدة،أو أكثر.

14- خطاب (الإبراهيمي)،هو خطاب متفلِّت،يصعب حصره في شكل خطابي واحد،أو استراتيجيّة خطابيّة واحدة.

15- شكّل التّناص الدِّيني،سِمَةً بارزةً من سِمَات خطاب (الإبراهيمي)،بناءً على خصوصيّة المرجعيّة الدِّينيّة التي يكتسبها مرسله.

وفي الأخير:هذا ما تيسّر لنا إعداده،وتهيّأ لنا إيراده وأعاننا الله على قوله،والصّلاة والسّلام على محمّد وعلى آله وأصحابه،...وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

مستخلص البحث

باللّغتين:العربيّة والإنجليزيّة

1- مستخلص البحث باللّغة العربيّة:

لا شكّ أنّ،خطابات (محمّد البشير الإبراهيمي)-على تنوّعها- هي خطابات مبنيّة في الأصل،على عدّة استراتيجيّات خطابيّة،جسّدها توظيف آليّات معيّنة،من أجل تحقيق مقاصد خطابيّة معيّنة،أملَتها سياقات تداوليّة محدّدة ومتغيّرة،انعكست في تعدّد موضوعاتها،وفي تنوّع أشكالها الخطابيّة.

وبناءً عليه،اعتمد بحثنا على المقاربة التّداوليّة بما تمتلكه من إجراءات تحليليّة،بُغيَة دراسة وتحليل مختلف الاستراتيجيّات الخطابيّة التي وظّفها (الإبراهيمي) في آثاره،بما احتوته من خطابات (شفويّة،ومكتوبة)،وبما يمتلكه من قدرة تواصليّة ومقاصد خطابيّة،بالإضافة إلى نوعيّة سلطته،وخصوصيّة مرجعيّاته الخطابيّة.

- الكلمات المفتاحيّة:

استراتيجيّات خطابيّة - آثار محمّد البشير الإبراهيمي- مقاربة تداوليّة.

2- مستخلص البحث باللّغة الإنجليزيّة:

- Abstract:

No doubt that Sheikh Muhammad Al-Bachir Al-Ibrahimi discourse built on different strategies, these strategies seemed via specific mechanisms for reaching special speech aims.

Specific mechanisms used by Sheikh Al-Ibrahimi are coming from the pragmatics context based on several topics and discourse forms.

Depending on the former ideas; we searched about the pragmatics approach (and its analytic procedures) to study and analyze the different discourse strategies used by Sheikh Al-Ibrahimi in his works (Written and audible).

In addition of his communicative skills and discourse aims; Sheikh Al-Bachir Al-Ibrahimi has featured power and outstanding discourse references.

- key words:

Discourse strategies -The Works of Mohamed El-Bashir El-Brahimi - Pragmatics approach.

قائمـــــــة

مصادر البحث ومراجعه

– قائمة مصادر البحث ومراجعه:

– القرآن الكريم،برواية حفص عن عاصم.

1– المصادر والمراجع العربيّة:

1–أ– المصادر:

– الإبراهيمي محمّد البشير:

1– آثار الإمام محمّد البشير الإبراهيمي،جمع وتقديم:أحمد طالب الإبراهيمي،05 أجزاء،دار الغرب الإسلامي، بيروت–لبنان؛ط01:1997م،وعن دار الوعي،رويبة–الجزائر؛ط05:2016م.

– الشّهري عبد الهادي بن ظافر:

2– استراتيجيّات الخطاب "مقاربة لغويّة تداوليّة"،جزءان،دار كنوز المعرفة،عمّان–الأردن؛ط02:1436هـ/2015م.

1–ب– المراجع:

– إبراهيم حافظ:

1– ديوان حافظ إبراهيم؛ضبط وتصحيح:أحمد أمين وآخران،الهيئة المصريّة العامّة للكتاب،القاهرة–مصر؛ط03: 1987م.

– أحمد بدوي أحمد:

2– من بلاغة القرآن،نهضة مصر للنّشر،الجيزة–مصر؛د ط:2005م.

– أدراوي العياشي:

3– الاستلزام الحواري في التّداول اللّساني "من الوعي بالخصوصيّات النّوعيّة للظّاهرة إلى وضع القوانين الضّابطة لها"،دار الأمان،الرّباط،المغرب؛ط01:1432هـ/2011م.

– إسحاق بن إبراهيم بن سليمان أبو الحسين"ابن وهب":

4– البرهان في وجوه البيان؛تقديم وتحقيق:حفني محمّد شرف،مكتبة الشّباب،مصر؛د ط:1969م.

– الأفغاني سعيد:

5– الموجَز في قواعد اللّغة العربيّة،دار الفكر،د ب؛د ط:د ت.

– آل خليفة محمّد العيد:

6– ديوان محمّد العيد آل خليفة،دار الهدى،عين مليلة–الجزائر؛د ط:2010م.

– الآمدي علي بن محمّد:

7– الإحكام في أصول الأحكام؛تعليق:عبد الرزّاق عفيفي،ج01،دار الصميعي،الرّياض–السّعودية؛ط01:1424هـ/ 2003م.

– الأندلسي أبو حيّان:

8– ارتشاف الضّرب من لسان العرب؛تح:رجب عثمان محمّد،ومراجعة:رمضان عبد التوّاب،مكتبة الخانجي،القاهرة–مصر؛ط01:1420هـ/1998م.

– الأندلسي أحمد بن محمّد بن عبد ربّه:

9– العقد الفريد؛تح:عبد المجيد التَرحيني،ج04/05/07،دار الكتب العلميّة،بيروت–لبنان؛ط01:1404هـ/1983م.

– أنيس إبراهيم:

10– في اللّهجات العربيّة،مكتبة الأنجلو المصريّة–القاهرة،مصر؛ط03:د ت.

– الإيَادِي أبو دَواد:

11– ديوان أبي دَوادِ الإيَادِي؛جمع وتحقيق:أنوار محمود الصّالحي وأحمد هاشم السّامرّائي،دار العصماء،دمشق–سورية؛ط01:1431هـ/2010م.

– آيت أوشان علي:

12– السّياق والنّص الشّعري من البنية إلى القراءة،دار الثّقافة،الدّار البيضاء–المغرب؛ط01:1421هـ/2000م.

– الباجي أبو الوليد:

13– المنهَاج في ترتيب الحِجَاج؛تح:عبد المجيد تركي،دار الغرب الإسلامي،بيروت–لبنان؛ط03:2001م.

– بازّي محمّد:

14– صناعة الخطاب"الأنساق العميقة للتّأويليّة العربيّة"،دار كنوز المعرفة،عمّان–الأردن؛ط01:1436هـ/2015م.

– البُحتُرِي أبو عبادة الوليد بن عُبَيد:

15– ديوان البُحتُرِي؛تحقيق وشرح وتعليق:حسن كامل الصّيرفي،05 مجلّدات،دار المعارف،القاهرة–مصر؛ط02: 1964م.

– بحيري حسن:

16– علم لغة النّص المفاهيم والاتّجاهات،الشّركة المصريّة العالميّة للنّشر،الجيزة–مصر؛ط01:1997م.

– البخاري أبو عبد الله محمّد بن إسماعيل:

17– صحيح البخاري،دار ابن كثير،دمشق–سورية؛ط01:1463هـ/2002م.

– بدوح حسن:

18– المحاورة"مقاربة تداوليّة"،عالم الكتب الحديث،إربد–الأردن؛ط01:2012م.

– براهمي إبراهيم:

19– استيراتيجيّات الخطاب في رواية الثّلاثة للبشير الإبراهيمي،منشورات بونة للبحوث والدّراسات،عنابة–الجزائر؛ ط01:2013م.

– البُعزّاتي بناصر:

20– الصّلة بين التّمثيل والاستنباط،ضمن كتاب،التّحَاجُج"طبيعته،مجالاته،وظائفه وضوابطه،إعداد مجموعة من الباحثين،كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة،الرّباط–المغرب؛ط01:1427هـ/2006م.

– بن مالك رشيد:

21– قاموس مصطلحات التّحليل السّيميائي للنّصوص (عربي– انجليزي– فرنسي)،دار الحكمة–الجزائر؛د ط: 2000م.

– بنو هاشم الحسين:

22– نظريّة الحِجَاج عند شاييم بيرلمان،دار الكتاب الجديد المتّحدة،بيروت–لبنان؛ط01:2014م.

– بهاء الدّين عبد الله بن عقيل:

23– شرح ابن عقيل على ألفيّة ابن مالك،ج02/01،دار التّراث،القاهرة–مصر؛ط20:1400هـ/1980م.

– بوجادي خليفة:

24– في اللّسانيّات التّداوليّة مع محاولة تأصيليّة في الدّرس العربي القديم،بيت الحكمة،العلمة–الجزائر؛ط01:2009م.

– البوشيخي عزّ الدّين:

25– التّواصل اللّغوي"مقاربة لسانيّة وظيفيّة"،مكتبة لبنان ناشرون،بيروت–لبنان؛ط02:2012م.

– بوقرورة عمر أحمد:

26– بناء النّسق الفكري عند محمّد البشير الإبراهيمي "قراءة في ظل البنية والمتغيّر"،دار الهدى،عين مليلة–الجزائر؛د ط:د ت.

– التركي بشير:

27– رائد الجهاد الإمام الشّيخ البشير الإبراهيمي،ضمن كتاب،الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي بأقلام معاصريه،دار الأمّة–الجزائر؛ط02:1433هـ/2012م.

– الجابري محمّد عابد:

28– الخطاب العربي المعاصر"دراسة تحليليّة نقديّة"،مركز دراسات الوحدة العربيّة،بيروت–لبنان؛ط05:1994م.

– الجاحظ أبو عثمان بن عمرو بن بحر:

29– البيان والتّبيين؛تح:عبد السّلام هارون،ج01،مكتبة الخانجي،القاهرة–مصر؛د ط:د ت.

– الجرجاني أبو العباس أحمد بن محمّد:

30– المنتخَب من كنايات الأدباء وإشارات البلغاء؛تصحيح:محمّد بدر الدّين النعساني،د د ن،مصر؛ط01: 1326هـ/1908م.

– الجرجاني أبو بكر عبد القاهر:

31– دلائل الإعجاز؛قرأه وعلّق عليه:أبو فهر محمود محمّد شاكر،مكتبة الخانجي،القاهرة–مصر؛ط05:2004م.

32– ـــــــــــ،أسرار البلاغة؛تح:محمود محمّد شاكر،دار المدني،القاهرة–مصر؛د ط:د ت.

– جمال الدِّين محمّد بن مكرم أبي الفضل"ابن منظور":

33– مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر؛تح:رياض عبد الحميد مراد،ج03،دار الفكر،دمشق–سورية؛ط01:1404هـ /1984م.

34– ـــــــــــ،لسان العرب،مج07/01،دار صادر،بيروت–لبنان؛د ط:د ت.

– الجوهري إسماعيل بن حمّاد:

35– الصِّحاح" تاج اللغة وصِحَاح العربيّة"؛تح:أحمد عبد الغفور عطّار،ج03/01،دار العِلم للملايين،بيروت–لبنان؛ط04:1990م.

– حرب علي:

36– نقد النّص،المركز الثّقافي العربي،الدّار البيضاء–المغرب؛ط04:2005م.

– حسن عبّاس:

37– النّحو الوافي،ج04/01،دار المعارف،القاهرة–مصر؛ط03:1974م.

– حمّو الحاج ذهبيّة:

38– لسانيّات التّلفّظ وتداوليّة الخطاب،دار الأمل،تيزي وزو–الجزائر؛ط02:2012م.

39– ـــــــــــ،في قضايا الخطاب والتّداوليّة،دار كنوز المعرفة،عمّان–الأردن؛ط01:1437هـ/2016م.

– الحميري عبد الواسع:

40– ما الخطاب وكيف نحلّله؟،مجد المؤسّسة الجامعيّة للدّراسات،بيروت–لبنان؛ط02:1435هـ/2014م.

41– ـــــــــــ،الخطاب والنّص"المفهوم.العلاقة.السّلطة"،مجد المؤسّسة الجامعيّة للدّراسات،بيروت–لبنان؛ط02: 1435هـ/2014م.

– خطّابي محمّد:

42– لسانيّات النّص مدخل إلى انسجام الخطاب،المركز الثّقافي العربي،الدّار البيضاء–المغرب؛ط01:1991م.

– خليل عبد النّعيم:

43– نظريّة السّياق بين القدماء والمحدَثين "دراسة لغويّة نحويّة دلاليّة"،دار الوفاء،الإسكندريّة–مصر؛ط01:2007م.

– الدّريدي سامية:

44– الحِجَاج في الشّعر العربي بنيته وأساليبه،عالم الكتب الحديث،إربد–الأردن؛ط02:1432هـ/2011م.

– الدِّمَشقِي الوَأوَاء:

45– ديوان الوَأوَاء الدِّمَشقِي؛تح:سامي الدّهان،دار صادر،بيروت–لبنان؛ط02:1414هـ/1993م.

– الذَّهبي شمس الدِّين محمّد بن أحمد بن عثمان:

46– سِيَر أعلام النّبلاء؛تح:بشّار عوّاد معروف ومحيي هلال السّرحان،ج21،مؤسّسة الرّسالة،بيروت–لبنان؛ط11: 1417هـ/1996م.

– الرّاجحي عبده:

47– اللّغة وعلوم المجتمع؛قرأه:محمود الجيار،دار الصّحابة للتّراث،طنطا–مصر؛ط01:1434هـ/2013م.

– ركيبي عبد الله:

48– تطوّر النّثر الجزائري الحديث "1830–1974"،دار الكتاب العربي،القبّة–الجزائر؛ط02:د ت.

– الزحيلي محمّد مصطفى:

49– القواعد الفقهيّة وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة،ج01،دار الفكر ،دمشق–سورية؛ط03:1430هـ/2009م.

– الزّناد الأزهر:

50– نسيج النّص"بحث في ما يكون به الملفوظ نصًّا"،المركز الثّقافي العربي،بيروت–لبنان؛ط01:1993م.

– زَنْد بن الجَوْن أبُو دُلَامَة:

51– ديوان أبي دُلَامَة؛شرح وتحقيق:إميل بديع يعقوب،دار الجيل،بيروت–لبنان؛ط01:1414هـ/1994م.

– زهير بن أبي سُلْمَى:

52– ديوان زهير بن أبي سُلْمَى؛شرح وتقديم:علي حسن فاعور،دار الكتب العلميّة،بيروت–لبنان؛ط01:1408هـ /1988م.

– سانو قطب مصطفى:

53– معجم مصطلحات أصول الفقه (عربي–إنكليزي)،دار الفكر،دمشق–سورية؛ط01:1420هـ/2000م.

– السدّ نور الدّين:

54– الأسلوبيّة وتحليل الخطاب"دراسة في النّقد العربي الحديث الأسلوبيّة والأسلوب"،ج01،دار هومه،الجزائر العاصمة–الجزائر؛د ط:د ت.

– سعد الله أبو القاسم:

55– تاريخ الجزائر الثّقافي،ج05 "1830–1954"،دار الغرب الإسلامي،بيروت–لبنان؛ط01:1998م.

– السّعران محمود:

56– اللّغة والمجتمع "رأي ومنهج"،د د ن،الإسكندريّة–مصر؛ط02:1963م.

– سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر:

57– الكتاب"كتاب سيبويه"؛تح:عبد السّلام محمّد هارون،ج02،مكتبة الخانجي،القاهرة–مصر؛ط03:1408هـ /1988م.

– السيساوي يوسف:

58– الإشاريّات مقاربة تداوليّة،ضمن كتاب،التّداوليّات علم استعمال اللّغة؛تنسيق وتقديم:حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث،إربد–الأردن؛ط02:2014م.

– السَّيوطي جلال الدّين عبد الرّحمان بن أبي بكر:

59– الأشباه والنّظائر في النّحو؛تح:إبراهيم محمّد عبد **الله**،ج03،مطبوعات مجمع اللّغة العربيّة بدمشق،سورية؛د ط:1407هـ/1987م.

60– ـــــــــــ،همع الهوامع في شرح جمع الجوامع؛تح:أحمد شمس الدّين،ج01،دار الكتب العلميّة،بيروت–لبنان؛ ط01:1418هـ/1998م.

– الشريشي أبو العبّاس أحمد:

61– شرح مقامات الحريري؛تح:محمّد أبو الفضل إبراهيم،ج02،المكتبة العصريّة،بيروت–لبنان؛د ط:1413هـ/ 1992م.

– شوقي أحمد:

62– ديوان شوقي؛شرح:أحمد محمّد الحوفي،ج01،نهضة مصر،الفجالة–القاهرة؛د ط:د ت.

– صحراوي مسعود:

63– التّداوليّة عند العلماء العرب،دراسة تداوليّة لظاهرة "الأفعال الكلاميّة" في التّراث اللّساني العربي،دار الطّليعة، بيروت–لبنان؛ط01:2005م.

– صليبا جميل:

64– مقتطفات من مذكّرات الدّكتور جميل صليبا عن الشّيخ الإبراهيمي،ضمن كتاب الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي بأقلام معاصريه،دار الأمّة–الجزائر؛ط02:1433هـ/2012م.

– صمّود حمادّي:

65– مقدّمة في الخلفيّة النّظريّة للمصطلح،ضمن كتاب،أهم نظريّات الحِجَاج في التّقاليد الغربيّة من أرسطو إلى اليوم ،إعداد مجموعة من الباحثين؛إشراف:حمادّي صمّود،كليّة الآداب،منّوبة–تونس؛د ط:د ت.

– صولة عبد الله:

66– في نظريّة الحِجَاج دراسات وتطبيقات،مسكيلياني للنّشر،تونس؛ط01:1432هـ/2011م.

67– ـــــــــــ،الحِجَاج:أُطُرُهُ ومنطلقاته وتقنيّاته من خلال "مصنَّف في الحِجَاج،الخطابة الجديدة"لبرلمان وتيتيكان ضمن كتاب،أهم نظريّات الحِجَاج في التّقاليد الغربيّة من أرسطو إلى اليوم،إعداد مجموعة من الباحثين؛إشراف:حمادّي صمّود،كليّة الآداب،منّوبة–تونس؛د ط:د ت.

– الطّائّي أبو تمّام حبيب بن أوس:

68– ديوان أبي تمام؛شرح الخطيب التّبريزي؛تح:محمّد عبده عزّام،مج03،دار المعارف،القاهرة–مصر؛ط04:د ت.

– طَرَفَة بن العَبْد:

69– ديوان طَرَفَة بن العَبْد؛اعتنى به:حمدو طمّاس،دار المعرفة،بيروت–لبنان؛ط01:1424هـ/2003م.

– طروس محمّد:

70– النّظريّة الحِجَاجِيَّة من خلال الدّراسات البلاغيّة والمنطقيّة واللّسانيّة،دار الثّقافة،الدّار البيضاء–المغرب؛ط01: 1426هـ/2005م.

– عادل عبد اللّطيف:

71– بلاغة الإقناع في المناظرة،دار الأمان،الرّباط–المغرب؛ط01:1434هـ/2013م.

– عبد الحميد شاكر:

72– الفكاهة والضّحك"رؤية جديدة"،سلسلة عالم المعرفة،المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب،الكويت؛رقم: 289،د ط:1423هـ/2003م.

– عبد الرّحمان طه:

73– اللّسان والميزان أو التّكوثر العقلي،المركز الثّقافي العربي،الدّار البيضاء–المغرب؛ط01:1998م.

74– ـــــــــــــ،في أصول الحوار وتجديد علم الكلام،المركز الثّقافي العربي،الدّار البيضاء–المغرب؛ط02:2000م.

– عبد الملك أبو محمّد "ابن هشام":

75– السّيرَة النّبويّة؛علّق عليها،وخرّج أحاديثها،عمر عبد السّلام تدمري،ج04/02،دار الكتاب العربي،بيروت– لبنان؛ط03:1410هـ/1990م.

– عَبْدُ بَنِي الحَسْحَاسْ سُحَيْمْ:

76– ديوان سُحَيْمْ عَبْدُ بَنِي الحَسْحَاسْ؛تح:عبد العزيز الميمني،دار الكتب المصريّة،القاهرة–مصر؛د ط:1369هـ /1950م.

– العبد محمّد:

77– النّص والخطاب والاتّصال،الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي؛د ط:د ت.

– العدوي أبو عبد الله مصطفى:

78– أدب التّخاطب،دار الأندلس الخضراء،جدّة–السّعوديّة؛ط01:1420هـ/1999م.

– العزّاوي أبو بكر:

79– اللّغة والحِجَاج،الدّار البيضاء–المغرب؛ط01:1426هـ/2006م.

– العسكري أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل:

80– كتاب الصّناعتين الكتابة والشّعر؛تح:علي محمّد البجاوي ومحمّد أبو الفضل إبراهيم،دار إحياء الكتب العربيّة، مصر؛ط01:1371هـ/1952م.

81- ـــــــــــــ، كتاب جمهرة الأمثال؛ضبط وتنسيق:أحمد عبد السّلام،وخرّج أحاديثه:محمّد سعيد زغلول، ج02، دار الكتب العلميّة،بيروت-لبنان؛ط01:1408هـ/1988م.

- العشي عبد الله:

82- زحام الخطابات"مدخل تصنيفي لأشكال الخطابات الواصفة"،دار الأمل،تيزي وزو-الجزائر؛د ط:د ت.

- عشير عبد السّلام:

83- عندما نتواصل نغيِّر"مقاربة تداوليّة لآليّات التّواصل والحِجَاج"،إفريقيا الشّرق-المغرب؛ط01:2006م.

- علي أبو الحسن "ابن الأثير":

84- الكامل في التّاريخ؛تح:أبي الفداء عبد **الله** القاضي،مج03،دار الكتب العلميّة،بيروت-لبنان؛ط01:1407هـ/ 1987م.

- عمر أحمد مختار:

85- علم الدّلالة، ج01،عالم الكتب،القاهرة-مصر؛ط05:1998م.

- العمري محمّد:

86- البلاغة الجديدة بين التّخييل والتّداول،أفريقيا الشّرق،الدّار البيضاء-المغرب؛ط02:2012م.

- عيّاشي منذر:

87- الأسلوبيّة وتحليل الخطاب،المركز الإنماء الحضاري،حلب-سورية؛ط01:2002م.

- الغلاييني مصطفى:

88- جامع الدّروس العربيّة، ج03/01،المكتبة العصريّة،صَيدَا-لبنان؛ط28:1414هـ/1993م.

- الغويل المهدي إبراهيم:

89- السّياق وأثره في المعنى"دراسة أسلوبيّة"،أكاديميّة الفكر الجماهيري،بنغازي-ليبيا؛د ط:2011م.

- غيلان بن عقبة ذو الرُّمَّة:

90- ديوان ذي الرُّمَّة؛اعتنى به وشرح غريبه:عبد الرّحمان المصطاوي،دار المعرفة،بيروت-لبنان؛ط01:1427هـ /2006م.

- الفرزدق همام بن غالب بن صعصعة:

91- ديوان الفرزدق؛شرح وضبط وتقديم:علي فاعور،دار الكتب العلميّة،بيروت-لبنان؛ط01:1407هـ/1987م.

- الفضل بن قدامة (العِجْلِي أبُو النَّجْمْ):

92- ديوان أبي النَّجْمْ العِجْلِي؛جمع وشرح وتحقيق:محمّد أديب عبد الواحد حجران، مطبوعات مجمع اللّغة العربيّة بدمشق،سورية؛د ط:1427هـ/2006م.

- فهد صالح شاهين أحمد:

93- النّظريّة التّداوليّة وأثرها في الدّراسات النّحويّة المعاصرة،عالم الكتب الحديث،إربد-الأردن؛ط01:2015م.

– فيصل شكري:

94– قضايا الفكر في آثار الإبراهيمي،ضمن كتاب الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي بأقلام معاصريه،دار الأمّة–الجزائر؛ط02:1433هـ/2012م.

– القارصي محمّد علي:

95– البلاغة والحِجَاج من خلال نظريّة المساءلة لميشال ميار،ضمن كتاب،أهم نظريّات الحِجَاج في التّقاليد الغربيّة من أرسطو إلى اليوم،إعداد مجموعة من الباحثين؛إشراف:حمادّي صمّود،كليّة الآداب،منّوبة–تونس؛د ط:د ت.

– كيليطو عبد الفتّاح:

96– الأدب والغرابة"دراسات بنيويّة في الأدب العربي"،دار توبقال،الدّار البيضاء–المغرب؛ط03:2006م.

– لعرج المهدي:

97– المدخل إلى دراسة الأرجوزة العربيّة،أفريقيا الشّرق،الدّار البيضاء–المغرب؛د ط:2011م.

– المبخوت شكري:

98– نظريّة الحِجَاج في اللّغة،ضمن كتاب،أهم نظريّات الحِجَاج في التّقاليد الغربيّة من أرسطو إلى اليوم،إعداد مجموعة من الباحثين؛إشراف:حمادّي صمّود،كليّة الآداب،منّوبة–تونس؛د ط:د ت.

– المبرّد أبو العبّاس محمّد بن يزيد:

99– المقتضب؛تح:محمّد عبد الخالق عضيمة،ج03،لجنة إحياء التّراث الإسلامي،وزارة الأوقاف،مصر؛ط03: 1415هـ/1994م.

– المتنبّي أبو الطيّب أحمد بن الحسين:

100– ديوان المتنبّي،دار بيروت للطّباعة والنّشر،بيروت–لبنان؛د ط:1403هـ/1983م.

– المتوكّل أحمد:

101– آفاق جديدة في نظريّة النّحو الوظيفي،منشورات كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة،سلسلة بحوث ودراسات رقم05،جامعة محمّد الخامس،الرّباط–المغرب؛ط01:1993م.

102– ـــــــــــ،قضايا اللّغة العربيّة في اللّسانيّات الوظيفيّة "بنية الخطاب من الجملة إلى النّص"،دار الأمان، الرّباط–المغرب؛د ط:2001م.

103– ـــــــــــ،الوظيفيّة بين الكلّيّة والنّمطيّة،دار الأمان،الرّباط–المغرب؛ط01:1424هـ/2003م.

104– ـــــــــــ،المنحى الوظيفي في الفكر اللّغوي العربي"الأصول والامتداد"،دار الأمان،الرّباط–المغرب؛ط01: 1427هـ/2006م.

105– ـــــــــــ،الخطاب وخصائص اللّغة العربيّة"دراسة في الوظيفة والبنية والنّمط"،دار الأمان،الرّباط–المغرب؛ ط01:1431هـ/2010م.

– مجموعة من المؤلّفين:

106– القاموس (فرنسي– عربي)،دار الكتب العلميّة،بيروت–لبنان؛ط02:1424هـ/2004م.

– مجموعة من المؤلّفين:

107– المعجم الوسيط،مكتبة الشّروق الدّوليّة،مصر؛ط04:1425هـ/2004م.

– محمّد فهمي عبد القادر:

108– المدخل في دراسة الاستراتيجيّة،جامعة بغداد،العراق؛د ط:2009م.

– محمّد يونس علي محمّد:

109– المعنى وظلال المعنى"أنظمة الدّلالة في العربيّة"،دار المدار الإسلامي،بنغازي–ليبيا؛ط02:2012م.

110– ـــــــــــ،تحليل الخطاب وتجاوز المعنى "نحو نظريّة المسالك والغايات"،دار كنوز المعرفة،عمّان–الأردن؛ ط01:1437هـ/2016م.

– مرتاض عبد الجليل:

111– البنية اللّسانيّة في رسالة "الضّب" للبشير الإبراهيمي،دار هومه–الجزائر؛د ط:2014م.

– مرتاض عبد الملك:

112– خصائص الخطاب في رواية الثّلاثة،ضمن كتاب الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي بأقلام معاصريه،دار الأمّة– الجزائر؛ط02:1433هـ/2012م.

113– ـــــــــــ،نظريّة النّص الأدبي،دار هومه،الجزائر العاصمة–الجزائر؛ط03:2015م.

– مشبال محمّد:

114– في بلاغة الحِجَاج "نحو مقاربة بلاغيّة حِجَاجِيَّة لتحليل الخطابات"،دار كنوز المعرفة،عمّان–الأردن؛ط01: 1438هـ/2017م.

– مفتاح محمّد:

115– تحليل الخطاب الشّعري (استراتيجيّة التّناص)،المركز الثّقافي العربي،الدّار البيضاء–المغرب؛ط03:1992م.

116– ـــــــــــ،مفاهيم موسّعة لنظريّة شعريّة "اللّغة–الموسيقى–الحركة"،ج03،المركز الثّقافي العربي،الدّار البيضاء –المغرب؛ط01:2010م.

– المقريزي تقي الدّين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمّد:

117– إمتاع الأسماع بما للنّبي ﷺ من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع؛تحقيق وتعليق:محمّد عبد الحميد النميسي، ج10،دار الكتب العلميّة،بيروت–بنان؛ط01:1420هـ/1999م.

– موفق الدّين بن علي بن يعيش:

118– شرح المفصّل،ج08،الطّباعة المنيريّة،مصر؛د ط:د ت.

– مومن أحمد:

119– اللّسانيّات النّشأة والتّطوّر،ديوان المطبوعات الجامعيّة،بن عكنون–الجزائر؛ط05:2015م.

– الميداني عبد الرّحمان حسن حبنّكة:

120– ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة،دار القلم،دمشق–سورية؛ط04:1414هـ/1993م.

121– ـــــــــــ،أمثال القرآن وصور من أدبه الرّفيع "تأمّلات وتدبّر"،دار القلم،دمشق–سوريا؛ط02:1416هـ /1996م.

122– ـــــــــــ،البلاغة العربيّة أُسُسُهَا،وعلُومُهَا،وفنُونُهَا،جزءان،دار القلم،دمشق–سورية؛ط01:1416هـ /1996م.

– النّاجح عز الدّين:

123– العوامل الحِجَاجِيَّة في اللّغة العربيّة،مكتبة علاء الدِّين،صفاقس–تونس؛ط01:2011م.

– ناصر محمّد:

124– الشّعر الجزائري الحديث اتّجاهاته وخصائصه الفنّيّة 1925–1975م،دار الغرب الإسلامي،بيروت–لبنان؛ ط02:2006م.

– نحلة محمود أحمد:

125– آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر،دار المعرفة الجامعيّة،مصر؛د ط:2002م.

– نصر حامد أبو زيد:

126– الخطاب والتّأويل،المركز الثّقافي العربي،الدّار البيضاء–المغرب؛ط03:2008م.

– النصير ياسين:

127– الاستهلال فنّ البدايات في النّص الأدبي،دار نينوى،دمشق–سورية؛ط03:1430هـ/2009م.

– النويري شهاب الدِّين أحمد بن عبد الوهَّاب:

128– نهاية الأرَب في فنون الأدب؛تح:علي محمّد وعبد المجيد ترحيني،ج17،دار الكتب العلميّة،بيروت–لبنان؛ ط01:1424هـ/2004م.

– النّيسابوري القشيري أبو الحسين مسلم بن الحَجَّاج بن مسلم:

129– صحيح مسلم،دار السّلام،الرّياض–السّعوديّة؛ط02:1421هـ/2000م.

– النيسابوري الميداني أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم:

130– مَجمَع الأمثال؛تح:محمّد محي الدِّين عبد الحميد،جزءان،مطبعة السُّنَّة المحمّديّة؛د ط:1374هـ/1955م.

– نيوف صلاح:

131– مدخل إلى الفكر الاستراتيجي،الأكاديميّة العربيّة المفتوحة في الدنمارك؛د ط:د ت.

– الورتلاني الفضيل:

132– الجزائر الثّائرة،دار الهدى،عين مليلة–الجزائر؛د ط:2009م.

– يوسف بن أبي بكر محمد بن علي أبو يعقوب السّكّاكي:

133– مفتاح العلوم؛ضبط وتعليق:نعيم زرزور،دار الكتب العلميّة،بيروت–لبنان؛ط:02:1407هـ/1987م.

2– المراجع المترجمة إلى العربيّة:

– أرسطو (Aristotle):

134– الخطابة؛تر:عبد القادر قنيني،أفريقيا الشّرق،الدّار البيضاء–المغرب؛د ط:2008م.

– أرمينكو فرانسواز (Armingaud Franciose):

135– المقاربة التّداوليّة؛تر:سعيد علوش،مركز الإنماء القومي،الدّار البيضاء–المغرب؛د ط:د ت.

– أشار بيار (Achar Pierre):

136– سوسيولوجيا اللّغة،منشورات عويدات،بيروت–لبنان؛ط01:1996م.

– أوركيوني كاترين كيبرات (Orecchione Catherine Kerbrat):

137– المضمَر؛تر:ريتا خاطر،المنظّمة العربيّة للتّرجمة،بيروت–لبنان؛ط01:2008م.

– بارت رولان (Barthes Roland):

138– نظريّة النّص،ضمن كتاب آفاق التّناصيّة المفهوم والمنظور؛تعريب وتقديم:محمّد خير البقاعي،جداول للنّشر والتّرجمة، بيروت–لبنان؛ط01:2013م.

– براون.ج.ب (Brown Penelope) ويول.ج (Yule George):

139– تحليل الخطاب؛تر:محمّد لطفي الزليطي ومنير التريكي،جامعة الملك سعود،الرّياض–السّعوديّة؛د ط:1418هـ /1997م.

– بروطون فيليب (Breton Philippe):

140– الحِجَاج في التّواصل؛تر:محمّد مشبال وعبد الواحد التّهامي العلمي،المركز القومي للتّرجمة،القاهرة–مصر؛ط01: 2013م.

– بليت هنريش (Plett Heinrich):

141– البلاغة والأسلوبيّة "نحو نموذج سيميائي لتحليل النّص"؛تر:محمّد العُمَري،إفريقيا الشّرق،الدّار البيضاء–المغرب؛ د ط:1991م.

– بولان الفي (Poulain Elfie):

142– المقاربة التّداوليّة للأدب؛تر:محمّد تنفو وليلى أحمياني،دار رؤية،القاهرة–مصر؛ط01:2018م.

– تودوروف تزيفيتان (Todorov Tzfetan):

143– النّص،ضمن كتاب العلاماتيّة وعلم النّص"نصوص مترجمة"؛تر:منذر عياشي،المركز الثّقافي العربي،الدّار البيضاء –المغرب؛ط01:2004م.

– توماس جيني (Thomas Jenny):

144– المعنى في لغة الحوار مدخل إلى البراجماتيّة (التّداوليّة)؛تر:نازك إبراهيم عبد الفتّاح،دار الزّهراء،الرياض–السّعوديّة ؛ط01:1431هـ/2010م.

– دايك فان (Van Dijk Teun):

145– علم النصّ مدخل متداخل التّخصّصات؛تر وتعليق:سعيد بحيري،دار القاهرة للكتاب،القاهرة–مصر؛ط01: 2001م.

146– ـــــــــــ ،النّص بُنَى ووظائف:مدخل أوّلي إلى علم النصّ،ضمن كتاب العلامتيّة وعلم النّص"نصوص مترجمة"؛تر:منذر عياشي،المركز الثّقافي العربي،الدّار البيضاء– المغرب؛ط01:2004م.

– ديكرو أوزوالد (Ducrot Oswald) وسشايفر جان ماري (Schaeffer Jean–Marie):

147– القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللّسان؛تر:منذر عياشي،المركز الثّقافي العربي؛د ط،د ت.

– روبول آن (Reboul Anne) وموشلار جاك (Moeschler Jacques):

148– التّداوليّة اليوم علم جديد في التّواصل؛تر:سيف الدّين دغفوس ومحمّد الشّيباني،دار الطّليعة،بيروت–لبنان؛ ط01:2003م.

149– ـــــــــــ ،القاموس الموسوعي للتّداوليّة؛تر:مجموعة من الباحثين،إشراف:عز الدّين المجدوب،المركز الوطني للتّرجمة،تونس؛ط02:2010م.

– ريكور بول (Ricoeur Paul):

150– من النّص إلى الفعل "أبحاث التّأويل"؛تر:محمّد برادة وحسان بورقية،عين للدّراسات والبحوث الإنسانيّة والاجتماعيّة،مصر؛ط01:2001م.

151– ـــــــــــ ،نظريّة التّأويل "الخطاب وفائض المعنى"؛تر:سعيد الغانمي،المركز الثّقافي العربي،الدّار البيضاء– المغرب؛ط02:2006م.

– سيمينو إيلينا (Semino Elena):

152– الاستعارة في الخطاب؛تر:عماد عبد اللّطيف وخالد توفيق،المركز القومي للتّرجمة،القاهرة–مصر؛ط01: 2013م.

– صرفاتي جورج إليا (Elia Sarfati Georges):

153– عناصر لتحليل الخطاب؛تر:محمّد ساري،دار التّنوير–الجزائر؛ط01:2014م.

– غارمادي جولييت (Garmady Juliet):

154– اللّسانة الاجتماعيّة؛تعريب:خليل أحمد خليل،دار الطّليعة،بيروت–لبنان؛ط01:1990م.

– فيركلف نورمان (Fairclough Norman):

155– الخطاب والتّغيّر الاجتماعي؛تر:محمّد عنانى،المركز القومي للتّرجمة،القاهرة–مصر؛ط01:2015م.

– كريسطيفا جوليا (Kristeva Jolia):

156– علم النّص؛تر:فريد الزاهي،دار توبقال،الدّار البيضاء–المغرب؛ط03:2014م.

– كونسيساو مانويل سيليو (Conceicao Manuel Celio):

157– المفاهيم والمصطلحات وإعادة الصّياغة؛تر:محمّد أمطوش،عالم الكتب الحديث،إربد–الأردن؛ط01:2012م.

– ليتش جيوفري (Leech Geoffrey):

158– مبادئ التّداوليّة؛تر:عبد القادر قنيني،أفريقيا الشّرق،الدّار البيضاء–المغرب؛ط03:2013م.

– مان فولفجانج هاينه (Heinemann Wolfgang) وفيهقجر ديتر (Viehweger Dieter):

159– مدخل إلى علم لغة النّص؛تر:سعيد حسن بحيري،زهراء الشّرق،القاهرة–مصر؛ط01:2004م.

– مانغونو دومينيك (Mainguenau Dominique):

160– المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب؛تر:محمّد يحياتن،منشورات الاختلاف،الجزائر؛ط01:1429هـ/ 2008م.

– مولز.أ (Moles Abraham) وآخران:

161– في التّداوليّة المعاصرة والتّواصل "فصول مختارة"؛تر:محمّد نظيف،أفريقيا الشّرق،الدّار البيضاء–المغرب؛د ط: 2014م.

– هارت ليدل (Hart Liddell):

162– الاستراتيجيّة وتاريخها في العالم؛تر:الهيثم الأيّوبي،دار الطّليعة للنّشر،بيروت–لبنان؛ط04:2000م.

– هدسون.د (Hudson):

163– علم اللّغة الاجتماعي؛تر:محمود عياد،عالم الكتب،القاهرة–مصر؛ط02:1990م.

– يول جورج (Yule George):

164– التّداوليّة؛تر:قصي العتابي،الدّار العربيّة للعلوم ناشرون،بيروت–لبنان؛ط01:1431هـ/2010م.

3- المراجع الأجنبيّة:

- BENVENISTE EMILE:

165- Problèmes de linguistique générale,Editions Gallimard:1966.

- BROWEN Penelope and LEVINSON Stephen:

166- Universals in Language use:Politeness phenomena,in GOODY,Esther,N:Questions and Politeness,Cambridge University Press:1978.

- BROWN KEITH, MILLER JIM:

167- The Cambridge Dictionary of Linguitics,CAMBRIDGE,UNIVERSITY PRESS :2013.

- Brown.R and Gilman.A:

168- The Pronouns of Power and Solidarity,in T.A.Sebeok (ed),Style in Language,MIT Press:1960.

- Dijk Teun A.van, Kintsch Walter:

169- Strategies of Discourse Comprehension,Academic Press,New York:1983.

- DUCROT OSWALD :

170- LES ECHELLES ARGUMENTATIVES ,LES EDITIONS DE MINUIT ;FRANCE :1980.

- Ducrot Oswald,Todorov Tzvetan:

171- Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage,Editions du Seuil,France:1972.

- Grice Paul :

172- Studies in the Way of Word ,Harvad University Press Cambridge, Massachusetts;London,England :1991.

173- _____ ,logic and conversation,in Cole peter And Morgan Jerry.L:Speeche acts,in Syntax and Semantics,Vol03,New York:1975.

- GUMPERZ JOHN J:

174- Discourse strategies,Cambridge University Press:1982.

- LAKOFF Robin:

175- The Logic Politeness:or,Minding Your and Qs,in Papers from The Ninth Regional Meeting Chicago Linguistic Society;Chicago:1973.

176- _____ ,taking power the language of politics in our lives,basic book1990.

– MOESCHLER Jacques:

177– ARGUMENTATION ET CONVERSATION,ELEMENTS POUR UNE ANALYSE PRAGMATIQUE DU DISCOURS,CREDIF:1985.

– Perelman Chaim et Olbrechts–Tyteca Lucie:

178– Traite de largumentation;editions de l'université de Bruxelles:2000.

– SEARLE JOHN R:

179– EXPRESSION AND MEANING: Studies in the Theory of Speech Acts,Cambridge University Press:1979.

180– The International Encyclopedia of social sciences;New York:1968.

4– الرّسائل والأطاريح الجامعيّة:

– بوزاغو زوبير:

181– التّلوينات الحِجَاجِيَّة في مقالات البشير الإبراهيمي"مقاربة لغويّة تداوليّة"،أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة الجيلالي اليابس؛سيدي بلعباس:2017–2018م.

– جودي حمدي منصور:

182– خصائص الخطاب الحِجَاجِي وبنياته الإقناعيّة في أعمال البشير الإبراهيمي "دراسة لنماذج نصّية مختارة"،رسالة ماجستير (غير منشورة)،جامعة محمّد خيضر؛بسكرة:2007–2008م.

– شفري شهرة:

183– الخطاب الدَّعوي عند جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّن "دراسة مقارنة بين عبد الحميد بن باديس ومحمّد البشير الإبراهيمي"،رسالة ماجستير (غير منشورة)،جامعة الحاج لخضر،باتنة:1430هـ/2009م.

– عطا الله محمّد:

184– الخطاب الحِجَاجِي في المقالات الإصلاحيّة لمحمّد البشير الإبراهيمي "مقاربة لغويّة دلاليّة"،رسالة ماجستير (غير منشورة)،جامعة الحاج لخضر؛باتنة:2011–2012م.

– بغالية محمّد:

185– حِجَاجيَّة الشّاهد والمثَل في أعمال الإبراهيمي،رسالة ماجستير(غير منشورة)،جامعة أحمد بن بلة01؛ وهران:2014–2015م.

– خرشوش عبد الحكيم:

186– أسلوب التّهكّم في عيون البصائر للبشير الإبراهيمي"دراسة تداوليّة"،رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة محمّد خيضر؛بسكرة:1437هـ/2016م.

5- المجلات والدّوريات العلميّة:

- مجموعة من الباحثين:

187- مجلّة الثّقافة،وزارة الثّقافة والسّياحة،الجزائر،السنة15؛ ع87:شعبان-رمضان1405هـ/مايو-يونيو1985م.

- فاخوري عادل:

188- الاقتضاء في التّداول اللّساني،مجلّة عالم الفكر،المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب،الكويت؛ ع03: أكتوبر1989م،ص.ص141-166.

- العُمَري محمّد:

189- المقام الخطابي والمقام الشّعري في الدّرس البلاغي،مجلة دراسات سميائيّة أدبيّة لسانيّة،فاس-المغرب ؛ ع05:1991م،ص.ص07-24.

- مفتاح محمّد:

190- بعض خصائص الخطاب،مجلّة علامات؛مج09، ج35:ذو القعدة 1420هـ/مارس2000م،ص.ص07-38.

- بوحجّام محمّد بن قاسم:

191- من أساليب السّخرية في أدب الإمام الإبراهيمي،مجلّة الوعي،دار الوعي،الجزائر؛ ع02:2010م، ص.ص66-72.

- الرقبي رضوان:

192- الاستدلال الحِجَاجِي التّداولي وآليّات اشتغاله،مجلة عالم الفكر،المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب، الكويت؛مج40، ع02:أكتوبر،ديسمبر2011م،ص.ص67-117.

- موفق عبد السّميع:

193- المرجعيّة والنّسق في خطاب البشير الإبراهيمي"مقاربة أسلوبيّة"،مجلة الآداب واللّغات،جامعة محمّد البشير الإبراهيمي،برج بوعريريج؛ ع03:جانفي2016م،ص.ص186-210.

- بولفعة خليفة:

194- إستراتيجيّات الخطاب عند الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي،مجلّة النّ(ا)ص،جامعة محمّد الصّديق بن يحي،جيجل؛ ع19:جوان2016م،ص.ص110-124.

- حملاوي كمال:

195- الحِجَاج الضِّمني في خطاب الإمام الإبراهيمي أمام الوفود العربيّة والإسلاميّة في الأمم المتّحدة، حوليّات جامعة قالمة للّغات والآداب،قالمة؛ ع21:ديسمبر2017م،ص.ص125-147.

- مطروش سفيان وبن سمعون سليمان:

196- إستراتيجيّة الخطاب الإقناعي في أرجُوزَة "تعليم البنت" لمحمّد البشير الإبراهيمي،مجلّة الواحات للبحوث والدّراسات،جامعة غرداية،غرداية؛مج11، ع01:رمضان1439هـ/جوان2018م،ص.ص50-69.

– مشري أمال:

197– التّكرار في عيّنات من مقالات عيون البصائر لمحمّد البشير الإبراهيمي،مجلّة Ex professo؛ ع03: نوفمبر2018م،ص.ص118–139.

– مكناسي صفيّة:

198– حتّى وعلاقاتها الحِجَاجيَّة عند البشير الإبراهيمي،مجلّة فصل الخطاب،جامعة ابن خلدون،تيارت؛مج01، ع03،ص.ص239–248.

6– الملتقيات العلميّة:

– المتوكّل أحمد:

199– اقتراحات من الفكر اللّغوي العربي القديم لوصف ظاهرة "الاستلزام التّخاطبي"،ضمن أعمال ندوة، البحث اللّساني والسّيميائي،منشورات كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة ،سلسلة ندوات ومناظرات رقم06،جامعة محمّد الخامس،الرّباط–المغرب؛ط01:1401هـ/1981م،ص.ص17–30.

– علوش سعيد:

200– وظيفة الشّاهد الأدبي،ضمن أعمال ندوة،البحث اللّساني والسّيميائي،منشورات كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة،سلسلة ندوات ومناظرات رقم06،جامعة محمّد الخامس،الرّباط–المغرب؛ط01:1401هـ/1981م، ص.ص203 –213.

– مرتاض عبد الملك:

201– محمّد البشير الإبراهيمي أمير البيان؛كرائم اللّغة وفصاحة اللّسان،ضمن أعمال الملتقى الدّولي،للإمام محمّد البشير الإبراهيمي "بمناسبة الذّكرى الأربعين لوفاته"،الجزائر في 13–14ربيع الثّاني 1426هـ،الموافق لـ 22–23 مايو2005م،دار الغرب الإسلامي،بيروت–لبنان؛ط01:1427هـ/2006م،ص.ص213–260.

– ناصر محمّد صالح:

202– الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي من خلال نثره الفنّي،ضمن أعمال الملتقى الدّولي،للإمام محمّد البشير الإبراهيمي "بمناسبة الذّكرى الأربعين لوفاته"،الجزائر في 13–14ربيع الثاني1426هـ،الموافق لـ 22–23 مايو2005م، دار الغرب الإسلامي،بيروت–لبنان؛ط01:1427هـ/2006م،ص.ص275–332.

7– المواقع والرّوابط الالكترونيّة:

203– موقع "جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين":http://www.oulamadz.org/.

204– حوار مع (أحمد طالب الإبراهيمي)،برنامج شاهد على العصر،قناة الجزيرة،الحلقة05،بُثَّت بتاريخ: 05يوليو2013م؛رابط الحلقة في موقع الجزيرة نت:

https://www.aljazeera.net/programs/centurywitness/2013/7/5/%D

شوهد بتاريخ:12شوّال1440هـ/15يونيو2019م،على السّاعة:13:58.

205- رابط الموسوعة العالميّة للشّعر العربي"adab.com":
http://www.adab.com/modules.php?name=Sh3er&doWhat=shqas&qid=83707&r=&rc=3 ،شوهد بتاريخ:13رمضان1440هـ/18مايو2019م،على السّاعة:17:50.

الفهارس العامّة للبحث

- ❖ فهرست الآيات القرآنيّة.
- ❖ فهرست الأحاديث النّبويّة الشّريفة.
- ❖ فهرست أهم مصطلحات البحث:
  باللّغتين (العربيّة والإنجليزيّة).
- ❖ فهرست الأبيات الشّعريّة.
- ❖ فهرست الأمثال العربيّة.
- ❖ فهرست مخطّطات البحث.

– أوّلا:فهرست الآيات القرآنيّة–

الآية	رقمها	السّورة	رقم الصّفحة
﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾	06	الفاتحة	271
﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾	05	البقرة	185
﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾	81	البقرة	202
﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾	102	البقرة	185
﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾	146	البقرة	172
﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾	173	البقرة	137
﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾	177	البقرة	106
﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾	249	البقرة	164
﴿فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ﴾	13	آل عمران	270
﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾	103	آل عمران	126
﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾	41	التّوبة	164
﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾	109	التّوبة	185
﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾	37	هود	17
﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾	86	هود	270
﴿وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾	18	يوسف	94
﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾	83	يوسف	//
﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾	111	يوسف	270

﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾	36/35	الحجر	201
﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾	38/37	الحجر	202
﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾	05	الكهف	185
﴿قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾	19	الكهف	179
﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾	40	الحج	88
﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾	27	المؤمنون	17
﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾	63	الفرقان	206/17
﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾	05	لقمان	185
﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾	65	الأحزاب	126
﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾	06	فاطر	195
﴿وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾	118	الصّافّات	271
﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾	20	ص	17
﴿إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾	23	//	//
﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾	09	الزّمر	185
﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾	54	الزّخرف	80
﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾	29	الدّخان	202
﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾	30	محمّد	144
﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾	10	الحجرات	75
﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾	55	الذّاريات	158

﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ﴾	40	النّجم	189
﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾	16	الحشر	188/139
﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ﴾	30	القلم	224
﴿وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾	20	المزّمل	266
﴿رَّبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾	37	النّبإ	17
﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾	03	الكوثر	100

– ثانيًا:فهرست الأحاديث النّبويّة الشّريفة–

الحديث النّبوي الشّريف	رقم الصّفحة
ألا أخبركم عن النَّفر الثّلاثة؟ أمّا أحدهم فأوى إلى **الله** فآواه **الله**،وأمّا الآخر فاستحيَا فاستحيَا **الله** منه،وأمّا الآخر،فأعرض فأعرض **الله** عنه	192
أمّا بعد أيّها النّاس،فإنّ الشّيطان قد يَئِسَ من أن يُعبَدَ بأرضكم هذه أبدًا ولكنّه إن يُطَعْ فيما سوى ذلك فقد رَضَى به ممّا تحقرون من أعمالكم فاحذروه على دِينكم	145
إنّ العين تدمع،والقلب يحزن،ولا نقول إلّا ما يَرضَى ربُّنَا،وإنّا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون	92
إنّما أنت يهودي من أهل صفوريا	173
إنّه من لا يَرحَمْ لا يُرحَمْ	267
تدمع العين ويحزن القلب،ولا نقول إلّا ما يَرضَى ربّنا و**الله**! يا إبراهيم! إنّا بك لمحزونون	92
مثَلُ المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثلَ الجسَد إذا اشتكَى منه عضو تداعَى له سائر الجسد بالسّهر والحمّى	267
من نفَّس عن مؤمن كُربَة من كُرَبِ الدّنيا نفَّسَ **الله** عنه كُربَةً من كُرَب يوم القيامة	//
من نَفَّسَ عن مؤمن كُربَةً من كُرَبِ الدّنيا،نَفَّسَ **الله** عنه كُربَةً من كُرَبِ يوم القيامة،ومن يَسَّرَ على مُعسِرٍ يَسَّرَ **الله** عليه في الدّنيا والآخرة،ومن سَتَرَ مسلمًا،ستره **الله** في الدّنيا والآخرة،و**الله** في عَونِ العَبدِ ما كان العَبدُ في عَونِ أخيه	94
هذه مكّة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها	106

– ثالثًا:فهرست أهم مصطلحات البحث،باللّغتين (العربيّة والإنجليزيّة)–

المصطلح باللّغة العربيّة	المصطلح باللّغة الإنجليزيّة
إخباريّات	Assertives
الأداء	performance
الاستراتيجيّات الخطابيّة	Discourse strategies
الاستراتيجيّة	Strategy
استراتيجيّة الإيتوس	Ethos strategy
استراتيجيّة اللّوجوس	Logos strategy
استراتيجيّة الاستنتاج عند السّامع	inference strategy
الاستراتيجيّة الإقناعيّة (الحِجَاجيَّة)	Argument strategy
استراتيجيّة الباطوس	Pathos strategy
الاستراتيجيّة التّضامنيّة	Solidarity strategy
الاستراتيجيّة التّلميحيّة	The hint strategy
الاستراتيجيّة التّوجيهيّة	Directing strategy
الاستراتيجيّة الخطابيّة	Strategie of discourse
الاستلزام التّخاطبي	Conversational implicature
استلزام حواري	Conversational implicature
استلزام عرفي	Conventional implicature
إعلانيّات	Declaratives
أغراض إنجازيّة	Actes illocutoires
الافتراض المسبق	presupposition
الافتراض المسبق الواقعي	factive presupposition
أفعال قوليّة	Actes Locutoires
الاقتضاء	implicature

Implicature Conversations	الاقتضاء التّخاطبي
Implicites	الأقوال المضمرة
Commissives	إلتزاميّات
Directives	أمريّات
Pragmatics	براغماتيقا
Focus	بؤرة
Discourse analysis	تحليل الخطاب
Conventional expression	التّعبير الاصطلاحي
Expressives	تعبيريّات
Enunciation	التّلفظ
Intertextualiy	التّناص
Discourse	الخطاب
The alluded meaning	دلالة الإشارة
Argumentative connectors	الرّوابط الحِجَاجِيَّة
Power of discourse	سلطة الخطاب
Argumentative scale	السُّلَّم الحِجَاجِي
Pragmatics context	السّياق التّداولي
Paralanguage	علامات غير لغويّة
Argumentative Factors	العوامل الحِجَاجِيَّة
Perlocutiores Actes	غايات تأثيريّة
Speech act	الفعل الكلامي
Communicative competence	القدرة التّواصليّة
Templates language ready	قوالب لغويّة جاهزة
competence	الكفاية
Social competence	الكفاية الاجتماعيّة

Cognitive competence	الكفاية الإدراكيّة
Pragmatic competence	الكفاية التّداوليّة
Language competence	الكفاية اللغويّة
Cognitive competence	الكفاية المعرفيّة
Logical competence	الكفاية المنطقيّة
jargon of vocation	لغة المهنة
Dialect	اللّهجة
Principles of discourse	المبادئ التخاطبيّة
Principle of politeness	مبدأ التّأدّب
The principle of maximum politeness	مبدأ التأدّب الأقصى
The principle of ratification	مبدأ التّصديق
The cooperative principle	مبدأ التّعاون
The principle of the face	مبدأ الوجه
Implicites	متضمّنات القول
References of discourse	مرجعيّات الخطاب
Divergent meaning	مفهوم المخالفة
The harmonious meaning	مفهوم الموافقة
Pragmatics approach	المقاربة التّداوليّة
The purpose of discourse	مقصديّة الخطاب
Enunciate	الملفوظ
Text	النّص
text abstract	نصّ مجرّد
Speech Act Theory	نظريّة الأفعال الكلاميّة
Theory of pronunciation	نظريّة التّلفّظ

نظريّة النّص	Text Theory

– رابعًا:فهرست الأبيات الشّعريّة–

البيت الشّعري	بَحْرُهُ	قَائِلُهُ	رقم الصّفحة
يُقْضَى عَلَى المرءِ فِي أَيَّامِ مِحْنَتِهِ بِأَنْ يَرَى حَسَنًا مَا لَيْسَ بِالحَسَنِ	البسيط	يُنسَبُ إلى (إبراهيم المنذر)	187
أنَّ أُتِيحَ لَهُ حِربَاءُ تَنْضُبَةٍ لَا يُرسِلُ السَّاقَ إلّا مُمسِكًا سَاقَا	//	(أبو دَواد الإيَادِي)	189
ومَا صَبَابَةُ مُشْتَاقٍ عَلَى أَمَلٍ مِنَ الِّلقاءِ كَمُشتَاقٍ بِلَا أَمَلِ	//	(أحمد بن الحسين أبو الطيّب المتنبّي)	186
لَوْلَا المشَقَّةُ سَادَ النَّاسُ كُلُّهُمُ الجُودُ يُفْقِرُ وَالإِقْدَامُ قَتَّالُ	//	//	219
خُذْ مَا تَرَاهُ وَدَعْ شَيْئًا سَمِعْتَ بِهِ فِي طَلْعَةِ البَدْرِ مَا يُغْنِيكَ عَنْ زُحَلِ	//	//	242
وَأَهْـــــوَى مِنَ الفِتْيَانِ كُلَّ سَمَيْذَعٍ نَجِيبٍ كَصَدْرِ السَّمْهَرِيِّ المقوَّمِ خَطَتْ تَحْتَهُ العِيسُ الفَلَاةَ وخَالَطَتْ بِهِ الخَيْلُ كَبَّاتِ الخَمِيسِ العَرَمْرَمِ	الطّويل	//	216
أَتَعْلَمُ أَنَّهُمْ صَلِفُوا وَتَاهُوا وَصَدُّوا البَابَ عَنَّا مُوصِدِينَا؟ وَلَوْ كُنَّا نَجُرُّ هُنَاكَ سَيْفًا وَجَدْنَا عِنْدَهُمْ عَطْفًا وَلِينَا		(أحمد شوقي)	268
ارْفَقْ بَعمْرُو إِذَا حَرَّكْتَ نِسبَتَهُ فَإِنَّهُ عَرَبِيٌّ مِن قَوارِيرِ!	البسيط	يُنسَبُ إلى (بشَّار بن بُرْدْ)	189
قَدْ كَتَمْتُ الحُبَّ حَتَّى شَفَّنِي وَإِذَا مَا كُتِمَ الدَّاءُ قَتَلْ	الرّمل	(جمال الدِّين أَبُو الفَرَجْ بن الجَوْزِي)	175
وشَعْبٌ يَفِرُّ مِنَ الصَّالحَاتِ فِرَارَ السَّلِيمِ مِنَ الأَجْرَبِ	المتقارِب	(حافظ إبراهيم)	187

فَارْفَعُوا هَذِهِ الكَمَائِمَ عَنَّا وَدَعُونَا نَشُمُّ رِيحَ الشِّمَالِ	الخفيف	//	253
وَيُسِيءُ بِالإِحْسَانِ ظَنًّا لَا كَمَنْ هُوَ بِابْنِهِ وَبِشِعْرِهِ مَفْتُونُ	الكامل	(حبيب بن أوس أبو تمّام الطّائي)	107
دَرَاهِمٌ مَا انْتَفَعْتُ بِهَا وَلَكِنْ وَصَلْتُ بِهَا شُيُوخَ بَنِي تَمِيمِ	الوافر	(زَنْد بن الجَوْن أبو دُلَامَة)	106
صَحَا القَلْبُ عَنْ سَلْمَى وَقَدْ كَادَ لَا يَسْلُو وَأَقْفَرَ مِنْ سَلْمَى التَّعَانِيقُ فالثَّقْلُ	الطّويل	(زهير بن أبي سلمى)	186
أَشْعَارُ عَبْدِ بَنِي الحَسْحَاسِ قُمْنَ لَهُ يَومَ الفَخَارِ مَقَامَ الأَصْلِ والوَرِقِ	البسيط	(سُحَيْمْ عَبْدُ بَنِي الحَسْحَاسْ)	179
أَبَا مُنذِرٍ!أَفنَيْتَ فَاسْتَبْقِ بَعْضَنَا حَنَانَيْكَ!بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ	الطّويل	(طَرَفَة بن العَبْد)	187
وَأَمْثَلُ أَخْلَاقِ امْرِئِ القَيْسِ أَنَّهَا صِلَابٌ عَلَى طُولِ الهَوَانِ جُلُودُهَا	//	(غيلان بن عقبة ذو الرُّمَّة)	274
قَدْ أَصْبَحَتْ أُمُّ الخِيَارِ تَدَّعِي عَلَيَّ ذَنبًا كُلَّهُ لَمْ أَصْنَعِ	الرَّجَزْ	(الفضل بن قدامة أبو النَّجْم العِجْلِي)	207
أَوْرَدَهَا سَعْدٌ وَسَعْدٌ مُشتَمِلْ مَا هَكَذَا تُورَدُ يَا سَعْدُ الإِبِلْ	//	(مَالِك بن زَيد مَنَاةَ)	186
قُلْ لِلَّذِي عَابَ الحِجَا زَ وجَانَبَ المَثَلَ الحَصِيفَا هَيْهَاتَ لَسْتَ بِبَــالِغٍ مُدَّ الحِجَازِ ولا "نَصِيفَا"	//	(محمّد البشير الإبراهيمي)	96
شَانِئَكَ الأَبتَرْ يَا صَالِح الأَشْتَرْ إِنْ كَانَ مِنْ لَحْمٍ فَأَنْتَ كَالنَّشْتَرْ نَثْرُكَ قَدْ جَارَى نَظْمَ أَخِي شَشْتَرْ النَّاسُ أَسْقَاطٌ فَبِعْ وَلَا تَشْتَرْ...	//	//	100/99
أَرْجُوكُمَا أَنْ تَحْضَرَا سَرِيعًا لِتَدْفَعَا خَطْبًا دَهَى مُرِيعَا فِي السَّاعَةِ التِّي أَكُونُ فِيهَا مُرَفَّهًا فِي عِيشَتِي تَرفِيهَا	//	//	104

في يَومِ تِسعٍ مِنْ شُبَاطَ المَاضِي لِأَنّنِي أَكُونُ فِيهِ (فَاضِي) [...] وَبَسْمِلَا وكَبِّرَا وَحَوْقِلَا والتَزِمَا الصَّمْتَ وَلَا (تُشَقْلِلَا) [...] وكُلُّ حَالٍ للمَآلِ يَرمُزُ فَانْظُرْ فَأَنْتَ القَاعِدُ (المَقْعَمَزْ) [...] هَديَّةٌ مِنْ رَجُلٍ برَّانِي مِثْلَ حِمَارِ جَارِنَا الحرَّانِي [...] مِنْكَ وَمِنْ رُؤَيْسِكَ الخرْنَانِ فَأَنْتُمَا قَوْسٌ بِلَا إِرْنَانِ [...] فَرُبّمَا طَالَتْ إِلَى الزَّوَالِ وَأَنْتَ تَدْرِي أَنَّنِي (زَوَّالِي) [...] وَخَلِّنَا نَكْوِ الحَشَا بـِ (قَارُو) وَنَسْتَمِعُ لِقَارِئِي (الِفقَارُو)	//	//	//
سُؤَال:أَيْنَ لَيْثٌ كَانَ بِالأَمْسِ هُنَا خَادِرًا قَدْ مَلأَ الدُّنيَا زَئِيرَ أغلبًا في لبدَتَيْنِ ارتَهَنَا عَنْ عَرِين الدِّين يَرمِي ويُجِيرُ مَا وَنَى عَنْ فُرصَةٍ أَوْ وَهَنَا هَلْ رأَيتَ المخذَمَ العضبَ الطَرِيرَ جَواب:هَجَرَ الغِيلَ وَأَسْرَى مُوهِنًا وَالحِمَى أَصْبَحَ نَهبًا لِلمُغِيرِ سُؤَال:أَيْنَ مِنَّا اليَومَ- يَا أُخْتَ- الرَّئِيسِ كَمْ بِهِ قَدْ رفَعَ القَومُ الرُّؤُوسَ	//	//	170
رعَى **الله** مِنْ عُرْبِ المشَارق إِخْوَةً تَنَادَوْا فَدَوَّى صَوتُهُمْ في المغَارِبِ تَوافَوا عَلَى دَاعٍ مِنَ الحَقِّ مسْمَــع وَوفَّوْا بنَذْرٍ في ذِمَامِ الأَعَــارِبِ هُمُو رَأسُ مَــالِي،لَا نِضَــار وفِضَّة وهُمْ رِبْحُ أَعْمَــالِي وَنُجحُ مَآرِبِي	//	//	207/206

وَهُمْ مـَورِدِي الأَصْفَى المرَوِّي لغُلَّتِي إذَا كَدَّرَتْ "أُمُّ الخِيَارِ"مَشَارِبِي	//	//	//
أَعِدْ نَظَرًا يَا عَبْدَ قَيْسٍ فَرُبَّمَا أَضَاءَتْ لَكَ النَّارُ الحِمَارَ الْمُقَيَّدَا	الطويل	(همام بن غالب "الفرزدق")	185
وَلَمْ أَرَ أَمْثَالَ الرِّجَالِ تَفَاوَتَتْ إِلَى الفَضْلِ حَتَّى عُدَّ أَلْفٌ بِوَاحِدِ	//	(الوليد بن عُبَيد أبو عبادة البُحتُرِي)	238
هُمْ يَحْسُدُونِي عَلَى مَوْتِي فَوَا أَسَفِي حَتّى عَلَى الموتِ لا أَخْلُو مِنَ الحسَدِ	البسيط	(يزيد بن معاوية يزيد) أو(الدِّمَشقِي الوَأوَاء)	190
حِمَارٌ فِي الكتَابَةِ يَدَّعِيهـَا كَدَعْوَى آلِ حَرْبٍ فِي زِيادِ	الوافر	(مجهول)	173
تَعْدُو الذِّئَابُ عَلَى مَنْ لَا كِلَابَ لَهُ وَتَتَّقِي صَوْلَةَ المسْتَأْسِدِ الحَامِي	البسيط	//	267

– خامسًا:فهرست الأمثال العربيّة–

المثَل	رقم الصّفحة
أذلَّ الحرص أعناق الرّجال	243
أفي كلّ قرية حَاكم بأمره	194
إنّك لا تجني من الشُّوك العنب	195
إنّها ليست بخدعة الصَّبي عن اللَّبن،هو أمرٌ له ما بَعدَه،فأبلغِني ريقِي	197
بَعضُ الشَّرِّ أهوَنُ من بَعضِ	187
حَنَّ قِدحٌ ليس منها	173
خَرقَاءُ وجَدَتْ صُوفًا	203
عَادَتْ لعِتْرِهَا لمِيسْ	194
عَسَى الغُوَيْرُ أَبْؤُسًا	270
في كلّ نادٍ أَثَرٌ من ثَعلبَة	194
قَالَ الحَائِطُ لِلوَتِد لِمَ تَشُقُّنِي؟فقَالَ لَه:سَلْ مَن يَدُقُّنِي	187
كدَعوَى آلِ حربٍ في زيادِ	173
كنِسبَةِ عقبة ابن أبي معيط في أُمَيَّة	//
لا يُرسِلُ السَّاقَ إلّا مُمسِكًا سَاقًا	189
ما أهوَنَ الصَّيدَ وما أعظَمَ الصَّائِدَ	188
مَا هَكَذَا تُورَدُ يَا سَعْدُ الإبِلْ	186
مَادِحٌ نفسَهُ يُقرئكَ السَّلام	107

– سادسًا:فهرست مخطّطات البحث–

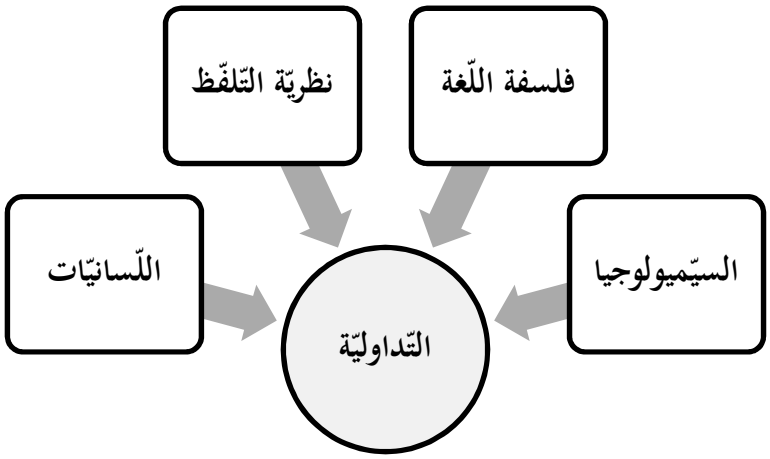

– مخطّط رقم01:يوضّح مصادر نشأة التّداوليّة وتطوّرها؛ص14.

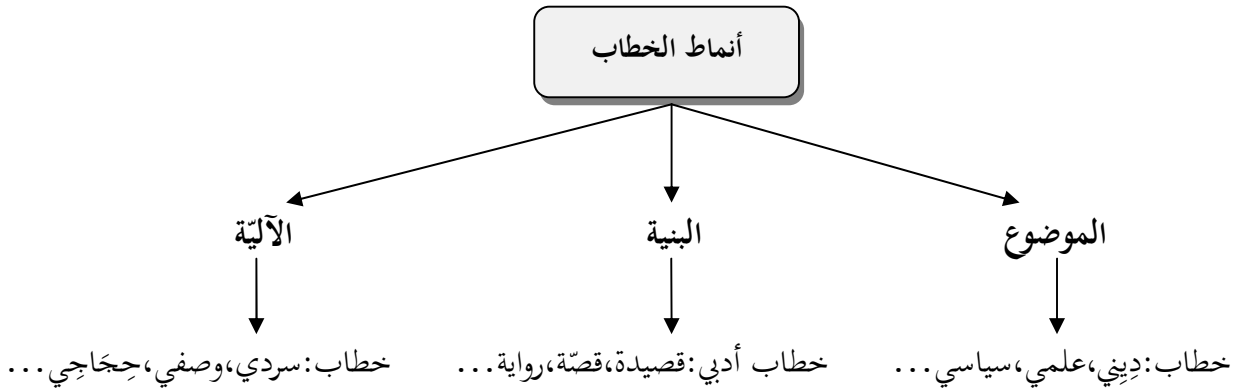

– مخطّط رقم 02:يوضّح معايير تصنيف أنماط الخطاب؛ص20.

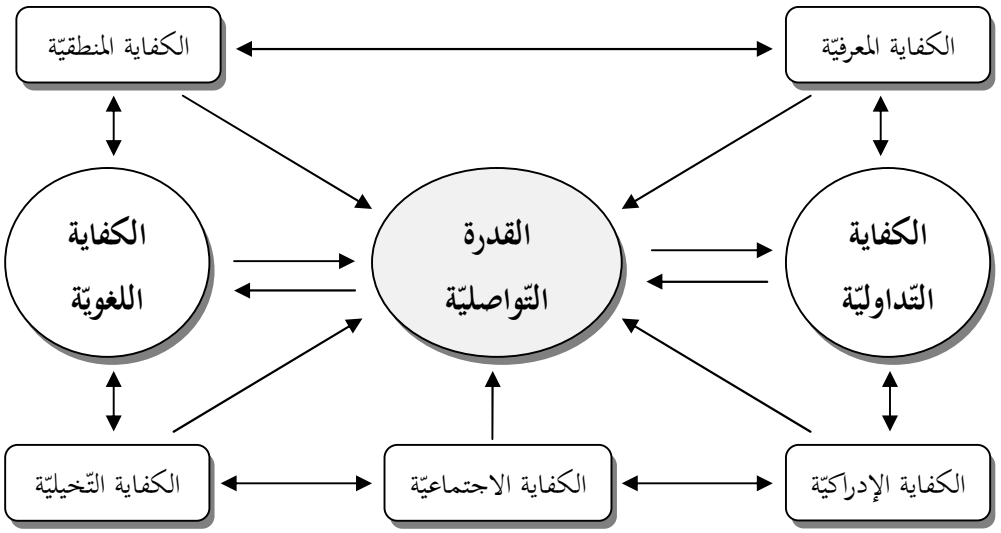

– مخطّط رقم03:يوضّح علاقة القدرة التّواصليّة بكفاياتها؛ص38.

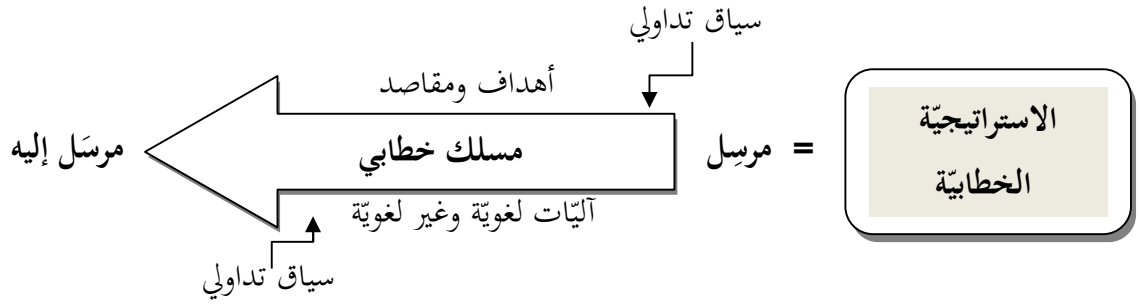

– مخطّط رقم 04:يوضّح مفهوم الاستراتيجيّة الخطابيّة؛ص40.

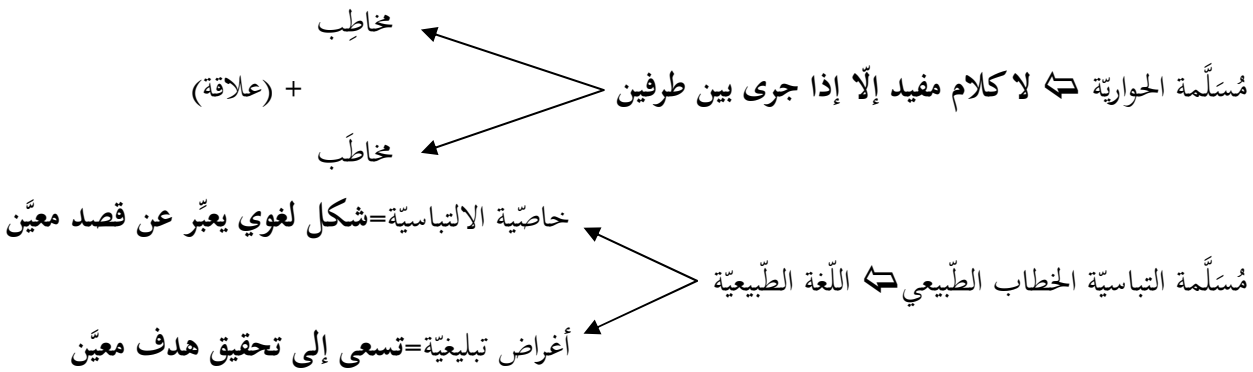

– مخطّط رقم05:يوضّح عناصر أهم المُسَلَّمَات الخطابيّة؛ص42.

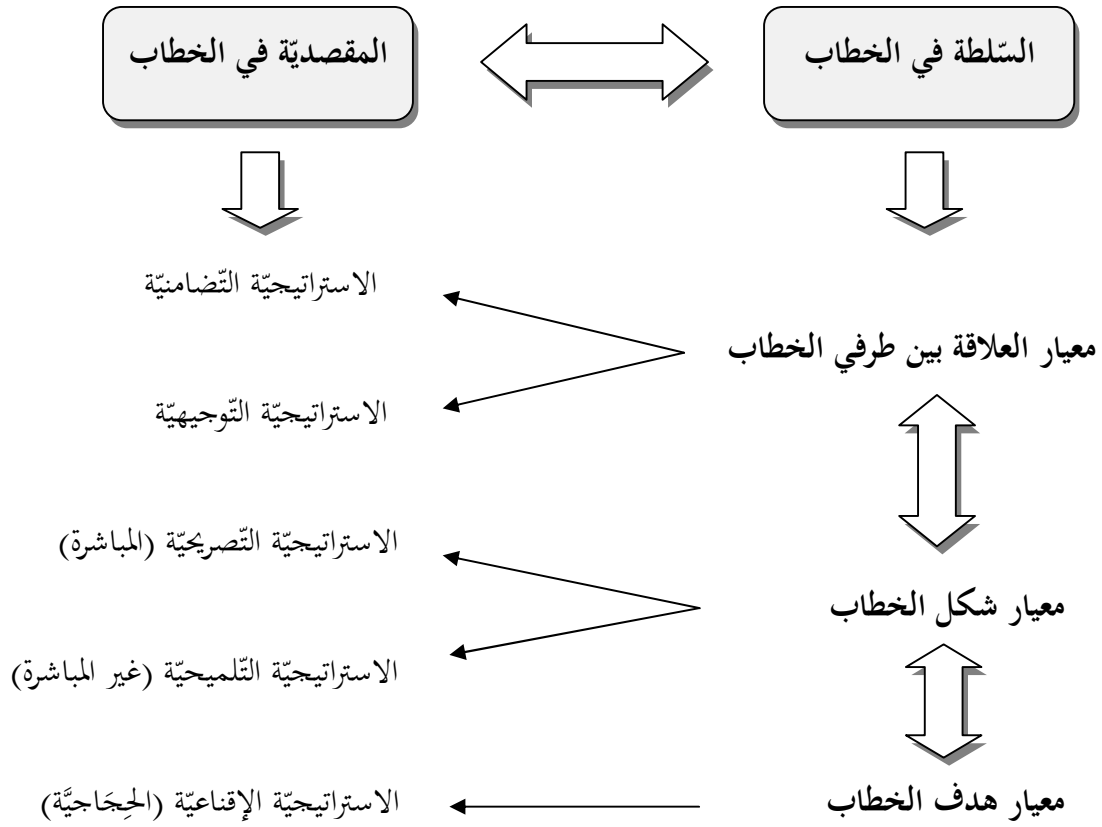

– مخطّط رقم06:يوضّح علاقة معايير تصنيف الاستراتيجيّات الخطابيّة بأهم عوامل انتقائها؛ص57.

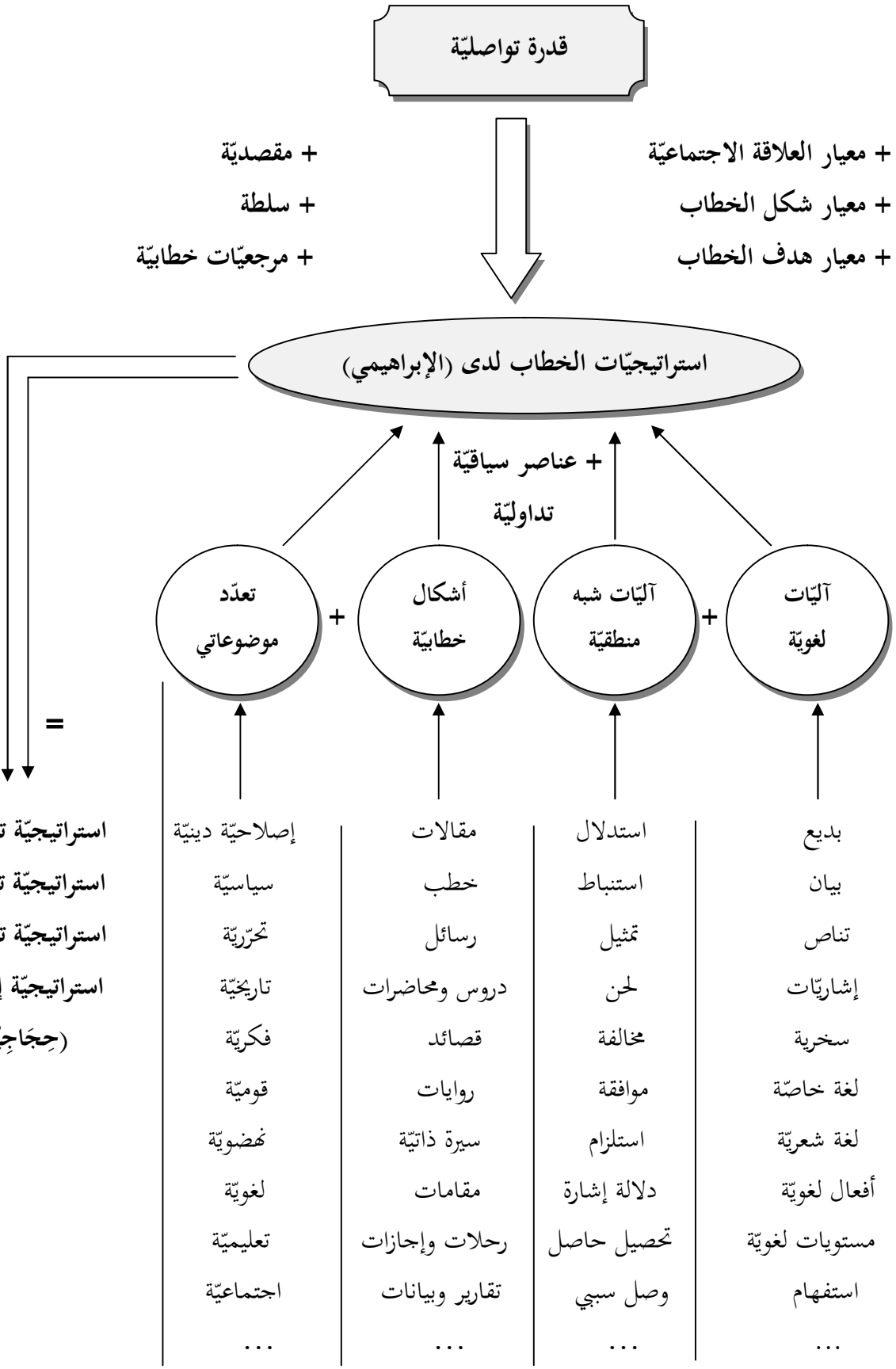

– مخطّط رقم07:يوضّح كيفيّة انتقاء الاستراتيجيّات الخطابيّة لدى (الإبراهيمي)؛ص64.

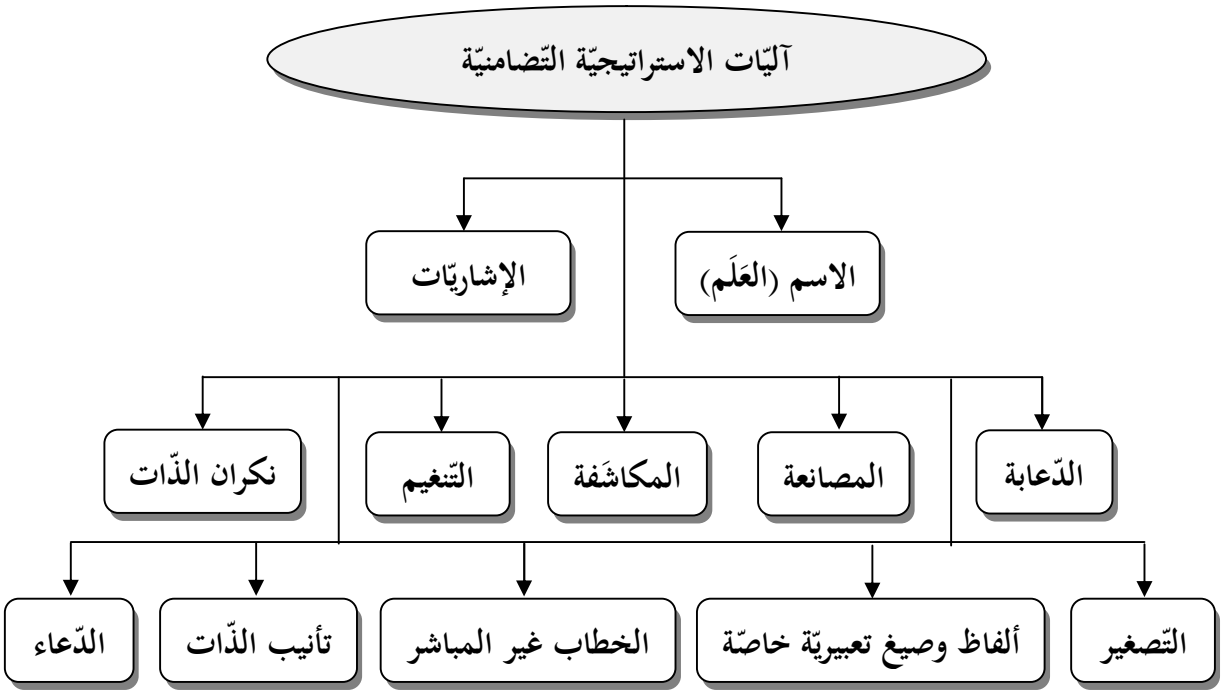

– مخطّط رقم08:يوضّح أهم الآليّات اللغويّة المستَعمَلة في الاستراتيجيّة التّضامنيّة؛ص68.

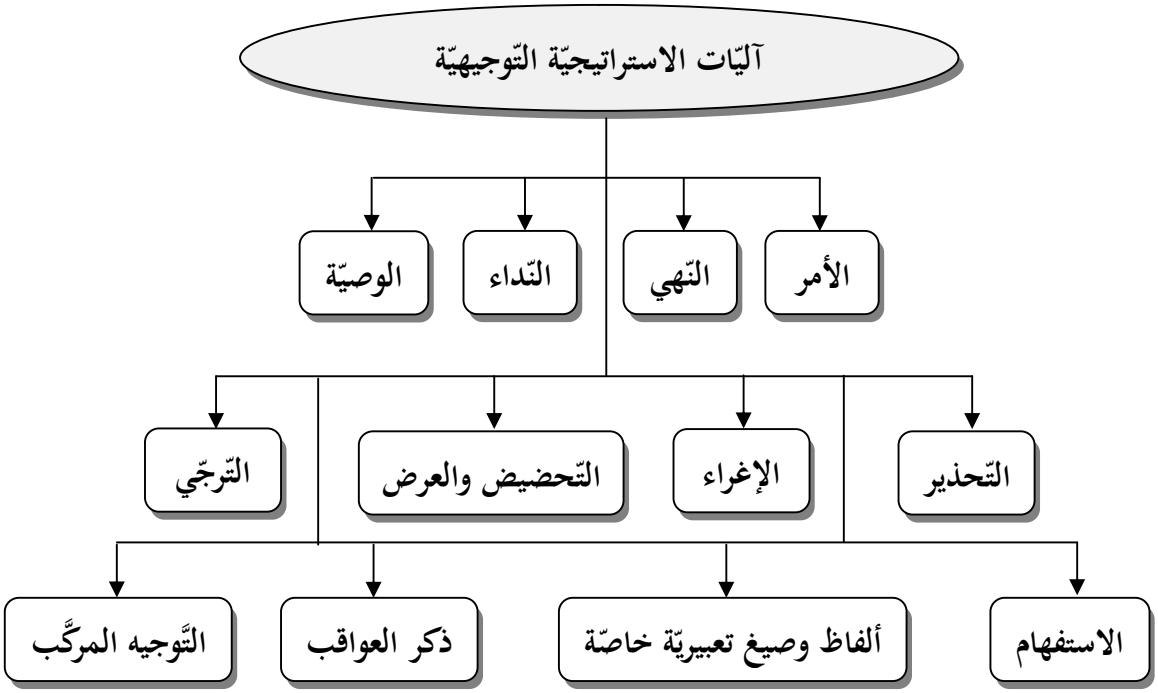

– مخطّط رقم09:يوضّح أهم الآليّات اللغويّة المستَخدَمَة في الاستراتيجيّة التّوجيهيّة؛ص123.

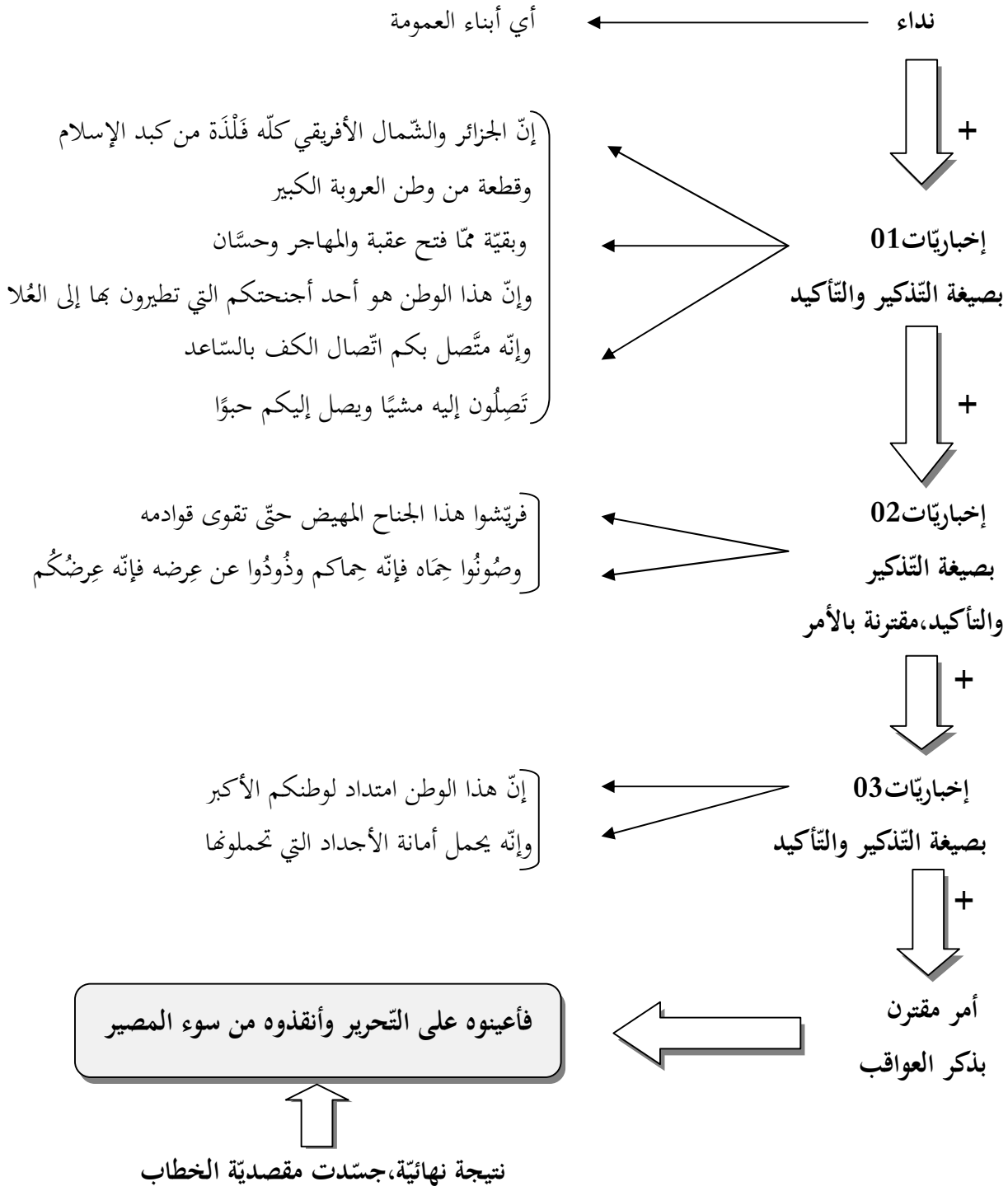

– مخطّط رقم10:يوضّح كيفيّة توظيف آليّة "الأمر" في الخطاب التّوجيهي لدَى (الإبراهيمي)؛ص125.

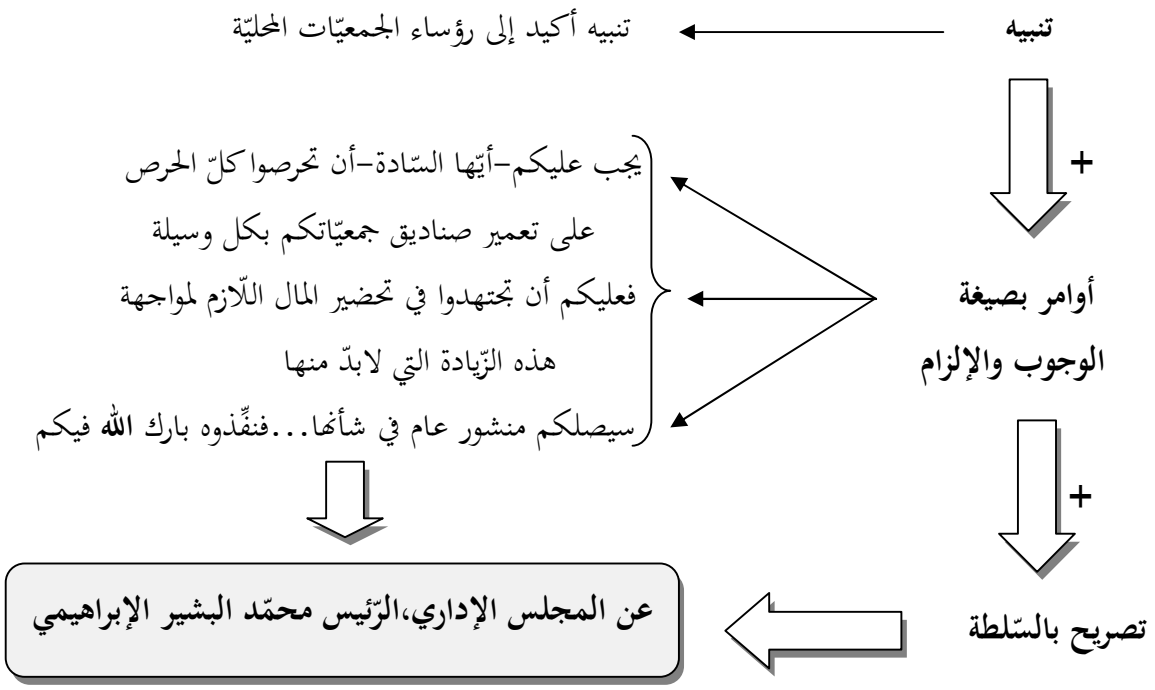

– مخطّط رقم11:يوضّح آليّة "الأمر بصيغة الوجوب" في الخطاب التّوجيهي لدَى (الإبراهيمي)؛ص128.

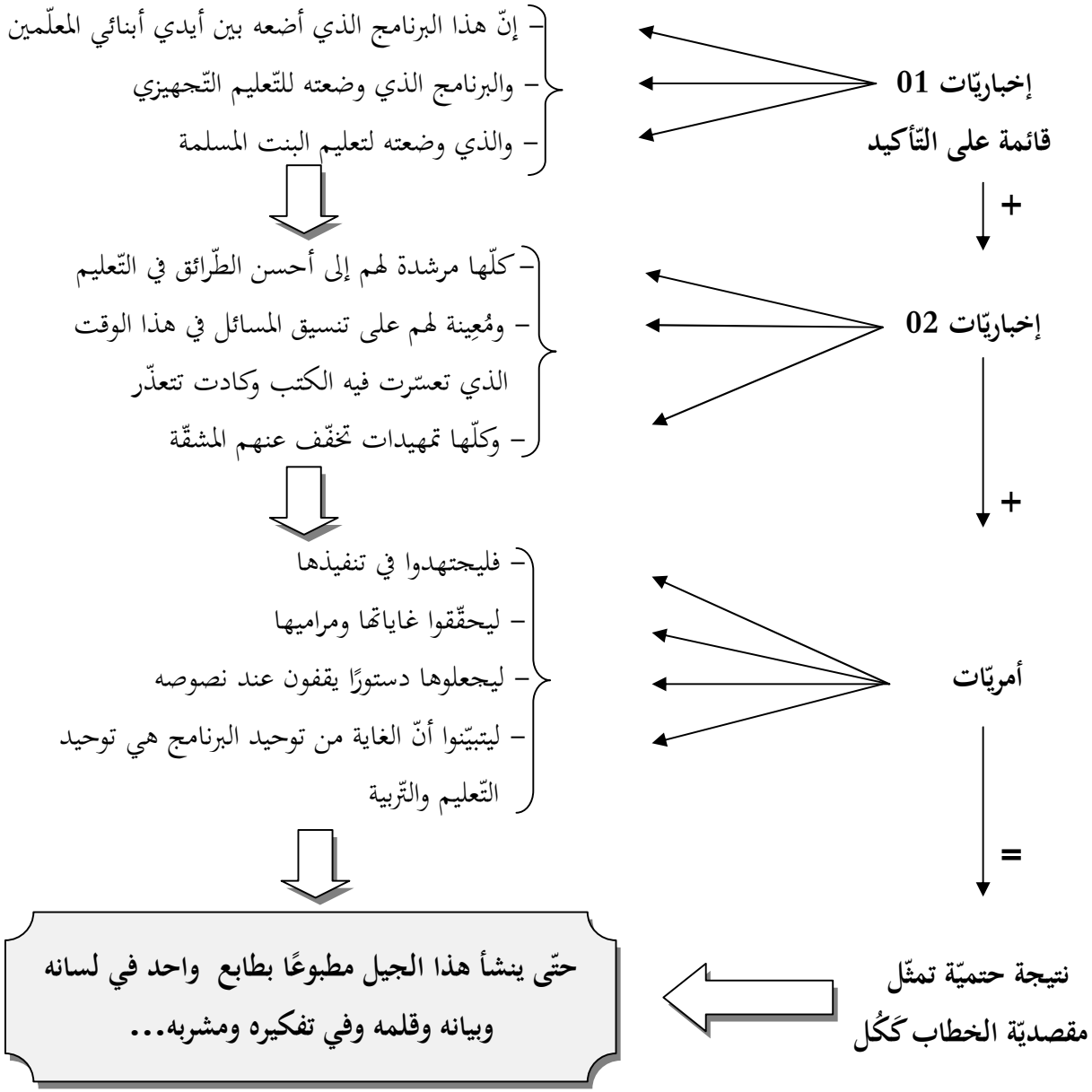

– مخطّط رقم12:يوضّح آليّة "الأمر بالفعل المضارع" في الخطاب التّوجيهي لدَى (الإبراهيمي)؛ص131.

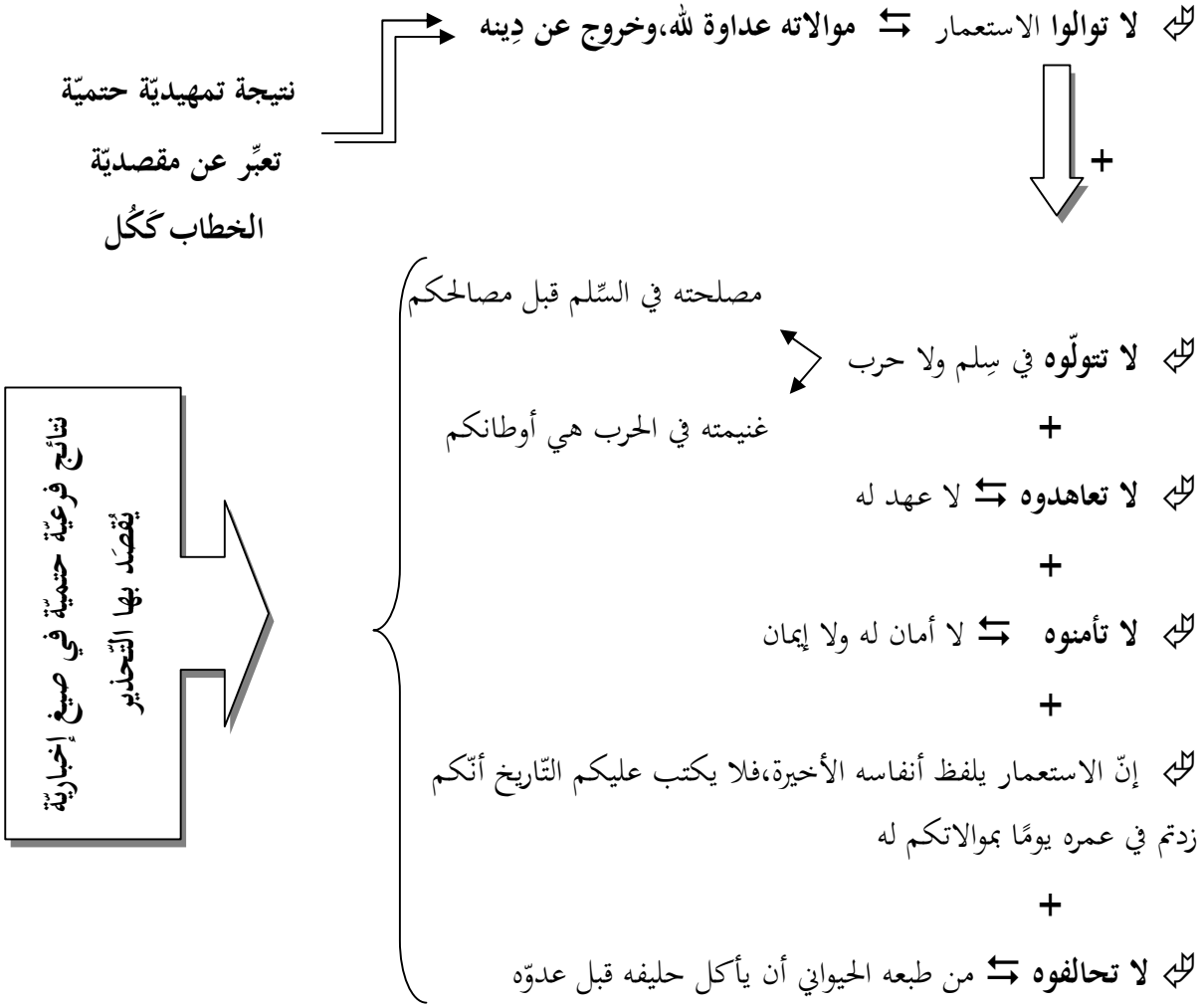

– مخطّط رقم13:يوضّح كيفيّة توظيف آليّة "النّهي01" في الخطاب التّوجيهي لدَى (الإبراهيمي)؛ص135.

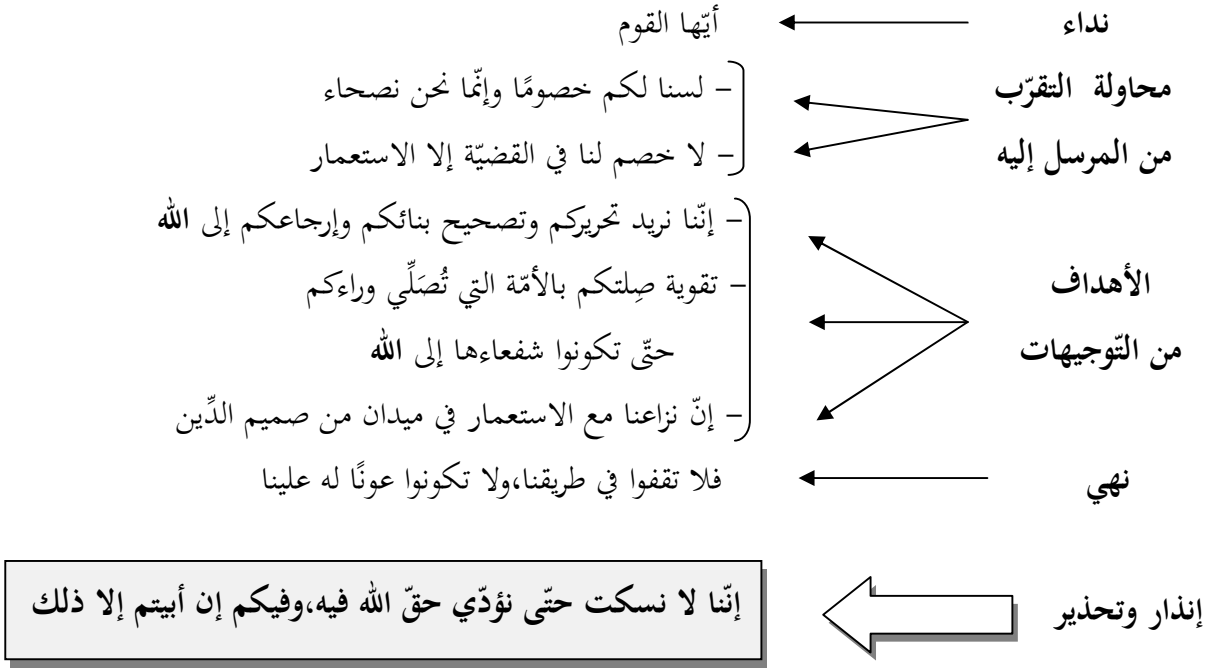

– مخطّط رقم14:يوضّح كيفيّة توظيف آليّة "النّهي02" في الخطاب التّوجيهي لدَى (الإبراهيمي)؛ص136.

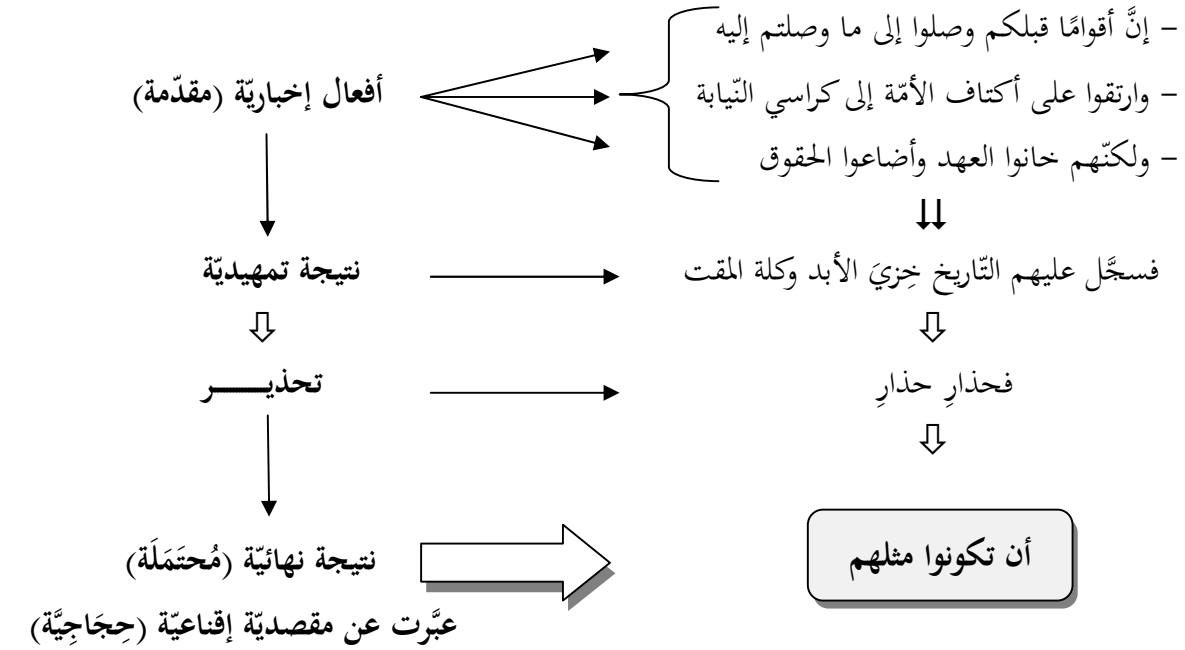

– مخطّط رقم15:يوضّح كيفيّة توظيف آليّة "التّحذير" في الخطاب التّوجيهي لدَى (الإبراهيمي)؛ص138.

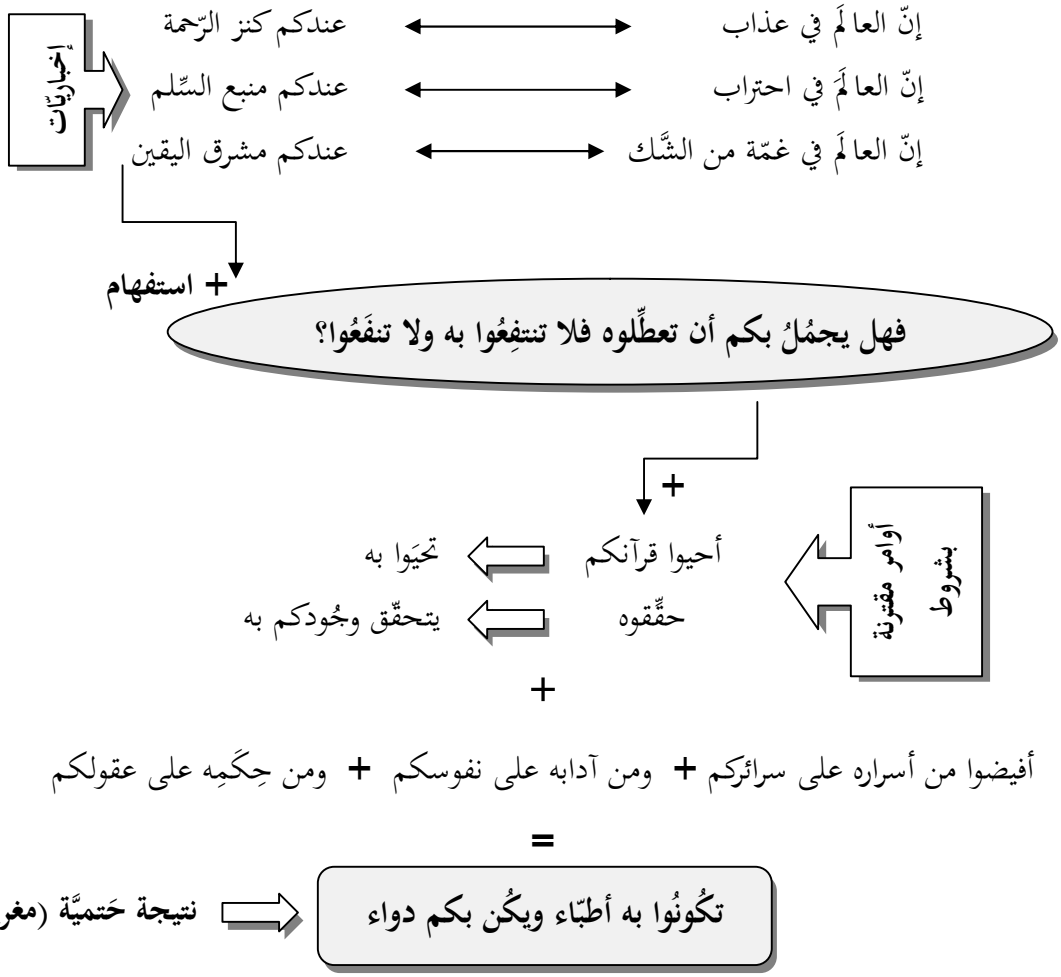

– مخطّط رقم16:يوضّح توظيف آليّة "الإستفهام01" في الخطاب التّوجيهي لدَى (الإبراهيمي)؛ص149.

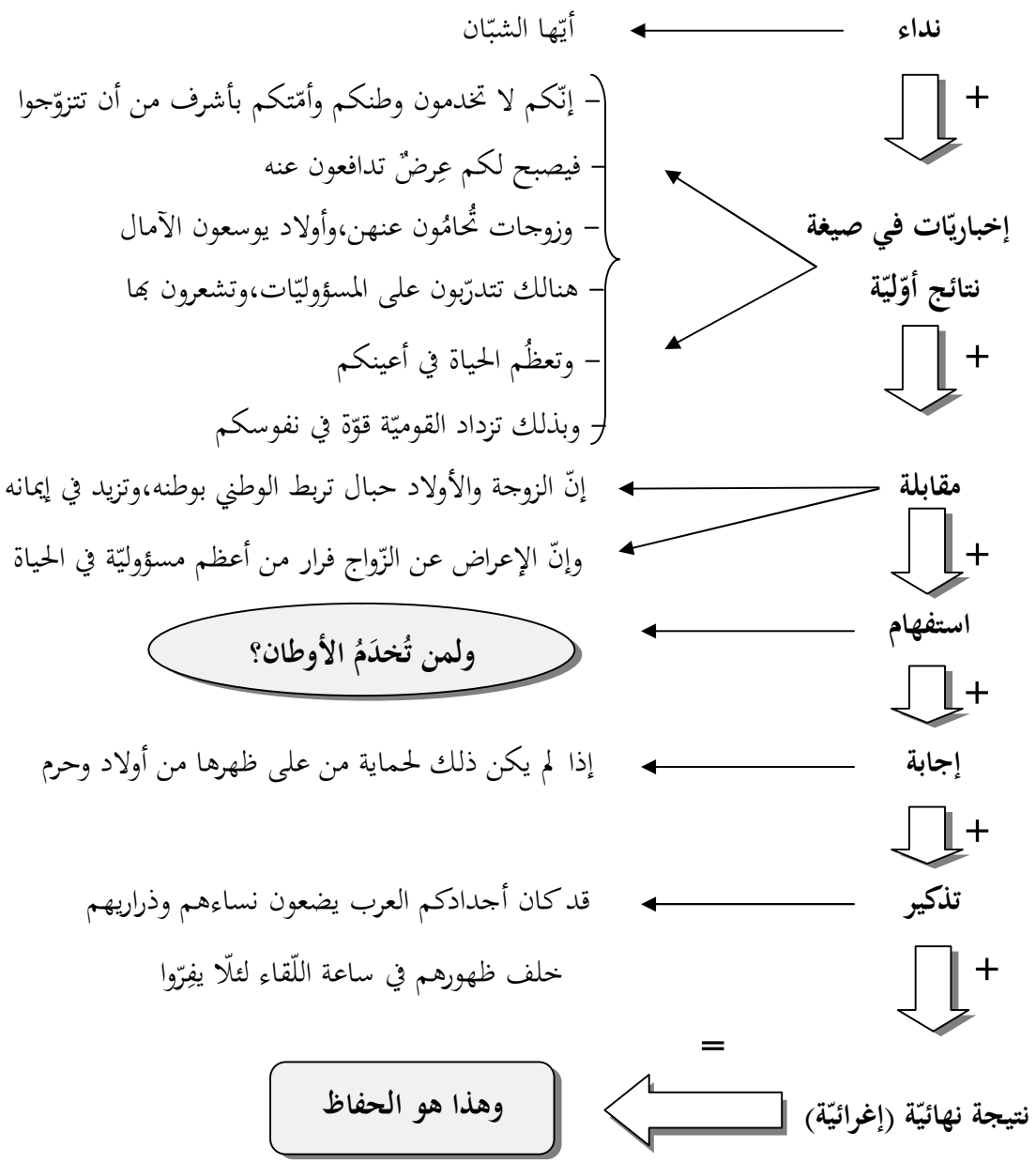

– مخطّط رقم17:يوضّح توظيف آليّة "الإستفهام02" في الخطاب التّوجيهي لدَى (الإبراهيمي)؛ص151.

– مخطّط رقم18:يوضّح كيفيّة توظيف آليّة "الوصيّة" في الخطاب التّوجيهي لدَى (الإبراهيمي)؛ص154.

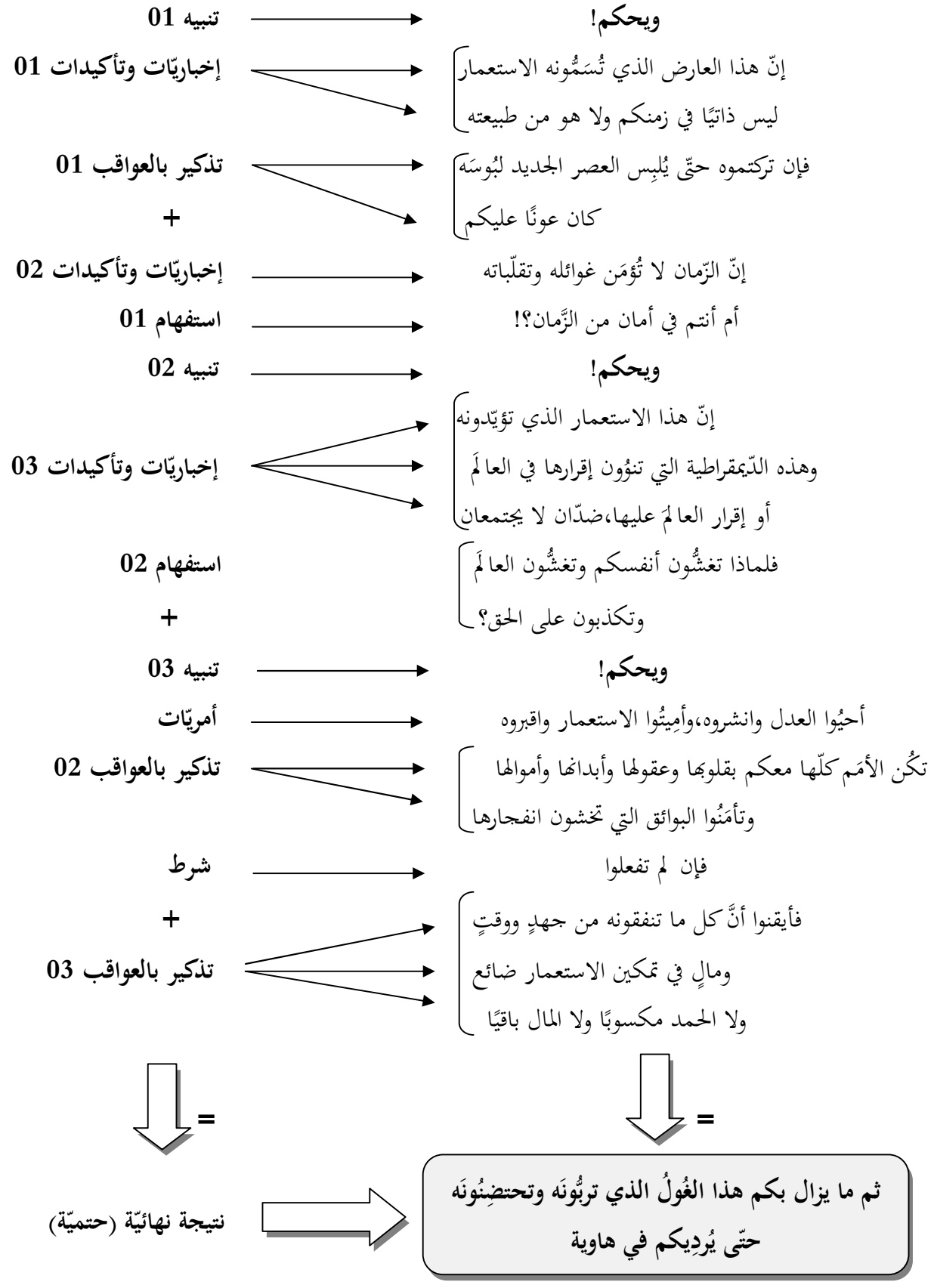

– مخطّط رقم19:يوضّح توظيف آليّة "ذكر العواقب" في الخطاب التّوجيهي لدَى (الإبراهيمي)؛ص160.

أوامر بصيغة الوجوب،مع مقترحات موجَّهَة إلى المعني الأوّل

يجب على الهيئات الدّاعية للانتخابات باسم الحزبيّة،أن تجرّد دعايتها من السَّب والقدح وجرح العواطف وإثارة الأحقاد

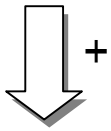

نواهي ومقترحات موجَّهَة إلى المعني الثاني

وعلى القادة والمترشِّحين أن لا يقولوا ولا يعملوا إلا ما يُبقي على الأخوّة ويُعِين في المستقبَل على جمع الكلمة

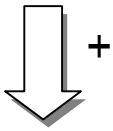

أوامر ومقترحات موجَّهَة إلى المعني الثالث

وعلى عقلاء الأمّة أن يلزموا أولئك الدّعاة عند حدود الاعتدال ويفهموهم أنّ في مكافحة الاستعمار ما يستنفد أقوال القائلين وأعمال العاملين

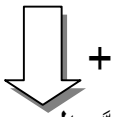

تأكيد موجَّه إلى جميع المعنيّين

وليعلموا جميعًا أنّ هذه النّقطة من أسس تربية الأمّة تربية رشيدة

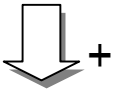

أوامر بصيغة الوجوب،مع مقترحات موجَّهَة إلى المعني الرّابع

يجب على الأحزاب التي تجعل رائدها مصلحة الوطن العليا أن تجري في الدّورة الثانية على قاعدة متبادلة وهي أن تُسلِّم الأقلّية منهم للأكثريّة وأن تعاونها على الفوز

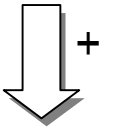

(يُتبَع...)

أوامر ونواهي بصيغة الوجوب،مع ذكر العواقب موجَّهَة إلى المعني الخامس

يجب على النّاخبين أن يقدّروا هذه الانتخابات حقّ قدرها وأن لا يستخفوا بها،ولا يقاطعوها وليعلَم أنّ إعطاء ورقته شهادة للوطن أو عليه،فليعرف أين يضع ورقته ولمن يعطي شهادته وأنّ المقاطعة وإعطاء الورقة لغير الرّجال العاملين هو تضييع لحقوق الوطن يعود عليه بأشأم العواقب

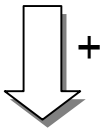

أوامر وتحذيرات بصيغة الوجوب،موجَّهَة إلى المعني السادس

يجب على الأمّة أن تميّز بين أصحاب المبادئ وأصحاب الأغراض والمنافع الشّخصيّة
يجب على الأمّة أن تحذَر كلّ الحذر من المرشّحين المستقلّين

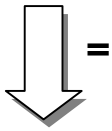

تصريح بالسّلطة

عن المجلس الإداري،الرّئيس:محمّد البشير الإبراهيمي

– مخطّط رقم20:يوضّح "التّوجيه المركّب01" في الخطاب التّوجيهي لدَى (الإبراهيمي)؛ص.ص162–163.

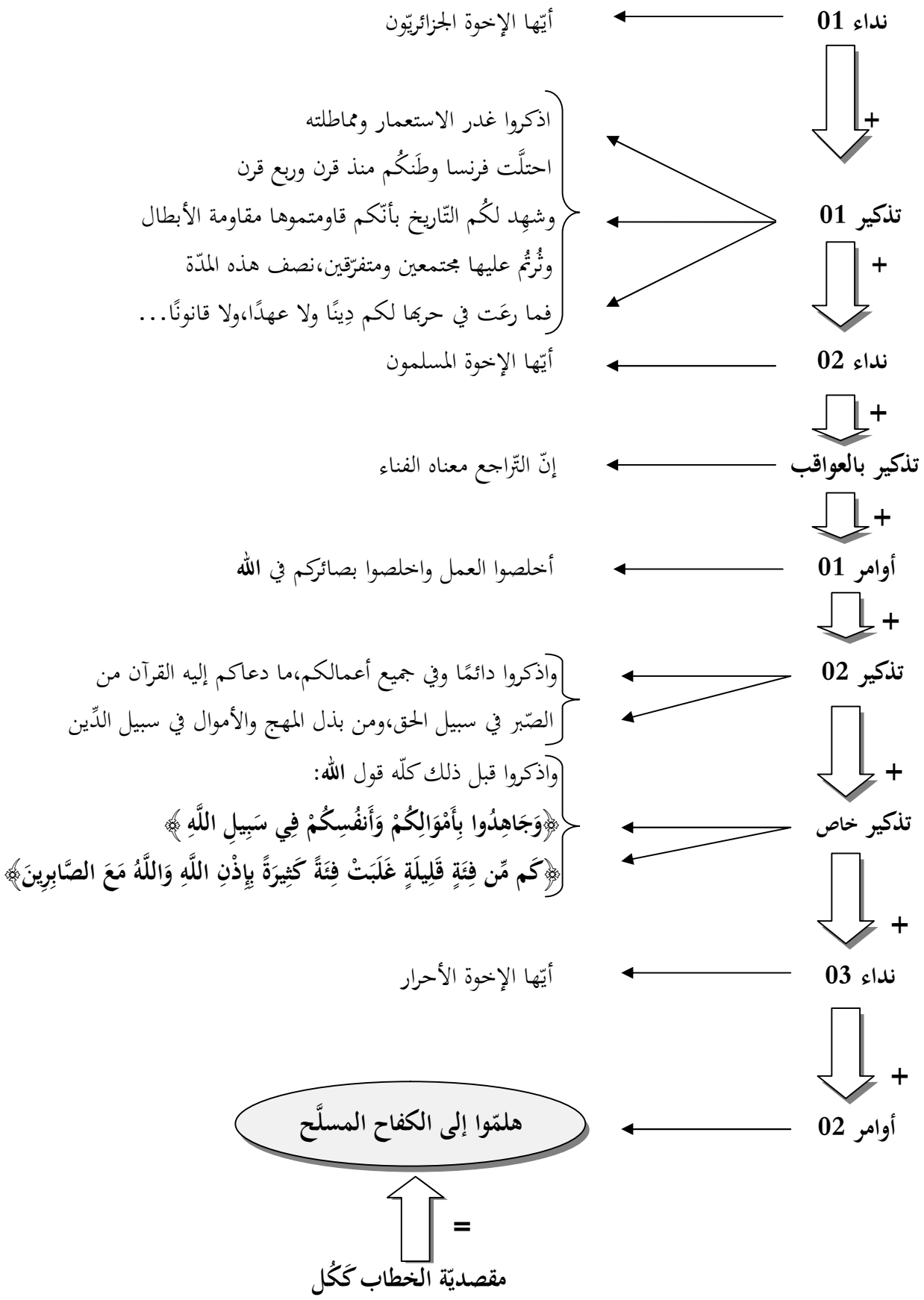

– مخطّط رقم21:يوضّح آليّة "التّوجيه المركّب02" في الخطاب التّوجيهي لدَى (الإبراهيمي)؛ص165.

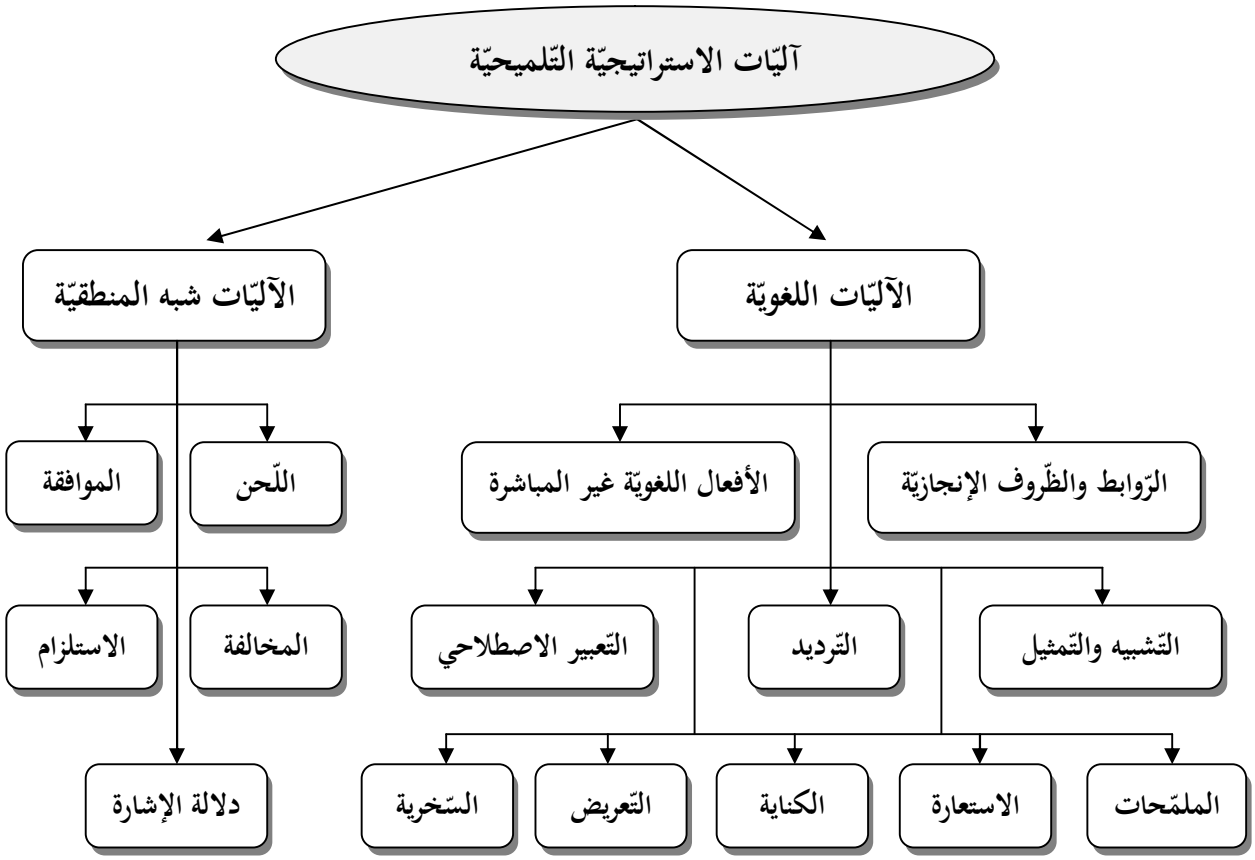

– مخطّط رقم22:يوضّح أهم الآليّات اللغويّة وشبه المنطقيّة المستَخدَمَة في الاستراتيجيّة التّلميحيّة؛ص169.

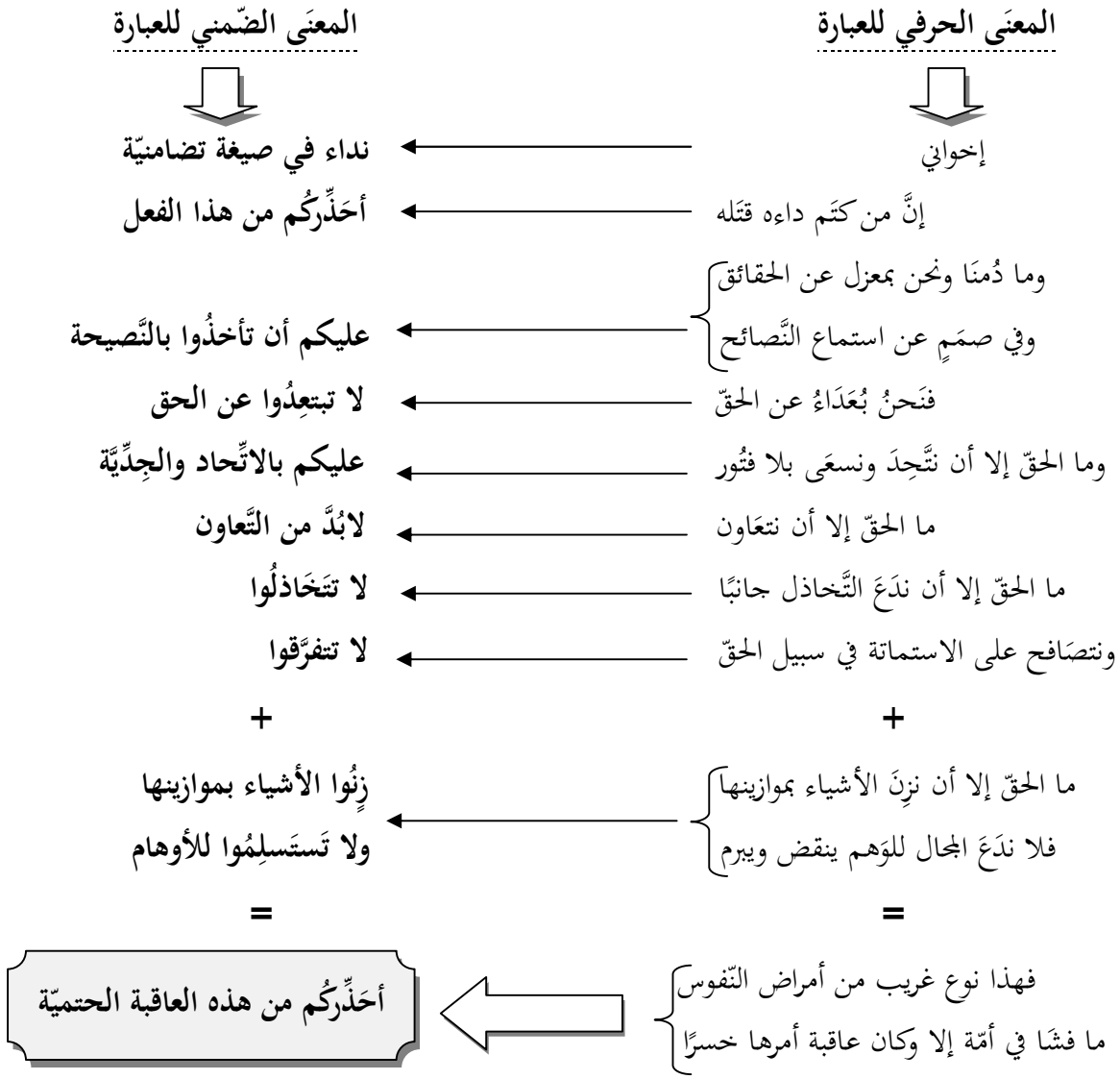

– مخطّط رقم23:يوضّح كيفيّة توظيف"الأفعال اللغويّة غير المباشرة01" في الخطاب التّلميحي لدَى (الإبراهيمي)؛ص175.

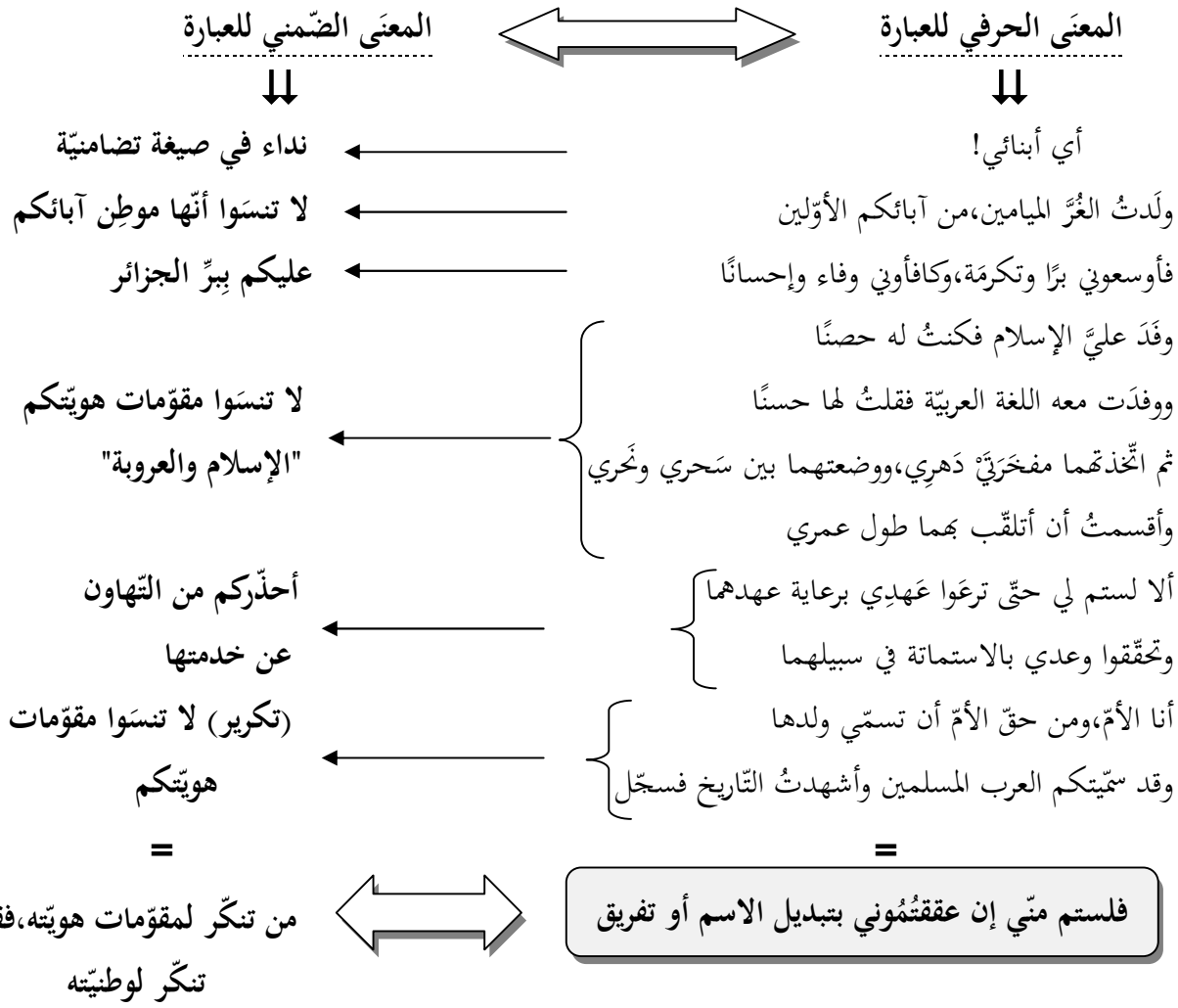

– مخطّط رقم24:يوضّح كيفيّة توظيف"الأفعال اللغويّة غير المباشرة02"
في الخطاب التّلميحي لدَى (الإبراهيمي)؛ص176.

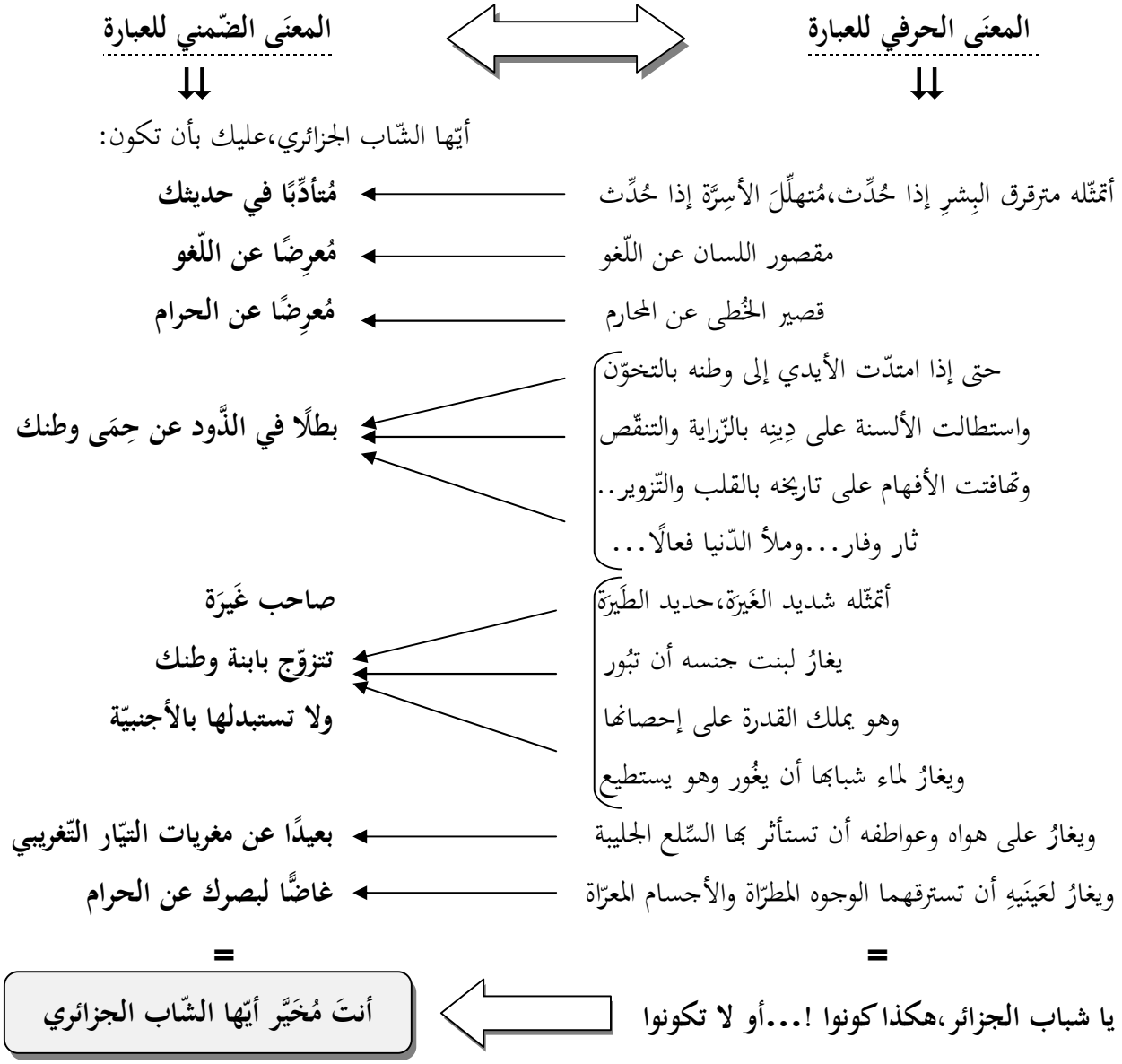

– مخطّط رقم25:يوضّح كيفية توظيف"الأفعال اللغويّة غير المباشرة03" في الخطاب التّلميحي لدَى (الإبراهيمي)؛ص178.

- مخطّط رقم26:يوضّح توظيف آليّة "الملمّحات" في الخطاب التّلميحي لدَى (الإبراهيمي)؛ص183.

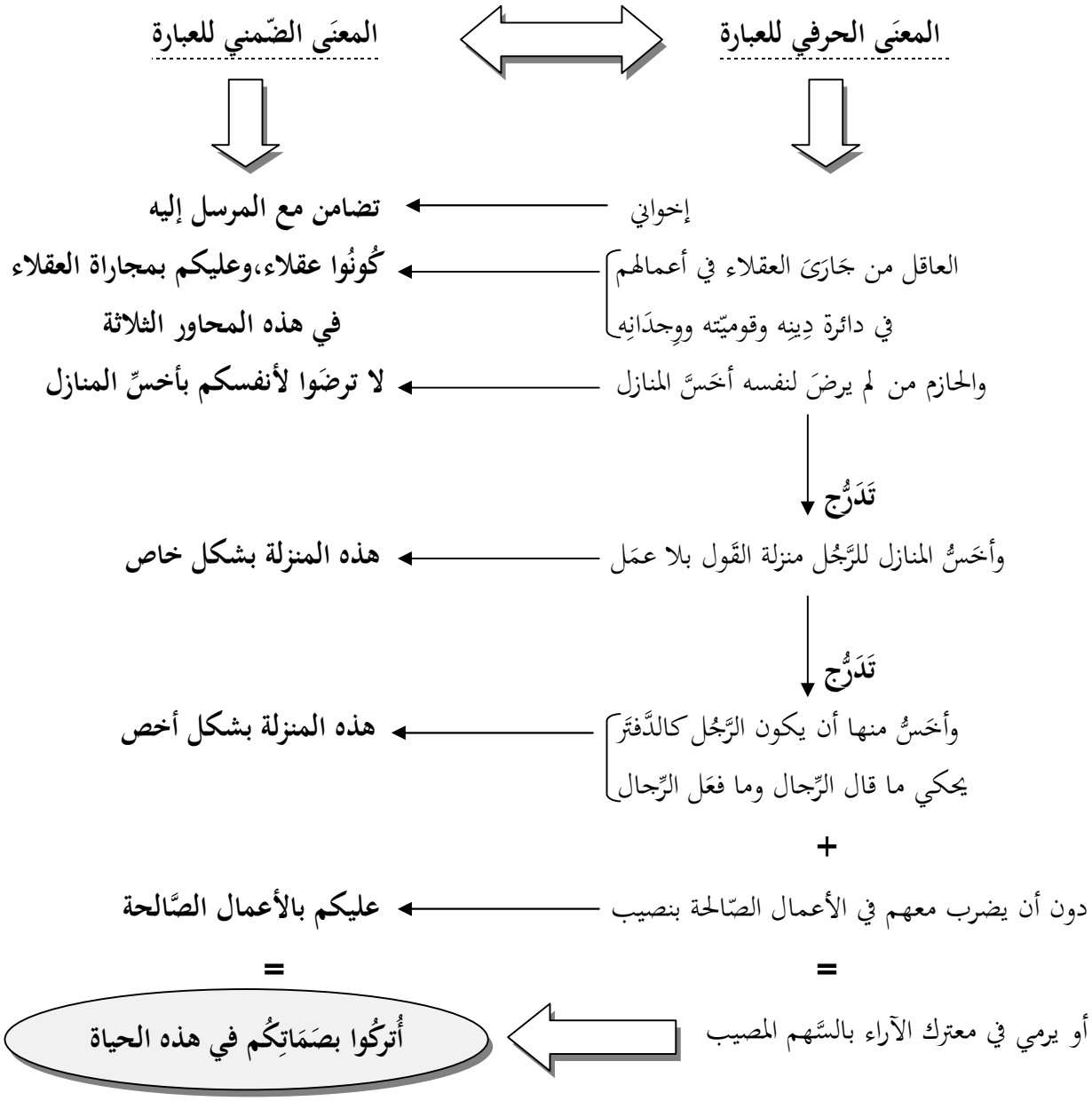

– مخطّط رقم27:يوضّح كيفيّة توظيف آليّة "التّشبيه" في الخطاب التّلميحي لدَى (الإبراهيمي)؛ص191.

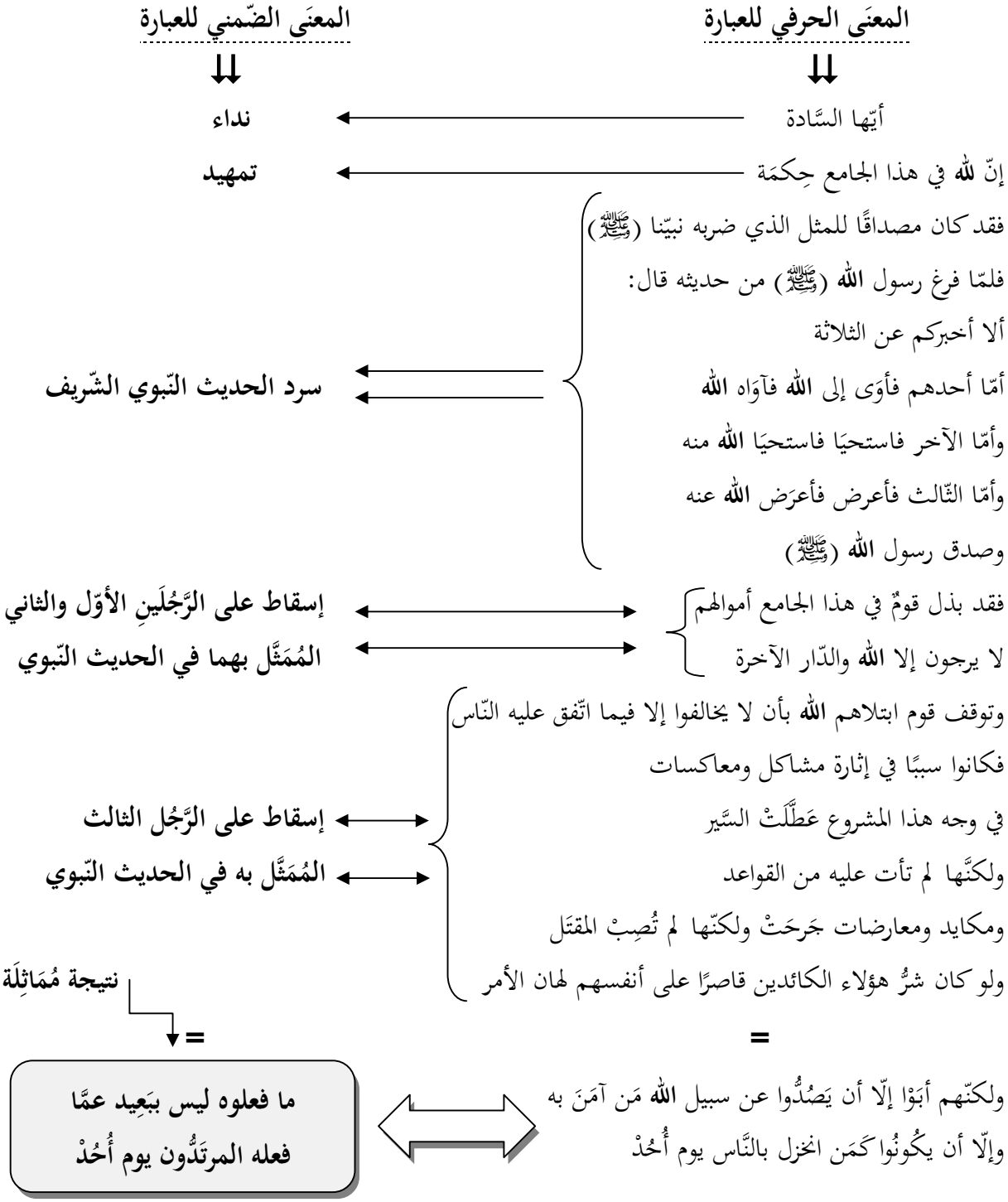

– مخطّط رقم28:يوضّح كيفيّة توظيف آليّة "التّمثيل" في الخطاب التّلميحي لدَى (الإبراهيمي)؛ص193.

تضامن مع السُّلطة العليَا ⇦ وأسأله تعالى للقائمين بشؤون هذه الأمّة

↓

أُلفَة تجمع الشّمل ووحدة تبعث القوّة

المعنى الحرفي:دعاء — **المعنى الضّمني**:حَثٌّ على الوحدة ونَبذِ الفُرقَة

↓

ورحمةً تضمِّدُ الجِراحَ

المعنى الحرفي:دعاء — **المعنى الضّمني**:حَثٌّ على الصَّفح والصُّلح

↓

وتعاونًا يُثمِرُ المنفعَة

المعنى الحرفي:دعاء — **المعنى الضّمني**:حَثٌّ على التَّعاون (يتبع...)

↓

وإخلاصًا يهوِّن العسير

المعنى الحرفي:دعاء — **المعنى الضّمني**:حَثٌّ على الإخلاص ونَبذِ الخيانَة

↓

وتوفيقًا ينير السَّبيل،وتسدِيدًا يقوِّمُ الرَّأيَ ويثبِّتُ الأقدامَ

المعنى الحرفي:دعاء — **المعنى الضّمني**:حَثٌّ على الثّبات بما جاءت به مبادئ الثّورة التّحريريّة

↓

وحِكمَةٌ مُستَمَدَّة من تعاليم الإسلام وروحانيّة الشّرق وأمجاد العرب

المعنى الحرفي:دعاء — **المعنى الضّمني**:حَثٌّ على العمل بمبادئ الإسلام وتحقيق الهويّة العربيّة

↓

وعزيمة تقطع دابر الاستعمار من النّفوس،بعد أن قطعت دابره من الأرض

(يُتبَع...)

المعنى الحرفي:دعاء **المعنى الضّمني**:حَثٌّ على الاستقلال التّام من بقايا الاحتلال الفرنسي

↓

ونَعُوذُ **بالله** ونبرَأُ إليه من كل دَاعٍ يدعُو إلى الفُرقَة والخلاف
وكلّ ساعٍ يسعَى إلى التَّفريق والتَّمزيق وكلّ ناعقٍ ينعَقُ بالفِتنَة والفَسَاد

المعنى الحرفي:دعاء **المعنى الضّمني**:حَثٌّ على الوحدة ونَبذِ الفُرقَة والحَذَر من دُعَاة الفِتنَة

– مخطّط رقم29:يوضّح آليّة "التّعريض" في الخطاب التّلميحي لدَى (الإبراهيمي)؛ص.ص198–199.

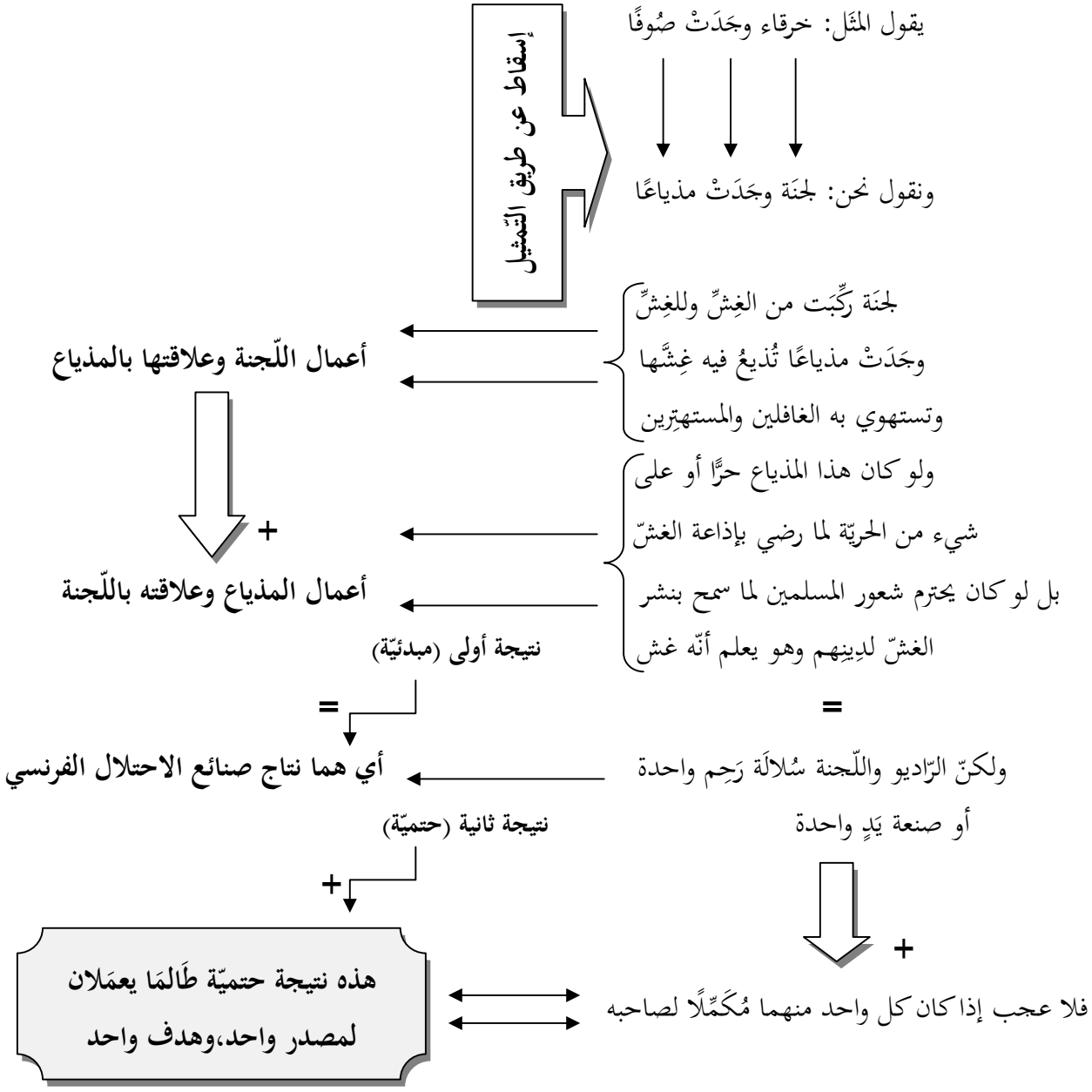

– مخطّط رقم30:يوضّح كيفيّة توظيف آليّة "السّخرية" في الخطاب التّلميحي لدَى (الإبراهيمي)؛ص204.

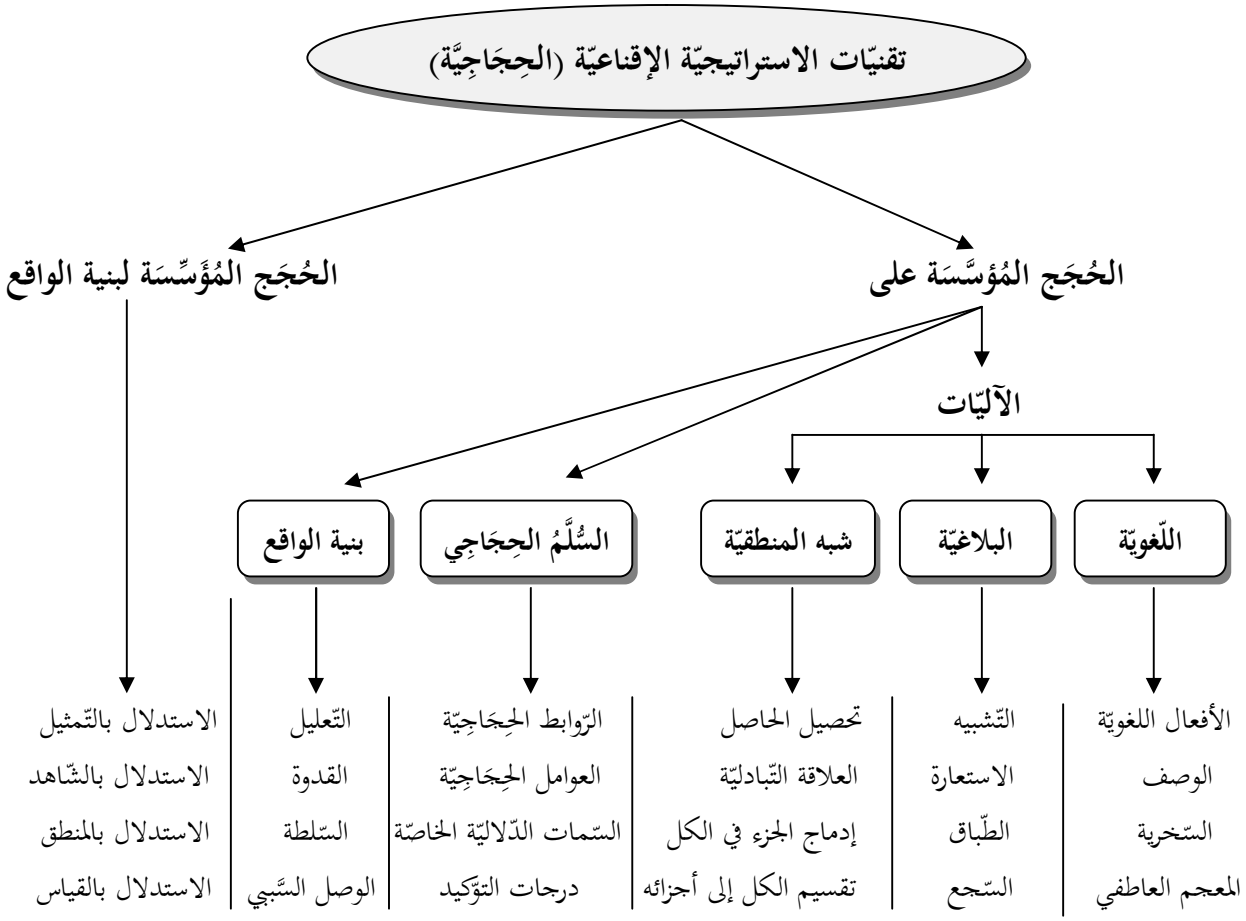

– مخطّط رقم31:يوضّح أهم تقنيّات الاستراتيجيّة الإقناعيّة (الحِجَاجِيَّة)؛ص215.

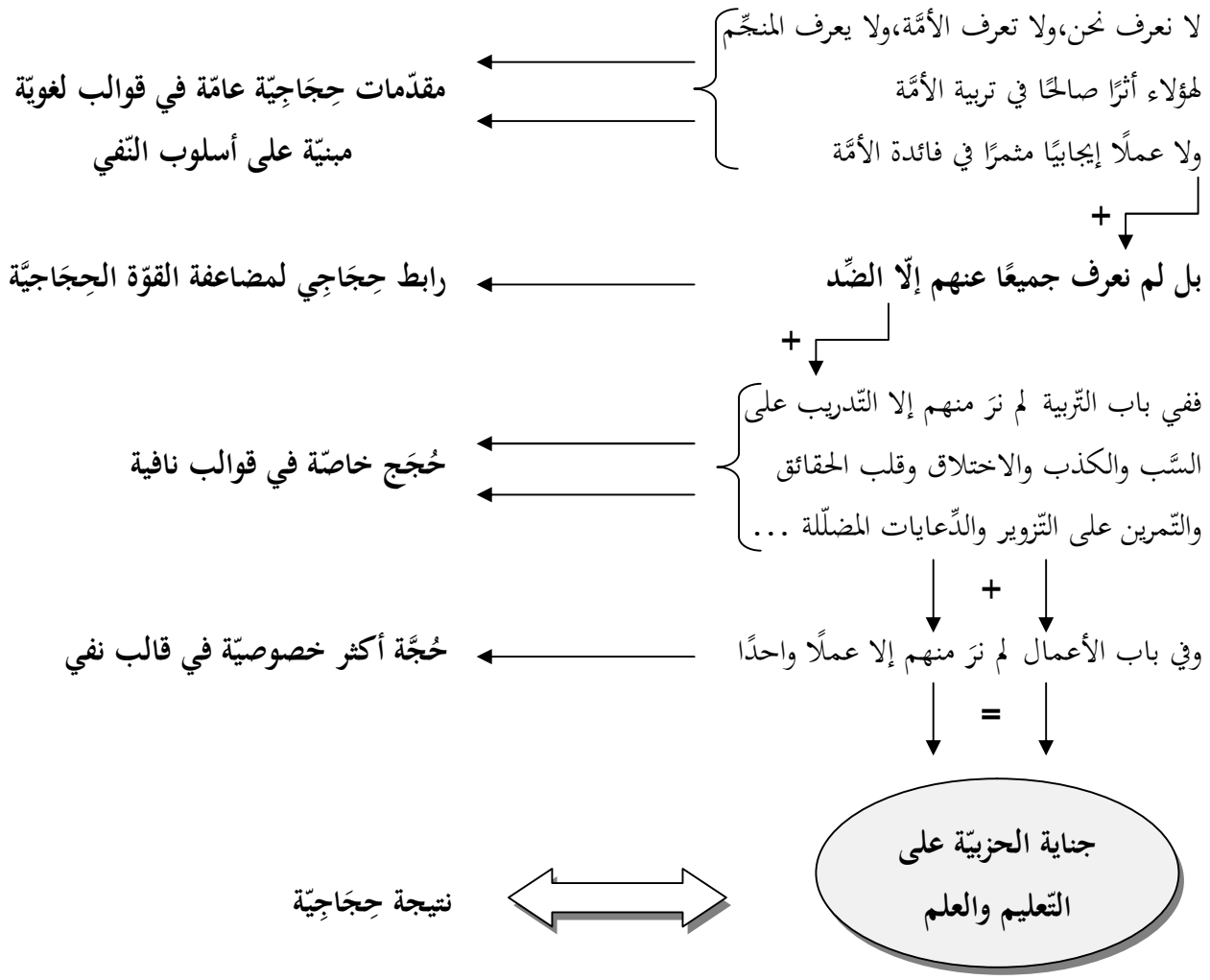

– مخطّط رقم32:يوضّح كيفيّة توظيف آليّة "النّفي" في الخطاب الحِجَاجِي لدَى (الإبراهيمي)؛ص217.

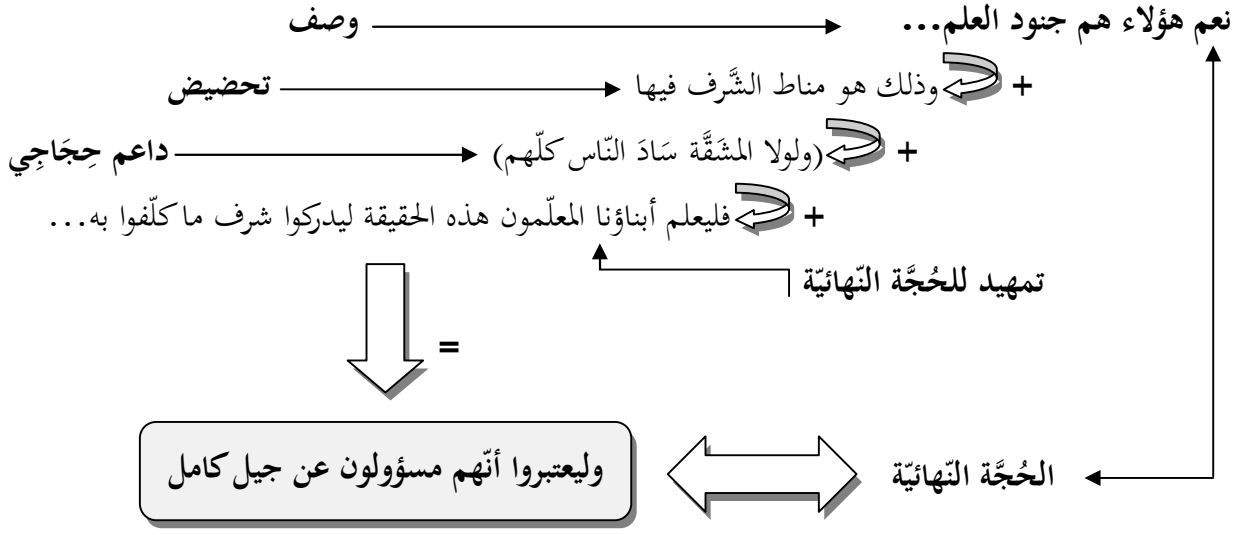

– مخطّط رقم33:يوضّح كيفيّة توظيف آليّة "الوصف" في الخطاب الحِجَاجِي لدَى (الإبراهيمي)؛ص219.

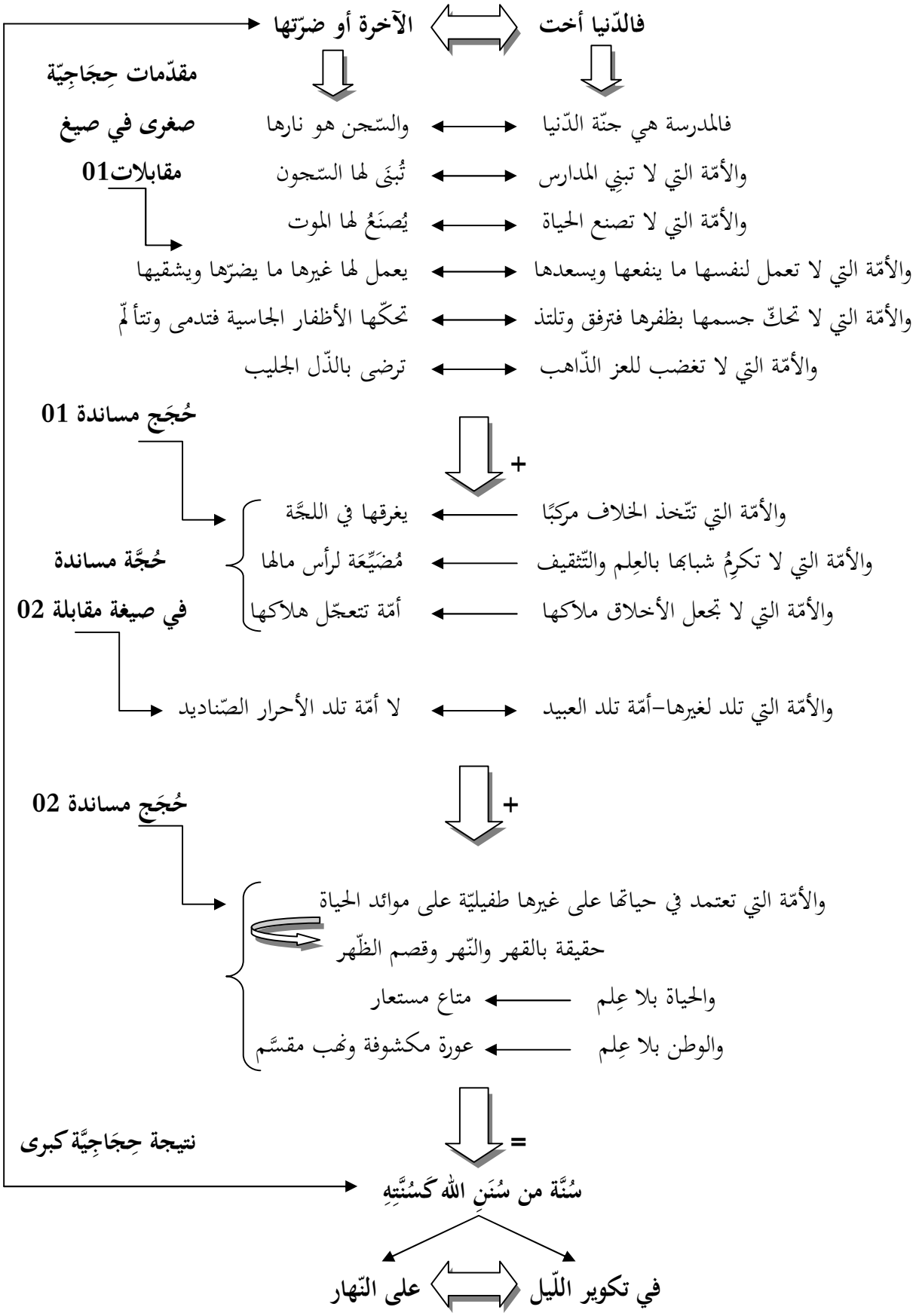

– مخطّط رقم34:يوضّح كيفيّة توظيف آليّة "المقابلة" في الخطاب الحِجَاجِي لدَى (الإبراهيمي)؛ص229.

أقلّ عمل يُطلَبُ من المرء أن يرمي في معترك الآراء بالسّهم المصيب

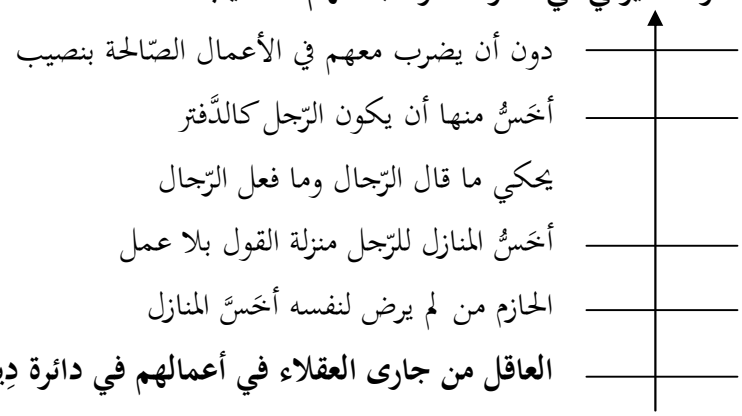

– مخطّط رقم35:يوضّح كيفيّة توظيف "قانون الخفض" في الخطاب الحِجَاجِي لدَى (الإبراهيمي)؛ص231.

الاعتماد على النَّفس هو الرّائد إلى السّعادة وأساس الحياة الاستقلاليّة

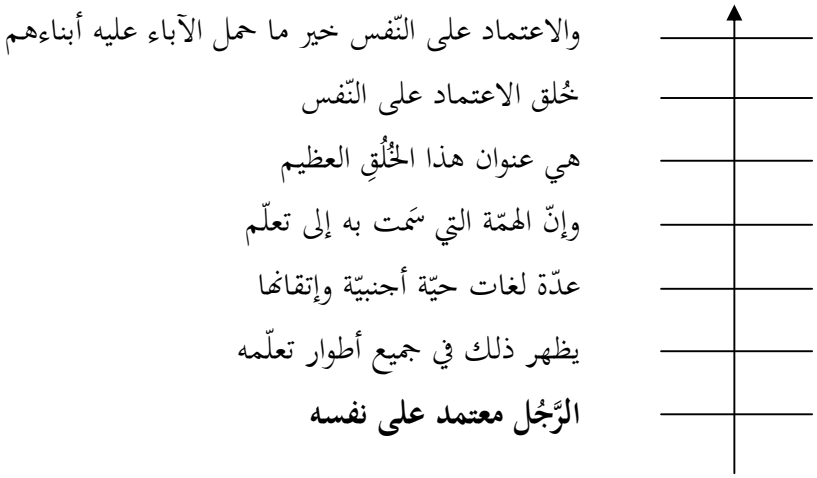

– مخطّط رقم36:يوضّح "الاتّجاه الحِجَاجِي المضمر" في الخطاب الحِجَاجِي لدَى (الإبراهيمي)؛ص232.

أيّها الصّحفيّون،هذا ما يريده منكم خصوم فلسطين

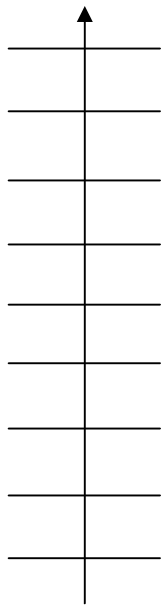

ولفألكم الخيبة
ولكنّها تكابد
ومأزومة
ولكنّها تجاهد
إنّ فلسطين حيّة
إن لم يكن فعال فليكن حسن فال
وتجلّلوا صحفكم بالسّواد حِدَادًا عليها
أمَاتَت فلسطين حتّى تصفوها بـ"الشّهيدة"
ما هذه التّفاهة في الذّوق أيّها الصّحفيّون!

– مخطّط رقم37:يوضّح كيفيّة توظيف الرّابط "لكن" في الخطاب الحِجَاجِي لدَى (الإبراهيمي)؛ص234.

يسعى الاحتلال الفرنسي إلى إخماد صوت الشَّعب الجزائري بأيّة وسيلة،ولو بالقوّة العسكريّة

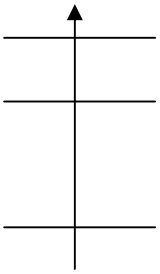

بل يرمي إلى جعل الاضطهاد المسلَّط على الشَّعب الأعزل أشدُّ وأنكَى
بأنّ الأمر لا ينحصر في تعزيز العمليّات العسكريّة ضدّ جيش
التّحرير الوطني الجزائري فحسب
تفيد البيانات التي أدلى بها وزير الدّاخليّة الفرنسيّة...

– مخطّط رقم38:يوضّح كيفيّة توظيف الرّابط"بل" في الخطاب الحِجَاجِي لدَى (الإبراهيمي)؛ص235.

المفهوم الحقيقي للعروبة

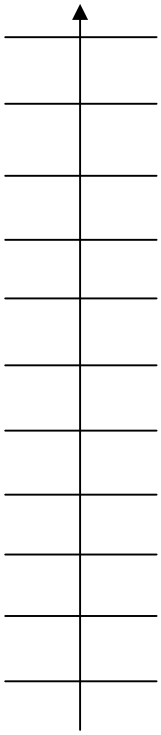

وإنّما هي طبع أصيل ورأي جليل ولسان بالبيان بليل...

وإنّما هي رجولة وبطولة وأصالة وفحولة

وإنّما هي طموح وجموح...

وإنّما هي عزّة وكرامة وشدّة في الحفاظ وصرامة

وإنّما هي عزائم لا تعرف الهزائم

وإنّما هي مساعٍ من الكرام إلى المكارم...

وإنّما هي بناء مآثر وتشييد أمجاد ومحامد

وإنّما هي خلال وخصال وهمم تتشقّق عن فعال

وأنّها ليست جلدة تسمر أو تحمر...

وأن يعلموا أنّها ليست جنسيّة تميّز ولا نسبة تعرف

أهتف بشباب العرب أن يرعوا حقَّ العروبة وأن يكونوا أوفياء لها

– مخطّط رقم39:يوضّح كيفيّة توظيف الرّابط"إنّما" في الخطاب الحِجَاجِي لدَى (الإبراهيمي)؛ص236.

على الشّعوب العربيّة أن تعرف معنى المصلحة العامّة أوّلًا؛كي تعتبرها،وتستطيع أن تختار لها منتَخَبِين أكفاء

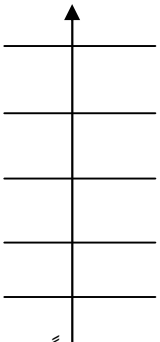

فضلًا عن

فضلًا عن اعتبارها

لا تفقه للمصلحة العامّة معنًى

وشعوبنا ما زالت مُضَلَّلَة مُسَخَّرَة...

الانتخابات اختيار للمصلحة العامّة

– مخطّط رقم40:يوضّح كيفيّة توظيف الرّابط"فضلًا عن" في الخطاب الحِجَاجِي لدَى (الإبراهيمي)؛ص237.

وَلَم أرَ أمثَالَ الرِّجَالِ تَفَاوُتًا إلَى المجدِ حَتَّى عُدَّ أَلْفٌ بِوَاحِدِ

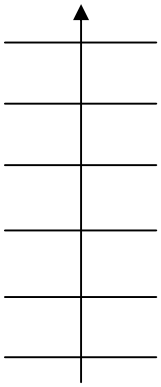

يكُونُوا كما قال الشّاعر

حتّى

ذلك الكمال الذي يتفاوت فيه العاملون

ولسنا نعني الكمال الخَلقي التّكويني الذي لا يدَ للمخلوق فيه

الذي في مكنة الإنسان الوصول إليه بالتعمّل...

نحن نريد من الكمال هنا الكمال المكتَسَب

– مخطّط رقم41:يوضّح كيفيّة توظيف الرّابط"حتّى" في الخطاب الحِجَاجِي لدَى (الإبراهيمي)؛ص239.

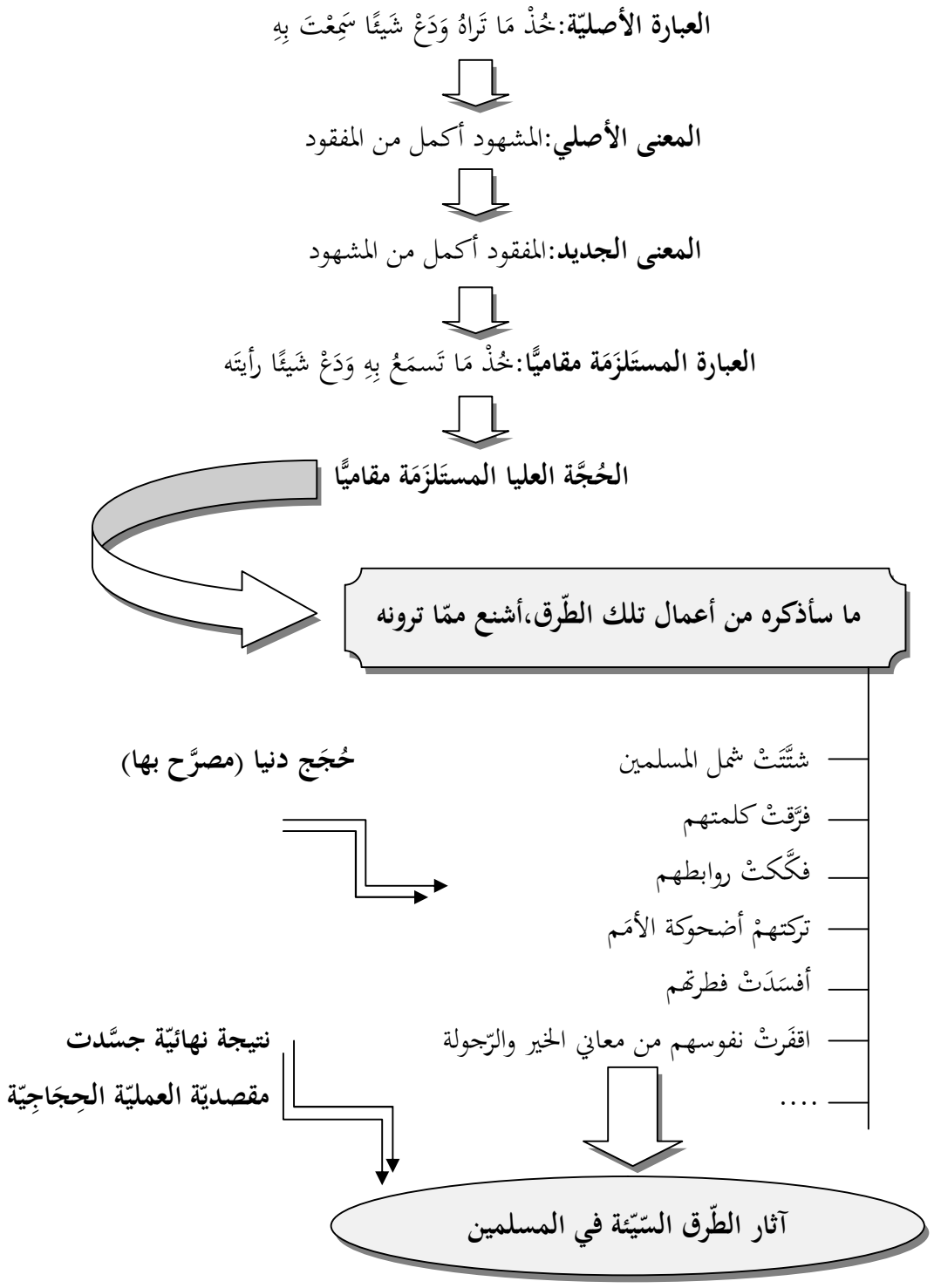

– مخطّط رقم42:يوضّح آليّة"السّمات الدّلاليّة الخاصّة" في الخطاب الحِجَاجِي لدَى (الإبراهيمي)؛ص242.

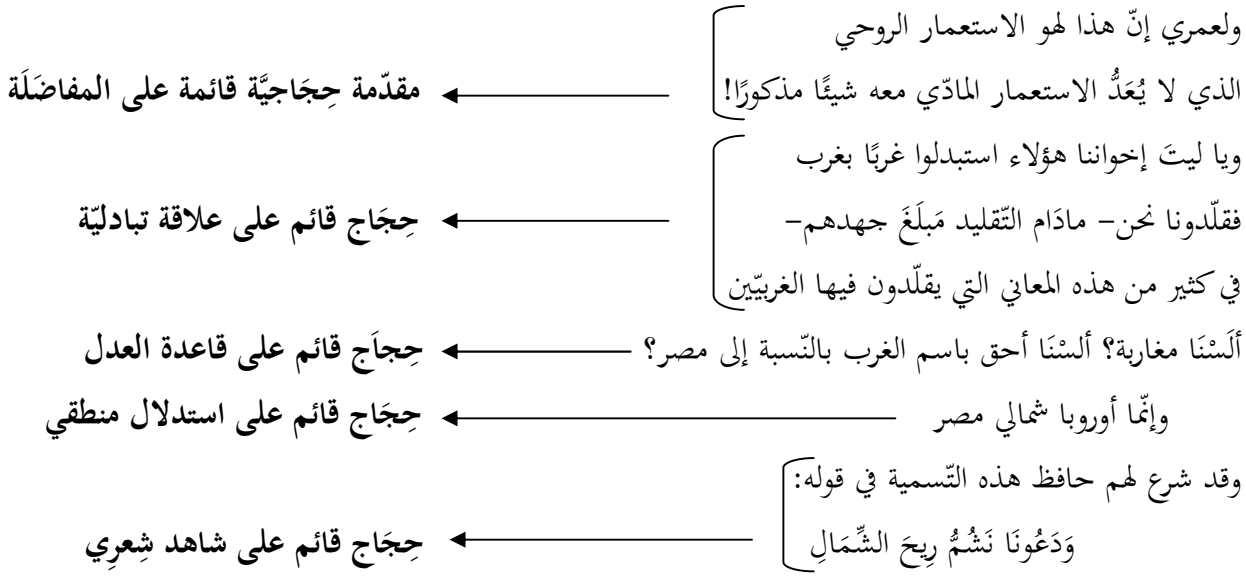

– مخطّط رقم43:يوضّح كيفيّة توظيف "العلاقة التّبادليّة" في الخطاب الحِجَاجِي لدَى (الإبراهيمي)؛ص254.

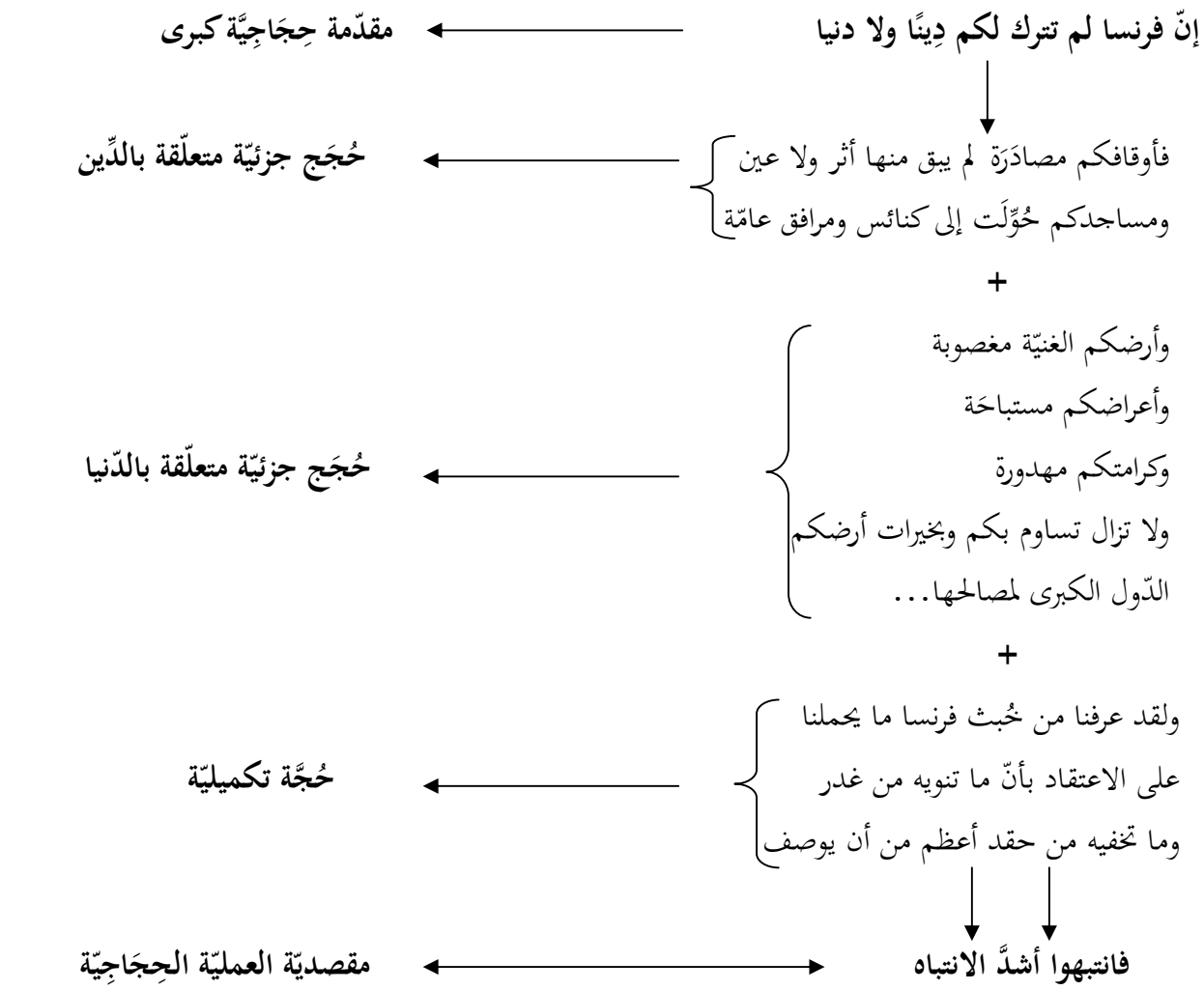

– مخطّط رقم44:يوضّح آليّة "تقسيم الكل إلى أجزاء" في الخطاب الحِجَاجِي لدَى (الإبراهيمي)؛ص255.

هذه النّاحية من أمراضنا هي أيسر معاجلة من جميع النّواحي ← **تحفيز مقترن بالشّرط**
إذا أحسنَّا تسيير الجهود الفرديّة في التّربية المنزليّة

لأنّ لنا أسَاسًا نبني عليه ولا يعسر جد العسر إحياؤه ← **التّعليل بالأداة "لأنّ"**

وهو الأخلاق الإسلاميّة المتوارثَة في الجملة ← **ذكر السَّند الحِجَاجِي**

والتي نجد معظمها في القرآن في أوضح عبارة وأوضح بيان ← **ذكر الرّافد الأوّل للسَّنَد**

ثم الأخلاق العربيّة المأخوذة من آدابهم ← **ذكر الرّافد الثاني للسَّنَد**

– مخطّط رقم45:يوضّح كيفيّة توظيف "التّعليل" في الخطاب الحِجَاجِي لدَى (الإبراهيمي)؛ص256.

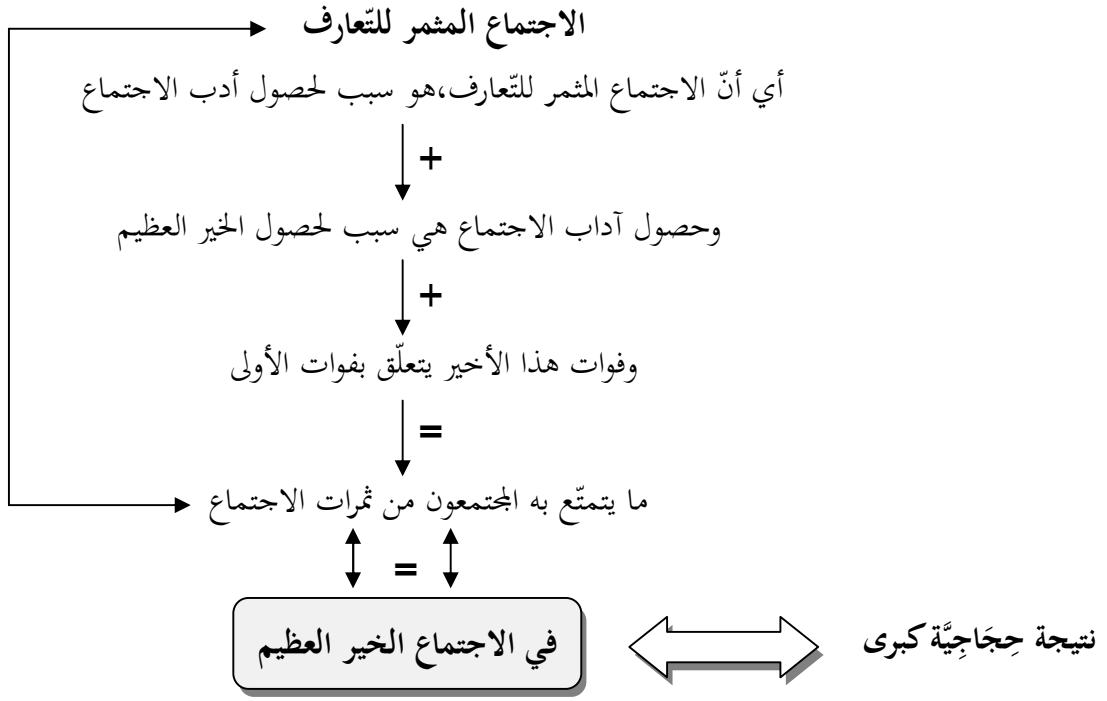

– مخطّط رقم46:يوضّح أداة "الوصل السَّببي01" في الخطاب الحِجَاجِي لدَى (الإبراهيمي)؛ص258.

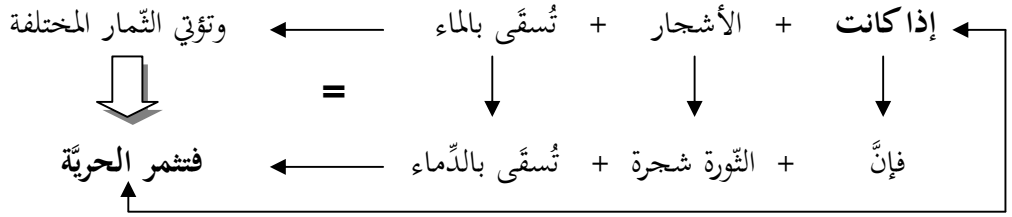

– مخطّط رقم47:يوضّح أداة "الوصل السَّببي02" في الخطاب الحِجَاجِي لدَى (الإبراهيمي)؛ص259.

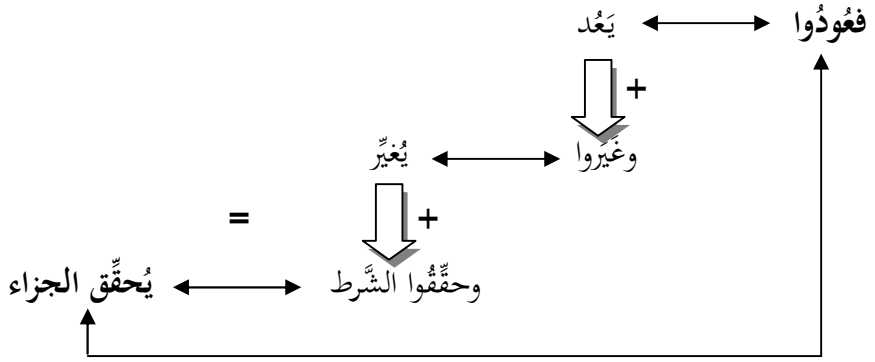

– مخطّط رقم48:يوضّح أداة "الوصل السَّببي03" في الخطاب الحِجَاجِي لدَى (الإبراهيمي)؛ص260.

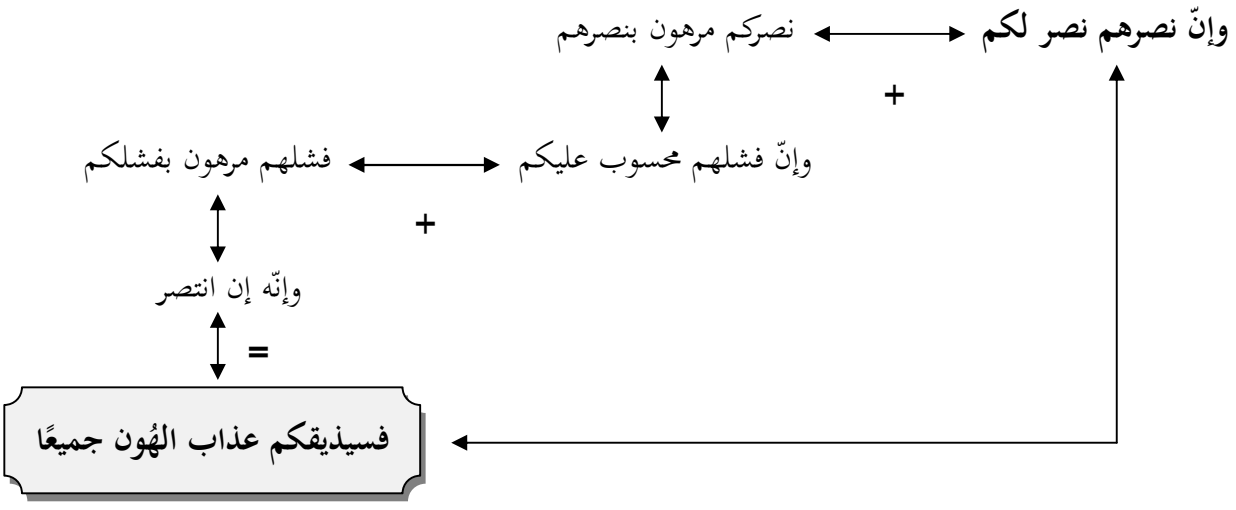

– مخطّط رقم49:يوضّح "التّراكيب الشّرطيّة المضمَرة" في الخطاب الحِجَاجِي لدَى (الإبراهيمي)؛ص261.

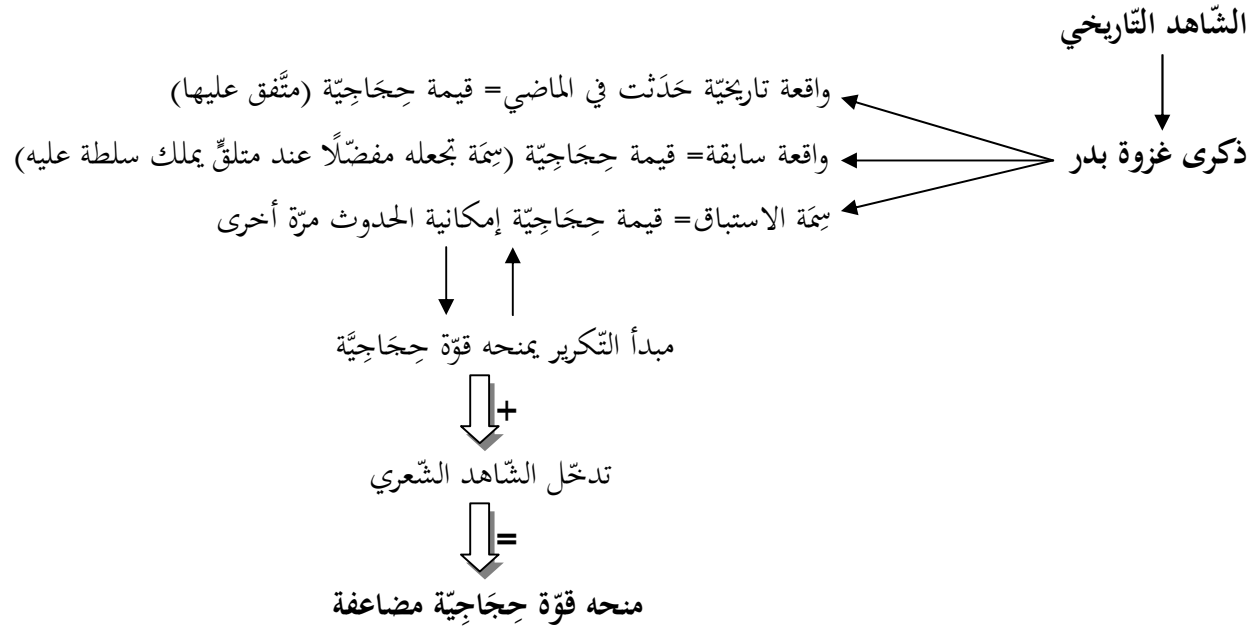

– مخطّط رقم50:يوضّح "الاستدلال بالشّاهد التّاريخي" في الخطاب الحِجَاجِي لدَى (الإبراهيمي)؛ص269.

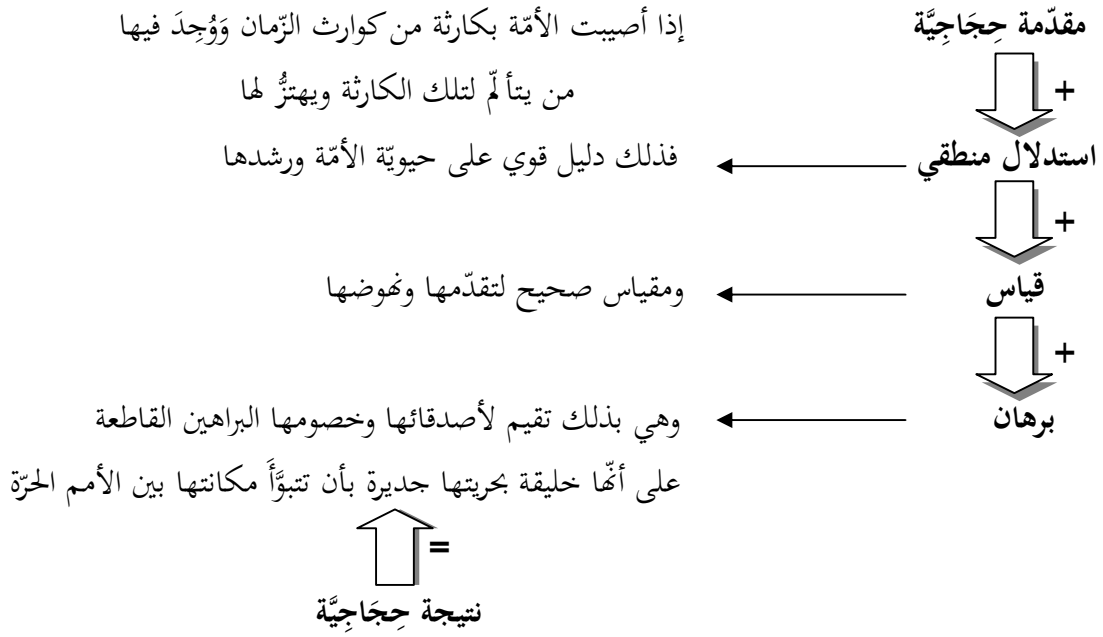

– مخطّط رقم51:يوضّح كيفيّة توظيف آليّة "الاستدلال" في الخطاب الحِجَاجِي لدَى (الإبراهيمي)؛ص275.

فهرست
موضوعات البحث

– فهرست موضوعات البحث–

الموضوع **الصّفحة**

– **مقدّمة:**.....أ– هـ.

– **مدخل: "تحديدات مصطلحيّة ومفاهيميّة"**..... 12-29.

– **الفصل الأوّل:**"الاستراتيجيّة الخطابيّة:المصطلح،والمفهوم،ومعايير التّصنيف،والعوامل المتدخّلة في انتقائها":

– **أوّلا**:مصطلح الاستراتيجيّة:النّشأة،والمفهوم،والمجال..... 33.

– **ثانيًا**:مفهوم الاستراتيجيّة الخطابيّة..... 35.

– **ثالثًا**:معايير تصنيف استراتيجيّات الخطاب..... 41.

– **رابعًا**: العوامل المتدخّلة في انتقاء الاستراتيجيّة الخطابيّة.....51.

– **الفصل الثّاني**:الاستراتيجيّة التّضامنيّة في خطاب (الإبراهيمي)..... 66.

– **الفصل الثّالث**:الاستراتيجيّة التّوجيهيّة في خطاب (الإبراهيمي)..... 120.

– **الفصل الرّابع**:الاستراتيجيّة التّلميحيّة في خطاب (الإبراهيمي)..... 167.

– **الفصل الخامس**:الاستراتيجيّة الإقناعيّة (الحِجَاجِيَّة) في خطاب (الإبراهيمي)..... 213.

– **خاتمة:**.....277-278.

– **مستخلص البحث باللّغتين العربيّة والإنجليزية:**..... 280.

– **قائمة مصادر البحث ومراجعه:**..... 282.

– الفهارس العامّة للبحث–

– **أوّلًا**:فهرست الآيات القرآنيّة..... 302.

– **ثانيًا**:فهرست الأحاديث النبويّة الشّريفة..... 304.

– **ثالثًا**:فهرست أهم مصطلحات البحث،باللّغتين (العربيّة والإنجليزيّة)..... 305.

– **رابعًا**:فهرست الأبيات الشّعريّة..... 308.

– **خامسًا**:فهرست الأمثال العربيّة..... 312.

– **سادسًا**:فهرست مخطَّطَات البحث..... 313.

– **فهرست موضوعات البحث:**..... 350.